العنوان: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثالث لإحـــياء تراث أمـير المؤمنـين عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر

الإشراف العام:أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الإدارة الفنيـــة : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي:احمد محسن الحسينيّ

عدد النسخ: ٢٥٠

تاريخ الاصدار: ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤ م

ISBN:978-9922-680-67-5

مركز المرايا للدراسات والإعلام (النجف، العراق). مؤتمر إحياء تراث امير المؤمنين عليه السلام (الثالث : ٢٠٢٣ : النجف، العراق)، مؤلف.
وقائع المؤتمر العلمي الثالث لإحياء تراث امير المؤمنين عليه السلام : المنعقد تحت عنوان مبادئ الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر في تراث الامام علي عليه السلام_ كربلاء، العراق : جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤.
٥٨١ صفحة ؛ ٢٤ سم
ردمك : 9789922680651
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
١. علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ هجري--مؤتمرات. ٢. الرعاية الاجتماعية --البلاد الإسلامية--مؤتمرات ٣. الاسلام والفقر (شيعة)--مؤتمرات. الف. جمعية العميد العلمية والفكرية (كربلاء، العراق)، مؤلف مشارك. ب. العنوان.
LCC : BP193.1.A2 A8365 2024
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة اثناء النشر

٢٣٩ ، ٣
م ٦٨٨ المؤتمر العلمي لاحياء تراث امير المؤمنين (ع) (٣ = كربلاء)
وقائع المؤتمر العلمي الثالث لاحياء تراث امير المؤمنين (ع) / المؤتمر – كربلاء : جمعية العميد العلمية والفكرية، ٢٠٢٤.
٥٨١ ص ؛ ٢٤ سم.
١. علي بن ابي طالب عليه السلام الامام الأول
٢. اهل بيت النبي - مؤتمرات
١٩٩٥/ ٢٠٢٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٩٥) لسنة ٢٠٢٤

وقائع بحوث

المؤتمر العلمي الثالث

لإحياء تراث أمير المؤمنين عليه السلام

المنعقد تحت عنوان

مبادئ الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر في تراث الإمام علي عليه السلام

للمدة ٩ـ ١١ / كانون الاول/٢٠٢٣ م الموافق ٢٤ ـ٢٦ جمادى الاولى ١٤٤٥هـ

سورة المائدة : ٥٥

١١	إجراءات مكافحة الفساد في حكومة الإمام علي عليه السلام قراءة في عهده عليه السلام لمالك الأشتر	**أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي** جامعة ذي قار/ كلية الآداب
٣٧	العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي عليه السلام	**أ.د. محسن مشكل فهد** جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
٦٣	المواطنة وحقوق الإنسان في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، رسالته لمالك الأشتر نموذجا	**أ.م.د غصون مزهر حسين** الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم التاريخ
٨١	الرؤية الفلسفية لحقوق الطفل اليتيم بين فكر الإمام علي عليه السلام والشرعية الدولية	**أ.م.د. صبا حسين مولى** **أ.م.د. لمياء حسين مولى** جامعة بغداد / مركز دراسات المرأة جامعة التقنية الوسطى / معهد الإدارة / الرصافة
١٢٧	الدولة الإسلامية في عهد الإمام علي عليه السلام ومسؤوليتها في الرعاية الإجتماعية ومكافحة الفقر وأثر ذلك على الواقع الاقتصادي والاجتماعي	**م.د. إلهام حمد عيسى** جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

١٦٣	مؤشر الفقر العالمي لعام ٢٠٢٣ وموقع العراق فيه - حلول ومعالجات بالإفادة من منظور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام	**م.د. احمد ابراهيم حسين علي العبيدي** وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البعثات والعلاقات الثقافية
٢٠٥	الآليات المتبعة لمكافحة الفقر في دولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام	**م.د. خديجة حسن علي القصير** جامعة الكوفة / كلية الآداب
٢٢٥	الاسس والمبادئ العامة للرعاية الاجتماعية من تراث الإمام علي عليه السلام (سياسات الرعاية الاجتماعية و مكافحة الفقر التي اتبعها الإمام علي عليه السلام)	**م.د. سجاد كامل عبود**
٢٥١	مفهوم العدالة الاجتماعيّة والمساواة عند الإمام علي عليه السلام	**م.د. مصطفى رزاق علاوي** كلية الإمام الكاظم عليه السلام/ أقسام واسط
٢٨٣	السياسة التشريعية لتجسيد المبادئ العلوية في القوانين المعاصرة (الرعاية الاجتماعية أنموذجًا)	**د. جمانة جاسم الاسدي** **د. آمال علي الموسوي** **الباحثة دعاء صالح شعلان**

٣٠٩	فكر الإمام علي ﷺ في محاربة فقر المجتمع	**د. نور سمير يونس محمد الحيالي** جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة
٣٤٧	المبادئ العامة للرعاية الاجتماعية في تراث الإمام علي بن أبي طالب ﷺ -رسالة العهد الدولي أنموذجاً-	**د. علي فرحان عبدالله الفكيكي** وزارة التجارة / الشركة العامة لتجارة السيارات والمكائن
٣٧٣	السياسة الاقتصادية للإمام علي ﷺ وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر	**م.م. أحمد جليل موسى البهادلي** جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
٤٠٩	الفقر والثراء في الثقافة والاقتصاد: دراسة تحليلية لألفاظ أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير بين اللغة العربية وعلوم الإدارة	**م.م. احمد نصر الله** **م.م. حيدر علي فليح** مركز كربلاء للدراسات والبحوث / العتبة الحسينية المقدسة
٤٣٣	التكافل الاجتماعي في تراث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية	**م.م. باسم عبد الزهرة جمعة** مديرية تربية محافظة البصرة / قسم تربية القرنة

٤٥٩	آليات محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية التي اتبعها الإمام علي عليه السلام	**م.م. حنين عباس سالم** جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ
٤٩٣	السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر بين التنظير والتطبيق	**السيد نبأ محسن حسين الحمامي** العتبة العلوية المقدسة
٥١٧	انعكاسات فلسفة العدالة الاجتماعية على الفقراء في حكم الإمام علي عليه السلام	**الشيخ حسين محسن علي التميمي** مركز الدراسات والمراجعة العلمية / العتبة العباسية المقدسة
٥٥٥	السياسة الاقتصادية للامام علي عليه السلام في تحقيق العدالة الاجتماعية ومعالجة الفقر	**الباحثة انوار حميد كريم** العتبة العلوية المقدسة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه نبينا الاكرم محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين عليهم السلام ..

اما بعد: فان خطب أمير المؤمنين امام الهدى وعلم التقى ولي الله وحجته الامام علي بن أبي طالب ﷺ ورسائله ومقولاته وحكمه ومواعظه ووصاياه وعهوده وعلى وجه الخصوص عهده ﷺ لمالك الاشتر ، منزلة عظيمة وكبيرة في الفكر الإسلامي والإنساني ؛ لأنها وصفت بمثابة قوانين ومبادئ أساسية للحياة الكريمة في جميع نواحيها ، وعلى وجه الخصوص الجنبة الدينية والاجتماعية والثقافية ، التي مثلت إرثاً فكرياً ودستوراً عملياً للمجتمع الإنساني المثالي ، يرسم سياسة الإسلام في قيادة الشعوب .

اذ نجد فكر الإمام أمير المؤمنين ﷺ بشموليته ،قد أحدث انعطافاً تاريخياً في مفاصل الحياة الإنسانية ، أسس منظومة قيمية وأخلاقية رصينة ، تحتفي بمفاهيم الرحمة والعطاء والتسامح والتعايش السلمي والمواطنة والمساواة وأدوارها في تحقيق العدالة الاجتماعية ، تعبيراً عن مفهوم الحرية والكرامة والأمان والسعادة .. ومن أجل احياء تراث الامام ﷺ وسيرته العطرة ونشر مفاهيم السلم و السلام لمواجهة تحديات العصر ، أقام مركز المرايا للدراسات والاعلام وبرعاية العتبة العباسية المقدسة وبالتعاون مع جمعية العميد العلمية والفكرية وجامعة الكفيل وجامعة العميد وجامعة الكوفة الممثلة بكلية الآداب وكلية الإدارة والاقتصاد ومسجد الكوفة واتحاد الادباء والكتاب في النجف الاشرف ، المؤتمر العلمي الثالث لإحياء تراث أمير

المؤمنين ﷺ الذي وسم بعنوان (مبادئ الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر في فكر الامام علي ﷺ الذي أقيم للمدة ٩ - ١١ كانون الأول من العام ٢٠٢٣ م، والموافق ٢٤ - ٢٦ جمادي الأول ١٤٤٥هـ .

وقد ارتأت جمعية العميد العلمية والفكرية بطباعة ونشر مجلد وقائع بحوث المؤتمر العلمي والذي تضمن العديد من البحوث العلمية سلطت الضوء على دراسة مفهوم المواطنة ، وحقوق الانسان في فكر الامام علي ﷺ بشكل عام ، وفي عهده ورسالته ﷺ لمالك الاشتر بشكل خاص والتي اعتمدت كمصدر للتشريع القانوني في هيئة الأمم المتحدة ، وعدّها أهم الوثائق السياسية الإنسانية في العالم ، فضلاً عن دراسات تعنى بحقوق الطفل اليتيم من منظور ورؤية أمير المؤمنين ﷺ وطرق الحفاظ على بنيته العقلية والسايكولوجية والبدنية لصناعة بيئة طيبة تسودها القيم الاصيلة والحياة الكريمة ، بجانب دراسة أخرى عن مفهوم الدولة الإسلامية في عهد الامام ﷺ ومسؤوليتها في الرعاية الاجتماعية ودراسات حول موضوعات العدالة والمساواة والفقر وآليات مكافحته ومعالجته عبر اتباع الأسس والمبادئ العامة للرعاية الاجتماعية من تراث أمير المؤمنين ﷺ وغيرها من الدراسات والأبحاث العلمية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أ.د.شوقي مصطفى الموسوي

رئيس قسم النشر

إجراءات مكافحة الفساد في حكومة الإمام علي عليه السلام

قراءة في عهده عليه السلام لمالك الأشتر

أ.د. حسين عليوي ناصر الزيادي

جامعة ذي قار/ كلية الآداب

ملخص البحث

إن غزارة العطاء الفكري والجهادي للإمام علي عليه السلام منذ بداية حياته إلى يوم استشهاده عليه السلام جعل من الصعب على الباحثين ان يتوقفوا عند حد معين في بحثهم، أي ان باب الدراسة والبحث يبقى مفتوحا للنهل منه، لذا تناولنا في هذا البحث جانباً مهماً من جوانب الإدارة في حكومته عليه السلام وهو جانب مكافحة الفساد، لذا فإن هدف البحث يتمثل بمعرفة إجراءات الإمام علي عليه السلام في مجال مكافحة الفساد وتعزيز النزاهة وكيف يمكن قراءة عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر بمنظور الفكر الحديث.

ان أهمية البحث تكمن في ان الأسس والأفكار التي ثبتها الإمام عليه السلام في عهده لعامله الأشتر من الممكن ان تؤسس لنظرية إدارية وقانونية تسهم في سعادة الشعوب والقضاء على الفساد، أما منهجية البحث فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وقد قسم البحث إلى جملة من المحاور تضمن المحور الأول مفهوم النزاهة وإجراءات الإمام عليه السلام في مجال مكافحة الفساد واستئصال جذوره، بينما ركز المحور الثاني على أسس ومعايير اختيار الولاة وانتهى البحث بجملة من الاستنتاجات.

Abstract

The abundance of intellectual and jihadist manifestations of Imam Ali, peace be upon him, from the beginning of his life up to the day of his martyrdom, peace be upon him, has made it difficult for researchers to stop at a certain point in their research : the door of study and research is still open to draw from it, so we dealt in this research with an important aspect of Administration in his government, peace be upon him, is the aspect of combating corruption, so the aim of the research is to know the procedures of Imam Ali, peace be upon him, in the field of combating corruption and enhancing integrity, and how this covenant of the Imam, peace be upon him, to Malik Al-Ashtar can be read from the perspective of modern thought.

The importance of the research lies in the fact that the foundations and ideas established by the Imam, peace be upon him, in his covenant to his agent Al-Ashtar, can constitute an administrative and legal theory that contributes to the happiness of man and the elimination of corruption. As for the research of methodology, the researcher relied on the analytical descriptive approach by dividing it into a number of axes, The first axis is the concept of integrity and the procedures of the Imam, peace be upon him, in the field of combating corruption and eradicating its roots, while the second axis focused on the foundations and criteria for choosing governors, and the research ended with a number of conclusions.

المقدمة

ترك الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ارثاً فكرياً متكاملاً، ليس من اليسير الإحاطة بمضامينه ومعانيه، وهذا الفكر الثر ما نهل منه طالب علم إلا وخرج بإضافة جديدة في عالم البحث والتقصي مما ينفع الناس ويصلح أمرهم في دينهم ودنياهم، ولو قدر لهذا النهج ان يستمر لتغيّر مسار التاريخ، ولو كتب لهذا النموذج الدوام لتغيرت احوال البشرية، وقد عالجت خطب الإمام ﷺ ورسائله وأقواله شؤون المجتمع الاجتماعية والاقتصادية وتأمين العيش الكريم لهم، اذ تميزت السنوات القليلة لخلافته ﷺ بوفرة الإنتاج الفكري والثقافي سواء كان على شكل خطب وكتب وعهود ووصايا، أم على شكل حوادث ووقائع ميدانية حيث غطى هذا الإنتاج حقولاً مختلفة في المعارف والعلوم، وتمثل رسائل الإمام ﷺ إلى ولاته وعماله وموظفيه وجهاً ناصعاً لسياسة الإسلام في إدارة البلاد وشؤون العباد .

في ثنايا السيرة العلوية المعطرة وفي كل مرافقها كان الإمام علي ﷺ رجل الإنسانية الأول بلا منازع، هذا الحكيم والفيلسوف الزاهد الذي تشرب بالعلم والحكمة لا تجد في قاموسه عبارة (الغاية تبرر الوسيلة)، لأنه يدرك تماماً أن هذه القاعدة هي الجسر المتين لفساد الحاكم والرعية، وهي الانطلاقة الإولى التي ينطلق منها كل الطغاة، لأنها تبرر لهم التعسف والظلم والاستبداد وسرقة المال العام، فالغاية والوسيلة عند علي ﷺ هي العدالة، فهو يرى أن إقامة الحق وإحقاقه هو عماد فلسفة الحكم.

يتمثل هدف البحث بالآتي:

١-ماهي إجراءات الإمام علي ﷺ في مجال مكافحة الفساد وتعزيز النزاهة؟

٢-هل كانت إجراءات امير المؤمنين في مجال مكافحة الفساد يسيرة وماهي ضريبة تلك الإجراءات؟

٣-ماهي معايير اختيار الولاة في منظور الإمام ﷺ؟

٤-ماهي معايير نزاهة الحكام في مدرسة الإمام علي ﷺ؟

٥-هل أثرت إجراءات تعزيز النزاهة على الواقع الاقتصادي في دولة امير المؤمنين ﷺ؟

٦-كيف يمكن قراءة عهد الإمام ﷺ إلى مالك الاشتر بمنظور الفكر الحديث؟

٧-ماهي إجراءات الإمام ﷺ في مجال الضمان والتكافل الاجتماعي؟

إن أهمية البحث تكمن في ان الأسس والأفكار التي ثبتها الإمام ﷺ في عهده لعامله الأشتر من الممكن ان تؤسس لنظرية إدارية وقانونية تسهم في سعادة الشعوب والقضاء على الفساد وإعطاء المناصب القيادية والادارية لمن هم اهلٌ لها فضلا عن تطبيق الرؤية الإسلامية في جهازها الإداري والحكومي، إن قراءة عهد الإمام بشكل موضوعي تحتاج إلى دراسات معمقة ومستفيضة لأنه أطول عهد كتبه الإمام وهو بمثابة دستور إداري .

أما منهجية البحث فقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وقد قسم البحث إلى جملة من المحاور تضمن المحور الأول مفهوم النزاهة وإجراءات الإمام ﷺ في مجال مكافحة الفساد واستئصال جذوره، بينما ركز المحور الثاني على أسس ومعايير اختيار الولاة وانتهى البحث بجملة من الاستنتاجات.

مفهوم الفساد

الفساد في اللغة نقيض الصلاح، وتفاسد القوم اي تدابروا وقطعوا الأرحام، واستفسد السلطان قائده إذا أساء إليه حتى استعصى عليه، والمفسدة خلاف المصلحة [1] والفساد (Corruption) مفهوم مركب له أبعاد متعددة وتختلف تعريفاته بحسب نظرة الباحث ومجال عمله واهتماماته، وهو سلوك منحرف يهدد النظام والمصلحة العامة للمجتمع ويشكل حجر عثرة أمام التنمية . أما منظمة الشفافية الدولية فقد عرفت الفساد بأنه كل عمل يتضمن سوء استخدام

المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية لنفسه أو جماعته،وقد عرفت موسوعة العلوم الاجتماعية الفساد بأنه: " إساءة استخدام السلطة العامة لتحقيق كسب خاص"، وعلى الرغم من أن هذا التعريف يشمل الفساد الإداري بالدرجة الإولى أو جانباً معيناً من جوانب الفساد . أما في الشريعة الإسلامية فمفهوم الفساد يعني كل ما هو ضد الصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[٢]وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[٣]، فمصطلح (الفساد) في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف في أذهان عامة الناس، من أنّ كلمة الفساد تعني عدم الالتزام الشرعي، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الأحكام الشرعية، التي تتعلق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء الفرائض وسوء الأخلاق وما شابه، فالفساد قرآنيا يمتاز بشموليته لمجموعة من الأبعاد كالبعد السياسي والعقدي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ... الأمر الذي يبين لنا السعة المفهومية للفظة الفساد كما وردت في القرآن الكريم . أما في الوقت الحاضر فقد تعددت التاويلات الضيقة لمفهوم الفساد وانطبعت له في الأذهان معانٍ ضيقة اقتصرت على جوانب محددة . ويمكن القول ان الفساد هو سلوك غير سوي يأخذ أشكالا متنوعة، يهدف إلى إشباع الرغبات المادية والمعنوية للشخص المنحرف بطريقة غير مشروعة على حساب المواطنين وهو سبب رئيس للفقر وتبديد الثروة والتذمر والتخلف وعدم الاستقرار.

للنزاهة والعدالة الدور الأكبر في تحقيق النمو الاقتصادي على الوجه الأكمل، لأن الشرط الرئيس للتنمية هو توزيع ثمارها بشكل متساوٍ والأخيرة لا يمكن تحقيقها مع وجود الفساد المالي والإداري وانعدام النزاهة، ومن هنا أصبحت عملية مكافحة الفساد ضرورة تنموية ملحة لا غنى عنها لتحقيق

التنمية والنمو الاقتصادي، وهي واجب شرعي وقانوني وأخلاقي ووطني ينبغي على الجميع الالتزام به، والفساد من أكبر التحديات والمخاطر التي تواجه الدول في الوقت الحاضر، وتجعلها هدفاً سهلاً للإرهاب، وهو يشكل عامل إعاقة حقيقية للتنمية الشاملة والمستدامة، فضلاً عن دوره في هدر الثروة الوطنية واستنزافها وتفشي الفقر والبطالة والجريمة والأمية والحرمان.

لماذا مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟

ربما يطرق هذا التساؤل في اكثر من محفل ومناسبة، لذا يمكن القول ان اختيارنا لمدرسة الإمام علي عليه السلام لم يأت من فراغ، ولم تكن عوامل الود والعاطفة هي المسؤولة عن هذا الاختيار، فإنتخابنا للإمام علي عليه السلام كمنطلق لبحث السبل الاستراتيجية لمكافحة الفساد واختيار الولاة، جاء للأسباب الآتية:-

١-إن الإمام علي عليه السلام هو الأعرف بمنهج السماء، وبسنة الرسول وهذا ما رواه جملة من الصحابة[٤] وقد وصفه الرسول الأكرم بمدينة العلم في أحاديث متقاربة المعنى[٥]، بلغت حد التواتر مما لا يدع مجالا للشك في صحتها، وهو من أقوى الأدلة على أعلمية أمير المؤمنين وقد ورد الحديث بالأسانيد والطرق المعتبرة في كتب الفريقين.

٢- إنه عليه السلام كان نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بشهادة الله تبارك وتعالى في اية المباهلة، وقد أكد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم ذلك في مقولته: أو لإبعثن إليكم رجلاً منّي أو كنفسي يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد عليّ، فقال: هذا[٦]، وبهذا كان الإمام عليه السلام التجسيد الحقيقي لشريعة الإسلام خلال مراحل عمره الشريف، وكان في سلوكه اليومي وممارسته التطبيقية ترجماناً للقرآن.

٣-ان مرحلة حكم أمير المؤمنين جاءت بعد مرحلة اتصفت باتساع مساحة الفقر وتفشي الفساد بكل مظاهره لاسيما الفساد السياسي الذي اتخذ صبغة

شرعية من خلال قرارات الحكام، لذلك ظهرت تجربة استئصال الفساد بشكل واضح وجلي، وكان لها انعكاسات سياسية واجتماعية.

أساليب الإمام في إشاعة النزاهة ومكافحة الفساد

لم تكن مسألة مكافحة الفساد بالأمر اليسير في حكومة الإمام علي ﷺ تلك الحكومة الناشئة التي ورثت تركة ثقيلة من الطبقية، إذ ان الفساد المستشري في الحكومات السابقة لحكومة الإمام ﷺ أدى إلى ظهور نظام طبقي يحمل فجوات واضحة فهناك اصحاب الأموال والأراضي والأملاك وهناك ممن لايملكون قوت يومهم، وقد اختلفت أساليب الإمام ﷺ بحسب ما يراه من الحاكم من زلل أو سهو غير متعمد أو انحراف متعمد واستغلال للمنصب فكانت أساليبه كالاتي:-

١-استخدم الإمام أسلوب الرشد والنصيحة للولاة في بعض الأحيان عندما يحس منهم الزيغ أو السقوط في الشبهات والتحذير في احيان أخرى، فلما علم ان شريح القاضي قد اشترى بيتاً بثمانين دينارا لم يتوانَ عن استدعائه وتوبيخه على فعلته ونصحه ان لا يفعل مثل ذلك قبل أن يرجع إليه، وضمن ما قال ﷺ: أما إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اِشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ اَلنُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ اَلدَّارِ بِالدِّرْهَمِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ وَاَلنُّسْخَةُ هَذِهِ: هَذَا مَا اِشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ اِشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ اَلْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ اَلْفَانِينَ وَ خِطَّةِ اَلْهَالِكِينَ وَ تَجْمَعُ هَذِهِ اَلدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ اَلْحَدُّ اَلْأَول يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي اَلْآفَاتِ وَ اَلْحَدُّ اَلثَّانِي يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي اَلْمُصِيبَاتِ..[٧]

٢-في ثنايا السيرة العلوية المعطرة وفي كل مرافقها كان الإمام علي ﷺ رجل الإنسانية الأوحد بلا منازع، هذا الحكيم الزاهد الذي تشرب بالعلم الإلهي والحكمة النبوية لا تجد في قاموسه عبارة (الغاية تبرر الوسيلة)، لأنه يدرك تماما ان هذه القاعدة هي الجسر المتين لفساد الحاكم والرعية، وهي الانطلاقة الإولى

التي ينطلق منها كل الطغاة، لأنها تبرر لهم التعسف والظلم والاستبداد، فالغاية والوسيلة عند علي هي العدالة، فهو يرى أن إقامة الحق وإحقاقه هو عماد فلسفة الحكم، والحاكم يمثل الجميع بلا استئثار أو فردانية أو استغلال بل خادم امين لمصالح الرعية وتحقيق العدالة، وقد بلغ من احترام الإمام ﷺ للقانون أنه لم يكن يرى لنفسه خاصية أمام القانون، وليس هناك شخص فوق القانون، ولن يستطيع أحد – ولا ينبغي له – أن يكون مانعا عن تنفيذ القانون، ولما أمر بتوزيع الأموال بين المسلمين ساوى بينهم ولم يقدم أحدهم على الآخر، فاحتجوا على مساواتهم بعامة الناس ونقموا عليه انهم من ذوي السابقات في الإسلام وكان عليه ان يقدمهم ويفضلهم بالعطاء من بيت مال المسلمين فأجاب " وَ لَوْ كَانَ اَلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا اَلْمَالُ مَالُ اَللَّهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ أَلاَ وَ إِنَّ إِعْطَاءَ اَلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي اَلدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي اَلْآخِرَةِ وَ يُكْرِمُهُ فِي اَلنَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اَللَّهِ وَ لَمْ يَضَعِ اِمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَ لاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اَللَّهُ شُكْرَهُمْ وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ ...."[٨] وفي كتاب آخر نلحظ الإمام علي ﷺ يحذر عامله في إذربيجان الأشعث بن قيس من التصرف بأموال الدولة من دون ان يرجع في ذلك إلى لوائح إدارية أو قانونية " وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَ لَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَ أَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ (تتصرف) فِي رَعِيَّةٍ وَ لاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ وَ فِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اَللَّهِ تَعَالَى وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ..." وفي موضع اخر نرى الإمام يحذر من لم تردعه النصيحة بألم العقاب وكل ذلك قبل وقوع الجريمة فقد بعث بكتاب إلى زياد بن ابيه عامله في البصرة يحذره من التلاعب بأموال المسلمين قائلاً : وَ إِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْ ءِ اَلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أو كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ اَلْوَفْرِ ثَقِيلَ اَلظَّهْرِ ضَئِيلَ اَلْأَمْرِ وَ اَلسَّلاَمُ"[٩].

٣-تجسيداً لمبدأ النزاهة ومكافحة الفساد كانت إولى خطوات الإمام ﷺ هي مسألة رد المظالم عندما تولى الخلافة، ومصادرة أموال بني أمية التي نهبوها من بيت المال، وأعاد كل القطائع التي اعطاها عثمان بن عفإن إلى بيت مال المسلمين فيقول في ذلك (وَاَللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ اَلنِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ اَلْاماءُ لَرَدَدْتُهُ، فإن فِي اَلْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ اَلْعَدْلُ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ)[١٠]، ومن الصور الأخرى لتطهير الدولة من العناصر الفاسدة أمثال الأشعث بن قيس الذي استعمله عثمان على إذربيجان، فقد ورد: أنه أصاب مائة ألف درهم، ويقول البعض: أقطعه عثمان إياها، وبعض يقول: أصابها الأشعث في عمله، فأمره الإمام علي ﷺ بإحضارها فدافعه، وقال: يا أمير المؤمنين لم أصبها في عملك، قال: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربنك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب، فأحضرها وأخذها منه وصيرها في بيت مال المسلمين، وتتبع عمال عثمان، فأخذ منهم كل ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمنهم ما أتلفوا.

٤-يؤكد الإمام ﷺ على ضرورة ابعاد البطانة الفاسدة لأنها أساس الفساد ومنطلق الرذيلة والانحطاط،فالإمام يبين العلاقة المباشرة بين صلاح الحكومة وعلو مقامها وبين صلاح الوزراء ونضجهم، ويوصي ﷺ بضرورة إبعاد من كان ذا تجربة وسابقة في وزارات الحكومات والأنظمة الفاسدة لأنهم تأقلموا على ثقافة الظلم والفساد واغتصاب حقوق الناس، فهم لا يتورعون عن شيء، فيؤكد أن الأمر الذي يحول بينهم وبين التجانس مع حكومة العدل التي ترفض كافة أشكال الظلم والاضطهاد : شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانة فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة ....[١١].

٥-أكد الإمام على ضرورة عزل الولاة الفاسدين لأنهم لايمكن الركون والاطمئنان لجانبهم فقد اعتادوا على الظلم والفساد ونهب حقوق العباد وتزيين الامور للحاكم الاعلى، إذ ذكر الطبري: قال ابن عباس يا أمير المؤمنين أخبرني عن شأن المغيرة ولِمَ خلا بك؟ قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي أخلني ففعلت فقال إنّ النصح رخيص وأنت بقية النَّاس وإني لك ناصح وإنّي أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت: والله لا أدهن في ديني ولا أعطى الدني في أمري قال فإن كنت قد أبيت عَلِيّ فإنزع من شئت واترك معاوية فإن لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها فقلت: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال لي إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت علي ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون في أمرك دلسة، قال: فقال ابن عباس: فقلت لِعَلِيّ ﷺ: أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله قال عَلِيّ لا والله لا أعطيه إِلَّا السَّيف [١٢]، ان المنطق السياسي في الوقت الحاضر يرى في مشورة المغيرة حنكة سياسية وبعداً استراتيجياً وفناً من فنون السياسة، لكن هذا الأمر لا يمكن ان يجد له مقبولية في منهج الإمام ﷺ فلامداهنة على حساب الحق مهما كانت النتائج، والإمام يعرف جيداً ان الضريبة ستكون باهظة وربما فقد حكمه بسبب ذلك لكن ابن ابي طالب لم يكن الحكم يعني له شيئاً، وليس هو من يقتنع بأنصاف الحلول.

٦-لم يتهاون الإمام ﷺ في أمر الخيانة فقد كان عقابه شديدا على المخالفين والفاسدين، فلما بلغه خيانة ابن الجارود العبدي الذي كان ابوه ممن يعرف بالصلاح والزهد كتب اليه بلغة شديدة (أما بَعْدُ فإن صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإذا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً وَ لاَ تُبْقِي لآِخِرَتِكَ عَتَاداً تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ وَ لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ وَ مَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أو يُنْفَذَ بِهِ أمر أو يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أو يُشْرَكَ فِي أمانَةٍ أو يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي) [١٣]. وهذا الأمر يتضح مرة أخرى في كتابه ﷺ إلى عامله مصقلة الشيباني، متوعداً إياه عندما بلغه عنه أمر ما: (بلغني عنك أمرٌ، ان كنت فعلته فقد اسخطت إلهك وعصيت إمامك؛ أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم و أريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من اعراب قومك.. ألا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه، ويصدرون عنه)[١٤].

٧-هناك مبدأ ظهر حديثاً في مجال مكافحة الفساد وهو (من اين لك هذا؟)، والمتتبع لسيرة الإمام علي ﷺ يرى ان هذا المبدأ كان حاضراً في حكومته ﷺ، فقد كان يرفض أن يدخل الرجل إلى موقع المسؤولية فقيراً ويخرج ثرياً، وكان يرفض أن يبني الأثرياء ثرواتهم من جيوب الناس، لذلك كان يتابع مسؤولي الدولة والموظفين متابعة دقيقة وصارمة ويراقب ويدقق ويحاسب، فقد كتب إلى بعض عماله وقد بلغه أنه ارتكب خيانة مالية: أما بَعْدُ فقد بَلَغَنِي عنك أمر إِنْ كنْت فَعَلْته فَقَد أَسْخَطْتَ رَبَّك وَعصَيْت أمامك وَأَخْزَيْت أمانَتَك بَلَغَنِي أَنك جَردْتَ الْأَرض فأَخذت ما تحْتَ

قَدميك وَأَكلْت ما تحْت يدَيكَ فارفع إِلَي حسابك واعلم أَن حساب الله أَعْظم من حساب الناسِ والسلام[١٥]، وتوعد علي ﷺ كل من تسول له نفسه ارتكاب خيانة مالية أو عقد صفقات مشبوهة أو مد اليد إلى المال العام أو التصرف بالمال العام خلاف الضوابط وما هو مقرر، فمن كتاب له ﷺ إلى زياد ابن أبيه: وَإِنّي أُقْسِمُ بالله قَسماً صادِقاً لَئِن بَلَغَنِي أَنك خنت مِنْ فيءِ الْمُسْلِمِين شيئاً صغِيراً أو كبِيراً لَأَشدن عليك شدة تدعك قَليل الْوفرِ ثقِيل الظهْرِ ضئِيل الْأمر وَالسلَام . ومن كتاب له ﷺ إلى زياد أيضاً: فدَعِ الْأسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَإِذكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ! وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، أَنْ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بَمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلاَمُ[١٦].

٨-يؤكد الإمام ﷺ على مبدأ الثواب والعقاب، فلايمكن ان يعامل المحسن كالمسيء أو العكس، لأن ذلك مما يستدعي ترك الاحسان من قبل المحسنين والاقبال على الاساءة من قبل المسيئين وفي ذلك يقول الإمام ﷺ: (ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة[١٧]، فلا بد للقائد أن يثمن انجاز كل شخص ولايبخس حقه ويشير في الوقت نفسه إلى مكامن الخلل لدى الاخر لكي يستقيم وفي ذلك مكافحة للفساد والمفسدين، لكن الإمام في جانبه الإداري يجمع بين اللين والقوة، لأن القوة المفرطة تلحق الإذى وتعمل على عكس ما يراد منها، أما اللين المفرط فهو الاخر يؤدي إلى أضرار لا تحمد عواقبها، لكن لامجال للين عند الإمام ﷺ

عندما يتعلق الأمر بحد من حدود االله أو تقصير متعمد يهدد كيان الدولة واستقرار العباد، وكان الإمام عارفاً ان تطبيق حدود الله سيفقده انصاره وفي هذا نذكر الشاعر النجاشيّ الذي تعدى حدود الله في شهر رمضان وشرب الخمر علناً، فأقام عليه أمير المؤمنين ﷺ حد الله، فجاءه جماعة وقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ هذا الرجل نظَم بحقك الكثير من الأشعار، وهو يعلن لك الولاء، وإنّ أعداءك قد بالغوا في إغرائه فلم يستجب لهم، فاحتفظ به، فقال لهم ما مضمونه: نعم، ليبقَ، ولكنّني أقيم حدّ الله عليه"، وأقام عليه الحدّ؛ فالتحق النجاشي بمعاوية[٤].

٩-اهتم الإمام علي اهتماما بالغاً في مجال التنمية من خلال تنمية الإنسان وهي ما يسمى الآن بـ (التنمية البشرية)، كما اهتم في مجال التنمية الاقتصادية من خلال إرساء العدل الاقتصادي الذي يعد أهم اركان التنمية التي تسير عليها الدول المتقدمة اليوم، وتلك المبادئ ذاتها التي تدعو لها الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وهي مصطلحات وان لم تكن معروفة سابقاً بمعناها الحالي، الا ان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ جسدها فكراً وتطبيقاً ومنها مكافحة الفقر التي تعد أهم ركائز التنمية البشرية في الوقت الحاضر، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين ﷺ "الفقر في الوطن غربة"[١٨] وقال ايضاً : الفقر الموت الأكبر، وعنه ايضاً :الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته[١٩].. وقال الإمام علي ﷺ : إن الفقر مذلة للنفس، مدهشة للعقل، جالب للهموم[٢٠]. وتظهر آثار الفقر الخطيرة من خلال شمولية انعكاساته على المجتمع ككل فضلا عن ارتباطاته بالعديد من المتغيرات بما يشكل متاهة يصعب التخلص منها، إذ غالبا ما ترافق الفقر مظاهر البطالة وعمالة الأطفال والسكن العشوائي وتفشي الأمراض وسوء العلاقات الزوجية وارتفاع حوادث الطلاق في المجتمع وانخفاض المستوى

العلمي والثقافي، فلا يبقى للفرد الوقت الكافي للتعلم واكتساب المعارف، أي ان المشاكل الناجمة عن الفقر ترتبط بشكل تراكمي معقد وهذه المشاكل تساهم في بروز سلسلة من المشاكل الفرعية يصعب القضاء عليها ومن الطبيعي ان هذه النتائج تنعكس على المجتمع وان المجتمع بأكمله يشعر بآثاره غير المباشرة ويعاني من تهديداته، إذ لا تنحصر آثار الفقر على طبقة معينة أو حي سكني بعينه بل تظهر انعكاساته الخطيرة على جميع المستويات يهيئ الفقر الأرضية لوجود انحرافات كبيرة على المستوى السلوكي والأخلاقي للأشخاص، إذ أن الفقير غير المتعفف يجيز لنفسه كل الأمور التي تمكنه من الحصول على لقمة العيش.

قال الإمام علي ﷺ – لابنه الحسن ﷺ – : لا تلم إنسانا يطلب قوته، فمن عدم قوته كثرت خطاياه، يا بني ! الفقير حقير لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، لو كان الفقير صادقا يسمونه كإذبا، ولو كان زاهدا يسمونه جاهلا . يا بني من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال : بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقة في دينه، وقلة الحياء في وجهه، فنعوذ بالله من الفقر[٢١].

١٠-للنزاهة والعدالة الدور الاكبر في تحقيق النمو الاقتصادي على الوجه الأكمل، لأن الشرط الرئيس للتنمية هو توزيع ثمارها بشكل متساوٍ والأخيرة لا يمكن تحقيقها مع وجود الفساد المالي والإداري وانعدام النزاهة . ومن هنا أصبحت عملية مكافحة الفساد ضرورة تنموية ملحة لا غنى عنها لتحقيق التنمية والنمو الاقتصادي، وهي واجب شرعي وقانوني وأخلاقي ووطني ينبغي على الجميع الالتزام به .

١١-للرقابة في منظور الإمام ﷺ دورٌ ايجابي في استقامة الامور وتصحيح المسار، لاسيما إذا كانت الرقابة من الشعب، وكان الإمام ﷺ يحث الناس على تفعيل هذا الجانب ونقد الحاكم، ولاشك ان تأسيس جهاز رقابي مؤثر يسهم في

القضاء على الفساد وتعزيز النزاهة ومراقبة الحكام، وقد كانت نصائح الإمام لمالك الأشتر في وصيته خير مثال على ذلك ومنها قوله ﷺ: (انظر في أمور عمالك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم)، وفضلاً عن الرقابة الشعبية هناك الرقابة الإدارية السرية التي فعلها الإمام ﷺ، عندها يشعر الحاكم ان هناك من يراقبه فلا يستبد برأيه في أمر ما ولئلا يتوانى العاملون في أداء وظائفهم، أو يتعدوا على حقوق الناس بالاتكاء على ما لديهم، والملاحظ من خلال رسائل الإمام ﷺ لعماله قوله (بلغني) وهذا يعني دقة وسرعة الجهاز الرقابي، فقد كان ﷺ دقيق المحاسبة مع الولاة، وعلى الرغم من بُعد المسافة، عارفاً بأحوالهم لدرجة يعلم ان أحد عماله دُعي إلى مأدبة طعام فارسل اليه ان يتحقق من حلية الطعام الذي أكله.

١٢-كان الإمام ﷺ يؤمن بوجود الحسابات الختامية لموازنة الدولة فعندما حصلت الدولة الإسلامية على أموال كثيرة في عهد الخليفة الثاني فسأله عن الطريقة المثلى لتوزيعها اليه، فأشار الإمام علي ﷺ قائلا : قسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولا تمسك منه شيئا[٢٢]، وهذا الرأي هو بمنزلة قاعدة مالية تؤكد ضرورة توزيع الإيرادات خلال سنة كاملة بين المسلمين.

البدء بالأقارب

المحاباة والمحسوبية باتت من مؤشرات الفساد المهمة في العصر الحاضر، ويذهب الفساد الإداري في اتجاهات مختلفة بالنسبة لهذا الجانب، فهناك ملف تعيين الاقارب في المناصب العليا في الدولة، حتى باتت بعض السفارات أو الدوائر مغلقة على قوميات وعوائل معينة وكل هذا على حساب الجدارة والكفاءة والمهارة والمهنية والنزاهة، وهذا يتجلى بوضوح في تبوء اقارب الوزراء والنواب للمناصب العليا في وزارات اقاربهم أو الوزارات الأخرى

بالاتفاق بين الوزراء[٢٣]، وهذا الأمر لاوجود له في حكومة الإمام ﷺ فلا تفاضل بين الناس لأجل القرابة على حساب الحق، فقد روي ان عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب ﷺ، قال للإمام علي ﷺ: يا أمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فو الله ما لي نفقة إلا ان أبيع دابتي؟ فقال الإمام: (لا والله ما أجد لك شيئا إلا ان تأمر عمك يسرق فيعطيك[٢٤]. و روى انه بُعث إلى أمير المؤمنين من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمتها، فقالت له ابنته أم كلثوم: أتجمل به ويكون في عنقي؟ فقال ﷺ، لخازن بيت المال أبي رافع: يا ابا رافع ادخله إلى بيت المال. ثم قال لابنته: ليس إلى ذلك سبيل، حتى لا تبقى أمرأة من المسلمين إلا ولها مثل ما لك[٢٥]، روي انه ﷺ، خرج يوما إلى السوق ليبيع سيفه فقال: من الذي يشتري مني هذا، فو الذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته)[٢٦] وعن الإمم الباقر ﷺ قال: ولقد ولي أمير المؤمنين ﷺ، خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا اقطع قطيعا ولا أورث بيضاً ولا حمرا[٢٧].

ومن الأمور التي اهتم بها الإمام ﷺ مسالة الضمان الاجتماعي من وصاياه في عهده لمالك الأشتر: (ثم الله الله، في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين، وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، من غلات (الثمرات) صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر الطغيان بالنعمة)[٢٨] والضمان الاجتماعي في حكم أمير المؤمنين ﷺ يشمل الأقليات من الأديان الأخرى، وقد اشتهرت قصة النصراني الذي اجرى له الإمام راتباً من بيت المال، فقد كان ﷺ يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى

رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟ فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس.. فقال الإمام عليه السلام في غضب: استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟ ثم جعل الإمام عليه السلام لذاك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت.

ان الإمام اعتبر مارآه ظاهرة غريبة غير طبيعية ولا تتناسب مع مبادئ المجتمع الإسلامي ولا بالنظام الاقتصادي الإسلامي، لذا جعل للنصراني مرتباً من بيت مال المسلمين يرتزق به لكيلا يكون في بلد الإسلام شخص واحد يكابد الفقر والجوع، كما ان حكومة الإمام قد أقرت على بيت المال دفع أي دَين للعاجز المدين عن تسديد دينه، وتكفلت بنفقات أية زوجة لا يقدر زوجها على الإنفاق عليها، أو أي ابن لا يقدر أبوه على الإنفاق عليه، أو أي أب لا يقدر ابنه على الإنفاق عليه، ولم تقف جهود الإمام على تقديم الإعانات الاقتصادية للمحتاجين، وأصحاب العيال، بل سعى لتكوين ما يشبه الشبكة الاجتماعية التي تحمي الفقير والمريض واليتيم من خلال تخصيص مورد مالي ثابت لهذه الفئات من موارد بيت المال، ومن غلات الإسلام.

الاهتمام بالبناء والإعمار

لعمارة الأرض أهمية كبيرة في حكومة الإمام علي عليه السلام والاعمار يأتي اليوم بمعنى التنمية اي اعمارها واستصلاحها زراعياً وعمرانيا، مما يؤدي إلى تطور الصنائع الأخرى وتشغيل الأيدي العاملة وتحرك الأسواق بمعنى البناء والزيادة في مستوى المعيشة، ولم يكن الخراج اي الضريبة هي الهم الاكبر لحكومة الإمام عليه السلام كما كان شأنها في ظل الحكومات السابقة لذلك ذكر الإمام في عهده لمالك الاشتر رضوان الله عليه: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في

استجلاب الخراج) وعلل ذلك بتعليل يكشف عن النظرة الاستراتيجية الثاقبة والرؤية الاقتصادية الشاملة (لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً).

وبهذا نرى الإمام يركز على تلك الجوانب الإصلاحية للتنمية الاقتصادية المستدامة على الرغم من ان الظروف السياسية لم تمهل الإمام لكي يطبق نظرياته الاقتصاديَّة ومع ذلك سمة عصر الإمام هي العدل الاقتصادي وتوزيع ثمار التنمية بشكل متساوٍ ومحاربة التفاوت الطبقي، إلا ان ذلك لايعني اتجاه النظام الاقتصادي إلى ما يسمى اليوم بالاشتراكية، كما ان النظام الاقتصادي كان بعيداً كل البعد عن ما يسمى بالنظام الرأسمالي، فالملكية في حكومة الإمام ﷺ ملكية مزدوجة في نطاق العدالة الاجتماعية، فحرية الفرد مكفولة وله الحق في تنمية وزيادة وارداته بشرط عدم الاضرار بالآخرين والخضوع لنظام الدولة العام، ويؤكد الإمام ﷺ على الاهتمام بعمارة الأرض وحل مشكلات السكن والضروريات الحياتية الأخرى وهي أمور أبلغ وأهم من تحصيل الخراج نفسه، لأن هذا الإيراد وعملية استمرار الحصول عليه لا تتحقق إلا بالعمارة والإسكان واستقرار الإنسان وسعادته من حيث أن الذي يطلب الخراج كإيراد دون النظر إلى الاعمار والإسكان يؤدي ذلك إلى خراب البلاد. وعدم استقامة الأمر فيه.

أما في مجال التكافل الاجتماعي فقد أرسى عليه السلام ركائز التكافل الاجتماعي من خلال مكافحة الفقر ومحاصرة منابعه أما نسبة الضرائب فتنخفض بانخفاض نسبة الأرباح وهي ليست ثابتة ولهذا أمتاز نظام الضرائب بمرونته العالية، وكان للإمام عليه السلام فكر إنساني كبير في مجال حقوق الإنسان مازالت الأجيال تتناقله، وتناقلت الكتب والمصادر التاريخية والأدبية مواقف الإمام عليه السلام تجاه الفقراء والمحرومين والأيتام والأرامل، كما كان له عليه السلام وكان له نظرته وفلسفته الخاصة تجاه المكونات الاجتماعية، ودور هذه المكونات في التماسك الاجتماعي، والمحافظة على النسيج المجتمعي فنراه في وصيته لمالك الأشتر يقول: وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفإن: أما أخ لك في الدين، وأما نظير لك في الخلق[٢٩].

الخاتمة

لقد مثلت حياة أمير المؤمنين ﷺ أسمى معاني التضحية والفداء والشجاعة والبطولة والصبر، وقد تبين من خلال البحث انه لامجال لوجود الفساد في حكومة الإمام ﷺ فقد أدت الإجراءات التي اتبعها الإمام ﷺ إلى تجفيف منابع الفساد على الرغم من صعوبة الخطوات التي اتخذها ﷺ والمرحلة الحرجة التي مرت بها الدولة الإسلامية آنذاك، فقد كان هناك تشريع للفساد وهو مايسمى بلغة العصر الفساد السياسي، لذا فقد ورث الإمام تركة ثقيلة وكماً هائلاً من الفساد المالي وكانت الطبقية هي السمة الغالبة على البناء الاقتصادي للدولة فضلاً عن وجود الولاة الفاسدين، وقد عرضنا في هذا البحث صورا متعددة للإجراءات التي اتخذها الإمام ﷺ في هذا المجال بما يضمن الحياة الكريمة والرفاهية للمجتمع المسلم، وكان قرار المساواة في توزيع العطاء وعدم التمييز بين الناس بالعطاء من أخطر القرارات التي اتخذها الإمام ﷺ فقد كانت ردة فعل الاغنياء قوية ومؤثرة واثارت البلابل والنزاعات في جسد الأمة الإسلامية.

وفي مجال الجباية قدم الإمام أنموذجاً رائعا ينم عن نظرة اقتصادية بعيدة المدى، فالجباية في حكومة الإمام مرنة وليس هي الهم الاكبر للدولة كما انها تتناسب مع الارباح فترتفع مع ارتفاعها وتنخفض بانخفاضها، وهي ايرادات عامة تعود لبيت المال فتقسم بين المسلمين فكان ذلك مصداقا لقوله ﷺ ما جاع فقير الا بما متع به غني[٣٠]، وتبين ان كان للإمام علي ﷺ قصب السبق في إقرار حقوق الفقراء من خلال توصياته لعماله، بل ومراقبتهم في تنفيذ التوصيات، وإيصال مستحقاتهم إليهم بصورة كاملة.

التوصيات

١-ان إجراءات وأساليب الإمام علي في مجال مكافحة الفساد واصلاح أمر الولاة ومراقبتهم ووضع العين عليهم من الأمور التي يجب الاستفادة منها في عالم اليوم على الرغم من اختلاف الوسائل والمتغيرات الحديثة .

٢-ان وصية الإمام ﷺ لعامله على البصرة تعد من أهم الوثائق الإسلامية التي تؤسس لبناء الدولة والقضاء على الفساد لذا يجب ان تكون تلك الوثيقة حاضرة في المناهج الدراسية .

٣-يجب تشجيع طلبة الدراسات العليا على تناول المواضيع المتعلقة بوصايا الإمام علي ﷺ في التنظيم المالي والإداري.

٤-ينبغي التوسع في المؤتمرات والندوات والورش الدراسية التي تتناول وجهة نظر الإمام في مجالات الإدارة ومكافحة الفساد والهيكلية الاقتصادية للدولة وأسس التكافل والضمان الاجتماعي.

الهوامش

١ ابن منظور، لسان العرب ٣/ ٣٣٥.

٢ الأعراف ٥٤،٥٦

٣ البقرة ٢٠٥

٤ للمزيد ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٩ وص٦٢.

٥ ابن الأثير الجزري،، معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج٧، ص٤٣٧، ح ٦٤٨٩، . رواه الترمذي في المناقب (٣٧٢٣). الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة (٣/ ١٣٧). الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٦. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٠٢. الترمذي، الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٦٣٧. الأميني، الغدير، ج ٦، ص ٧٨ ـ ٧٩. ↑ الزندي، نظم درر السمطين، ص ١١٣. الحاكم النيشابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٨. الشيباني، فضائل الصحابة، ص ١٣٨. ابن الأثير، معجم جامع الأصول، ج ٧، ص ٤٣٧ الطبري، تهذيب الآثار، ص ١٠٥. الكنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص٢٢٠، ٢٢٢و ٢٢٣. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٢، ص ١٥٥. كنز العمال الجزء ١١ صفحة ٨٨٩. المعجم الكبير للطبراني ج١١ صفحة ٦٥. تاريخ الخلفاء للسيوطي الجزء ١ ص١٥٠. تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٣٨٠. حلية الاولياء لابي نعيم ج١ ص٦٤.

٦ مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ كتاب المناقب، باب فضائل أهل البيت.

٧ ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة، الجزء الرابع عشر، الصفحة ٢٧٧ (من كتاب كتبه لشريح بن الحارث قاضيه)

٨ ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة - الجزء الثامن - الصفحة ١١٠٠ - فصل (لماعوتب على التسوية في العطاء وتصييره الناس اسوة في العطاء من دون تفضيل

٩ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة - الجزء الرابع عشر - الصفحة ٣٣٣- من كتاب له إلى الاشعث بن قيس

١٠ نهج البلاغة، خطب الإمام عَلِّي بن أبي طالب ﷺ: ٥٧، تحقيق: صبحي الصَّالح، والمراد بالقطائع: ما منحه عثمان للناس من الأراضي، وكان الاصل فيها أن تنفق غلتها على أبناء السبيل وأشباههم كقطائعه لمعاوية ومروان.

١١ محمد الفاضل اللنكراني، الدولة الإسلامية: شرح لعهد الإمام علي إلى مالك الأشتر النخعي، (قسم: مركز فقه الأئمة الأطهار، ٢٠٠٥).

١٢ تاريخ الطبري: ٣/ ٤٦١- ٤٦٢.

١٣ بن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة - الجزء الثامن عشر - الصفحة ٥٥٥ - من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي

١٤ (نهج البلاغة، الكتب:٤٣).

١٥ ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة،ج١٦،ص١٦٤

١٦ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٢،ص٥٥٥

١٧ المصدر نفسه، ص٢٤٠

١٨الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد(تـ٥٥٠هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، تدقيق: عبد الحسين وهيني، (بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٨م)، ص٥٣.

١٩ نهج البلاغة : الحكمة ٣ و ١٦٣ .

٢٠ غرر الحكم : ٣٤٢٨.

٢١ جامع الأخبار : ٣٠٠/ ٨١٨

٢٢ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعالم النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٣ ط،١٩٨٥،٣ج،٢ ص١٢٣ .

٢٣ حسين عليوي ناصر الزيادي، الفساد المالي والاداري في العراق رؤية جغرافية-سياسية، الرافدين، بيروت،٢٠٢٣

٢٤ (بحار الأنوار: ج٢٩ / ص٤٧٩).

٢٥ (م.ن.: ج٤٠ / ص١٠٦ / ح١١٧).

٢٦ (م.ن.: ج٤١ / ص١٣٦ / ب١٠٧)

٢٧ (المناقب: ج٢ / ص٩٥)

٢٨ نهج البلاغة: ص٤٣٦.

٢٩ عبده، نهج البلاغة، ص٤١٧.

٣٠ نهج البلاغة،الحكم القصار:،٣٢٨. ٤٠٢

المصادر والمراجع

* ابن عساكر، علي بن الحسين (ت:٥٧١هـ / ١١٧٠م)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)
* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت:٣٤٦هـ / ٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، (بيروت، د. ت)،ج٢.
* الأمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الوأحد بن محمد(ت٥٥٠هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، تدقيق: عبد الحسين وهيني، (بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٨م).
* ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة للإمام علي ابن ابي طالب ﷺ تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الاحياء الكتب العربية .
* ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ شركة ابناء شريف الأنصارية، بيروت الجزء ١
* ابن الاثير، علي بن سيرين، اسد الغابة في معرفة الصحابة.
* ابن شهر أشوب، رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت:٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق : علي الحسيني، ط١، دار جواد الأئمة للطباعة، (بيروت،١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)
* ابن عبد البر، الاستيعاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ج٣، بيروت، دار الجبل.
* ابن منظور، لسان العرب ٣/ ٣٣٥.
* الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). تحقيق : صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
* الأمين، السيد محسن بن عبد الكريم الحسيني العاملي، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، د. ت)
* البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الإشراف، تحقيق:محمد محمد تأمر، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م). كتاب المناقب، باب فضائل أهل البيت.
* الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعالم النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٣ ط،١٩٨٥، ٣
* الزيادي، حسين عليوي ناصر، الفساد المالي والإداري في العراق رؤية جغرافية-سياسية، الرافدين، بيروت،٢٠٢٣
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، (القاهرة، ١٣٥١هـ)

* الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى (٤٠٦هـ) الأئمة، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية.
* الصدوق، علي بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ)، عيون أخبار الرضا، تصحيح: حسين الأعلمي، بيروت.
* الطبرسي، الفضل بن الحسن، أعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة أهل البيت سإحياء التراث، قم، . ١٧ -٦ ١٩٩٣.
* الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف،(مصر، د.ت) .
* الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ اٱلمم والملوك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، .١٩٩٨
* عبد الملك، ابن هشام (ت٢١٣هـ) السيرة النبوية، تح: مصطفى السفا وإبراهيم اٱلبياري، عبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،،١٩٥٥
* عبده، محمد شرح نهج البلاغة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ج٣، بيروت .
* العزاوي، د.عبد الرحمن، الطبري، السيرة والتاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٩٥.
* الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، (ت٣٢٩هـ)، فروع الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، بيروت، دار الأضواء.
* اللنكراني،، محمد الفاضل الدولة الإسلامية: شرح لعهد الإمام علي إلى مالك الأشتر النخعي، (قسم: مركز فقه الأئمة الأطهار، ٢٠٠٥
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).
المناقب، تحقبق: مالك المحمودي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
* المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت،،١٩

العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي عليه السلام

أ.د. محسن مشكل فهد

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

ملخص البحث

يتناول البحث الجوانب الفكرية والتطبيقية للإمام علي ﷺ من خلال تراثه الثري والغني بالنظريات والطروحات العلمية البناءة للمجتمعات، ومن هذه الطروحات هي العدالة الاجتماعية المتمثلة بمكافحة الفقر والتمييز العنصري، فضلا عن تركيز الإمام ﷺ على مسألة العدل وحق المجتمع بقضاء عادل يضمن حقوق الافراد وينبذ الظلم بكل اشكاله .

ومن حقول العدالة الاجتماعية هي التوزيع العادل للثروة بما يضمن حق العيش الكريم للإفراد كما اراده الله تعالى بقوله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) . وكذلك تحليل ارآء أمير المؤمنين بحق الإنسان بالتعليم وإبداء الرأي وتشجيع العلماء .

وكل هذا سيؤدي لترسيخ فكرة التعايش السلمي بدون تمييز في اللون او العرق او اللغة او القومية بل ان تكون الإنسانية أعلى قيمة وهذا يتمثل بقوله ﷺ (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) وغيرها من الوصايا التي بثها أمير المؤمنين بين عماله وولاته في الامصار والمدن الإسلامية .

Abstract

The research deals with the intellectual and practical aspects of Imam Ali, peace be upon him, through his rich heritage of scientific theories constructive for societies, and among these propositions is social justice represented by combating poverty and racial, as well as the Imam's focus on the issue of justice and the right of society to a fair judiciary that guarantees the rights of individuals and rejects injustice in all its forms.

One of the fields of social justice is the fair distribution of wealth in a way that guarantees the right to a decent life for individuals, as Allah Almighty wanted it when He said (And We have honored the sons of Adam). As well as analyzing the views of the Commander of the Faithful on human right to education, expressing opinions and encouraging scholars

All of this will lead to the consolidation of the idea of peaceful coexistence without discrimination in color, race, language or nationality, but rather that humanity be the highest value, and this is represented by his saying, peace be upon him (people are of two types, either your brother in religion or your equal in creation) and other commandments that the Commander of the Faithful broadcast among His workers and governors in Islamic cities.

المقدمة

تُعد الدراسات الاجتماعية من الدراسات المهمة في فلسفة التاريخ؛ كونها تشخص العلل التي قد تصاب بها المجتمعات ثم تضع لها الحلول، ولعل اهم حقل ينبغي التركيز عليه بالدراسات الاجتماعية هو الثروة البشرية ودورها في النهوض بالاقتصاد، وهذا يتطلب الاهتمام بأفراد المجتمع ومكافحة الفقر الذي يعد أقسى آفة تمر بها الدول .

وقد زخر الفكر الإسلامي بنظريات مهمة وطروحات دقيقة درست احوال المجتمعات وتقلباتها، ومن أهم هذه الطروحات هو التراث الثر لأمير المؤمنين عليه السلام، إذ أولى عناية فائقة بالإنسان؛ كونه محور التغيير والمستهدف للقيام بواجبات خلافة الله في الأرض، وقد تصدرت قضية معالجة مشكلة الفقر أولويات حكومته .

ومن هذه الأهمية جاء بحثنا ليسلط الضوء على العدالة الاجتماعية في فكر الإمام عليه السلام، الذي شمل أربعة مباحث وهي السياسة الاقتصادية في فكر الإمام علي عليه السلام، ودور مؤسسة القضاء في تحقيق العدالة الاجتماعية، وواجبات الحكومة في تحقيق العدالة الاجتماعية، والمبحث الأخير العناية بالمجتمع ودورها في تحقيق العدالة الاجتماعية .

وقد اعتمد البحث على أهم مصادر تراث أمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن مصادر التاريخ والفكر الإسلامي الأخرى التي فصلناها في قائمة المصادر.

١ - مفهوم العدالة

العدل لغة هو الحكم بالحق وهو ضد الجور، وقيل هو الأمر المتوسط بين الافراط والتفريط، وهو أيضاً المساواة في المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر[١] وورد في لسان العرب ان العدل هو ما قام في النفوس انه مستقيم، ويقال رجل عدل وعادل أي جائز الشهادة[٢] والعدالة لفظة تقتضي المساواة

وان الحاكم العادل هو الذي يقضي بالحق ويعدل [٣] . ومن أسماء الله تعالى هو (العدل) وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم [٤]

و وردت في القران الكريم لفظة العدل في آيات عدة تحث على إقامة العدل مثل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [٥] فذهب عليه السلام إلى أنَّ هذه الآية (أوجبت على الإمام ان يحكم بما أنزل الله وان يؤدي الامانة وإذا فعل ذلك حق على الناس ان يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا اذا دُعوا)[٦]

ويفسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ أي بالبينة على المدعي واليمين على من انكر، وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام ويدخل في ذلك بالمعنى جميع الخلق [٧] أو كقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [٨]؛ أي الانصاف بين الخلق وفعل ما يجب على المكلف والاحسان الى الغير [٩]

ويرى السيد الطباطبائي ان العدل والاحسان يقوِّم المجتمع الإنساني؛ لأن ما يبتغيه الإسلام هو صلاح المجتمع العام، وان سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش فيه [١٠]

نستنتج مما سبق ان العدالة المقصودة في الإسلام هي ما اوجبته الشريعة الإسلامية من تطبيق لأحكام القران الكريم؛ لأنه يحفظ كرامة الإنسان بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [١١] وان تطبيق تلك الاحكام تحتاج الى فهم صحيح للنص القرآني، ولكون اهل البيت عليهم السلام هم الراسخون في العلم [١٢]؛ لذلك فهم العارفون الحقيقيون والمطبقون للعدالة .

وقد وردت احاديث نبوية شريفة تدل على رسوخ الإمام علي عليه السلام في العدل والحق كقول الرسول صلى الله عليه وآله (علي مع الحق والحق مع علي) [١٣] وقوله أيضاً (كفَّي وكف علي في العدل سواء) [١٤] ومن ثَمَّ فان أمثل نموذج لمعرفة العدالة الاجتماعية نجده في حياة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وسيرته.

٢- السياسة الاقتصادية في فكر الإمام علي عليه السلام

عني الإمام علي عليه السلام عناية فائقة بالوضع المعيشي للمجتمع وبذل جهدا كبيرا لمحاربة الفقر فجعل ضمن اولوياته عمارة الأرض بقوله: وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً [١٥]. ففي هذا النص يركز الإمام على انتاج الأرض وغلتها وليس على ضريبة الخراج التي كانت تجبى من الفلاحين، ومن ثَمَّ فإن سياسته جاءت لتشجيع الفرد على الاهتمام بالأرض وزراعتها وهذا يؤمن وفرة المحاصيل الزراعية .

ولم يكتف الإمام عليه السلام بتنمية الاقتصاد فحسب بل وضع حلولا للأمور الطارئة في ما يخص الفلاحين كقوله (فإن شكوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب إحالة أرض اغتمرها غرق أو اصبحت بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به حالهم)[١٦].

وجاءت هذه النظرة الدقيقة والاستباقية لمعالجة اخطار متوقعة كشحة المياه أو فيضان ومن ثَمَّ فإنَّ هذا يندرج ضمن عنصر العدل الذي تميز به الإمام بغية التخفيف عن المزارعين في مثل هكذا ظروف .

ويركز الإمام على افراد المجتمع والعناية بهم لكونهم الذين ينهضون بالاقتصاد كقوله: عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك فإن العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الأرض من اعواز اهلها [١٧]. فاذا افتقر المجتمع ضاقت يده بالعمل وهنا يشير الإمام إلى العلاقة المتبادلة بين الأرض والأفراد وأن أعواز الأفراد يأتي من خراب الأرض .

وجعل الإمام للأرض حقّاً وللبهائم حقّاً، وجعل الناس مسؤولين عند اعطاء هذا الحق بقوله: اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن

البقاع والبهائم [١٨]. ويعلق المجلسي على هذا النص بقوله ((السؤال عن البقاع لم اخربتم هذه ؟ .. وعن البهائم لمَ اجعتموها ولم تقوموا بشأنها ورعاية حقها ؟))[١٩] .

إذاً فحقوق الحيوان ليس من ابتكار العصر الحديث أو الدول الغربية بل وضعها أمير المؤمنين عليه السلام استناداً لمفاهيم الإسلام الحنيف .

وان تنوع معطيات الأرض يؤدي الى تحريك وتنمية الجانب التجاري والصناعي؛ ولذلك نبه الإمام بقوله ((ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات فأنهم مواد المنافع وجلابها من المباعد في برّك وبحرك وسهلك وجبلك))[٢٠] . إذاً الإمام عليه السلام لم يستثنِ نشاطا اقتصاديا دون آخر فهو نهض بكل ما يؤدي إلى رخاء المجتمع الإسلامي .

وقد كافح الإمام الفقر من خلال وصايا لولاته وعماله في الأمصار الإسلامية فهو يحثهم على تفقد الفقراء وتلبية حوائجهم كقوله ((واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يتكلم متكلمهم غير متتعتع[٢١] فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن : لن تقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها من القوي غير متتعتع))[٢٢].وبهذ النص يحث الإمام على معاملة الفقراء بأرقى صنوف الرقة والمحبة من خلال وصيته في ابعاده الحرس والجنود لكي يعرض الفقير حاجته أمام الوالي بدون خوف او ارتباك

وقد سار الإمام علي عليه السلام على منهج الرسول صلى الله عليه وآله في دولة يحترم فيها الإنسان بغض النظر عن دينه او اصوله فعندما جاء الشيخ المكفوف يسأل الناس فقال أمير المؤمنين عليه السلام ماهذا ؟ فقيل له إنه نصراني، فقال : استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه، انفقوا عليه من بيت المال [٢٣]. وهنا يظهر مكافحة الإمام للعنصرية والتمييز العرقي بما يؤكد عالمية الإسلام وسمو افكاره .

ومن اوضح صور العدالة كان الإمام يقسم بين المسلمين ابسط الاشياء فقد قسم بينهم الرمان واحياناً العسل وقسم بين النساء العطور[٢٤]. وكان الإمام يواسي الفقراء ويعيش احوالهم اذ لم يكتف بتوفير العيش الكريم لأفراد المجتمع بل عاش واقعهم ونأى بنفسه عن البذخ والترف بقوله (لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرى... أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش) [٢٥]

ولو تصفحنا التاريخ يصعب علينا ان نجد حاكما بهكذا سمو وهكذا نبل، فصار الإمام نموذجا حيا للعدالة الاجتماعية .

٣ – دور مؤسسة القضاء في تحقيق العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي عليه السلام

للإمام علي عليه السلام تجربة متميزة في القضاء، إذ مارس هذه المهمة في اليمن بعد ان بعثه النبي صلى الله عليه وآله اليها لهذا الغرض [٢٦] فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله اقضاكم علي[٢٧] .

وقد تميز الإمام عليه السلام بدقة احكامه وما يشير لذلك انه حكم في احدى القضايا فلما عرضت على النبي صلى الله عليه وآله قال ((ولا اعلم فيها الا ماقضى علي))[٢٨] . وهو القائل ((الحمد لله الذي جعل فينا اهل البيت من يقضي على سنن داود وسبيله في القضاء))[٢٩] .

ويركز الإمام في مناسبات عديدة على قضية العدل منها قوله ((ان افضل عباد الله عند الله إمام عادل فأقام سنة معلومة وامات بدعة متروكة فو الله ان كلا بيّن وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لظاهرة لها اعلام))[٣٠] .

ويحدد الإمام شروطا للقاضي قائلا ((ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه[٣١] الخصوم ولا يتمادى

في الزلة ... وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم مما لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء)) [٣٢] .وهنا يضع الإمام شروطاً مهمة ينبغي التمسك بها في كل زمان ومكان والغاية منها تحقيق العدل بين افراد المجتمع وأهم هذه الشروط هي صبر القاضي وشجاعته، فصبره يؤدي لكشف الادلة جميعها، وشجاعته التي تقتضي عدم الخضوع لمغريات او خوف .

وعليه يفترض بالقاضي ان يكون واعياً لمهمته بحيث لا يعجل في الحكم ولا يسرع في ابرامه وانما عليه ان يمضي في دراسة القضية ويستعرض وجوهها المختلفة فإن ذلك احرى ان يهديه إلى وجهة الحق، فإذا ما استغلق الأمر واشتبه عليه فلا يجوز له ان يلفق للقضية حكما من عند نفسه وانما عليه ان يقف ويتريث حتى ينكشف له ما غمض عنه ويتجلى له ما اشتبه عليه[٣٣] .

وليس هناك حصانة في القضاء لأحد في فكر الإمام عليه السلام سوى حصانة القانون المتمثل بأحكام الشريعة وهذا واضح في قوله ((الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه))[٣٤] .

وحين سُئلَ عليه السلام ايهما افضل العدل ام الجود ؟ قال : العدل يضع الامور مواضعها وهو سائس عام والجود عأرض خاص، فالعدل اشرفها وافضلها[٣٥].

ويعلق ابن ابي الحديد على هذا النص بقوله ((هكذا العدالة في الاصطلاح الحكمي لأنها المرتبة المتوسطة بين طرفي الافراط والتفريط، والجود يخرج الأمر من موضعه وهو بذل المقتنيات للغير، وان العدل سائس عام في جميع الامور الدينية والدنيوية وبه نظام العالم وقوام الوجود))[٣٦] .

وحينما يكون الأمر بين خيارين مهمين يقول الإمام ((وليكن أَحَبُ الامور إليك أوسطها في الحق واعمّها في العدل واجمعها لرضا الرعية))[٣٧] فالأعمَ في العدل يقدم على كل الخيارات .

ولشدة تمسك الإمام عليه السلام بالعدل ونبذه للظلم تعهد بالمعاناة التي تضر به مقابل اقامة العدل وذلك في قوله ((والله لئن ابيت على حسك السعدان[٣٨] مسهداً أو أجرَ بالأغلال مصفداً احب اليّ من ان الاقي الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض عباده وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف اظلم احداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها))[٣٩] .

ولم يفرق الإمام بين الناس بأعراقهم وقومياتهم، فقد ورد بأن أمرأتين أتتا علياً عليه السلام إحداهما من العرب والأخرى من الموالي فسألتاه فدفع اليهما درأهم وطعاماً بالسواء فقالت احدأهما اني أمرأة من العرب وهذه من العجم، فقال عليه السلام : اني والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفئ فضلاً على بني اسحاق[٤٠]. فمن خلال هذا النص نجد ان الإمام طبق على أرض الواقع مقولته الرائعة (الناس صنفان إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)[٤١]. فعلي بن ابي طالب الذي يمثل رأس الدولة كان يقول لأبن ملجم [٤٢] أنت قاتلي فيقول ابن ملجم : إذا عرفت ذلك فاقتلني، فيقول الإمام عليه السلام لا يحل ذلك أن اقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً[٤٣]

ولم نجد في التاريخ حاكما مقتولا يوصي خيرا بقاتله الا أمير المؤمنين حينما ضربه الملعون ابن ملجم بقوله : ((اطعموه واسقوه واحسنوا اساره فان عشت فأنا اولى بما صنع فيّ وأن شئت صالحت))[٤٤]

٤- واجبات الحكومة في تحقيق العدالة الاجتماعية

لقد اهتم النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام بأمر سياسة البلاد والعباد كقول الرسول صلى الله عليه وآله للأئمة عليهم السلام : (أنتم ساسة العباد [٤٥]، وحديث آخر : أن الإمام عارفٌ بالسياسة)[٤٦] .

وقال الإمام علي عليه السلام : (خير الساسيات العدل)[٤٧] .

وفي كتاب بعثه لمعاوية قال الإمام فيه ((ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة))[٤٨] .

وفي كتاب الإمام عليه السلام لمالك الأشتر : (فاصطفِ لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة) [٤٩] .

وهنا لم يكتف الإمام بصفة الورع للوالي بل ألحقها بصفة العلم والسياسة .

وقال الإمام الحسين عليه السلام إنّ الله ندبنا لسياسة الأمة [٥٠]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله (إنّ الله عز وجل أدّب نبيه ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده) [٥١] .

إذاً وفقاً للأحاديث الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فإن الإسلام يمهد لإقامة دولة يحترم فيها الإنسان لكونه خليفة الله في الأرض إذ قال تعالى ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾[٥٢] والدليل على الدور المسؤول والمتبادل قول الإمام عليه السلام :(فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقه وأدّى الوالي إليها حقها عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطُمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء)[٥٣] .

إن أهمية الحاكم والحكومة عند الإمام علي عليه السلام تتجسد بالأثر الواضح الذي يتركه الحكام في المجتمع إذ قال ((فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك ... والإمامة نظاماً للأمة))[٥٤] .

ويبين الإمام عليه السلام فكرته بأنّ الإمامة أو الحكم الصالح نظام للأمة، قائلاً ((ومكان القيّم بالأمر مكان النظام [٥٥] يجمعه ويضمه فإذا انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره))[٥٦] .

وكان الإمام حتى أخريات أيّام حياته بعد أن ضربه ابن ملجم يدعو لذلك من خلال وصيته لولديه بقوله ((اوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم))[٥٧] .

ويوضح الإمام المسؤولية المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس بين القائد والشعب؛ لذا فإن الحق تبادلي من وجهة نظر الإمام اذ يقول ((فقد جعل لي عليكم حقاً بولاية أمركم ولكم عليّ من الحق مثل الذي عليكم))[٥٨]

ان السياسة الناجحة من ضرورات الدولة المدنية وقد بين الإمام ذلك في أكثر من مناسبة في عهده لمالك الأشتر مثل قوله ((و لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك من الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الامور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور))[٥٩]

وتتجلى نظرته في ادارة البلاد والعباد بما كتب لواليه على مصر مالك الاشتر بقوله ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إمّا أخٌ لكَ في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أنْ يعطيك الله من عفوه وصفحه، فأنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك))[٦٠] .

ويذكر الإمام عماله وولاته بأن المجتمع يتوقع من مسؤوليه القيام بواجبات كما كنتم تتوقعون قبل تسنمكم المسؤولية بقوله عليه السلام ((وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة مثلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله على السنة عباده))[٦١]

إن أهم عناصر اختيار المسؤولين عند الإمام هي الخبرة والأخلاق، فهما لا ينفصلان في نظر أمير المؤمنين بقوله :(وتوخَ من أهل التجربة والحياء

من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصلح أعراضاً واقلُّ في المطامع اشرافاً وابلغ في عواقب الامور نظراً)[٦٢] . وقوله لمالك الاشتر في عهده إليه ((ان شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً))[٦٣] . وقوله (ولا يكونن المحسن والمسيء بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه)[٦٤] .

كل هذه الاحاديث مناهج قانونية وأخلاقية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال ادارات تتميز بالكفاءة والحرص وخدمة المجتمع

ولم يتهاون الإمام في محاسبة الولاة في حال خروجهم عن جادة العدل . فقد كتب إلى احد ولاته يحذره بالقول(ولئن كان ما بلغني حقاً لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس أهل ان يسدّ به ثغر أو ينفذ به أمر او يعلى به قدر او يشرك في امانة فأقبل إليَّ حين يصل اليك كتابي) [٦٥]، وبعد التحقق قرر الإمام عزله[٦٦]

ويوصي الإمام بتفقد اعمال المسؤولين سرا وعلنا فقد ورد في عهده لمالك الاشتر (ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية، فإن احد منهم بسطت يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً) [٦٧] ويظهر ان الهدف العام لهذه المتابعة هو الرفق بالرعية وتحقيق العدل الاجتماعي .

وفضلا عن مراقبة الإمام لعماله فإنه يوصيهم بمقابلة افراد المجتمع والاستماع لآرائهم بقوله (فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم

ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح)[٦٨] ويبدو ان الهدف من لقاء المسؤول بمعيته هو توضيح الغامض مما يقطع سبل الفتنة ومن ثَمَّ زرع الثقة بين الحكومة والشعب .

٥- العناية بالمجتمع وأثره في تحقيق العدالة في فكر الإمام علي عليه السلام

المجتمع في فكر الإمام علي عليه السلام هو المحور الذي تدور حوله كل القطاعات والانشطة سواء الاقتصادية او السياسية وينبغي ان تصب في خدمته، فالحكومة وسياستها أنشئت من اجل المجتمع والاقتصاد يجب أن يستثمر في سبيل المجتمع .

ولعل من أهم النظريات الاجتماعية التي خلدها التاريخ فأصبحت منهاجا لكل الحكام الصالحين قوله عليه السلام ((واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفإن إمّا أخٌ لكَ في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أنْ يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك))[٦٩] .

ومن نظرياته في الاهتمام بالعلم والعلماء ومشورتهم في الإصلاح قوله (واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك)[٧٠] .وهذه دعوة لفتح الحوارات مع العلماء والحكماء، وقد بدأ الإمام وصيته بكلمة (وأكثر) بمعنى المداومة على الحوار والنقاش .

وقوله عليه السلام : الاستشارة عين الهداية [٧١]، وقوله : لا ظهير كالمشاورة[٧٢] .

وقوله : ايها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة وإن الناس كلهم احرار[٧٣] .

وماله علاقة بالجوانب التربوية هو الاسرة التي تُعدّ نواة المجتمع لذلك فإن الإمام عليه السلام اهتم بها اذ يقول: (لا تقسروا اولادكم على آدابكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم)[٧٤] .

ومفرده الآداب هنا تعني العادات والاعراف لأنها متغيرة عبر الازمان، وليس المقصود بها القيم والأخلاق الحميدة لكونها حسنة في كل زمان ومكان وينبغي الحث عليها .

وكلام الإمام علي عليه السلام هو في علم الاجتماع والتربية الذي يرى ان المجتمعات تختلف في عاداتها في الملبس والمأكل فعلينا احترام تلك العادات اذا لم تجانب الأخلاق الحميدة .

وقوله في المرأة (انها ريحانة[٧٥] وليست بقهرمانه)[٧٦] وهذه اشارة للطف بها وعدم تحميلها ما لا تطيق من الاعباء .

وحين اغار جيش معاوية على الانبار[٧٧] وسفك الدماء ونهب البيوت واهان النساء خطب الإمام عليه السلام قائلاً ((قد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع خلخالها[٧٨] ورعاثها[٧٩] فلا تمتنع منه الا بالاسترحام فو الله لو ان أمرءاً مات من دون هذا اسفاً ما كان عندي ملوماً))[٨٠] .

بهذا النص يتألم الإمام ليس على المرأة المسلمة فقط بل والمعاهدة أيضاً، وهي التي دخلت مع المسلمين بعهد . فالمجتمع عند أمير المؤمنين كله ضمن مسؤولياته سواء المسلم أو غير المسلم .

الخاتمة

-العدل هو هدف كل الأنبياء والرسل؛ لأنهم مبعوثون من المطلق العادل الخالق البارئ الحق، فالعدل المقصود هو المتضمن احكام القران الكريم؛ لأنها تكّرم الإنسان وترتقي به لأعلى مستويات الإنسانية وتمنع الظلم والطغيان عنه .

-يُعد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ النموذج الامثل في تحقيق العدالة الاجتماعية ابتداء من سياسته الاقتصادية التي تمثلت في محاربته لمشكلة الفقر ووضع خطة اقتصادية دقيقة تنهض بمستوى الزراعة من خلال العناية بالفلاح والأرض فضلا عن اهتمامه بالنشاطات الأخرى كالصناعة والتجارة.

-عني الإمام ﷺ بمؤسسة القضاء وحرص على تحقيق العدالة في ارقى صنوفها فوضع شروطا دقيقة للقاضي منها الصبر حتى تتكشف جميع الادلة ثم الشجاعة في اصدار الحكم بدون خوف .

-اعتنى الإمام ﷺ بمسألة نظم الأمر من خلال حكومة عادلة وأوصى اولاده وجميع المسلمين بذلك من خلال قوله (أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم) فكان الإمام يوصي بنظام حكم عادل يتميز مسؤوليه بالخبرة والتقوى والحياء والسياسة .

- يقدِّم الإمام ﷺ عنصر الرحمة في التعامل مع افراد المجتمع وتجسَّد ذلك في وصاياه لعماله وولاته بقوله (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفإن : أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) هذه النظرية الرائعة التي رفضت التمييز العنصري وأوضحت عالمية الإسلام ومن ثَمَّ قبول الاخر المختلف في الدين والقومية بِعَدّه جزءاً من الدولة التي تحترم كل مواطنيها . ومن الطبيعي أنّ هذا يسهم في زرع الثقة بين الراعي والرعية وبالنتيجة يؤدي لاستقرار الدولة .

-بغية تحقيق العدالة الاجتماعية كان الإمام عليه السلام يراقب ولاته بدقة ويوصيهم بمتابعة عمالهم؛ كي لا يقع حيف او ظلم على أحد من افراد المجتمع، ويرى الإمام ان المسؤولية متبادلة بين الراعي والرعية او بين الحاكم وشعبه .

الهوامش

١-الراغب الاصفهاني : مفردات غريب القران،ص٣٢٥

٢-ابن منظور : لسان العرب، ج١١، ص٤٣٠

٣-الزبيدي : تاج العروس، ج٨، ص٩

٤-ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص١٩٠

٥-سورة النساء، اية ٥٨

٦-الطبري : جامع البيان، ج٥، ص٢٠٠

٧-القرطبي : تفسيره، ج٥، ص٢٥٨

٨-سورة النحل، اية ٩٠

٩-الطوسي : التبيان،ج٦، ص٤١٨

١٠-الطباطبائي : تفسير الميزان،ج١٢، ص٣٣٠

١١-سورة الاسراء، اية ٧٠

١٢-العياشي : تفسير العياشي، ج١، ص١٦٤

١٣-ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج٤٢، ص٤٤٩؛ ابن شهر اشوب : المناقب،ج٢،ص٢٦٠؛ ابن جبر: نهج الايمان، ص١٨٨

١٤-البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٢٤٠؛ الذهبي : ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٦١؛المجلسي: بحار الانوار، ج٤٠، ص١١٩

١٥-الحراني : تحف العقول، ص١٣٧ ؛ المحمودي : نهج السعادة، ج٥، ص٩٢ .

١٦-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٩٠ .

١٧-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٧١ ؛ الكلانتري : الجزية واحكامها، ص١٦٥ .

١٨-الضبي : الفتنة، ص٩٥ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج٩، ص٢٨٨ .

١٩-بحار الانوار، ج٦٥، ص٢٩٠ .

٢٠-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٨٣ .

٢١-متتعتع : أي من غير قلق او اذى يزعجه . ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث، ج١، ص١٨٦ .

٢٢-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج٨، ص٢٠٥ ؛ ابن الدمشقي : جواهر المطالب، ج٢، ص١٦٥.

٢٣-الطوسي : تهذيب الاحكام، ج٦، ٢٩٣ ؛ الغرابي : فقه الدولة، مجلة المبين،عدد٥، ص٩٦ .

٢٤-البلاذري : انساب الأشراف، ص١٣٧ ؛ المفيد : الجمل، ص٢١٧ .
٢٥-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٦، ص٢٨٦ ؛ النجفي : الف حديث في المؤمن، ص٢٣ .
٢٦-البلاذري : انساب الاشراف، ص١٠١ .
٢٧-الطبرسي : الاحتجاج، ج٢، ص١٠٣ ؛ الحلي : كشف اليقين، ص٤٥، كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ج١، ص١٣ .
٢٨-وكيع : اخبار القضاة، ص٦٨ .
٢٩-المفيد : الارشاد، ص١٠٥ .
٣٠-المفيد : الجمل، ص١٠٠ .
٣١-المحك: اللجاج، ابن الاثير:النهاية في غريب الحديث، ج٤، ص ٣٠٣.
٣٢-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٥٨ .
٣٣-شمس الدين : دراسات في نهج البلاغة، ص٦٤.
٣٤-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج٢، ص٢٨٤ .
٣٥-المجلسي : بحار الانوار، ج٧٢، ص٣٥.
٣٦-شرح النهج، ج٢، ص٨٥.
٣٧-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٣٤ .
٣٨-حسك السعدان : وهو نبت له شعب محددة (اشواك) تدخل في الرجل اذا ديس، وعلى مثاله عملت حسك الحرب وهو نوع من آلات العسكر . ابن منظور : لسان العرب، ج١٠، ص٤١١ ؛ ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص٢٦١ .
٣٩- الصدوق : الامالي، ص٧١٩ ؛ الشريف المرتضى: رسائل المرتضى، ج٣، ص١٣٩ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١١، ص٢٤٥.
٤٠-الثقفي : الغارات،ج١، ص٧٠.
٤١-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٥، ص٤٤ .
٤٢-حينما دعا الإمام علي عليه السلام الناس إلى البيعة فجاء ابن ملجم المرادي فرده الإمام مرتين ثم اتاه فقال : ما يحبس اشقاها ليخضبن هذه من هذا يعني لحيته من رأسه، ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص٣٣ .

وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي ادرك الجاهلية ثم صار من كبار الخوارج وهو اشقى هذه الأمة بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله بقتل علي بن ابي طالب عليه السلام . تم تطبيق القصاص عليه سنة أربع واربعين . ابن حجر : الاصابة،ج٥، ص٨٥ .

٤٣-عبد الوهاب : عيون المعجزات، ص٤٣ .

٤٤-البيهقي : السنن الكبرى،ج٢،ص٥٦؛ الحلي : منتهى الطلب،ج٢، ص٩٨٤.

٤٥-الطريحي : مجمع البحرين، ج٢، ص٤٦٨ ؛ المجلسي : بحار الانوار، ص٣٧ .

٤٦-م.ن. ، ص ٤٥٣ ؛ الرحماني : الإمام علي، ص٦٩٠.

٤٧-الواسطي : عيون الحكم، ص٢٣٧ .

٤٨-ابن مزاحم : وقعة صفين، ص١٠٩ ؛ الشريف الرضي : نهج البلاغة، ج٣، ص١١ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٣٣ .

٤٩-القاضي النعمان : دعائم الإسلام، ج١، ص٣٦١؛ الحراني : تحف العقول، ص١٦٧ .

٥٠-النوري : مستدرك الوسائل، ج٧، ص٥٢٨ ؛ الشريفي : كلمات الإمام الحسين، ص٦٩٤ .؛ الشيرازي : السياسة من واقع الإسلام، ص١٩ .

٥١-الكليني : الكافي، ج١، ص٢٦٦ ؛ الحويزي : نور الثقلين، ج٥، ص٢٨٠ .

٥٢-سورة ص، آية ٢٦ .

٥٣-ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٩١ ؛ المجلسي : بحار الانوار، ج٢٧، ص٥٢ ؛ شمس الدين : دراسات في نهج البلاغة ن ص١٤٥ .

٥٤-ابن شهر آشوب : المناقب، ج٢، ص١٩٨ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٩، ص٩٠ ؛ الحلواني : نزهة الناضر، ص٧٦ .

٥٥-النظام كل خيط ينظم به لؤلؤ، وهو العقد من الجوهر والخرز ونحوهما . الفراهيدي : كتاب العين، ج٨، ص١٦٥ ؛ الجوهري : الصحاح، ج٥، ص٢٠٤١ ؛ الفيروز ابادي : القاموس المحيط، ج٤، ص١٨١ .

٥٦-الطبري : تاريخ،ج٣، ص٢١١ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج٦، ص٦٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج٧، ص١٢٢ .

٥٧-النيسابوري : روضة الواعظين، ص١٣٦ ؛ القندوزي : ينابيع المودة، ج٢، ص٣٠ ؛ الانصاري : الموسوعة الفقهية الميسرة، ج٣، ص٣٩١ .

٥٨-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١١، ص٨٨ ؛ طبرة : فلسفة الدولة في فكر الإمام علي عليه السلام، مقالة على الانترنت www. Ahwar. Org

٥٩-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ص٣٦ ؛ النوري : مستدرك الوسائل، ج١٣، ص١٤٧ ؛ الغرابي : فقه الدولة، مجلة المبين،عدد٥، ص١٠٦ .

٦٠-ابن ابي الحديد : شرح النهج،ج١٥، ص٤٤ .

٦١-الحراني : تحف العقول، ص١٢٦؛ ابـــن ابي الحديد: شرح النهج، ج١٧، ص٣١ .
٦٢-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٦٨ ؛ المجلسي : بحارالانوار، ج٧٤، ص٢٥٣ .
٦٣-م.ن. ص٤٢ .
٦٤-الحراني : تحف العقول، ص١٣٠ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٤٦ .
٦٥-اليعقوبي : تاريخه، ص١٤٢ .
٦٦-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٨، ص٥٩ .
٦٧-م.ن. ، ج٣، ص٩٦ .
٦٨-ابن عساكر : تاريخ دمشق، ص٥١٦ ؛ ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٧، ص٩٠ .
٦٩-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج١٥، ص٤٤ .
٧٠-م.ن. ج١٧، ص٤٧ .
٧١-م.ن.، ج١٩، ص٣١ .
٧٢-ابن الجوزي : زاد المسير، ج٢، ص٤٧ .
٧٣-الكليني : الكافي، ج٨، ص٦٩ ؛ النمازي : مستدرك سفينة البحار، ج٣، ص١١٠ .
٧٤-ابن ابي الحديد : شرح النهج، ج٢٠، ص ٢٢٣.
٧٥-الريحـان : اسـم جامـع للرياحـين الطيبـة والطاقـة الواحـدة ريحانـة، والريحـان اطـراف كُل بقلـه طيبـة اذا خـرج عليـه اوائـل النـور . الفراهيـدي كتـاب العـين، ج٣، ص٢٩٤ .امـا القهرمـان فهـو المسـيطر عـلى مـن تحـت يديـه وهـي لفظـة فارسـية معربـة . ابـن منظـور : لسـان العـرب، ج١٢، ص٤٩٦ .
٧٦-الكراكجي : كنز الفوائد، ص١٧٧ .
٧٧-الانبـار : مدينـة عـلى الفـرات في غـربي بغـداد بينهـا عـشرة فراسـخ، وكانـت الفـرس تسـميها (فـيروز سـابور) وكان أول مـن عمرهـا سـابور بـن هرمـز ذو الاكتـاف . ياقـوت : معجـم البلـدان، ج١، ص٢٥٧ .
٧٨-الخلخال : وهو حجل تلبسه النساء . الزبيدي : تاج العروس، ج٧، ص٢٧٤ .
٧٩-الرعث : حلي الاذن . ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٣٤ .
٨٠-الثقفي : الغارات، ج٢، ص٤٧٦ ؛ المغربي : شرح الاخبار، ج٢، ص٧٥ .

المصادر والمراجع

* ابن الأثير، ابو السعادات مجد الدين المبارك الجزري (ت ٦٠٦هـ) : النهاية في غريب الحديث، خرج احاديثه ابو عبد الرحمن بن عويضة، منشورات دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت / ١٩٩٧) .
* البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ): انساب الاشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط١ (بيروت / ١٣٩٤هـ) .
* البيهقي، احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، بدون سنة .
* الثقفي، ابراهيم بن محمد الكوفي (ت ٢٨٣هـ): الغارات، تحقيق السيد جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، بدون سنة .
* ابن جبر، زين الدين علي بن يوسف (ت القرن ٧ هـ) نهج الايمان، تحقيق احمد الحسيني ط١ (قم / ١٤١٨هـ)
* الجوهري، محمد بن ابي بكر الرازي (ت ٧٢١هـ) : مختار الصحاح، تحقيق احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت / ١٤١٥هـ) .
* ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل شهاب الدين ابن علي (ت٨٥٢هـ) : الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عـــادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٥هـ)
* ابن ابي الحديد، عـــز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) : شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاءه، ط١، ١٩٥٩.
* الحراني، ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة (ت نهاية القرن الرابع الهجري) : تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط٢ (قم / ١٤٠٤هـ) .
* الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن (ت القرن الخامس الهجري) : نزهة الناظر وتنبيه الحاضر، ط١ (قم / ١٤٠٨هـ)
* الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) : منتهى الطلب، مقابلة النسخة حسن بيشنهاز، نشر حاج محمد (تبريز / ١٣٣٣هـ)
* الخطيب البغدادب، ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط١ (بيروت / ١٤١٧هـ)
* ابن الدمشقي، محمد بن احمد الباعوني الشافعي (ت٨٧١هـ) : جواهر المطالب في مناقب علي بن ابي طالب ﷺ تحقيق محمد باقر المحمودي، ط١ (قم / ١٤١٣هـ) .
* الذهبي، ابو عبدالله بن احمد (ت٧٤٨هـ) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، ط١ (بيروت / ١٣٨٢هـ)
* الراغب الاصفهاني، ابو القاسم بن محمد (ت٥-٢هـ) مفردات غريب القران، نشر دفتر كتاب، ط١، ١٤٠٤هـ)
* الزبيدي، محي الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) :

تاج العروس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون سنة .

* ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهيري (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، بدون سنة .
* الشريف المرتضى، ابو القاسم السيد علي بـــــن حسين (ت ٤٣٦هـ) : وسائل المرتضى، تحقيق مهدي رجائي، نشر ذر القرآن (قم / ١٤٠٥هـ) .
* ابن شهر آشوب، ابو عبد الله مشير الدين محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) : مناقب آل ابي طالب، صححه لجنة من اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية (النجف / ١٩٥٦م) .
* الصدوق، ابو جعفر محمد بقن علي بن بابويه القمي (ت ٣١٨هـ) : الامالي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط١ (قم / ١٤١٧هـ) .
* الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٥٦٠هـ) : الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرساني، منشورات دار النعمان (النجف / ١٩٩٦)
* الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) : * التبيان في تفسير القرآن، تحقيق احمد حبيب قيصر العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ .*تهذيب الاحكام، تحقيق السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، مطبعة خورشيد، ط٤ (طهران / ١٣٩٠هـ) .
* الطبري، ابو جعفر محمد بن حرير (ت ٣١٠هـ): *تاريخ الأمم والملوك تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي، بيروت، بدون سنة *جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ضبط توثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر (بيروت / ١٤١٥هـ) .
* عبد الوهاب، الشيخ المحدث حسين عبد الوهاب (ت القرن الخامس الهجري): عيون المعجزات، نشر محمد كاظم الكتبي، المطبعة الحيدرية، (النجف / ١٣٦٩هـ)
* ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) : تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر (بيروت / ١٤١٥ هـ) .
* العياشي، ابو النظر محمد بن مسعود السلمي (ت ٣٢٠هـ) : التفسير العياشي، تحقيق السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران
* القاضي النعمان، نعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣هـ) : دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي اصغر، دار المعارف (مصر / ١٩٦٣م) .

* القرطبي، ابو عبـــد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي (بيروت / ١٤٠٥هـ) .
* القندوزي، سليمان بن ابراهيم الحنفي (ت ١٢٩٤هـ) : ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق سيد علي جمال اشرف، نشر دار الاسوة، ط١، ١٤١٦هـ
* ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) :*البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١ (بيروت / ١٤٠٨هـ) .
* الكراكجي، المحدث ابن الفتح محمد بن علي (ت ٤٤٩هـ): كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي، ط٢ (قم / ١٤١٠هـ) .
* الكليني، ابو جعفر محمد بـــن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) : الكافي، تحقيق علي اكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية آخوندي، ط٣ (طهران / ١٣٨٨هـ) .
* المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي (ت١١١١هـ) : بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، ط٢ (بيروت / ١٩٨٣) .
* ابن مزاحم، نصر بن مزاحم بن يسار المنقري التميمي (ت ٢١٢هـ): وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٣٨٢هـ .
* المغربي، ابو حنيفة النعمان محمد التميمي (ت ٣٦٣هـ) : شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار ﷺ، تحقيق السيد محمد الجلالي، مطبعة مؤسسة النشر، قم، بدون سنة .
* المفيد، ابو عبد الله محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ): *الارشاد، ط٣ (بيروت / ١٩٧٩م)
* ابن منظور، ابـــو الفضل جمال الدين بن مكـــرم الافريقي (ت ٧١١هـ) : لسان العرب، دار احياء التراث العربي (قم / ١٤٠٥هـ) .
* النيسابوري، زين المحدثين محمد بن الفتال (ت ٥٠٨هـ) : روضة الواعظين، تحقيق محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضي، قم .
* الواسطي، ابو الحسن كافي الدين بن محمد الليثي (ت القرن السادس الهجري): عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسني، دار الحديث، ط١ (قم / ١٣٧٦هـ ش) .
* وكيع، محمد بن خلف بن حبان (ت ٣٠٦هـ): اخبار القضاة، مراجعة سعيد اللحام (بيروت / ٢٠٠٢) .
* ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي (ت ١٢٦هـ) : معجم البلدان دار احياء التراث العربي (بيروت / ١٩٧٩م) .
* اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ) : تاريخ اليعقوبي، مؤسسة نشر فرهنك، قم .

المراجع الحديثة

* الانصاري، الشيخ محمد علي: الموسوعة الفقهية، مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة باقري (قم / ١٤١٥هـ)
* الرحماني، احمد الهمداني : الإمام علي عليه السلام، نشر المنير للطباعة، ط١ (طهران/ ١٤١٧هـ) .
* شمس الدين، محمد مهدي : دراسات في نهج البلاغة، نشر دار الزهراء، ط٢ (بيروت / ١٩٧٢م) .
* الطباطبائي، السيد محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .
* طبرة، حسن : فلسفة الدولة في فكر الإمام علي عليه السلام، مقالة على الانترنيت
* www. Ahawar. Org
* الطريحي، الشيخ فخر الدين: مجمع البحرين، تحقيق السيد احمد الحسيني، نشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ .
* الغرابي، حميد : فقه الدولة في العهد العلوي، مجلة المبين، عدد ٥، سنة ٢، العتبة الحسينية (كربلاء / ٢٠١٧)
* الكلانتري، الشيخ علي اكبر : الجزية واحكامها، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ (قم / ١٤١٦هـ) .
* المحمودي، الشيخ محمد باقر : نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، دار التعارف، ط١ (بيروت / ١٣٩٦هـ)
* النجفي، الشيخ هادي : الف حديث في المؤمن، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ (قم / ١٤١٦هـ) .
* النمازي، شيخ علي : مستدرك سفينة البحار، تحقيق علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي (قم / ١٤١٩هـ) .
* النوري، حسين بن محمد تقي المحقق، مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ط١، ١٤٠٨ هـ

المواطنة وحقوق الإنسان في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، رسالته لمالك الأشتر نموذجا

أ.م.د غصون مزهر حسين

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم التاريخ

ملخص البحث

هناك حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، ألا وهي أن هذا العهد يُعدّ أول وثيقة قانونية مفصلة تعالج واجبات الحاكم ووظائفه والعلاقات بين الشعب وبين الحاكم، وكما يفصل الحديث عن السلطات الثلاث (التشريعية والقضائية والتنفيذية) ويضع الضوابط لإنجازها .

فنجد أول شيء أوصى أمير المؤمنين ﷺ به مالكاً الأشتر، الذي عيّنه والياً له على مصر، أن يكون محبّاً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء أمسلمين كانوا أم من أهل الأديان الأخرى. ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة.

قال ﷺ : (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ . ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) .

ويمكن القول إن الإمام علي ﷺ وضع الأسس السليمة والرصينة لمفهوم المواطنة وحقوق الإنسان التي ساد مفهومها حديثا، ولعل قيام المستشارين القانونيين للأمم المتحدة باعتماد رسالة الإمام علي ﷺ لمالك الأشتر و مقولة (الخلق صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) مصدراً للتشريع القانوني لهيئة الأمم المتحدة، خير دليل على ذلك، فهذا إمامي علي ﷺ قمة الإنسانية و النبل والصفات الرائعة مختصرة برجل عبارة عن نور مخلوق وعبد مرزوق .

لتوضيح فكرة البحث قسم البحث الى مبحثين، اهتم الأول بإعطاء صورة توضيحية عن مفهوم المواطنة وحقوق الإنسان، في حين اهتم المبحث الثاني في توثيق تلك المفاهيم بأفكار الإمام علي ﷺ، واعتمد البحث المنهج التحليلي في دراسة رسالة امير المؤمنين ﷺ.

Abstract

There is an undeniable historical fact, which is that this covenant is considered the first detailed legal document of its that deals with the duties and functions of the ruler and the relations between the people and the ruler, and it also separates the talk about the three powers (legislative - judicial - executive) and sets controls to achieve them.

So we find the first thing that the Commander of the Faithful (peace be upon him) recommended to Malik Al-Ashtar, whom he appointed as his governor over Egypt, to be loving to the subjects, respectful of the feelings of people of whatever class they were, whether they were Muslims or people of other religions. It is no secret that this confirms the humanity of Islam and its respect for people's feelings, and strengthens the structure of the system and government.

He said (peace be upon him): (And make your heart feel merciful to the subjects, love for them, and kindness towards them and do not be a predatory beast against them, taking advantage of their food. They are of two types: either your brother in religion, or your equal in creation).

It can be said that Imam Ali (peace be upon him) has laid the solid foundations for the concept of citizenship and human rights, which has prevailed recently.

Perhaps the legal advisors of the United Nations adopted the letter of Imam Ali (peace be upon him) to Malik al-Ashtar as summed up in the saying: (There are two types of creation, either your brother in religion or your equal in creation) as a source of legal legislation for the United Nations is the best evidence of that, This is Imam Ali (peace be upon him), the embodiment of humanity and attributes to a man who is a created light and a blessed servant.

To clarify the idea of the research, the research was divided into two sections, the first was concerned with giving an illustrative picture of the concept of citizenship and human rights, while the second topic was concerned with documenting these concepts with the ideas of Imam Ali (peace be upon him), and the research adopted the analytical approach in studying the message of the Commander of the Faithful.

المقدمة

لنا في حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل فهم القمم التي نتطلع بشوق اليها ولهفة ومنارات الطريق، وهم الذين يجددون ثقتنا بأنفسنا وبالحياة وأهدافها البعيدة والسعيدة، ومن هؤلاء العظماء أو لعله أهمهم هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أنبتته أرض عربية وفجر ينأبيع مواهبه الاسلام فكان باب مدينة العلم للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وبطولات الإمام علي عليه السلام لاتقتصر على ميادين الحرب فقد كان بطلا في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، ونصرته للمظلوم وتعبده للحق أينما تجلى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد، لاتزال منجماً غنياً نعود إليه اليوم وكل يوم كلما احتجنا إلى بناء حياة صالحة.

وهذا البحث يسلط الضوء على الأسس التي دعا إليها الإمام علي عليه السلام في سبيل تحقيق حياة حرة كريمة؛ بمعنى آخر حقوق الإنسان الأساسية التي جاء الإسلام لترسيخها، وكان الإمام علي عليه السلام من دعاتها لحفظ كرامة الإنسان وتحقيق أحلامه وطموحاته في هذه الحياة؛ لذا يُعدّ عهد الإمام علي عليه السلام لواليه على مصر مالك بن الحارث الأشتر من اطول العهود ومن اهمها، ليس لانه يكشف العقلية الفذة التي يملكها الإمام في إدارة الأمور بل في القانونية والشمولية والإنسانية التي طبعت بنود العهد .

إن هذا العهد يُعدّ أول وثيقة قانونية مفصلة تعالج واجبات الحاكم ووظائفه والعلاقات بين الشعب وبين الحاكم، ويفصل الحديث عن السلطات الثلاث (التشريعية والقضائية والتنفيذية) ويضع الضوابط لإنجازها .

ومن هذا المنطق، اهتم البحث بعرض حق المواطنة و حقوق الإنسان في أهم العهود وأطولها التي اكتسبت أهميتها من الرؤية السياسية للإمام علي ﷺ، إلى جانب شموليتها وإنسانيتها في إدارة أمور الرعية .

المبحث الأول

المواطنة والحريات العامة في العهد:

المواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية، ومن أخطر التحديات التي تواجه بناء المجتمع الداخلي وتؤثر في وحدته الوطنية، الطائفية والقبلية والمذهبية، ويجب على المواطن أيّاً كان انتماؤه الطائفي أن يكون ولاؤه للوطن لا للقبيلة أو الحزب أو التكتل الذي ينتمي له؛ لأنهم زائلون لا محالة والوطن باقٍ على مدى الدهر، وهذا لا يتحقق سوى من خلال إحساسه بأن الدولة وليست القبيلة هي مصدر الثواب والعقاب والمانحة والمانعة له، الأمر الذي يعني الحد من هيمنة أي منهم فكرا وسلوكا على أفراد الشعب [1].

وتتجلى هذه الصفة بشكل واضح في عهد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لمالك الأشتر، وذلك من خلال ما اوصى به مالكاً الأشتر من أجل الاهتمام بالرعية وتأمين حقوقهم وتحقيق العدل بينهم وسوف نعمل على توضيح هذه الحقيقة من خلال مراجعة الحدث التاريخي .

أول شيء أوصى أمير المؤمنين ﷺ به مالكاً الأشتر، الذي عيّنه والياً له على مصر، أن يكون محباً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء أمسلمين كانوا أم من أهل الأديان الآخرى، ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة، قال ﷺ : (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ

لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ . ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) [٢] .

ثـمَّ أوصـاه أن يعفـو ويصفـح عمَّـن أسـاء واجـترأ عليـه، أو عـلى خاصتـه، قـال عليه السلام : (فَأَعْطِهِـمْ مِـنْ عَفْـوِكَ وصَفْحِـكَ مِثْـلِ الَّـذِي تُحِـبُّ وتَـرْضَى أَنْ يُعْطِيَـكَ اللهُ مِـنْ عَفْـوِهِ وصَفْحِـهِ) .

ودعـاه إلى أن لا يميّـز بـين القريـب والبعيـد في عطاءاتـه مـن بيـت المـال؛ لأنَّ المسـلمين سـواءٌ في تنـاول الحقـوق الماليـة مـن بيـت المـال، وقـد عانـى النـاس مـن التمييـز في العطـاء في أثنـاء العهـد السـابق، فـكان ذلـك مـن الأسـباب التـي دعتهـم إلى الثـورة عـلى الخليفـة الثالـث، قـال عليه السلام : (أَنْصِـفِ اللهَ وأَنْصِـفِ النَّـاسَ مِـنْ نَفْسِـكَ ومِـنْ خَاصَّـةِ أَهْلِـكَ ومَـنْ لَـكَ فِيـهِ هَـوًى مِـنْ رَعِيَّتِـكَ، فَإِنَّـكَ إِلاَّ تَفْعَـلْ تَظْلِـمْ، ومَـنْ ظَلَـمَ عِبَـادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَـهُ دُونَ عِبَـادِهِ) [٣].

ثـمَّ ذكّـره بـأن يكـون هدفـه وغايتـه إقامـة العـدل، وإحيـاء الحـق، الغايـة والهـدف الـذي مـن أجلـه أُرسـل الأنبيـاء والرسـل؛ حتـى ينعـم النـاس بالعدالـة والمسـاواة، فبالعـدل فقـط تقوم الأنظمة وتسـتمر، ويصير للحيـاة مفهومها ومعناهـا . أما الحياة في ظـل حاكـمٍ ظـالم، فهـي بمثابـة السـجن، قـال عليه السلام : (ولْيَكُـنْ أَحَـبَّ الأُمُـورِ إِلَيْـكَ أَوْسَـطُهَا فِي الْحَـقِّ، وأَعَمُّهَـا فِي الْعَـدْلِ، وأَجْمَعُهَـا لِـرِضَى الرَّعِيَّـةِ) .

المبحث الثاني

حقوق الإنسان لدى الإمام علي عليه السلام

ان للإمـام عـلي عليه السلام نظرياتـه التـي سـبقت العـالم بمئـات السـنين في مجـال حقـوق الإنسـان وفي ترسـيخ النظـام الشـوروي كهيكليـة تقـوم عليهـا المؤسسـة الحاكمـة، فمـن خـلال مواقـف الإمـام عـلي عليه السلام وأقوالـه، يلحـظ المتتبـع لتراثنـا الإسـلامي البـون الشاسـع مأبـين نظـرة الإمـام القائمـة عـلى احـترام الإنسـان وترسـيخ مبـادئ

العدالة والمساواة والحرية، مأبينها وبين الحكم الفردي الشمولي الاستبدادي القائم على إلغاء الآخر واختزال الدولة في ذات الملك، وتغييب دور الشعوب وجعلها مجرد كانتونات هامشية موزعة على الجغرافيا السياسية على قاعدة (إن السواد الأعظم ملك لقريش)، دون أن يكون لها أي دور في صياغة القرارات السياسية أو حق المشاركة في تحديد المصير أو بناء الدولة، أو أن يكون لها دور رقابي على مؤسساتها، أو المال العام.

وجميع هذه الحقوق لم تقر ولم يعترف بها إلا في عصور متآخرة من التاريخ الإنساني وبعد حقبٍ من الظلم والقهر، عقب ثورات من الشعوب رافقها إراقة دماء لا حصر لها، فالدستور الأميركي صدر في العام ١٧٨٧م، وأقدم وثيقة لحقوق الإنسان في أوروبا صدرت في العام ١٢١٥م، وكانت في الأساس لحماية حقوق الأشراف واللوردات في إنكلترا في مواجهة الملك، ولم يشمل هذا العهد الذي فخر به الإنكليز حقوق عامة الشعب؛ أي فلاحي الإقطاع. فلم ينل المواطن العادي هذه الحقوق إلا بعد خمسة قرون على الأقل من ذلك التاريخ.[٤]

إن تراثنا الإسلامي يسبق التشريعات الحديثة بمئات السنين في تقنين مبادئ حقوق الإنسان، فإذا علمنا أن أقدم وثيقة لحقوق الإنسان هي في العهد الأعظم (المكناكارتا) الذي أصدره الملك الانجليزي جون (١٢١٥) والذي يُعدّ أقدم وثيقة دستورية في التاريخ الانجليزي كما ذكرنا، في حين أن الوثيقة الدستورية لعلي بن أبي طالب ﷺ في عهده لمالك الأشتر تُعدّ من أقدم الوثائق الحقوقية والتي تحمل في جنباتها الكثير من الحنان الإنساني العميق الذي يحيط به الإمام دستوره في المجتمع التي سبقت(المكناكارتا) بقرون عدة [٥]، ترى فيها أبعاداً إنسانية كبيرة وعمقا في الرؤية ورشادا في الفكرة. فهل يوجد أعمق من هذا المعنى دلالة على الشمول

الإنساني والاحاطة لكل بني البشر من هذه العبارة، التي سجلها الإمام في دستوره العلوي إذ قال:

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم والالفة اليهم، ولاتكونَنَّ عليهم سبعاً ضارياً تغنم أكلهم فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين أونظير لك في الخلق)

كان علي بن أبي طالب ﷺ شخصية خصبة، إنه كان مظهرا من مظاهر التكأمل الإنساني، بعد ان انتخبه المسلمون خليفة للمسلمين، فبدأ بتطبيق برنامجه الاصلاحي في اشاعة العدل والمساواة بين أبناء الأمة الإسلامية بصرف النظر عن دينهم ومذهبهم ولغتهم ولون بشرتهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية. لقد أمر الولاة ان يكونوا رحماء مع رعاياهم كما تجلى ذلك في رسالة الإمام إلى واليه على مصر مالك الأشتر .(٦)

إن عهد الإمام علي ﷺ إلى مالك الأشتر عأمله على مصر من أنفس الوثائق التاريخية الزآخرة بمبادئ الحكم وأساليب الإدارة وأصول التشريع، وأخلاق المسؤولين، وإذا كان التاريخ الانجليزي يباهي حضارة اليوم بوثيقة(المكناكارتا)، والثورة الفرنسية تزهو بين تاريخ الثورات بمبادئها في الحرية والإخاء والمساواة، فحسب الحضارة العربية الزاهرة مجداً وسموا أنها قدمت للأجيال المتعاقبة منذ أربعة عشر قرناً هذا العهد الأميري الخالد على الدهر بأعدل المبادئ المقررة في فقه السياسة والتشريع، وفي السياق نفسه يقول المفكر المسيحي جورج جرداق في تعليقه على الدستور العلوي لعلي بن أبي طالب: (فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة إلا وتجد له مثيلا في دستور بن أبي طالب ثم تجد في دستوره ما يعلو ويزيد...)، مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني بين الوثيقتين، وأن الأولى كانت نتاج عقول كثيرة من بني البشر والثانية كانت نتاج عبقري واحد هو علي بن أبي طالب ﷺ .(٧)

ولعل المفارقة الأكبر هي ان وثيقة الأمم المتحدة كتبت وقليلا ما طبقت موادها في الواقع، فما زال العالم والمجتمعات البشرية تلحظ الفارق الكبير بين موادها ونظريات ميكافيلي أو المنطق الذرائعي (البراغماتي) الذي يسوغ للدول انتهاك هذه الحقوق، في حين أن عليا جسدها على الواقع بعدالته والقوانين التي سنها في ذلك الوقت مع رعيته حتى بقت مقولته التي لم يقلها حاكم غيره تثير استغراب وتعجب الكثيرين من ناقدي التاريخ أو مؤرخي تاريخ الأمم والتي قال فيها : (لقد أصبحت الأمم تشكوا ظلم رعاتها وأصبحت أشكوا ظلم رعيتي، ولقد كنت بالأمس أميراً واليوم مأمورًا، وكنت ناهيا واليوم منهياً).[٨]

وعرض الإمام في عهده لمالك إلى ضرورة الرحمة بالرعية والإحسان إليها والرفق بها، والعفو عنها في موارد الزلل، قال ﷺ: ((**وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أونظير لك في الخلق، يفرط بينهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤثر على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب أن يعطيك الله تعالى من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله تعالى فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله تعالى، فإنه لابد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ..**)) .[٩]

وليس في قواميس الأديان ومذاهب السياسة مثل ما سنه قائلاً : من الرفق بالرعية على اختلاف ميولها وأديانها، فليس للوالي إلا اللطف والمبرة بها، وأن لا يشمخ عليهم بولايته ويكون سبعاً ضارياً عليهم، وعليه أن لا يحاسبهم على ما صدر منهم من علل أوزلل، ويمنحهم العفووالرضا لتنعم البلاد بالأمن وتسود فيها ويستمر الإمام ﷺ في عهده بالرفق بالرعية قائلاً:

((ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن: اني مؤمرٌ امرُ فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير، وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أومخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكن عنك من غربك، ويفي إليك بما عزب عنك من عقلك..)) .[١٠]

حكى هذا المقطع الأساليب التي يجب أن تتوافر في الولاة من عدم الندم على عفو أُصدر على مواطن، وعدم التبجح بعقوبة انزلوها على أحد، وليس له الاعتزال بالسلطة والغرور بالحكم، فإن في ذلك مفسدة للدين ومفسدة للمواطنين، وعليهم أن ينظروا إلى قدرة الله عليهم فإنه المالك لهم، هذه بعض محتويات هذه الكلمات.

وفي عهد الإمام عليه السلام لمالك الأمر بإنصاف الناس في سياسته وإنصافهم من خاصة أهله والتابعين له، فإن ذلك من أسمى ألوان العدل الذي تبناه الإمام في حكومته، وهذه كلماته

قال عليه السلام: **((أنصف الله تعالى، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله تعالى، كان الله عز اسمه خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله تعالى أدحض، وكان لله تعالى حرباً حتى ينزع أويتوب وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله تعالى وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله تعالى سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد..))** . حكى هذا المقطع العدل الصارم في سياسة الإمام التي تسعد بها الأمم والشعوب وتكون آمنة من الظلم والاعتداء.[١١]

وفي هذه العجالة نحاول ان نقترب قليلا من ملامح حكومة علي عليه السلام ومدى ترسيخها لمبادئ حقوق الإنسان، فنبدا باول الحقوق، الحق في الحياة،

كان علي ﷺ وكما ينقل لنا التأريخ احرص الخلفاء على دماء الرعية وكان السلم والعفو هما الخيار الذي يلتجئ اليه الإمام في حله لمشاكل الدولة الداخلية او الخارجية. وكانت انطلاقته على وفق المعايير الإسلامية لا وفق الهوى منطلقا من الآيات التي تحرم قتل الناس من دون حق ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ (النساء ٩٢)﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢)﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الانعام ١٥)، هذه الايات كانت شاخصة إمام الإمام علي وهو يحكم الرعية وفي تثبيت نظامه وحكومته، لذلك ما كان ليرمي سهما في الحرب او يبتدء بحرب إلا إذا ابتدأ بها فهو القائل : (لا نقاتلهم أي- أصحاب الجمل- حتى يقاتلونا).

وكان ﷺ حريصا في ترسيخ هذا المبدأ فباشر تفعيله عمليا من خلال ممارساته وأدائه السياسي مع معأرضيه ونظريا وثقه في دستوره الذي ارسله إلى عأمله مالك الأشتر .فقد قال له موصياً : ((**إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فأنه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال النعمة، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوية سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن**)) [١٢]، والحقيقة هناك جملة من الامور يمكن تلمسها في هذا النص منها:

تأكيد حرمة الدماء وأن حق الحياة مكفول للجميع، إذ كان الحديث عن الدماء بصورة عامة وليس دماء المسلمين دون غيرهم .

المساواة بين الحاكم والمحكوم،من حيث لاضمانات للمنصب أو شاغليه في موضوع التعدي على الدماء والحياة .

إن سفك الدماء يثير الغضب والنقمة بين الشعب مما يؤدي إلى الاضطراب وهو من الاسباب المهمة للثورات لان "لكل دم ثائراً، ولكل حق طالباً"، على وفق وصف الإمام .

ووفاقاً للفكر العلوي، فإن الحياة قيمة عليا تغلب على الموت، وإن أي اعتداء لازهاق حياة إنسان، وبغض النظر عن ماهية ذلك الإنسان، هو اعتداء على الارادة الإلهية الموجدة والمانحة الوحيدة للحياة من جهة وجريمة بحق الإنسانية جمعاء، وسلب لحق أساسي من حقوق الإنسان ألا وهو (حق الحياة) من جهة آخرى، لذا فإن الإمام نظر إلى القتل بأنه جريمة كبرى فيقول ﷺ إن من "الكبائر الكفلا بالله، وقتل النفس ....."."[١٤]

ويمكن ذكر عدة مميزات أساسية لمبادئ حقوق الإنسان لدى الإمام علي ﷺ:

أولاً: امتزاج مفهوم حقوق الإنسان عند الإمام علي ﷺ بحقوق الأمة، فلا يمكن أن تحترم حقوق الإنسان وتصان إلا في مجتمع الحق والحرية والعدل الاجتماعي. ومن هنا فإن السلطة لم تكن أبداً في نظره غاية في حدّ ذاتها، ولم يسعَ إليها في يوم من الأيام، بل كان من أزهد الناس في السلطة، ولما جاء المسلمون لمبايعته بالخلافة قبل أن يتولى المسؤولية الأولى في جهاز الدولة الإسلامية الفتية (أي الخلافة) لتكون أداة المقاومة مظاهر الحيف والانحراف ولإرجاع الحقوق إلى أصحابها. دخل عليه صفيه وتلميذه عبد الله بن عباس يوماً فوجده يخصف نعله فعجب بن عباس من أن يخصف أمير المؤمنين نعله بنفسه، وهو يحكم مناطق شاسعة من العالم القديم، فقال لبن عباس: (ما قيمة هذه؟) – مشيراً إلى نعله – قال: لا قيمة لها. فقال الإمام: (والله لهي أحب إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً). فالسلطة تعني عنده – إذن – إقامة الحقوق، ومقاومة الباطل وأهله.[١٤]

ثانياً: قد يقول قائل: إن الإمام علي ﷺ قد خاض حروباً طاحنة، وقاتل طِوال أربعين سنة، وأصاب سيفه مئات الناس فكيف نوفّق بين هذا وبين دفاعه عن حقوق الإنسان؟ قد يشتبه الأمر عند بعضهم، وأقول إجابة على مثل هذا التساؤل:

١- إن الدفاع عن حقوق الإنسان اقتضى بالأمس، ويقتضي اليوم أيضاً مقاومة أهل الظلم والبغي وكل قوى الشر المعادية للإنسان ولحقوقه.

٢- تُجمع الروايات التاريخية على أن الإمام لم يقاتل إلا دفاعاً عن العدل ليقيم الحق ويقاوم الظلم بشتى مظاهره، وبخاصة الظلم السياسي والاجتماعي.

ثالثا : إن نموذج الإمام علي ﷺ في الدفاع عن حقوق الإنسان يتجاوز المجتمع الإسلامي ليشمل المجتمع البشري كله، فإذا أصبح موضوع حقوق الإنسان اليوم معروفاً (ويخطئ بعضهم عندما يربطه بالثورة الفرنسية) ويتجاهل تراث الحضارات الآخرى، وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية وهي حضارة تفخر بأنها أنجبت نموذجاً نادراً في مقاومة جميع مظاهر الحيف، ونصرة حقوق الإنسان، هذا النموذج القدوة هو الإمام علي ﷺ. سيسجل تاريخ الإنسانية المواقف الخالدة التي وقفها الإمام علي ﷺ في الدفاع عن حقوق الإنسان. رحمك الله يا أبا الحسن فقد عشت ما يربو على أربعين سنة حأملاً لواء العلم والسيف في مقاومة البغي والظلم، وفي الذود عن حقوق الإنسان.[١٥]

إن الدارس لمواقف الإمام علي ﷺ من قضايا حقوق الإنسان يلمس بسهولة بأن جل أقواله، والقيم التي آمن بها، وعلمها المسلمين تخدم حقوق الإنسان وحريته، وتناهض كل سلطة تحاول أن تظلم الإنسان، وتغتصب حقوقه، وخصوصاً حقوقه السياسية والاجتماعية، وهو ما يوضح لنا صرامة المدرسة السياسية الفكرية التي أسسها في نضالها من أجل بناء مجتمع العدل السياسي والاجتماعي، ولقد نبّه المسلمين إلى خطر الانحراف الذي بدأت تبرز معالمه في خلافة عثمان، فقد خطب الإمام في المدينة إثر بيعته قائلاً:

(.. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا).[١٦]

وأعود إلى الاستشهاد ببعض أقوال ومواقفه الإمام في الدفاع عن حقوق الإنسان الفردية والجماعية منها فقد رأينا مفهومه النبيل السامي للسلطة، وهو مفهوم نادر في تاريخ نظم السلطة السياسية بالأمس واليوم، فنَعْله أحب إلى نفسه من الخلافة أو الإمارة، وهي قمة السلطة إلا أن يقيم حقاً، أو يدفع باطلاً، فأي نظام في الدنيا بلغ هذه النظرية السامية للسلطة؟

وقد كان ﷺ، حريصاً كل الحرص على حماية حقوق كل فرد من أفراد الرعية بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، فقد سيّر يوماً ما جنداً لمقاومة قوى الشر فكتب إلى أمراء بلاده التي سيمر بها الجند كتاباً يقول فيه:

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الضرائب وعمال البلاد: أما بعد، فإني سيرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله، وقد اوصيتهم بما يجب عليهم من كف الأذى وصرف الشذى (الشر). وأنا أبرأ إليكم، وإلى ذمتكم من معرة (أذى) الجيش إلا من جوعة المضطر الذي لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكلوا (عاقبوا) من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم، والتعرض لهم في ما استثنيناه منهم).[١٧]

الخاتمة

إن للإمام علي بن أبي طالب ﷺ رؤية مميزة لحقوق الإنسان تتسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي لتلك الحقوق من جهة، ويمكن الاستفادة من هذه الرؤية لمعالجة اشكالية حقوق الإنسان في واقعنا المعاصر من جهة أخرى، إذ يتضح بكل جلاء أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ يعد تجسيداً حياً للشريعة الإسلامية برافديها القرأن الكريم والسنة النبوية، مضافاً اليهما ابداع الإنسان المتميز في تطبيق النص على أرض الواقع ولاسيما في مجال حقوق الإنسان حيث شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا إليها وجسدها في ميدان التطبيق العملي .

تعد الحياة قيمة عليا في الرؤية العلوية ينبغي أن تصان عبر زيادة الوعي بخطورة سلبها من الإنسان وعظم هذه الجريمة وانعكاسها السلبي في الدنيا والآخرة من جهة، وفرض العقوبة العادلة على منهك حق الآخرين في الحياة من جهة آخرى، إلا أن احترام حياة الإنسان لا يلغي تشريع القصاص العادل الذي قد يصل إلى القتل إذا ما اقدم الفرد على هدم وجود الإنسان .

وامتازت الرؤية العلوية لحقوق الإنسان بإبراز حق ضمانة ضبط الحكام وذلك لاهمية منصب الحاكم وتأثيره الواسع في المجتمع، لاسيما مع عظم المهام الملقاة على عاتقه والمتمثلة بالواجبات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأشاع الإمام حالة من الوعي بحقوق الإنسان، إذ على الرغم مما تعرض المؤروث الفكري للإمام ﷺ من محاربة واقصاء، إلا أن ما وصلنا يؤكد اعتماده أسلوب نشر ثقافة حقوق الإنسان سواء على الصعيد النظري، وهذا ما يدل عليه غزارة النصوص وتعدّدها التي تطرقت إلى شتى انواع حقوق الإنسان، ام على الصعيد العملي للتجربة العلوية، إذ جعلت من حقوق الإنسان منارة شامخة أمام بصر وبصيرة الإنسانية مجسدة في المجتمع الإسلامي

انذاك، وليكون ذلك جزءاً من رسالته الحضارية للبشرية في كل زمان ومكان ولاسيما مع ما امتازت به الرؤية والتجربة العلوية لحقوق الإنسان من شمولية وواقعية وبعد إنساني مميز .

إن إشاعة تجربة الإمام (عليه السلام) وتعميمها ورؤيته لحقوق الإنسان ببعديها النظري والعملي، عبر نشرها والأخذ بها بوصفها منهج عمل في المؤسسات الرسمية والدينية والاجتماعية في مجتمعنا ستسهم بلاشك في تطور الوعي والممارسة لحقوق الإنسان، من أجل تقديم نموذج حضاري متميز لاتنضوي تحت لوائه الامة الإسلامية فحسب وإنما تنهل منه البشرية بأسرها.

المصادر والهوامش:

* أمل هندي الخزعلي، جدلية العلاقة بين الديمقراطية والمواطنة والمجتمع المدني (العراق نموذجا)، بغداد، ٢٠٠٦،ص ١٣١ .
* الشيخ محمد عسيران، المواطنة في فكر الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣٦ .
* عهد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لمالك الأشتر (وثيقة إسلامية ذات ابعاد قانونية – سياسية – اجتماعية – ادارية – اقتصادية – عسكرية)، مطبعة الرياضي، بغداد، لا.ت، ص ٤.
* جورج جرداق،الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (علي وعصره)، الطبعة الأولى،دار الاندلس (نجف- بيروت)،٢٠١٠، ص ١٢ .
* عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، لبنان – بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٠.
* عهد الإمام علي، المصدر السابق، ص ٣ .
* عباس محمود العقاد،المصدر السابق،ص٢٥ .
* بن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥، ط٢،ص ٤٠ .
* عهد الإمام علي، المصدر السابق، ص ٥ .
* المصدر نفسه، ص ٩ .
* المصدر نفسه، ص ١٠ .
* عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ٥٠ .
* بن أبي الحديد، المصدر السابق، ص ٤٢ .
* غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب ﷺ رؤية علمية، طبعة ثانية، بغداد، ٢٠٠٨، ص ٦٠ .
* المصدر نفسه، ص ٦٥ .
* بن أبي حديد، المصدر السابق، ص ٥٠ .
* غسان السعد، المصدر السابق، ص ٦٢ .

الرؤية الفلسفية لحقوق الطفل اليتيم بين فكر الإمام علي عليه السلام والشرعية الدولية

أ.م.د. صبا حسين مولى
أ.م.د. لمياء حسين مولى

جامعة بغداد / مركز دراسات المرأة
جامعة التقنية الوسطى / معهد الإدارة / الرصافة

ملخص البحث

في ضوء الآية الكريمة، اهتم البحث بتوضيح عمل من أعمال البر المقربة إلى الله سبحانه وتعالى، وهو إكرام اليتيم والإحسان إليه، وتسليط الضوء على أهمية تلك الحقوق في فكر الإمام علي عليه السلام.

ومن يقرأ شخصية الإمام عليه السلام في كتب التاريخ يجد شخصية تجمعت بها أسمى معاني القيم الإنسانية، وتتجلى بوضوح في تعامله الحنون والعطوف مع الأيتام، فبعد أن أُصيب عليه السلام بضربة ابن ملجم اللعين وفي لحظات الفوز بالشهادة جمع أهله وولده وأوصى الحسن والحسين بوصية جاء فيها : " الله الله في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا في حضرتكم" ؛ وعياً منه عليه السلام بجسامة المسؤولية تجاه الطفل اليتيم، وأخذاً في الاعتبار كونه من الكيان الهش في المجتمع تعرضه لحالات مأساوية تتمثل في استغلاله جسديا وفكرياً، وسعيا منه لتطوير الأداء المجتمعي تجاهه للنهوض بأوضاعه في المجتمع وذلك بأن يترعرع في بيئة دون أي تميز من توفير الرعاية والخدمات المعيشية والصحية تكفل المحافظة على بنيته العقلية والنفسية والبدنية، بيئة تسودها المحبة والقيم الأصيلة، بما تمكنه من العيش بكرامة.

Abstract

In the light of the noble verse, the research focused on clarifying an act of righteousness that is close to Allah the Almighty, which is honoring the orphan and being kind to him, and shedding light on the importance of those rights in the thought of Imam Ali (peace be upon him).

Whoever reads the character of Imam Ali (peace be upon him) in history books will find a character that combines the highest meanings of human values, and is clearly evident in his compassionate dealings with orphans, as he (peace be upon him) after he was injured by the blow of the accursed Ibn Muljam and in the moments of winning martyrdom, gathered his family and children. He gave Al-Hassan and Al-Hussein a commandment in which it said: "Be kind to the orphans, and let them not close their mouths nor let them be lost in your presence."

Aware of the gravity of the responsibility towards the orphan child, and taking into consideration the fact that he is a fragile entity in society and may get exposed to tragic situations represented by his physical and intellectual exploitation, and in an effort to develop societal performance towards him and to improve his situation in society by growing up in an environment without any distinction - starting from care-taking, living and health services and ensuring the preservation of his mental psychological and physical structure, an environment dominated by love and authentic values, enabling him to live in dignity.

مقدَّمة

لقد اعتمد البحث على أحاديث ووصايا الإمام علي ﷺ حول حقوق الطفل اليتيم، محاولة توضيح الجانب الأخلاقي والسياسي له في هذا الجانب المهم، وعلى المواثيق والمعاهدات الدولية على الصعيد العالمي والإقليمي التي اهتمت بحقوق الطفل اليتيم.

ولتوضيح الفكرة، جاء البحث في ثلاثة مباحث، اهتم الأول منه بالتعريف بمفهوم اليتيم وحقوقه، أما الثاني فمنظور حقوق اليتيم في فكر أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ وبيان مدى اهتمامه بالأيتام وكيف عد الطفولة مدة البناء الفكري والنفسي والعلمي للإنسان، فحث على رعايتهم والمحافظة على حقوقهم والحرص على تربيتهم على المنهج السليم، وغرس القيم الفاضلة فيهم.

وعززنا المبحث بأحاديثه ووصاياه وكيف أنه ﷺ حثّ على توفير الرعاية والعناية بالأيتام وغمرهم بالمودة والسكينة، وحرَّم أي نوع من أنواع الاعتداء صغيراً أو كبيراً على حقوقهم في كل شأنٍ من شُؤون حياتهم بأي شكلٍ من الأشكال .

أما المبحث الثالث، فقد ركز على جانب مهم وحيوي وهو موضوع حقوق اليتيم في منظور القانون الدولي، من خلال استعراض المواثيق والمعاهدات التي اهتمت بحقوق الطفل، ومن هنا فقد عقدنا مقارنة بين مضمونها وأحاديث ومواعظ الإمام علي ﷺ، منها ما جاء في إعلان حقوق الطفل للعام ١٩٢٤ جنيف- اعتمد من المجلس العام للاتحاد الدولي لإغاثة الأطفال في جلسته بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٢٣، وتم التصويت النهائي عليه من قبل اللجنة التنفيذية في جلستها بتاريخ ١٧ مايو ١٩٢٣، والموقع عليه من أعضاء المجلس العام في فبراير ١٩٢٤ . وفي إعلان حقوق الطفل اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة ١٣٨٦ (د-١٤) المؤرخ في ٢٠ تشرين

الثاني/ نوفمبر ١٩٥٩، وأدرجنا أهم الحقوق التي جاءت بها هذه الاتفاقيات. واعترف بها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي النظم الأساسية للوكالات المتخصصة، واهتمت بها المنظمات الدولية المعنية برعاية الأطفال.

واستخدم المنهج التحليلي في إعداد هذه الدراسة، من خلال عرض وتحليل نماذج من اقوال الإمام علي عليه السلام، ونماذج من القوانين، والمؤتمرات والمعاهدات والإعلانات والبروتوكولات الدولية التي اهتمت بهذا الموضوع. والمنهج التاريخي وذلك بسرد بعض الوقائع والأحداث المتعلقة بموضوع البحث، والوقوف على المواثيق ذات العلاقة.

وتوصلت الدراسة، إلى أنّ جميع الحقوق المتعلقة بحقوق الإنسان بشكل عام، وحقوق الطفل اليتيم بشكل خاص، الذي نادى بها الإمام علي عليه السلام قد ورد ذكرها في اللوائح القانونية الدولية، بل تعدى الأمر في بعض الامور إلى ان تكون مصدرا أساسيا للقوانين الإنسانية، خير دليل على ذلك، اعتماد المستشارين القانونيين للأمم المتحدة على رسالة الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر ومقولة (الخلق صنفان، إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) على أنها مصدر للتشريع القانوني لهيئة الأمم المتحدة .

فهذا إمامي علي عليه السلام قمة الإنسانية و النبل والصفات الرائعة مختصرة برجل عبارة عن نـــور مخلــوق وعبد مرزوق .

ينتهي البحث بخاتمة، وجملة من التوصيات، وبقائمة المصادر التي اعتمد عليها في توثيق الحقائق التاريخية والقانونية .

ونقدم هذه الدراسة تقرباً إلى الله تعالى وإلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأن ذلك من دواعي السرور والافتخار والاعتزاز أن نبحث عن تلك الصورة المشرقة للأبعاد الإنسانية التي تحملها روحه ﷺ، وحباً وعرفاناً وتمجيداً للبطولة الحقيقية التي خدمت الإنسانية، لرجل محارب، شجاع، ومن عظماء البشرية، شخصية نادرة عرفها التاريخ محورها طهارة الوجدان، وصفاء البصيرة، والإيمان المطلق بكرامة الإنسان.

واتمنى أن يكون هذا البحث جهداً إنسانياً يستفاد منه والله ولي التوفيق .

المبحث الأول: ماهية حقوق الطفل اليتيم

المطلب الأول: مفهوم اليتيم في اللغة والاصطلاح

أ : المفهوم اللغوي لليتيم

جاء في لسان العرب لابن منظور: يَتَمَ ويَتِمَ وأيتَمَهُ الله، وهو يَتِمٌ.

واليُتْمُ : الانْفِراد . الميْتَم : المُفْرَد من كل شيء. واليُتْمُ واليَتَمُ : فِقدانُ الأب. [1]

اليَتيم كما تطالعنا به كتب اللغة هو : الفرد من كل شيء، يقال بيت يتيم، وبلد يتيم، ومن الناس من فقد أباه.[2]

ب : المفهوم الاصطلاحي لليتيم

عن عليّ ﷺ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "لا يُتْم بعد الحلم".[3]

وفي تعريف آخر اليتيم " هو الذي مات أبوه وهو يتيم حتى يبلغ الحلم " . [4]

اليُتمُ: فقدان الأب .

قال ابن السكيت: اليُتم في الناس من قِبل الاب، وفي البهائم من قِبل الام، ولا يقال لمن فقد الام من الناس يَتيمٌ، ولكن مُنْقطع .[5]

المطلب الثاني: المفهوم القانوني لحقوق الطفل اليتيم

أولاً : تعريف حقوق الطفل اليتيم

أ- تعريف الحق

١. اصطلاحاً: هناك من يرى أن الحق في الاصطلاح يأتي بمعنيين: الأول:

"هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل. والآخر: أن يكون بمعنى الواجب الثابت" .[٦]

٢. قانوناً : يمكن القول ابتداءً إن تعريف الحق قد شهد، ومازال، خلافاً حاداً بين شراح القانون، فنظر كل منهم إلى الحق من منظور يختلف عن الآخر، الأمر الذى أدى إلى الاختلاف في تعريف الحق، وذلك بحسب الزاوية التي ينظر منها إليه، ونشأ عن ذلك ظهور اتجاهات فقهية متعددة، كان أبرزها الاتجاه الشخصي في تعريف الحق (نظرية الإرادة)، و الاتجاه الموضوعي (نظرية المصلحة)، والاتجاه المختلط (نظرية الجمع بين الإرادة والمصلحة)، فضلا عن نظرية الاستئثار والتسلط. الرأي الأول : نظرية الإرادة (الاتجاه الشخصي) ويميل أنصار هذا الرأي إلى تعريف الحق بالنظر إلى صاحبه، فيعرفه سافين بأنه " قدرة أو سلطة إرادية حين يعترف بها القانون لفرد فإنما يكفل له بذلك نطاقاً تسود فيه إرادته مستقلة عن أية إرادة أخرى، ويفهم من ذلك أن الإرادة لا تتسيد بمعزل عن القانون، إذ يقوم القانون برسم حدود سلطة هذه الإرادة، دون أن يقلل من سلطان إرادة صاحب الحق التي تظل سائدة على الشيء محل الحق، ليس ذلك فحسب، وإنما تسود على إرادة غيره من الأفراد في المجتمع في ما يتعلق بهذا الحق الرأي الثاني : نظرية المصلحة (الاتجاه الموضوعي) ويذهب أنصاره إلى تعريف الحق بالنظر إلى موضوعه – أي الغرض منه – فيعرفه أهرنج بأنه " مصلحة يحميها القانون"،

فالمصلحة عند أهرنج تسمو على الإرادة غير أن تلك المصلحة ليست كافية لتعريف الحق، فهي وإن كانت تشكل جوهر الحق إلا أن قيام القانون بحمايتها أمر ضروري لضمان انتفاع صاحب المصلحة بها، فإذا لم يقم القانون بحمايتها كان من السهل على أي شخص أن ينال منها دون أن يتعرض لجزاء من جراء فعله. الرأي الثالث : نظرية الجمع بين الإرادة والمصلحة (الاتجاه المختلط) يرى أنصار هذا الرأي ضرورة الجمع في تعريف الحق بين كل من المصلحة والإرادة، بحيث يشكل هذان العنصران جوهر الحق، إلا أنهم اختلفوا فى تغليب أحدهما على الآخر، فهناك من يعطى الأفضلية للمصلحة ومن ثمَ يرى أن الحق عبارة عن مصلحة شخص أو مجموعة من الأشخاص يحميها القانون حين يعترف لإرادة ما بالقدرة على تمثيل هذه المصلحة والدفاع عنها(، على الجانب الآخر هناك من يذهب إلى أفضلية الإرادة في تعريف الحق، بلحاظ أنها خير ما يكشف عن جوهره، فيرى أن الحق سلطة موضوعة في خدمة مصالح ذات طابع اجتماعي تمارسها إرادة مستقلة، أو هو قدرة إرادية يعترف بها القانون ويحميها، وتجد محلها في مال أو مصلحة. الرأي الرابع : نظرية الاستئثار والتسلط (النظرية الحديثة) : ويذهب أنصاره، ورائدهم في ذلك الفقيه البلجيكى دابين DABIN، إلى تعريف الحق بالنظر إلى جوهره، وليس من زاوية شخص صاحبه أو الهدف منه، و جوهر الحق هو الاستئثار بما يمثله هذا الحق من قيمة. (٧)

ب ـ ماهية حقوق الطفل اليتيم :

عرفت اتفاقية حقوق الطفل للعام ١٩٨٩م، الطفل : يعنى كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه. (٨)

وحقوقُ الطفل هي مجموعةٌ من الحُقوق المُتخصّصة بالطِّفل، التي تُعدّ حُقوقاً فرديّةً تَتماشى مع عمره واحتياجاته وتَتناسب مع صفاته، بكونه إنساناً وفرداً ذا عمرٍ صغير لا يقدر على تلبية حاجاته ورِعاية نفسه إلّا بمساعدة شخص كبيرٍ آخر، إنّ الأشخاص الذين لم يتجاوزوا سنّ الثامنة عشر، أو الأطفال بمعنىً آخر بهم حاجة لرِعاية واهتمامٍ خاص من ذويهم والقائمين عليهم.

ولأجلِ ذلك تنبَّه العالم لأهميّة وضع ميثاق خاص للتعريف بحقوق الطفل، ليضمن لهم حقوقهم عبر توقيع دول العالم عليها ومُصادقتها على بنودها. وأصدرتَ اتفاقية في ٢٠ نوفمبر للعام ١٩٨٩م، وبدأ العمل بها في ٢ سبتمبر عام ١٩٩٠م، وتعدُّ الميثاق الرسمّي القانونيّ الأول الذي ألزم الدُّول التي صادقت عليه بتنفيذ ما نصّ عليه، وقد لقت رواجاً كبيراً بين دول العالم، فوقّعت عليها ما يُقارب ١٩٣ دولة إلى الآن كما أسلفنا، وهو عددٌ ضخمٌ تجاوز عدد المنضميّن لهيئة الأمم المُتحدة .[٩]

وتُلزم اتفاقية حقوق الطفل، الدول الأطراف استناداً إلى القانون الدولي، أن تكفل لجميع الأطفال هذه الحقوق، والطفل اليتيم جزء منهم .

وتعرف الباحثة حقوق الطفل اليتيم من الناحية القانونية : حق من حقوق الإنسان، وهو مجموعة من المعايير القانونية الأساسية التي تحمي الطفل اليتيم وتمكنه من العيش بكرامة، والتي تمنحه النمو الجسدي والنفسي والإجتماعي والاقتصادي والثقافي الصحيح .

ومن الجدير بالذكر، من خلال بحثنا في المصادر المتعلقة وموضوع البحث، لم نجد ما يشير إلى وجود تعريف محدد وواضح لحقوق الطفل اليتيم، لذا توصي الباحثة المشرّع بوضع تعريف محدد وصريح لمفهوم حقوق الطفل اليتيم.

ثانياً : مفهوم حقوق اليتيم وحمايتها في الأديان السماوية، ودور الإسلام في ذلك

تشترك جميع الشرائع السماوية في القيم الإنسانية السامية، منها الحرص على حماية حقوق الطفل اليتيم ورعايته والمحافظة عليه وحرصت على تقديم الرعاية له في كافة شؤون الحياة.

وأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين، أو أكل السحت، أو أكل مال اليتيم، أو أكل حق العامل أو الأجير .

وأروني أي شريعة أباحت الكذب، أو الغدر، أو الخيانة، أو خُلف العهد، أو مقابلة الحسنة بالسيئة. بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية، من خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من أدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

ولهذا قال ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام١٥١ - ١٥٢)

هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وهي محرمات على بني آدم جميعاً، وهن أم الكتاب " أي أصله وأساسه "، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.[١٠]

وجاء في قوله عز شأنه حول ميثاقه على بني إسرائيل عن الإحسان إلى اليتامى : " وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون" . [١١]

والإسلام دين العدل والسلم والمحبة، وحرص على حماية الإنسان من أي إعتداء وكفل حماية حقوقه وكرامته، ومنها مشكلة الأيتام .

وسنعرض بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي إهتمت باليتيم ونهت عن الإساءة له، وتم تناول البحث على وفق السياق الآتي:

١ .القرآن الكريم

اهتمت التربية الإسلامية برعاية اليتامى وحفظ حقوقهم المشروعة وتربيتهم وتهيئتهم للحياة، فقد كرر المولى عز وجل وشدد على رعايتهم من كافة جوانب حياتهم (٢٣) آية قرآنية وجاء بألفاظ متعددة مثل (اليتيم واليتم واليتيمة والأيتام).

وحرصت التربية الإسلامية على إعداد اليتيم للحياة رجلاً عاملاً ليس كلاً على غيره ولا عبئاً على أمته ولا عنصر شر ينفث سمومه في أمثاله من أطفال الأمة، لقد ظهرت عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منذ بداية المرحلة المكية التي حثت على تربية اليتيم والمحافظة على نفسه وممتلكاته. [١٢]

وقد نهى الإسلام عن الإساءة إلى اليتيم بأي شكل من الأشكال، وتحدث القرآن الكريم في عدة مواضيع منها : الناحية المادية لليتيم والمحافظة على ماله والنهي عن الاقتراب منه إلا بالحسنى، جاء في قوله

تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا ﴾ .(١٣)

وقد بين القرآن الكريم عقوبة أكل مال اليتيم في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .(١٤)

ولكن الملاحظ من المشرع أنه أكد بشكل ملحوظ على رعاية حقوقه المالية. ولا غرابة في هذا التأكيد المتواصل من الشريعة على هذه الجهة لو لاحظنا طبيعة القوم في أول الدعوة، والظروف المحيطة بالمنطقة العربية مما كان يستدعي هذا الحث، وهذا التأكيد.(١٥)

وفي حماية حالة اليتيم النفسية وعدم إذلاله وقهره، يقول الله تعالى مخاطباً البشر: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ .(١٦) ومن وصايا القرآن الكريم الإحسان إلى اليتيم جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ .(١٧) وقوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ .(١٨)

وقوله تعالى في مخالطة الأيتام بقصد الإصلاح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ .(١٩)

وعن الإنفاق والتصدق بالمال للأيتام، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .(٢٠)

وفي القرآن الكريم ما يدلّ على العناية الإلهيّة بيتامى الصالحين في قصة نبيّ الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، حينما دخلا مدينة كان لأهلها موقف سلبيّ منهما، ومع ذلك فقد أصلح الخضر في تلك القرية جدارًا من دون أن يطلب من أهل المدينة أجرًا على ذلك، وحينما عاتبه موسى عليه السلام على ما فعل، على خلفية كون أهل المدينة لا يستحقون ذلك، أجابه الخضر[٢١]: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.[٢٢]

لقد حفظ الله بعنايته لهذين اليتيمين كنزهما المذخور جزاءً لصلاح أبيهما وقد ذكرت كتب التفسير أنه كان ذلك جزاء صلاح أب لهما بينهما، وبينه سبعة آباء.[٢٣]

وعن إطعام (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) وأهميته، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾.[٢٤]

لقد جند الإسلام المسلمين جميعاً للقيام بحق اليتامى والتقرب إلى الله بالعطف عليهم قال تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (البقرة ١٧٧).

وقد نال اليتيم المسلم من العناية به ما لم ينله أي قريب محتاج من ذوي الرحم المحرم، وقد رتب المولى عز وجل لمن يقوم بتربيته أرفع الدرجات، وإن المتمعن للآيات القرآنية والأحاديث الواردة في شأن إكرام اليتيم والعطف عليه يرى أنها تجعل منزلة اليتيم الأجنبي بعد الأقرباء في الأهمية فما بالك باليتيم القريب فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢١٥).[٢٥]

ولو رجعنا إلى العلاقة بين الإمام علي عليه السلام والقرآن الكريم نراها علاقة راسخة وثابتة، فهو قد ارتبط بالقرآن ارتباطاً موضوعياً ، إذ رافق نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله في كل المراحل، ابتداءً من النداء السماوي الأول: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) واستمرت تلك المرافقة في كل المواقف والأحداث والمواقع، التي نزل فيها وعلى ضوئها القرآن الكريم . وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وآله به عناية خاصة، وكان عليه السلام كثير الأسئلة للنبي صلى الله عليه وآله، فإذا سأل أجابه وإذا سكت ابتدأه، وقد علّمه ألف باب من العلم كما هو المشهور في كتب الحديث والسيرة.[٢٦]

٢.الأحاديث النبوية الشريفة

كان رسول الله صلى الله عليه وآله خير من مثل الأخلاق بكل معانيها في تعامله وسيرته مع الناس، وقد قال القرآن في حقه ﴿فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .[٢٧] ثم في آية أخرى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٨]، أو آية أخرى ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .[٢٩]

يؤكد القرآن على الجانب الإنساني والعلاقة الإيمانية، ففي الجانب الإنساني يؤكد على الاخلاق والسيرة الصالحة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع الناس كافة.[٣٠] فعن رعايته وعطفه صلى الله عليه وآله للأيتام والإحسان إليهم قال : "يبعث ناس عن قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواهم نارًا"، فقيل له : يا رسول الله، من هؤلاء ؟ قال صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ .

من هنا لما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الكبائر، قال عليه السلام، " وأكل مال اليتيم ظلماً " . وعن تأمين المسكن لليتيم عن رسول صلى الله عليه وآله : " من آوى يتيمًا أو يتيمين ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين " . والأصل في الإيواء أن يعيش اليتيم مع أفراد إحدى الأسر حياة طبيعية، وتفيد بعض الدراسات أن حياة اليتيم في ظلّ اسرته من أقربائه أفضل من إيوائه في ميتم مع أقرانه الأيتام.[٣١]

وقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله قال "خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه" . (٣٢)

وعنه صلى الله عليه وآله في إعالة اليتيم: "من قبض يتيمًا من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة البتّة، إلاّ أن يعمل ذنبًا لا يغفر له" . وعن الاهتمام العاطفيّ باليتيم، فإنّ حرمان اليتيم من عطف أبيه استدعى اهتمامًا دينيًّا، بتعويضه بعضًا من ذلك العطف، عبر الاهتمام بإخراجه، وإسعاده، وإشباع الحاجة العاطفيّة لديه فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "إنّ في الجنّة دارًا، يقال لها: دار الفرح لا يدخلها إلاّ من فرَّح يتامى المؤمنين ". (٣٣)

على ضوء الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، نرى ان الدين الإسلامي حرص على حث المجتمع ودعاه إلى سبيل الخير برعاية اليتيم في كل شأن من شؤون الحياة، والمحافظة على عدم التجاوز على حقوقه، حتى يحظى بحياة حرة كريمة ولئلا تنشىء بيئة خصبة للأمراض الاجتماعية والنفسية تكون أحد أسباب الإجرام، ومن ثَمَّ خلق مشاكل تكلف المجتمع.

المبحث الثاني : حقوق اليتيم في فكر الإمام علي عليه السلام

توطئة :

هل عرفت من الخلق أميراً توافرت لديه أسباب السلطان والثروة كما لم تتوافر لسواه، فإذا هو منها جميعاً في شقاء وحسرة دائمين؟

هل عرفت من الخلق أميراً على زمانه ومكانه يطحن لنفسه فيأكل ما يطحن خبزاً يابساً يكسره على ركبتيه، ويرقع خفّه بيديه، ولا يكتنز من دنياه كثيراً أو قليلاً على ما مرّ لأن همّه ليس إلا أن يكون للمستضعف والمظلوم والفقير يُنصفهم من المستغلين والمحتكرين ويمسك عليهم الحياة وكريم العيش؟ (٣٤)

إنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ولد في الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وكانت ولادته ﷺ في جوف الكعبة المشرفة يوم الجمعة، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سواه، اكراما من الله تعالى جل اسمه له بذلك، وإجلالا لمحله في التعظيم. (٣٥)

انه عليٌّ هذا هو الذيّ نام في فراش النبيّ ليلة الهجرة، وقد علم ما تأتمر به مكة كلها مِن قتل الراقِد على ذلك الفِراش . وقد كانت له صفات ومزايا فكرية تناصي المشهور المتفق عليه من صفاته النفسية ومزاياه الخلقية، فاتفق خصومه وأنصاره على بلاغته، واتفقوا على علمه وفطنته، وتفرقوا فيما عدا ذلك من رأيه في علاج الامور ودهائه في سياسة الرجال . فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الاسلامية وعرف العبادة من صلاة النبي وزوجته الطاهرة قبل ان يعرفها من صلاة ابيه وأمّه، وجمعت بينه وبين صاحِب الدعوة قرابة مضاعفة ومحبة أوثق من محبة القرّابة، فكان ابن عم محمّد عليه الصلاة والسلام وربيبه الذي نشأ في بيته ونَعم بعطفه وبره . وقد رأينا الغرباء يُحبون محمداً ويؤثرونه على آبائهم وذويهم . فلا جرم يحبه هذا الحبّ مَنْ يجمعه به جدٌّ، ويجمعه به بيتٌ، ويجمعه به جميل معروف : جميلُ أبي طالب يؤديه محمد وجميل محمد يحسُّه ابن أبي طالب ويأوي إليه. (٣٦)

لقد تميزت سيرة أمير المؤمنين علي ﷺ بخصال عديدة، كان من أوضحها تعامله الإنساني مع الآخرين، المبني على احترام الإنسان بوصفع إنساناً، بغض النظر عن أي شيء آخر، والمحافظة على حقوقه وشخصيته المادية والمعنوية في أي موقع ومكان، ومهما كان حجمه ومستواه. (٣٧)

لقد بادر الإمام عليّ من بداية حكمه لتنفيذ برامج الإصلاح، فعزل الولاة غير الصالحين للولاية، الذين أخذوا مواقعهم ضمن معادلة المحسوبيات، واستأثروا بالامتيازات وثروات الأمة. (٣٨)

لقد كان الإمام عادلاً، لم يتخل عن العدالة مرة في سبيل نفسه أو لأُمرة قوي أو متنفذ. ورفقته الطويلة للفقراء، ومشاركته لهم في حياتهم الضيقة ومتاعبهم، وعدم الانفصال عنهم طبقياً فكرة وعملاً، وعمله على كل ما يسعدهم ويرغدهم ويرفه عنهم، قد جعله ذلك إماما في جميع مراحل رجولته حتى يوم مصرعه. (٣٩)

وإنه لعدوان على الحق، أن يرى المرء كل تلك الحياة العريضة الشامخة، فلا ينحني لها إجلالاً واحتراما بالاعتراف بها عظيمة جليلة، والإشادة بها بما تستحق لتكون من جديد قدوة لمن يحسن الاقتداء . رحم الله أبا الحسن كلمة قالتها الأجيال صادقة معجبة، أو نادبة باكية، وليس لنا ما نقول أكثر من هذا . رحم الله أبا الحسن . فقد كان نفسه طوال حياته العظيمة المخلدة رحمة الناس. (٤٠)

ب الأول : الإمام علي عليه السلام وحقوق اليتيم

من اليسير أن نعرف سياسة الإمام علي عليه السلام بينه وبين رعاياه، من غير حاجة إلى الإطالة في التعريف وسرد الأمثال؛ لأنها سياسة الرجل الذي شاء القدر أن يجعله فدية للخلافة الدينية في نضالها الأخير مع الدولة الدنيوية. فالناس في الحقوق سواء لا محاباة لقويّ ولا إجحاف بضعيف، وقد عمد إلى القطائع التي وزعت قبله على المقربين والرؤساء، فانتزعها من القابضين عليها وردها إلى مال المسلمين لتوزيعها بين من يستحقونها على سنّة المساواة، وقال: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة ... ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق).

وفرض الرفق بالرعية على كل والٍ، فلا إرهاق ولا استغلال ولو كانت الحكومة هي صاحبة الحق في المال.

فمن وصاياه المكرّرة لِولاته : (انصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فانهم خزان الرعية ... ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه

عـن طلبتـه، ولا تبيعُـن للنـاس في الخـراج كسـوة شـتاء ولا صيـف ولا دابـة يعتملـون عليهـا، ولا عبـداً، ولا تضربـن أحـداً سـوطاً لمـكان درهـم ...). [٤١]

فضلاً عما أولته الشريعة الاسلامية سواء أفي القرآن الكريم أم السنة النبوية اهتماماً خاصاً باليتيم، فقد عاش الإمام تجربة خاصة في العناية بالأيتام، سواء حين كفلت اسرة الإمام - ولاسيما ابو طالب -الرسول ﷺ، أو كفالة الرسول ﷺ نفسه.

ويقول عليه السلام :" بئس الوزر أكل مال اليتيم"، "وبئس القوت أكل مال اليتيم".[٤٢]

وعـن النهي عـن أكل مـال اليتيم ظلـماً، عـن الإمـام عـليّ عليه السلام، في حديـث شـكواه مـن وجـع العـين، قـال : " قـال رسـول ﷺ: " يـا عـليّ، إنّ ملـك المـوت إذا نـزل لقبـض روح الفاجـر، نـزل معـه بسـفود [٤٣] مـن نـار فنـزع روحـه، فتصيـح جهنّـم، فاسـتوى عـليٌّ جالسـاً، فقـال : يـا رسـول الله، فهـل يصيـب ذلـك أحـداً مـن أمّتـك؟ فقـال ﷺ : نعـم، حاكـم جائـر، وآكل مـال اليتيـم، وشـاهد الـزور". [٤٤]

ونجـد في حديـث آخـر في اكل مـال اليتامى ومعاقبـة فاعلهـا، مـن كتـاب لـه إلى المنـذر بـن الجـارود العبـدي بقولـه عليه السلام: كيـف تُسـيغ شراباً وطعامـاً وانـت تعلم أنك تـأكل حرامـاً وتـشرب حرامـاً، وتبتـاع الإمـاء من مـال اليتامى والمسـاكين؟ فاتق الله وأردد إلى هـؤلاء القـوم أموالهـم، فإنـك إن لم تفعـل ثـم أمكنـني الله منـك لأعـذِرَنّ إلى الله فيـك، لأضربنـك بسـيفي الذي ما ضربتُ بـه أحـداً إلا دخـل النار. [٤٥]

وعَـدَّ الإمـام أكل أمـوال الأيتـام مـن الكبائـر ، وان اضاعـة حقـوق الأيتـام مـن مـؤشرات المجتمعـات الفاسـدة اذ يقـول عليه السلام : " يـأتي عـلى النـاس زمـان ترتفـع فيـه الفاحشـة ... وتسـتحل أمـوال اليتامى ".

ويقول عليه السلام ضمن الرؤية نفسها : " اذا كان زعيم القوم فاسقهم وأكرم الرجل اتقاء شره واعظم ارباب الدنيا واستخف بحملة القرآن وكانت تجارتهم الربا ومأكلهم أموال اليتامى ورفعت الاصوات في المساجد ... وكثر القراء وقل الفقهاء".

وهنا نتلمس أن الإمام على الرغم من تأكيده على الحكام في الأمة إلا أن رجال الدين، وأي قيادة اجتماعية أخرى، يجب ان يتحملوا مسؤوليتهم في الحفاظ على حقوق الضعفاء بدلا من أي جدل قد يكون عقيماً مهما كانت أسبابه ومظاهره.

وينبه الإمام عليه السلام على مسالة الرعاية النفسية والتربوية للأيتام، حتى انه عليه السلام يقول : "ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على راس يتيم ترحما له الا كتب الله له بكل شعره مرت يده عليها حسنة " .

وقد قدم الإمام الاسوة على مثل هذا السلوك سواء أبوصفه إنساناً أم بوصفه حاكماً فيروي التاريخ انه حين " وصل إلى امير المؤمنين عليه السلام عسل ... أمر العرفاء ان ياتوا باليتامى فامكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها . وقال عليه السلام : " ان الإمام ابا اليتامى" .

ويحدد المفكر علي الخامنئي طبيعة العلاقة بين الإمام والأيتام قائلا :" كان الإمام عليه السلام السابق في رعاية الأيتام فاليتيم اشد حاجة للعطف والحنان محروم من تلك البسمة الابوية العأمرة بالمحبة ... فكان عليه السلام ملاطفاً للأيتام يجلسهم في حضنه يلاعبهم كي لا يشعروا بالحزن والكآبة .. وفي تلك الليلة – ليلة وفاته – العشرين من شهر رمضان، انتظر الاطفال ..الذين كان يجلسهم على ركبته ويمسح رؤوسهم بكل لطف يطعمهم بيده .. انتظروا ذلك الرجل .. لكنه لم يأت .. وعندما طلب الطبيب المعالج للإمام احضار الحليب لعله يدفع اثر السم ترى كيف أن عشرات الأطفال الأيتام اتوا من كل أنحاء

الكوفة يحمل كل منهم اناء فيه حليب واندفعوا نحو منزل الإمام يريدون رد الجميل وشكره على محبته ورعايته و حنانه.(٤٦) وعن إعالة اليتيم وإكرامه، عنه عليه السلام عن رسول صلى الله عليه وآله قال : " من عال يتيماً حتّى يستغني، أوجب الله عزّ وجلّ له بذلك الجنّة كما أوجب لأكل مال اليتيم النار".

وعنه عليه السلام قال: " من رعى الأيتام، رُعي في بنيه".

وعنه عليه السلام : " أدّب اليتيم ممّا تؤدّب منه ولدك واضربه مما تضرب منه ولدك ".

وعن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال جيء بمقدار من العسل إلى بيت المال، فأمر الإمام عليّ عليه السلام بإحضار الأيتام، وفي الحين الذي كان يقسم العسل على المستحقّين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل، فقيل له يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونلها ؟ فقال: "إنّ الإمام أبو اليتامى وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء" .

وعن ظلم اليتيم، عنه عليه السلام، أنّه قال: "من ظلم يتيماً عقّ أولاده" . (٤٧)

وعن رحمة مساعدة الضعيف والمظلوم ورحمة الارملة واليتيم، قال عليه السلام : " أعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم ". (٤٨)

وعن إستحباب مسح رأس اليتيم، عن محمّد بن عليّ بن الحسين، قال: قال علي عليه السلام : ما من عبد يمسح يده على رأس يتيم ترحّماً له، إلاّ أعطاه الله عزّ وجلّ بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة.

وعن الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن سلمة بن الخطّاب، عن إسماعيل بن إسحاق، عن إسماعيل بن أبان، عن غياث بن إبراهيم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال:

" ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحّماً به إلاّ كتب له بكلّ شعرة مرّت يده عليها حسنة " . (٤٩)

ومن أقواله المأثورة عليه السلام: " ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمن فان في هذه الطبقة قانعا و معترا و احفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، و قسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، و كل قد استرعيت حقه و لا يشغلنك عنهم بطر، فانك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همك عنهم، و لا تصعر خدك لهم، و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون و تحتقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه، و تعهد أهل اليتم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسالة نفسه و ذلك على الولاة ثقيل و الحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم".[٥٠]

وفي هذا المقطع يبدأ عليه السلام الفقرة بعبارة ليس تعجباً (الله، الله) من اجل التشديد على ضرورتها وإلحاحها، ويتعلق التوجيه هنا بأناس لا مورد لهم على الاطلاق (أهل البؤس والزَّمْنى[٥١] واليتامى وكبار السن) أولئك الذين هم أحوج إلى الانصاف من غيرهم والذين يجب معاملتهم بطريقة تؤدي إلى (الإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه) .[٥٢]

وهذا المقطع جزء من رسالته عليه السلام إلى مالك الاشتر واليه على مصر، وتظهر فيها عبقرية الإمام في جميع رحابها، عبقرية عجيبة زاخرة بالعظمة، من عدالة الحكم والحنكة السياسية ومسؤوليات وواجبات الحاكم مع الرعية، وهي بحق قانون يقتدى به، في مساعدة الضعفاء من المساكين والمحتاجين واليتامى.

وفي سكرات الموت بعد ضربة اللعين ابن ملجم المرادي، وفي أنفاسه

الأخيـــره ﷺ يـوصي ولديـه الحسـن والحسـين ﷺ بتقـوى الله وتـرك زينـة الحيـاة الدنيـا ومـا حـوت ثـم قـول الحـق، فالحـق عنـد عـلي ﷺ معنـاه إرادة الله وكلمتـه ففيهـا نجـاة الامـة وخلاصهـا وإسـتقامتها، ثـم أكـد عـلى حمايـة اليتيـم والرأفـه والرحمـة بـه بقولـه:

" اوصيكـما بتقـوى الله وحـده، ولا تبغيـا الدنيـا وان بغتكـما، ولا تأسـفا عـلى شيء منهـا، قـولا الحـق، وإرحمـا اليتيـم، وأعينـا الضعيـف، وكونـا للظـالم خصـماً وللمظلـوم عونـاً ولا تأخذكـما في الله لومـة لائـم" . (٥٣)

وتكريـماً لأمـير المؤمنـين عـليّ بـن أبي طالـب ﷺ أصـدرت الأمـم المتحـدة، في العـام ٢٠٠٢، تقريـراً باللغـة الإنكليزيـة بمائـة وسـتين صفحـة، أعـده برنامـج الأمم المتحـدة الإنمائـي الخـاص بحقـوق الإنسـان وتحسـين البيئـة والمعيشـة والتعليـم، حيـث تـم ففيـه اتخـذ الإمـام عـليّ ﷺ مـن لـدن المجتمـع الـدولي شـخصيةً متميـزة، ومثـلاً أعـلى في إشـاعة العدالـة، والـرأي الآخـر، واحـترام حقـوق النـاس جميعـاً مسـلمين وغـير مسـلمين، وتطويـر المعرفـة والعلـوم، وتأسـيس الدولـة عـلى أسـس التسـامح والخـير والتعدديـة، وعـدم خنـق الحريـات العامـة.

وقـد تضمـن التقريـر مقتطفـات مـن وصايـا أمـير المؤمنـين ﷺ الموجـودة في نهـج البلاغـة، التـي يـوصي بهـا عمالـه، وقـادة جنـده، إذ يذكـر التقريـر أنَّ هـذه الوصايـا الرائعـة تعـد مفخـرة لنشر العدالـة، وتطويـر المعرفـة، واحـترام حقـوق الإنسـان .

وشـدد التقريـر الـدولي عـلى أن تأخـذ الـدول العربيـة بهـذه الوصايـا في برامجهـا السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة والتعليميـة؛ لأنهـا (لا تـزال بعيـدة عـن عـالم الديمقراطيـة، ومنـع تمثيـل السـكان، وعـدم مشـاركة المـرأة في شـؤون الحيـاة، وبعيـدة عـن التطـور وأسـاليب المعرفـة).

والملاحظ أنَّ التقرير المذكور قد وزع على جميع دول الأمم المتحدة، فقد اشتمل على منهجية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في السياسة والحكم، وإدارة البلاد، والمشورة بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الفساد الإداري والمالي، وتحقيق مصالح الناس، وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة .(٥٤)

المطلب الثاني : قصص عنه عليه السلام في رعايته للأيتام

١ .عن قصته عليه السلام والطفل اليتيم، كان عليه السلام يمر في طريق فرأى غلاماً يبكي فاقترب منه وضمّه إلى صدره ومسح دموعه وسأله عن سبب بكائه فقال الغلام ؟ جئت إلى هنا لألعب مع هؤلاء الصبيان ولكنهم طردوني لأنّني يتيم الأب وقالوا لي : نحن لا نلعب مع مَنْ ليس له أب . فتأثر الإمام علي عليه السلام وأغرورقت عيناه بالدموع وضم الصبي إلى صدره وأعطاه قطعة من النقود وقال : " اذهب والعب مع الصبيان فإنْ قالوا لك : إنّك ليس لك أب، فقل لهم إن أبي هو علي بن أبي طالب " . (٥٥)

٢ .عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتي عمر بن الخطاب بجارية قد شهدوا عليها أنها بغت، وكان من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل، وكان الرجل كثيرا ما يغيب عن أهله، فشبت اليتيمة، فتخوفت المرأة أن يتزوجها زوجها، فدعت بنسوة حتى أمسكنها، فأخذت عذرتها بإصبعها. فلما قدم زوجها من غيبته رمت المرأة اليتيمة بالفاحشة، فأقامت البينة من جاراتها اللاتي ساعدنها على ذلك، فرفع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي فيها. ثم قال للرجل: ائت علي بن أبي طالب، واذهب بنا إليه، فأتوا عليا عليه السلام، وقصوا عليه القصة.

فقال لأمرأة الرجل: ألك بينة أو برهان؟!

قالت: لي شهود، هؤلاء جاراتي يشهدن عليها بما أقول، وأحضرتهن. فأخرج علي ﷺ السيف من غمده، فطرحه بين يديه، وأمر بكل واحدة منهن فأدخلت بيتاً. ثم دعا أمرأة الرجل فأدارها بكل وجه، فأبت أن تزول عن قولها، فردها إلى البيت الذي كانت فيه. ودعا إحدى الشهود، وجثا على ركبتيه، ثم قال: تعرفيني؟! أنا علي بن أبي طالب، وهذا سيفي، وقد قالت أمرأة الرجل ما قالت، ورجعت إلى الحق، فأعطيتها الأمان، وإن لم تصدقيني لأمكنن (لأملأن خ. ل) السيف منك. فالتفتت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين، الأمان على الصدق. فقال لها علي ﷺ: فاصدقي. فقالت: لا والله، إنها رأت جمالا وهيئة، فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر، ودعتنا فأمسكناها، فافتضتها بإصبعها. فقال علي ﷺ: الله أكبر، أنا أول من فرق بين الشهود إلا دانيال النبي ﷺ، وألزمهن علي ﷺ بحد القاذف. وألزمهن جميعا المهر، وجعل مهرها أربعمائة درهم، وأمر المرأة أن تنفى من الرجل، ويطلقها زوجها، وزوجه الجارية، وساق عنه علي ﷺ مهرها. (٥٦)

المطلب الثالث :

أقوال رسول الله محمد ﷺ بحق الإمام علي ﷺ :

- (ياعلي انت فاروق هذه الامة وصديقها).
- (ياعلي : انت تعلم الناس من بعدي ما لا يتعلمون).
- (أقضاكم علي " ﷺ ").
- (أفقهكم علي " ﷺ").
- (أعلمكم علي " ﷺ").
- (أول الناس إيماناً علي " ﷺ ") .
- (علي مع الحق، والحق مع علي "ﷺ").

- (علي مع القرآن، والقرآن مع علي" عليه السلام").
- (أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب).
- (علي وعاء علمي ووصي وبأبي الذي أوتي منه) .
- (أنا مدينة العلم وعلي بابها). (٥٧)

ما تقدم ذكره في هذا المبحث، نرى بوضوح كيف ان الإمام عليه السلام كان شديد العناية بالأيتام عطوفاً حنوناً عليهم، وجعلهم من أهم مسؤولياته وواجباته، وان رعاية الأيتام والبر بهم والإحسان إليهم عند الإمام جزء من رسالة الإسلام التي أكدت عليها.

وإننا لنعجز عن إحاطة صفحات شخصيته النبيلة وإنسانيته العطرة وفضائله ومكارمه، وان ما تحدث عنه التاريخ حول المبادئ والأخلاق الإنسانية للإمام علي عليه السلام في رعايته للطفل اليتيم، لا بد أن نأخذها دروساً ومبادئ وقواعد قانونية لحقوق الإنسان،، فقد كانت أحاديثه ومواعظه عليه السلام واضحة الرؤية في حفظ كرامة الطفل اليتيم وحقوقه، كحقوقه المالية، وحق الإطعام، وحقه في الإيواء، وحق الإحسان إليه، وحرمة عدم قهره وإذلاله. وأن منهجه عليه السلام في حمايته لحقوق الطفل اليتيم جعله حقاً مقدساً، وهو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه جاء على المستوى القانوني والتنفيذي، وان منهج القانون العادل، وإقامة العدل، كان يوليه أهمية كبيرة في هذا الجانب.

وخلاصة القول يتضح لنا، أن مبادئ حقوق الطفل اليتيم في فكر الإمام علي عليه السلام التي دأب عليها لكي يرفع قدر الطفل اليتيم ويحافظ على شخصيته، ويجنبه الظلم والاضطهاد بكل أشكاله، قد سبقت نصوص القوانين الدولية بـ (١٤) قرناً في إقرار هذه الحقوق وحمايتها.

المبحث الثالث: حماية حقوق الطفل اليتيم في ضوء المواثيق والمعاهدات الدولية

توطئة:

نظراً لما للطفولة من صفات ضعف وحاجة إلى رعاية ولا سيما الطفل اليتيم، فقد أولى المشرّع الدولي جل رعايته بحماية الطفل، وذلك بسن العديد من المواثيق والاتفاقيات على الصعيد الدولي العالمي والإقليمي المتعلقة بحقوق الإنسان التي اعترفت لكل طفل يتيم أو غير يتيم الحق بها. ويظهر ذلك من خلال العديد من هذه المواثيق الدولية التي تناولت في نصوصها حقوق الطفل منها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومنها ما تطرقت في بعض نصوصها إلى حقوق الطفل اليتيم بشكل مباشر ومفصل، كاتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩ .

وفي جانب البحوث والتشريعات الخاصة بحماية حقوق اليتيم، يمكن القول إن جهود الفقهاء والباحثين والمهتمين، قد أعطى أهمية، من خلال تقديم البحوث والمشاريع الدراسية في هذا الجانب من أجل البحث عن الحلول المناسبة للمشأكل التي تواجه الطفل اليتيم، والعمل على الحد من السلوكيات الخاطئة بحقه، على وفق أطر قانونية .

وبناءاً على ما سبق، فإن المطالبة بحماية حقوق الطفل يُعدُّ حقا من حقوق الدول والشعوب، التي كفلتها لهم التشريعات والقوانين الدولية والإقليمية والوطنية.

ولتوضيح نطاق تطور حماية حقوق الطفل، ولأبراز المسار الذي قطعه المجتمع الدولي في تقنين حقوق الطفل اليتيم، سنعرض أهم وأبرز المواثيق والمعاهدات على الصعيد الدولي العالمي والاقليمي.

ولأنّ المجال لا يسع لإيراد جميع نصوص المواثيق الدولية على الصعيد الدولي التي اهتمت بحماية حقوق الأطفال والتي جاءت نصوصها مجملة، ومنها حقوق اليتيم، والنصوص القانونية التي نصت صراحة على حقوقه، سنكتفي بتناول

اتفاقية حقوق الطفل بِعَدّها الصك القانوني الدولي الأول في هذا المجال، ومن ثم بيان أبرز هذه المواثيق الدولية حسب الأولوية التاريخية لها.

وتم تناول البحث على وفق السياق الآتي:

المطلب الأول: أهم المواثيق والمعاهدات الدولية

أ.اتفاقية حقوق الطفل للعام ١٩٨٩م

في العام ١٩٨٩، أقرّ زعماء العالم بحاجة أطفال العالم إلى اتفاقية خاصة بهم؛ لأنه غالبا ما يحتاج الأشخاص دون الثامنة عشر إلى رعاية خاصة وحماية لا يحتاجها الكبار. وأراد الزعماء أيضاً ضمان اعتراف العالم بحقوق الأطفال. وتُعدّ اتفاقية حقوق الطفل الصك القانوني الدولي الأول الذي يلزم الدول الأطراف من ناحية قانونية بدمج السلسلة الكاملة لحقوق الإنسان، أي الحقوق المدنية والسياسية، إضافة إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد حققت الاتفاقية القبول العالمي تقريباً، وقد تم التصديق عليها حتى الآن من لدن ١٩٣ طرفاً أكثر من الدول التي انضمت إلى منظومة الأمم المتحدة أو الدول التي اعترفت باتفاقيات جنيف.

وتتمثل مهمة اليونيسف في حماية حقوق الأطفال ومناصرتها لمساعدتهم في تلبية احتياجاتهم الأساسية وتوسيع الفرص المتاحة لهم لبلوغ الحد الأقصى من طاقاتهم وقدراتهم. وتسترشد اليونيسف بتنفيذها لهذه المهمة بنصوص ومبادئ اتفاقية حقوق الطفل.

وتتضمن الاتفاقية ٥٤ مادة، وبروتوكولين اختياريين. وهي توضّح بطريقة لا لَبْسَ فيها حقوق الإنسان الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الأطفال في أي مكان ودون تمييز، وهذه الحقوق هي: حق الطفل في البقاء، والتطور والنمو إلى أقصى حد، والحماية من التأثيرات المضرة، وسوء المعاملة والاستغلال، والمشاركة الكاملة في الأسرة، وفي الحياة الثقافية والاجتماعية.

وكل حق من الحقوق التي تنص عليه الاتفاقية بوضوح، يتلازم بطبيعته مع الكرامة الإنسانية للطفل وتطويره وتنميته المنسجمة معها.

وتحمي الاتفاقية حقوق الأطفال عن طريق وضع المعايير الخاصة بالرعاية الصحية والتعليم والخدمات الاجتماعية والمدنية والقانونية المتعلقة بالطفل. وبموافقتها على الالتزام (بتصديقها على هذا الصك أو الانضمام إليه)، تكون الحكومات الوطنية قد ألزمت نفسها بحماية وضمان حقوق الأطفال، ووافقت على تحمل مسؤولية هذا الالتزام إمام المجتمع الدولي. وتُلزم الاتفاقية الدول الأطراف بتطوير وتنفيذ جميع إجراءاتها وسياساتها على ضوء المصالح الفُضلى للطفل .[٥٨]

ويتم تقديم الحماية الخاصة بالأطفال على مستوى الأمم المتحدة من خلال الاتفاقية، وهي الاتفاقية المصادق عليها على أوسع نطاق (ما عدا الولايات المتحدة والصومال اللتان لم تصادقا عليها). والمبادئ الأربعة الأساسية لهذه الاتفاقية هي: عدم التمييز والالتزام بالدفاع عن المصلحة الفضلى للطفلة والحق في الحياة والبقاء والنمو واحترام آراء الطفل. [٥٩] فقـــــد قررت المادة (٢٠) من الاتفاقية مايلي:

- للطفل المحروم بصفة مؤقتة أو دائمة من بيئته العائلية أو الذي لا يسمح له، حفاظا على مصالحه الفصلى، بالبقاء في تلك البيئة، الحق في حماية ومساعدة خاصتين توفرهما الدولة.
- تضمن الدول الأطراف، وفقا لقوانينها الوطنية، رعاية بديلة لمثل هذا الطفل.
- يمكن أن تشمل هذه الرعاية، في جملة أمور، الحضانة، أو الكفالة الواردة في القانون الإسلامي، أو التبني، أو عند الضرورة، الإقامة في مؤسسات مناسبة لرعاية الأطفال. وعند النظر في الحلول، ينبغي إيلاء الاعتبار الواجب لاستصواب الاستمرارية في تربية الطفل ولخلفية الطفل الإثنية والدينية والثقافية واللغوية .[٦٠]

ونلاحظ اعتراف الفقرة (١) من المادة السابقة، بأنه يجب أن يتمتع الطفل المحروم بصفة مؤقتة أو دائمة من بيئته العائلية، على توفير حماية ومساعدة خاصتين له، وقد حث المشرّع الدولة على ذلك .

وألزمت الدول الأطراف، في الفقرة (٢) من المادة نفسها وفقا لقوانينها الوطنية، أن تقدم رعاية بديلة لهذا الطفل في مثل هذه الحالة.

أما الفقرة (٣)، فقد أقر المشرّع الدولي أن تشمل الرعاية عدة أمور منها الحضانة، أو الكفالة على وفق أحكام الشريعة الإسلامية، أو التبني الذي لم تقره الشريعة الاسلامية ولكن الكثير من الدول الغربية تبنته وقننت أحكامه، أو إقامة هذا الطفل المحروم في مؤسسات خاصة معنية برعاية الأطفال .

ويختتم المشرّع الفقرة نفسها بإيلاء الإهتمام بتربية الطفل وفقاً لخلفيته الإثنية والدينية والثقافية واللغوية .

ولدعم القضاء على سوء المعاملة والاستغلال المنتشرين بصورة متزايدة في أنحاء العالم اعتمدت الجمعية العامة في العام ٢٠٠٠ البروتوكولين الاختياريين الملحقين بالاتفاقية والمتعلقين بحماية الأطفال من الاستغلال الجنسي والمشاركة في الصراع المسلح.

يحدد البروتوكول الاختياري الخاص بعدم مشاركة الأطفال في النزاعات المسلحة في سن الثامنة عشر على أنّه الحد الأدنى للتجنيد القسري. ويطالب الدول ببذل أقصى طاقاتها لحظر من هم دون الثامنة عشر من الاشتراك اشتراكا مباشراً في النشاطات العدائية.

ويشدد البروتوكول الاختياري المتعلق بالإتجار في الأطفال، وبغاء الأطفال واستخدام الأطفال في المواد والعروض الإباحية؛ على ضرورة تجريم هذة الانتهاكات الخطيرة لحقوق الطفل ويركز على أهمية زيادة الوعي العام والتعاون الدولي في الجهود الرامية لمكافحة تلك الانتهاكات. [٦١]

والبروتوكول الثالث الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل المتعلق بإجراء تقديم البلاغات، فُتح باب التوقيع على البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل المتعلق بإجراء تقديم البلاغات في ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٢ في جنيف. ووقعت ٢٠ دولة على البروتوكول الاختياري.

ب : أهم المواثيق الدولية التي اهتمت بحماية حقوق الطفل اليتيم، منها:

١. إعلان حقوق الطفل للعام ١٩٢٤ - جنيف اعتمد من المجلس العام للاتحاد الدولي لإغاثة الأطفال في جلسته بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٢٣، وتم التصويت النهائي عليه من اللجنة التنفيذية في جلستها بتاريخ ١٧ مايو ١٩٢٣، والموقع عليه من أعضاء المجلس العام في فبراير ١٩٢٤ . وأكد بأن على الإنسانية أن تقدم للطفل خير ما عندها، وأكد على إيواء وإنقاذ اليتيم والمهجور، إذ نص المبدأ (٣) من الإعلان على : (الطفل الجائع يجب أن يطعم، والطفل المريض يجب أن يعالج، والطفل المتخلف يجب أن يشجع، والطفل المنحرف يجب أن يعاد للطريق الصحيح، واليتيم والمهجور يجب إيواؤهما وإنقاذهما). [٦٢]

٢. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م. وَعَدَّت الجمعية العامة هذا الإعلان بوصفه المثل الأعلى المشترك الذي ينبغي أن تبلغه كافة الشعوب وكافة الأمم، ويتألف الإعلان من ثلاثين مادة تناولت كلا من الحقوق المدنية والسياسية إضافة للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والملاحظ في الإعلان ان جميع نصوصه تتعلق بحقوق الإنسان ومنها حقوق الطفل، ومنها ما جاء في نص الفقرة (٢) من المادة (٢٥) من الاعلان جاءت صراحة على حقوق الطفل، إذ نصت على : (للأمومة والطفولة حق في رعاية ومساعدة خاصتين. ولجميع الأطفال حق التمتع بذات الحماية الاجتماعية سواء ولدوا في إطار الزواج أو خارج هذا الإطار) . على وفق نص المادة (١) منه قرر

المشرع أنه يجب أن يتاح للطفل اليتيم الحق في الرعاية والمساعدة، وأن يتمتع بالحرية والحق في المساواة بالكرامة والحقوق، إذ جاء نص المادة: " يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء." .

٣.إعلان حقوق الطفل ٢٠/ ١١/ ١٩٥٩. إذ نص المبدأ السادس منه صراحة على تقديم عناية خاصة للأطفال المحرومين من الأسرة، فنص على : (يحتاج الطفل لكي ينعم بشخصية منسجمة النمو مكتملة التفتح إلى الحب والتفهم. ولذلك يراعي أن تتم تنشئته إلى أبعد مدى ممكن، برعاية والديه وفي ظل مسؤوليتهما، وعلى أي حال، في جو يسوده الحنان والأمن المعنوي والمادي فلا يجوز، إلا في ظروف استثنائية، فصل الطفل الصغير عن أمه. ويجب على المجتمع والسلطات العامة تقديم عناية خاصة للأطفال المحرومين من الأسرة وأولئك المفتقرين إلى كفاف العيش. ويحسن دفع مساعدات حكومية وغير حكومية للقيام بنفقة أطفال الأسر الكبيرة العدد). [٦٣]

٤.العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٠٠ ألف (د-٢١) المؤرخ في ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٦، تاريخ بدء النفاذ: ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٦، المادة (١٠).

٥.إعلان حقوق الطفل ورعايته في الإسلام الذي أقره مؤتمر القمة الإسلامية السابع بالقرار رقم ١٦/ ٧- ث (ق. أ) (١٩٩٤م).

٦.إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام الذي أقره المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء الخارجية بالقرار رقم ٤٩/ ١٩- س (١٩٩٠م).

٧. البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال

واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦٣ الدورة الرابعة والخمسون المؤرخ في ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٠ دخل حيز النفاذ في ١٨ يناير ٢٠٠٢ .

٨. البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة، اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦٣ الدورة الرابعة والخمسون المؤرخ في ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٠ دخل حيز النفاذ في ٢٣ فبراير ٢٠٠٢ .

المطلب الثاني : حقوق الطفل اليتيم في ضوء المواثيق الدولية الإقليمية

لاشك في أنَّ هناك الكثير من المواثيق والمعاهدات الدولية على الصعيد الإقليمي التي عالجت مشكلة حقوق اليتيم نظراً لأهمية الموضوع، ووضعت معايير وحلولاً لمعالجتها، سنعرض هنا نماذج لأهم الاتفاقيات والمعاهدات التي اهتمت بحماية حقوق الأطفال والتي جاءت نصوصها مجملة، وحقوق الطفل اليتيم جزء منها بِعَدّه طفلاً، والنصوص القانونية التي نصت صراحة على حقوق الطفل اليتيم، وتم تناول الموضوع على وفق السياق الآتي:

١. الاتفاقية الأوربية بشأن ممارسة حقوق الطفل للعام ١٩٩٦م . (٦٤)

٢. الميثاق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل ١٩٩٠، بدأ العمل به في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٩، وبالرجوع إلى المادة(٢٥) من الميثاق المعنونة(الانفصال عن الاباء)، فقد تناولت فقراتها الثلاث حقوق الطفل اليتيم، فقد نصت على: ١. يكون من حق أي طفل محروم بصفة دائمة أو مؤقتة من البيئة الأسرية لأي سبب، الحماية والمساعدة الخاصة. ٢. الدول أطراف هذا الميثاق: (أ) تضمن أن الطفل اليتيم أو المحروم بصفة دائمة أو مؤقتة من البيئة الأسرية، أو الذي لا

يمكن أن تتم تربيته أو يبقى في تلك البيئة، يتم تهيئة أسرة بديلة له، ويشمل ذلك – من بين أشياء أخرى – التربية أو إيداعه في مؤسسات مناسبة لرعاية الأطفال، (ب) تتخذ كافة الإجراءات اللازمة لتتبع وإعادة إلحاق الأطفال بالآباء أو الأقارب متى كان الانفصال هو التشرد داخلياً أو خارجياً بسبب النزاعات المسلحة أو الكوارث الطبيعية. ٣. عند بحث رعاية الأسرة البديلة للطفل، والمصالح المثلى له يعطى الاعتبار الواجب للرغبة في مواصلة تربية الطفل، والخلفية العرقية أو الدينية أو اللغوية للطفل.) [٦٥]

٣. الإطار العربي لحقوق الطفل للعام ٢٠٠١م. إذ نرى ان النص جاء مباشراً وصريحاً في مجال حقوق الحماية للطفل اليتيم وذلك في نص فقرة الأهداف - ثانيا - أهداف تتصل بتطبيق وتفعيل حقوق الطفل - الفقرة الاخيرة من (في مجال حقوق الحماية) تمكين الطفل من حقه في الحماية من العنف وسوء المعاملة والأذى والإهمال والتعرض للمخاطر والانحراف وإدمان المخدرات ومخاطر النزاعات المسلحة، ومن الاستغلال الاقتصادي... وفي سبيل ذلك يتم العمل على: (معالجة الظروف الصعبة للأطفال الجانحين واليتامى واللاجئين والأطفال في ظروف الاحتلال والحصار والنزاعات والكوارث الطبيعية والنزاعات المسلحة الذين يعيشون في ظروف غير طبيعية نتيجة لتفكك الأسرة، والأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة من المعاقين بدنيا أو ذهنيا أو اجتماعيا، وتوفير سبل الوقاية والعلاج المبكر والتأهيل لهم). [٦٦]

٤. الميثاق الاجتماعي الأوربي١٩٩٦م.

٥. ميثاق حقوق الطفل العربي ١٩٨٤م.

٦. عهد حقوق الطفل في الإسلام الذي اعتمد وفتح باب التوقيع والانضمام والتصديق عليه من المؤتمر الإسلامي الثاني والثلاثين لوزراء الخارجية

المنعقد في صنعاء - اليمن، خلال المدة من ٢٨ إلى ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥ الموافق ٢١ إلى ٢٣ جمادي الأول ١٤٢٦، إيمانا من الدول الأطراف في هذا العهد منها بأن الإسلام بقيمه ومبادئه يشكل أنماط السلوك للمجتمع المسلم بما يوفر له الأمن والاستقرار، ويحقق له التقدم والازدهار في كنف الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع. وطبقا لما جاء في العهد من اعتراف على وفق المادة (٢) فقرة (٤) منه لجميع الاطفال حق التعليم الأساسي الإلزامي والثانوي بالمجان، وهذا يعني أنه يجب أن تتاح للطفل اليتيم امكانية الحصول علي التعليم المجاني على مستوى التعليم الأساسي الإلزامي والثانوي. إذ نصت الفقرة على : " تعميم التعليم الأساسي الإلزامي والثانوي بالمجان لجميع الأطفال، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الجنسية أو الدين أو المولد أو أي اعتبار آخر، وتطوير التعليم من خلال الارتقاء بالمناهج والمعلمين، وإتاحة فرص التدريب المهني".

وبموجب الفقرة (٦) من المادة (٢) الزم المشرّع الدول الاعضاء بتوفير الرعاية اللازمة للاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ولمن يعيشون في ظروف وأحوال صعبة والعمل على معالجة الأسباب التي تؤدي إلى ذلك .

والزم المشرّع في نص الفقرة (٤) من المادة (٣) الدول على المساواة بين الاطفال في جملة أمور في الرعاية والحقوق والواجبات بين الأطفال، وهذا يعني أنه يجب أن تتاح للطفل اليتيم هذه الحقوق إسوة بغيره من الاطفال. وعن المساواة أيضاً نصت المادة (٥) منه على : (تكفل الدول الأطراف تساوي جميع الأطفال بمقتضى التشريع في التمتع بالحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا العهد، بغض النظر عن الجنس أو المولد أو العرق أو الدين أو اللغة أو الانتماء السياسي، أو أي اعتبار آخر يقوم في حق الطفل أو الأسرة أو من يمثله شرعا أو قانوناً) . (٦٧)

المطلب الثالث : يـــوم اليتيـــم

تحتفل دول العالم بيوم مخصص للأيتام على الصعيد الدولي والإقليمي والمحلي، يتم فيه تنظيم عدد من الأنشطة الثقافية والاجتماعية دعماً للأيتام، منها:

١.يوم اليتيم العالمي

مما يؤسف له أن ملايين الأطفال في جميع أنحاء العالم أصبحوا يتامى لأسباب عديدة: الحرب أو المجاعة أو التشريد أو المرض أو الفقر. وللتأكد من عدم نسيانهم، مرة واحدة في السنة هناك يوم خاص مخصص لهم وهو يوم الأيتام العالمي، الذي ينعقد يوم الإثنين الثاني من كل شهر نوفمبر. وقد تم وضع هذا اليوم الخاص من أجل لفت الانتباه إلى محنة الأيتام في العالم. (٦٨)

٢.يوم اليتيم في العالم الاسلامي

قامت هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات بمشاركة إدارة الشؤون الإنسانية في منظمة التعاون الإسلامي في شهر ديسمبر ٢٠١٣ بتنظيم المؤتمر الخامس للمنظمات المدنية في العالم الإسلامي بموضوع () دور منظمات المجتمع "المدني المتنامي في العالم الإسلامي . وشارك في المؤتمر الذي ضم ممثلين رفيعي المستوى من مختلف منظمات المجتمع المدني في العالم الإسلامي نيابة عن الهيئة الرئيس العام السيد بولنت يلدرم الذي تحدث في كلمته عن الأيتام ومشأكلهم وعن رغبتهم في إعلان أول يوم في حرب البوسنة كيوم عالمي للأيتام. وفقا للقرار الذي صدر عن إجتماع مجلس وزراء الخارجية الاعضاء في منظمة التعاون الإسلامي بعد طلب تم تقديمه قبل ستة اشهر، تم إعلان الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من كل عام يوما للأيتام في العالم الإسلامي . (٦٩)

٣.اليوم العربي لليتيم

تحيي جامعة الدول العربية "الأمانة الفنية للجنة الطفولة العربية" تحت رعاية معالي الأمين العام في الأسبوع الأول من شهر إبريل/ نيسان من كل عام "اليوم العربي لليتيم". استناداً إلى قرار مجلس وزراء الشؤون الاجتماعية العرب في دورته السادسة والعشرين بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٦، الذي نص على: "تخصيص يوم عربي لليتيم تحتفل به الدول العربية"، وتجدد جامعة الدول العربية بهذه المناسبة التزامها الكامل تجاه حقوق الأطفال ومصلحتهم الفضلى وبصفة خاصة الأيتام منهم، وتؤكد عزمها على مضاعفة الجهود الرامية إلى وضع معايير موحدة في مجال الرعاية المثلى للأيتام على المستوى العربي وصولاً إلى تحقيق أعلى مستوى من الرعاية والحماية للأطفال للأيتام. (٧٠)

الخاتمة

مما سبق يتضح ان هذا الموضوع يتناول جانباً إنسانياً شديد الأهمية، وفي ضوء عرض جملة المواثيق الدولية السابقة المتعلقة بحقوق الإنسان التي إعترفت لكل طفل بلا استثناء الحق بها، إنها قد اتفقت مع وصايا الإمام علي عليه السلام ومواعظه المعنية بحقوق الطفل اليتيم التي دعى وحث على الالتزام بها وفرض عقوبات على مخالفتها، والتي كانت قد سبقت نصوص اللوائح والمواثيق الدولية منذ ما يزيد على الالف واربعمائة عـــام في ذلك .....ونرى ان التقاء الفكرين في مسألة تُعدّ من أهم المسائل الإنسانية، يتضح كنور الشمس لمن عقد مقارنة، من خلال فلســـفته عليه السلام في رعاية الطفل اليتيم التي تقوم على وفق معايير وإلتزامات من أجل حمايته ورفاهيته، وإبعاده عن دائرة الجوع والإذلال والتشرد والحاجة، وفي تعزيز كرامته الإنسانية، ليكون محمياً من جميع الجوانب الحياتية، منها ما نـــادى به عليه السلام في مبدأ المساواة والتكافل الاجتماعي بين الاطفال، وفي حماية الحقوق العامة من حق التعلم، والصحة، والسكن، والراحة الجسدية والنفسية، وحق الطفل في النفقة وحفظ حقوقه المادية، وحمايته وتربيته على مبادىء المثل العليا من التسامح والمساواة والإخاء والكرامة والمودة. وينبغي علينا أخذ هذه الدروس المواعظ لكي يستفاد منها المجتمع والافراد، وأن تحظى بكل اهتمام في التطبيق والتنفيذ. لقد فطن الباحثون الغربيون لعدالة الإمام علي عليه السلام وتفهموا رسالته التي جاءت في سبيل العدالة للجميع، وأخذوا منها كما بينا في بحثنا، الأمر الذي أوضح للعالم شخصية الإمام العادل في إدارة الدولة، وأنه مدرسة وقدوة في الأخلاق الإنسانية لجميع البشر .

حقاً إن التاريخ سجل عن شخصية الإمام علي عليه السلام سمعة على درجة جعلت منه اسماً ورمزاً راسخاً في صدورنا وفي كل زمان ومكان، وسيبقى خالداً أمد الدهر.

تم بحمد

الهوامش

١ . د. إيمان عبد الحكيم هاشم، كتاب اليتيم بين الكتاب المقدس والقران الكريم، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص ١٩.

٢ . عز الدين بحر العلوم، كتاب اليتيم في القرآن والسنة، دار الزهراء للطباعة والنشر، طبعة ثانية، مكتبة نرجس، ص ١١.

٣ . كتاب اليتيم، من هو اليتيم، نشر جمعية المعرف الاسلامية والثقافية،إعداد مركز نون للتاليف والترجمة،الاعداد الالكتروني شبكة المعارف الإسلامية، الطبعة الاولى ٢٠١٠م.

٤ . غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن ابي طالب ﷺ، مركز الابحاث العقائدية، بحث منشور١١/ ٨/ ٢٠١٧.

http://www.aqaed.com/book/595/13.html

٥ . د. إيمان عبد الحكيم هاشم، كتاب اليتيم بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم،مصدر سابق، ص٢١.

٦ . د. احمد رشاد هواري، التصور القانوني والشرعي للحق، الجزء الأول، ٢٠١١، ص٦. ١٥/ ٩/ ٢٠١٧.

https://www.policemc.gov.bh/mcms-store/pdf/1878c9df-6c15-4785-8af9-

٧ . د. احمد رشاد هواري، التصور القانوني والشرعي للحق، ص ١٠-١١. مصدر سابق.

٨ . المادة (١) من إتفاقية حقوق الطفل للعام ١٩٨٩م.

٩ . د. مها فؤاد، ما هو مفهوم حقوق الطفل، موقع أكاديمية بناة المستقبل الدولية.

١٠ . أ.د. محمد مختار جمعة، المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية. ١٩/ ٨/ ٢٠١٧، متاح على الرابط

http://ar.awkafonline.com/?p=4141

١١ . سورة البقرة : آية ٨٣.

١٢ . ينظر د. زياد بن علي بن محمود الجرجاوي، رعاية اليتيم في التصور الإسلامي، ٢٠١٠م، بحث منشور، ص ١٢.

١٣ . سورة الإسراء : ٣٤

١٤ . سورة النساء : الآية ١٠

١٥ . عز الدين بحر العلوم، كتاب اليتيم في القرآن والسنة، دار الزهراء للطباعة والنشر، طبعة ثانية،ص٢٠.

١٦ . سورة الضحى : الآية ٩
١٧ . سورة النساء الآية (٣٦).
١٨ . سورة الماعون: الآية (١،٣) .
١٩ . سورة البقرة: الآية ٢٢٠.
٢٠ . م.ن.: الآية ٢١٥.
٢١ . الإحسان الى اليتيم، شبكة المعارف الإسلامية، بحث منشور نقل بتصرف، ١١/ ٨/ ٢٠١٧. متاح على الرابط
http://www.almaaref.org/maarefdetail
٢٢ . سورة الكهف : الآية ٨٢
٢٣ . عز الدين بحر العلوم، كتاب اليتيم في القرآن والسنة، مصدر سابق، ص١٩.
٢٤ . سورة البلد : ١١-١٦.
٢٥ . ينظر د. زياد بن علي بن محمود الجرجاوي، مصدر سابق .
٢٦ . احمد العذاري، المكتبة المختصة بالإمام امير المؤمنين، بحث بعنوان العلاقة بين الإمام علي عليه السلام والقرآن الكريم.
٢٧ . سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
٢٨ . سورة الحجر : الآية ٨٨.
٢٩ . سورة الشعراء: الآية ٢١٥.
٣٠ . عبد الرضا عبد الامير الزبيدي، كتاب في الفكر الاجتماعي للإمام علي عليه السلام، دراسة في ضوء نهج البلاغة، مكتبة النهضة الحيدرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ٣٢١.
٣١ . . الإحسان الى اليتيم، نقل بتصريف، مصدر سابق.
٣٢ . عز الدين بحر العلوم، كتاب اليتيم في القرآن والسنة، مصدر سابق، ص٢٥.
٣٣ . . الإحسان الى اليتيم، شبكة المعارف الإسلامية، مصدر سابق.
٣٤ . جورج جرداق،كتاب الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، دار الاندلس بيروت،لبنان،الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ٤٧.
٣٥ . الإمام علي ابن ابي طالب عليه السلام، ولادته ونشأته، موقع العتبة الحسينية المقدسة، متاح على الرابط
https://imamhussain.org/arabic/ahlulbayt-10/921. 19/8/2017:
٣٦ . ينظر عباس محمود العقاد، كتاب عبقرية الإمام علي عليه السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ٢٥-٤٤.

٣٧ . الشيخ حسن الصفار، كتاب الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة، التعامل الإنساني في سيرة الإمام علي عليه السلام .

٣٨ . الشيخ حسن الصفار، الإمام علي رائد الإصلاح، دراسات وبحوث،المكتبة المختصة بالإمام امير المؤمنين، ١٠/ ٩/ ٢٠١٧،
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/15/fehres1.htm .

٣٩ . عبد المجيد لطفي، كتاب الإمام علي رجل الإسلام المخلد، ١٩٦٧، دراسات وبحوث، مكتبة نرجس، ص ٩٨.

٤٠ . عبد المجيد لطفي، ص ٢٢٢. مصدر سابق.

٤١ . ينظر عباس محمود العقاد، مصدر سابق، ص ١٦٥ .

٤٢ . غسان السعد، مصدر سابق.

٤٣ . السفود الحديدة التي يشوى بها اللحم .

٤٤ . كتاب اليتيم، مصدر سابق.

٤٥ . جورج جرداق، كتاب الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، نقل بتصرف،ص ٣٤٦.

٤٦ . غسان السعد، مصدر سابق

٤٧ كتاب اليتيم، مصدر سابق.

٤٨ يتيم، موقع ويكيبيديا، ٢٠١٧/ ٨/ ١٩،متاح على الرابط
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D8%AA%D9%8A%D9%85

٤٩ . حسن القبانجي، كتاب مسند الإمام علي عليه السلام- ج ٠٤- مركز الابحاث العقائدية، متاح على الرابط
http://www.aqaed.com/book/402/04-mosnad-11.html

٥٠ . سلام سميسم، كتاب السياسة المالية في التاريخ الاقتصادي الإسلامي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١ ,٢٠١٠. ص ٢٣٨.

٥١ . بفتح أوله جمع زمن وهو المصاب بالزمانة بفتح الزاي اي العاهة، يريد ارباب العاهات المانعة لهم عن الإكتساب، ينظر حول المعنى الفيروز ابادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد(ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م) معجم القاموس المحيط تحقيق خليل مأمون شيحا، ط ٤، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ص ٥٧٣.

٥٢ . د. اسماعيل طه الجابري، د. حيدر قاسم مطر التميمي، كتاب حقوق الإنسان بين الفكر الإنساني والفكر الغربي عهد الإمام عليه السلام لمالك الاشتر(رضي الله عنه) أنموذجاً، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، العراق، كربلاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص ١٢٨.

٥٣ . عبد الرضا عبد الامير الزبيدي، كتاب في الفكر الاجتماعي للإمام علي عليه السلام، نقل بتصرف، ص ٣٤٨، مصدر سابق.

٥٤ . قاسم خضير عباس، الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، على ضوء تقرير الامم المتحدة للعام ٢٠٠٢م، المكتبة المختصة بالإمام أمير المؤمنين ١٠/ ٩/ ٢٠١٧،
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/15/fehres1.htm

٥٥ . قصة الإمام علي عليه السلام والطفل اليتيم، موقع الميزان، متاح على الرابط
http://www.mezan.net/vb/showthread.php?t=33783

٥٦ . جعفر مرتضى العاملي، علي وإتهام الابرياء في اعراضهم، مركز الابحاث العقائدية، متاح على الرابط
http://www.aqaed.com/book/583/7.html. 2017/8/20 .

٥٧ . الشيخ الخطيب محمد رضا الحكيمي، كتاب سلوني قبل ان تفقدوني، الجزء الأول، منشورات مكتبة الصدر،طهران، ص ١٧ , ٦٢.

UNICEF.13/9/2017.٥٨
.https://www.unicef.org/arabic/ crc/34726_50765.html.

٥٩ . Legal protection of human rights. Available on ,
http://www.coe.int/ar_JO/web/compass/legal-protection-of-human-rights, 18/8/2017.

٦٠ . إتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩، المادة ٢٠، فقرة ٣،٢،١.

UNICEF.13/9/2017.٦١
:https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_34795.html.

٦٢ . اعلان حقوق الطفل لعام١٩٢٤، المبدا (٢) . جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان.

٦٣ . م.ن. للعام ١٩٥٩، المبدا السادس.

٦٤ . European Convention on the Exercise of Children's Rights .Available on.
https://www.coe.int/en/web/conventions/full-list/-/conventions/treaty. 18/8/2017.

٦٥ . المادة (٢٥) من الميثاق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل ١٩٩٠.

UN, Available on.٦٦
.un.org/arabic/documents/GADocs/55/A_55_942.pdf.18/8/2017.

٦٧ . عهد حقوق الطفل في الإسلام، المادة (٣ و ٤ و٥) مكتبة حقوق الإنسان،جامعة منيسوتا.

٦٨ Mon 13th Nov, 2017 will be World Orphans Day.availabil on https://www.daysoftheyear.com/days/world-orphans-day/

٦٩ . Orphans Day of Islamic World, Available on, www.ihh.org.tr/en/news/orphans-day-of-islamic,19/8/2017.

٧٠ . اليوم العربي لليتيم، جامعة الدول العربية، ٢٠١٧/ ٩/ ١٣.
http://www.lasportal.org/ar/sectors/dep/Pages/default.

مصادر البحث:

المصادر باللغة العربية

القرآن الكريم

أولاً : المواثيق الدولية

ثانياً :المصادر من الكتب والمجلات والمواقع الالكترونية:

* د. إيمان عبد الحكيم هاشم، كتاب اليتيم بين الكتاب المقدس والقران الكريم، الطبعة الأولى ٢٠٠١ .
* عز الدين بحر العلوم، كتاب اليتيم في القران والسنة، دار الزهراء للطباعة والنشر، طبعة ثانية، مكتبة نرجس .
* كتاب اليتيم، من هو اليتيم، نشر جمعية المعرف الاسلامية والثقافية، إعداد مركز نون للتاليف والترجمة، الاعداد الالكتروني شبكة المعارف الاسلامية، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
* غسان السعد، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مركز الابحاث العقائدية، بحث منشور ١١/ ٨/ ٢٠١٧.
http://www.aqaed.com/book/595/13.html
* د. احمد رشاد هواري، التصور القانوني والشرعي للحق، الجزء الأول، ٢٠١١، ١٥/ ٩/ ٢٠١٧.
* https://www.policemc.gov.bh/mcms-store/pdf/1878c9df-6c15-4785-8af9-
* د. مها فؤاد، ما هو مفهوم حقوق الطفل، موقع أكاديمية بناة المستقبل الدولية.
* أ.د. محمد مختار جمعة، المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية. ١٩/ ٨/ ٢٠١٧، متاح على الرابط
http://ar.awkafonline.com/?p=4141
* نظر د. زياد بن علي بن محمود الجرجاوي، رعاية اليتيم في التصور الإسلامي، ٢٠١٠م .
* الإحسان إلى اليتيم، شبكة المعارف الاسلامية، بحث منشور نقل بتصرف، ١١/ ٨/ ٢٠١٧.متاح على الرابط
http://www.almaaref.org/maarefdetai
* احمد العذاري، المكتبة المختصة بالإمام امير المؤمنين، بحث بعنوان العلاقة بين الإمام علي عليه السلام والقران الكريم.
* عبد الرضا عبد الامير الزبيدي، كتاب في الفكر الاجتماعي للإمام علي عليه السلام، دراسة في ضوء نهج البلاغة، مكتبة النهضة الحيدرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ .
* جورج جرداق، كتاب الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، دار الاندلس بيروت،لبنان،الطبعة الأولى ٢٠١٠ .
* الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولادته ونشأته، موقع العتبة الحسينية المقدسة، متاح على الرابط
https://imamhussain.org/arabic/ahlulbayt-10/921.
19/8/2017:

* ينظر عباس محمود العقاد، كتاب عبقرية الإمام علي عليه السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
* الشيخ حسن الصفار، كتاب الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة، التعامل الإنساني في سيرة الإمام علي عليه السلام .
* الشيخ حسن الصفار، الإمام علي رائد الإصلاح، دراسات وبحوث،المكتبة المختصة بالإمام امير المؤمنين، ١٠/ ٩/ ٢٠١٧،
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/15/fehres1.h.
* عبد المجيد لطفي، كتاب الإمام علي رجل الاسلام المخلد، ١٩٦٧، دراسات وبحوث، مكتبة نرجس .
* عباس ذهبيات،كتاب التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، سلسلة المعارف الاسلامية، ص ٥٤.
https://books.rafed.net/view.php
* جورج جرداق، كتاب الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى .
* حسن القبانجي، كتاب مسند الإمام علي عليه السلام - ج ٠٤- مركز الابحاث العقائدية، متاح على الرابط
http://www.aqaed.com/book/402/04-mosnad-11.html
* سلام سميسم، كتاب السياسة المالية في التاريخ الاقتصادي الاسلامي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١,٢٠١٠.
* د. اسماعيل طه الجابري، د. حيدر قاسم مطر التميمي، كتاب حقوق الإنسان بين الفكر الإنساني والفكر الغربي عهد الإمام عليه السلام لمالك الاشتر(رضي الله عنه) أنموذجاً، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، العراق، كربلاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
* قاسم خضير عباس، الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية، على ضوء تقرير الامم المتحدة للعام ٢٠٠٢م، المكتبة المختصة بالإمام أمير المؤمنين ١٠/ ٩/ ٢٠١٧،
http://www.haydarya.com/maktaba_moktasah/15/fehres1.ht
* الشيخ الخطيب محمد رضا الحكيمي، كتاب سلوني قبل ان تفقدوني، الجزء الأول، منشورات مكتبة الصدر، طهران .

English references:

* UNICEF.13/9/2017.https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_50765.html.
* Legal protection of human rights. Available on, http://www.coe.int/ar_JO/web/compass/legal-protection-of-human-rights, 18/8/2017.
* UNICEF. 13/9/2017: https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_34795.html.
* European Convention on the Exercise of Children's Rights .Available on. https://www.coe.int/en/web/conventions/full-list/-/conventions/treaty. 18/8/2017.
* UN,Availablon.un.org/arabic/documents/GA-Docs/55/A_55_942.pdf.18/8/2017
* Mon 13th Nov, 2017 will be World Orphans Day.availabil on https://www.daysoftheyear.com/days/world-orphans-day
* Orphans Day of Islamic World, Available on,www.ihh.org.tr/en/news/orphans-day-of-islamic,19/8/2017.

الدولة الإسلامية في عهد الإمام علي عليه السلام ومسؤوليتها في الرعاية الإجتماعية ومكافحة الفقر وأثر ذلك على الواقع الاقتصادي والاجتماعي

م.د. إلهام حمد عيسى

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

ملخص البحث

أحدث فكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بشموليته وعمقه انعطافا تاريخيا في مجمل ميادين الحياة، برؤاه التي اهتمت بالإنسان وجودا وحقوقا من خلال تأسيسه لمنظومة متقدمة بُنيت على القيم الرفيعة و مفاهيم رصينة شكّلت مرجعية في تاريخ الفكر الإنساني.

لقد حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بعدما أصبحت موازين الدولة قد اختلت وتأرجحت فيها مضامين العدل والمساواة، وأثّر تجاهله القيادي (بطل الرسالة والإسلام) بشكل كبير على واقع الأمة الإسلامية وشريعتها العادلة السمحاء، فكانت نتائج الانحراف السياسي صعود ثلة إلى مواقع السلطة وتسلطهم على مقدرات البلاد الإسلامية مدة ليست بالقصيرة، قد أورث حالة من القهر والاستبداد، حتى أصبحت البلاد تشيع فيها الفوضى الاقتصادية وتكون الأموال عند أحدهم لحد التخمة وتنعدم عند الآخر حتى توصله درجة الحرمان.

Abstract

The thought of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), with its comprehensiveness and depth has created a historical turning point in all fields of life, with his visions that concerned human existence and rights through his establishment of an advanced system built on high values and solid concepts that formed a reference in the history of human thought.

The Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (peace be upon him), ruled after the balance of the state had become imbalanced and swayed sideways and the implications of justice and equality had fluctuated. The results of political deviation had led to the rise of a group to hold positions of power and their control over the capabilities of Islamic countries for a period not to be looked up as short which culminated in creating a state of oppression and tyranny, to the point the economic chaos had become widespread in the country.

Such state of being has inherited among the people some serious sort of social and economic disintegration and injustice where two varied classes

have emerged which cannot be kept silent or ignored - a class holds all power, authority, positions and the State's resources and can live life-long prosperity while the other class is the vulnerable one who is destined to live in abject poverty.

المقدمة

لاشك أن مصطلح الرعاية الاجتماعية من المصطلحات الحديثة، لكن في مفهومه الواقعي العملي والتطبيقي فهو قديم ونشاط إنساني فطري كانت الشريعة الإسلامية لها الريادة في تعميقه، حيث عُنيت بالبِر والإحسان ومساعدة المحتاجين لأجل إسعاد الناس وحفظ كرامتهم كما في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [1]، ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [2]، وجاءت السُنة النبوية وأكدت في مجال الإنفاق والتكافل بين المسلمين (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم)[3] .

كان الإمام علي عليه السلام ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بلا ريب قد سار على التربية التي انتهجها في توجيه مجتمعنا الإسلامي في اختصاصات الدين والدنيا، يسعى دائما إلى التوازن الاقتصادي بين الإنتاج والاستهلاك كي يتلافى الأزمات، ويطبق مبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص، لذلك شجع الأمة على العمل والإنتاج وعدم التكاسل في مجالات الحياة الاقتصادية من أجل القضاء على العوز والفقر، لذلك كانت طروحاته أكثر سعة وشمولا وريادة بل لا نجد من فكرة أو مفهوم فلسفي في كتب الأقدمين والمحدثين إلا ونجد إرهاصاته الأولى في فكره عليه السلام وفق معناه الإنساني كأنها كتبت لكل عصر وزمان [4] .

وعلى الرغم من قصر مدة حكم الإمام عليه السلام في قيادة الأمة سياسيا واجتماعيا، فقد طرح نظاما متكاملا لعلاج المشكلة الاقتصادية التي أصابها العجز نتيجة سوء التوزيع، وتعود إلى ظاهرة الانحراف عن العدالة الإسلامي فسارع الى تحديد برامج واضحة تتجاوز الأخطاء المتراكمة ممن سبقوه وسعيه الدؤوب إلى تأسيس مجتمع خال من الفساد، من خلال منهاج التسوية وإلغاء التفاضل

في العطاء، كانت أولى خطواته في طريق الإصلاح ليؤكد حق التمتع بالمواطنة الإسلامي، لم تتمركز توجيهات الإمام على الاداء البلاغي في الوعظ والوصايا الاخلاقية لعلاج المشكلات الاقتصادية واقرار العدالة في المجتمع فحسب، وإنما سلك إلى جانب الإفادة من رصيد الإيمان بالله جل جلاله فضلا عن استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن المعيشي وانهاء الظلم، وفي خطوة كبيرة لا يفعلها إلا علي عليه السلام، استرد الاقطاعيات والاموال التي تدفقت إلى جيوب فئة قليلة من ملأ قريش الذين حولوا ثروة المسلمين العامة إلى بستان لهم، ثم سلك طريق مراقبة سُبل جباية الأموال وكيفية توزيعها على قطاعات الأمة كما شدد على مراقبة الولاة في الأمصار سرا وعلانية، واستحداثه مايعرف بنظام العيون والتفتيش للإحاطة بتصرفاتهم وممارساتهم، وما عهده لمالك الأشتر إلا وثيقة صريحة تثبت صلاح الحاكم الأوحد ورائد الضمان الاجتماعي الذي يشهد له التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنه قد تم اختياره من قبل منظمات المجتمع الدولي شخصية متميزة ومثلا أعلى في إشاعة العدالة والرأي الآخر واحترام حقوق الإنسان بكل أجناسهم ومعتقداتهم وثقافتهم وتأسيس دولة على أسس التسامح والخير والتعددية .

واختيارنا لهذا الموضوع، هو تسليط الضوء على دور أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب وإبراز فكره الاجتماعي الثر وتقديمه بصورة واضحة، كذلك لأهميته كونه من المسببات الفعلية والمؤثرة على واقع واستقرار الأمة ودوره الفاعل في خلق مجتمع متكامل ومتوازن من نواحٍ شتى وقادر دوما على التقدم وإحراز الأفضل كي يواكب التطور الذي يسابق الزمن في وقتنا الحاضر، معتمدين في ذلك على منهجية البحث الوصفي في دراسة الأبعاد الفكرية لمضامين الرعاية الاجتماعية من منظور فكر الإمام علي عليه السلام فجاء بحثا متضمنا :

١-مفهوم الدولة في منظور الإمام علي عليه السلام .

٢-سياسة الإمام علي عليه السلام في مكافحة الفساد .

٣-اهتمامه عليه السلام في تطبيق الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر .

ختمنا بحثنا بأهم ما توصلت له الدراسة، واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المعتبرة نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة موجزة لبحثنا، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا .

أولا / مفهوم الدولة في منظور الإمام علي عليه السلام .

ورد معنى الدولة في لسان العرب إنها : (الدَّولة والدُّولةُ العقبة في المال والحرب) [٥] وهي تعني الغلبة والظفر بهما، وجاءت في القاموس المحيط:(الدولة انقلاب الزمان)، بمعنى تغيره مرة لهؤلاء ومرة لغيرهم، كذلك تأتي بمفهوم (السنن التي تغير وتُبدل) [٦].

الدولة الإسلامي هي أحد الأنظمة السلطوية التي تعتمد على إدراج الشريعة سواء كليا أو جزئيا في أنظمتها القانونية، مستمدة بذلك مشروعيتها من سلطان الله على الأرض، وقد اتفقت كل الفرق الإسلامي وإن أختلفت في كيفية التنصيب والاختيار إلا أن هناك ضرورة في وجوب تنصيب الإمام وعليه قيام الدولة التي ترعى شؤون المسلمين وتدير أمورهم الدنيوية [٧] .

لذلك قالوا (لو خلا عصر من إمام لتعطلت فيه الأحكام وضاعت الأيتام ولم يحج البيت الحرام، لولا الأئمة والقضاة والسلاطين والولاة لما نكحت الأيامى ولا كفلت اليتامى)، (الدين أس والسلطان حارس فما لا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع) [٨] .

وعلى ذات المنوال روي عن الإمام علي عليه السلام قبل هذا وذاك قوله : (إن لكل مأمومٍ إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه)، (لا تبقى الأرض بغير إمام ظاهر أو باطن) [٩] .

ويرى الشهيد الصدر الأول أنها نشأة نبوية تتناسب والرقي البشري قائلا : (ان الدولة ظاهرة اجتماعية أصيلة في حياة الإنسان، وقد نشأت هذه الظاهرة على يد الأنبياء ورسالات السماء، ومارست دورها السليم في قيادة المجتمع الإنساني وتوجيهه من خلال ما حققه الأنبياء في هذا المجال من تنظيم اجتماعي قائم على أساس الحق والعدل، يستهدف الحفاظ على وحدة البشرية وتطوير نموها في مسارها الصحيح) [١٠] .

وردت الكلمة على لسان العرب في أدبياتهم وأشعارهم [١١] وما يهمنا هو تواجدها في منطق أبو الحسن عليه السلام حيث جاءت في جمل كثيرة تفيد كل منها معنىً خاصاً حسب الواقعة التاريخية التي يراد منها توضيحا وضرورة، فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله عليه السلام : (الدنيا دول فأجمل في طلبها واصبر حتى تأتيك دولتك)[١٢]، ويقصد بها بمدلولها اللغوي تقلب الأحوال، وقوله : (الدولة كما تقبل تدبر) (دولة اللئام مذلة الكرام)[١٣] فهنا جاءت بمعنى الجاه والسلطة أو الحكم، أما بمعناها الحكومي فقوله عليه السلام : (يستدل على إدبار الدول بأربع : تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل)[١٤]، وقوله لمالك الأشتر : (إني وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور) [١٥]، كذلك جاءت بمعنى للدولة الصالحة أمة وللطالحة أمة متمثلا في قوله : (للحق دولة وللباطل جولة) [١٦] .

جاءت الكلمات بشأن الدولة في معان مختلفة ولها مدلولاتها العميقة فيها التنبيه والتحذير، لكن ما يميزها انه قصد العبارة بعدة مدلولات سياسية منها القوة التنفيذية وفي الثانية شملت جميع الأجهزة الحكومية التشريعية والقضائية

بما فيها التنفيذية والثالثة أعم وأشمل بصفتها الأمة ولم يتجاهل بمعناها السلطوي المتجبر فكانت خطبته بعد هجوم بسر بن أرطأة على اليمن: (أُنبئت أن بُسرا قد أطلع اليمن، وإني والله لأظن هؤلاء القوم **سيُدالُون** منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم بمعصيتكم)[١٧] .

يستدل من كلام أمير المؤمنين ﷺ (أن الدولة ضرورة اجتماعية حتمية ناتجة من طبيعة تكوين الإنسان وما يحمل من نوازع، فعدمها يعني الفوضى واختلال النظام العام وفرض شرعة الغاب) [١٨]، فكان تأكيده عليه بقوله: (لابّد للناس من أمير) ولا يجوز خلو العصر من إمام سواء كانت القضية عقلية أم سمعية، وكذلك : (أما الإمرة البرَّة فيعمل بها التقي، وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته)[١٩] .

إذن الإمارة أو الرئاسة توجب وجودها كونها ضرورة عقلانية، لأنها تتعلق بأمور راجعة إلى المصالح الدنيوية وترتبط ببقاء الإنسان، فهي محور النظام العام والتماسك الاجتماعي ما يتبعه من صون الحقوق وإقامة الحدود وشيوع الأمن والاستقرار، ودولته ﷺ كان يجتمع بها البعدان الدنيوي والأخروي لأن إمامته هي إمتداد لدولة رسول الله ﷺ بحكم التنصيب الإلهي له في واقعة الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة [٢٠]، وعلى الرغم من هذين البعدين فهي عنده في كل الأحوال ليست غاية بقدر ما هي وسيلة لغاية أشرف وهي تحقيق العدل الاجتماعي ورفع الحيف عن من لا يستطيع رفعه، ولكي لايطمع السفهاء والفجار بالتسلط على الأمة (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك ليأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك) [٢١]، ثم يقول محذرا : (ولكنني آسى أن يلي أمر

هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا) [٢٢] .

يتضح مما تقدم أن الدولة عند أمير المؤمنين عليه السلام هي الوسيلة الوحيدة لفرض القانون إذ إنها المالك الوحيد لسلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإشاعة العدل التي تقرن بطاعة الشعب فتكون طوعية اختيارية وهي قيم سياسية مشتركة بين سائر الأمم والثقافات في الوقت الحالي، بل يذهب الإمام إلى أبعد من ذلك في جعلهم عبيدا نظير عدل الدولة (.. والطاعة سياسة يقوم بها الملك، والملك راع يعضده الجيش .. والمال رزق يجمعه الرعية، والرعية يستعبدهم العدل، والعدل أساس به قوام العالم) [٢٣] .

يرى أمير المؤمنين عليه السلام وجوب الدولة كمنظم حيوي تقف عليه مقومات أُسسها مستلهمة كتاب الله وسنّة رسوله، فهو يربط السلطة كضرورة للحفاظ على الدين وتطبيق لأحكامه، بما يحفظ حقوق المسلمين ويرعى شؤونهم الحياتية، ويُحصّنها من الانحراف والسقوط في مهاوي الغرائز والمصالح الشخصية، ثم يحدد مهام رئيسها ومسؤولياته التي تتمثل في المحافظة على وحدة الأمة بجمع أمرهم وتوزيع الثروة وإحقاق العدل من خلال الانتصاف للضعيف من القوي والدفاع عن حدودها بمجاهدة العدو، وعلى هذا المفهوم يتبلور الفكر السياسي الشيعي نهايات القرن الأول الهجري على قاعدة أن الإمامة من مقتضيات الدين لتكتمل في عهد الشيخ المفيد كنظرية حتْمية مسلّم بها [٢٤] .

أما الدولة في مفهومها الحالي فنجد لبناتها من الأساس الذي أقره أمير المؤمنين عليه السلام قبل مئات السنين، فهي : (الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والناظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه بحيث

تسمو إرادة الدولة شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الآخرى في المجتمع من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين واحتكار حيازة وسائل الإكراه وحق استخدامها في سبيل تطبيق القوانين بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنظام وتحقيق التقدم في الداخل والأمن في الخارج بناءً على إنها هيكل لـ القوة يتجسد فيها جهاز مدني وعسكري أمني) [٢٥] .

تعدُّ الدولة حقيقة سياسية صاحبة السلطات السيادية، ورغم مشاركة تكوينات آخرى في ممارسة القوة التي تتجسد في إتخاذ القرار وتوزيع الثروة لكنها تبقى هي صاحبة الحق في استخدام تلك الوسيلة، والاعتراف بهذا شرعيا، ويتضح مفهوم الدولة العلمي في انفصالها عن المجتمع وعن شخصية الحاكم واكتسابها الشخصية الاعتبارية أو المعنوية، كونها تعبر عن قيم مجردة نبيلة تتعلق بالصالح العام وهي أوسع من كونها قوانين بل لابّد من إحساس بالعدالة يوجه ويضبط التصرفات ويعزز التماسك والتضامن الاجتماعيين ليجعلها أكثر إنسانية، وهي بمعنى أدق تعبير عن العقل في مواجهة المادة حسب تصور هيغل، والوحدة في مواجهة التصارع ومواجهة العام للخاص وبذلك تعلو الدولة عن المجتمع لاعترافها بمصالح الإنسان الكلية المادية منها والروحية [٢٦] .

ثانيا / سياسة الإمام علي عليه السلام في مكافحة الفساد .

الفساد في اللغة : فسد الشيء أي لم يعد صالحا ويأتي غالبا من ذات الشيء، أما لفظة الإفساد فتدل على تحقق الفساد بفعل خارجي وهو لا يتعلق بذات الفاسد بل بالجهة أو الشخص الذي يحيل الأمر الصالح إلى فاسدٍ وهو المفسد للوصول إلى أهدافهم [٢٧] .

الفساد ظاهرة مشينة تدل على تدني المستوى الأخلاقي للفرد وافتقاره إلى

فهم الدين أو تجاهل وصاياه في تطبيق أوامره وتجنب ما ينهى عنه، كما يفتقر إلى العرف المجتمعي، وعليه فهو الجنوح عن الاستقامة من الافراد لتبنيهم استثمار المسؤولية لتحقيق مكاسب شخصية أو تجاوز المصلحة العامة لغرض مصلحة خاصة، ويأتي غالبا عن طريق الفساد الإداري يصاحبه الفساد المالي وكلاهما يكمل الآخر ليعطي النموذج الأسوء في تولي الإدارة، ويرجع ذلك إلى إلهيئات الملائمة لنموه، لأنه في حال عدم تجنيح فعل الفساد أو تجريمه فإن الخلل في القانون الذي تغافل ولم يلتفت إلى ذلك الفعل [٢٨] .

حارب الإسلام الفساد فجاءت الكلمة في خمسين موضعا من القرآن الكريم تعطي مدلولا شاملا له في كل مجالات الحياة، بل أشار إلى نطاقه الذي جعله في الأرض والبحر ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢٩] وشبه تلازم بين مصطلح الفساد وكلمة الارض، لم يجعله حبيسا في الرغبات المكبوتة أو الآلام وأسبابها أو مجرد تصرفات هامشية بل عدّه حربا على الله ورسوله ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرض فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرض ﴾ [٣٠] فكانت كل المعاصي فسادا في الأرض لأنها خروجٌ عن جادة الصواب والصلاح لما له من نتائج سلبية تؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار وتفتيت شرائح المجتمع [٣١]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي الأرض قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [٣٢]، فكان تعامله مع موضوع الفساد إرشادا ونصحا واستنكارا وغضبا وتحذيرا وتأنيبا وسخطا وقرارا كما وردت في الآيات الكريمة .

وأكدت السيرة النبوية في جملة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله لتكون مكملة وشارحة لآيات القرآن الكريم في محاربتها للفساد كما في قوله صلى الله عليه وآله : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك

أضعف الإيمان)، وقوله : (من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد كان نومه ونبهه أجرا كله، وأما من غزا رياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لا يرجع بالكفاف) [٣٣] وكثيرا ما كان يتفقد الأسواق ويحذر الباعة بقوله : (من غشنا فليس منا) .

شاءت القدرة والتسديد الإلهي أن يصل أمير المؤمنين عليه السلام لسدة الحكم، على الرغم من ممانعة قريش أن يتقلد منصب الخلافة لكن إرادة الشعوب المقهورة تحت مذلة بني أمية مع سماحة القدر الرباني ان تُعطى هذه الفسحة الصغيرة لتنتصر الفضيلة مدة من الزمن، فجاء بعدما كانت الدولة في عهد الخليفة الثالث فاصلة تاريخية أسهمت بشكل فعّال في ارتداد العقليات إلى ركام الجاهلية ومن ثم تعمل على نحو ما تعبث في الصف الإسلامي لتقسمه بعدما فرض عليه غياب الانسجام بين طبقاته وسكان العالم المختلف، وذلك أن منطق الإسلام في عهد بني أمية لحقه تحوير فرضته قيم تلك العائلة ومقوماتها التي طالما اجتهدت واحتالت على النصوص الشرعية سيما في الأمور السياسية وجعلها تتفق مع منافعها المادية، فتُبادر إلى الأخذ بمشاكل عصرهم ليعالجوا بها أحكام الإسلام من خلال تحريفها وتجاهلها ومخالفتها وبذلك قد تحول الصراع في تلك الفترة من طبقي فكري إلى عنصري قبلي، ومن صراع ايديولوجية جديدة في صف الجماهير إلى نزاع على المناصب ومنافسة عليها [٣٤] .

اتخذ الإنقسام الذي أفرزته الثورة الشعبية على الخليفة عثمان بن عفان (١٣-٣٥هـ) طابعا نهائيا بفعل عمق الجرح واتساع الهوة بين الفئات المتناقضة التوجهات في المجتمع الإسلامي، حيث أصاب بنيان دولة الإسلام تصدع أساسيّ رافق حياة الأمة الإسلامي على مختلف الأصعدة، لتطفو بسرعة المحاور السياسية الكبرى وتخلق فرزا اجتماعيا جذريا بين الجمهور القبلي

من جانب وبين النخبة القرشية بالإضافة إلى نشوء الفكر السياسي في تاريخ الإسلام مصحوبا بولادة الفرق السياسية [٣٥] .

لم يكن أمير المؤمنين بمنأى عن حالة الانحراف الذي أصاب الأمة قبل تقلده الحكم بل تجسّد دوره في مواجهته على عدة صور منها سعيه الدائم في الحفاظ على تعاليم الإسلام وقيمه السامية من ناحية وتموين الأمة العقائدية بسمتها الرسالية السمحة من ناحية آخرى .

صاحب الفراغ السياسي الذي أعقب الثورة ومقتل الخليفة تشتت في الآراء ما دعا إلى الاسراع في الاتفاق على مرشح واحد للخلافة تجمع عليه الأمة، وأخذت تبحث عن حل لتصويب المسيرة التي طالما أختلت بعد ذهاب نبيها الكريم صلى الله عليه وآله فكانت بحاجة إلى منقذ يتمتع بتأييد الأكثرية في التوجهات الإسلامي الأصيلة سيما الممثلة لجماعة الثائرين المعنية مباشرة بالوضع العام، ويصف طه حسين تلك الأجواء (حتى إذا فسدت الدنيا وانتشرت الأمور وأضطرب حبل السلطان وظن بعض الناس ببعض السوء .. هنالك فزعت كثرة منهم إلى علي فبايعته) [٣٦] .

رفض أمير المؤمنين توليته منصب الخلافة واقترح على جمهور المسلمين (أن يكون وزيرا على أن يكون أميرا) [٣٧]، ويظهر أن إمام المتقين كان يدرك انهم لم يستطيعوا معه صبرا أو يتحملوا المشاق في بعث الرسالة من جديد، وبعد إلحاح من أهل الأمصار والأعراب إضافة إلى ضغطهم وتهديدهم ومطالبة مالك الأشتر (ت٣٩هـ) [٣٨] الإمام قبول البيعة وخوفوه الله والفتنة وما نزل بالإسلام من ابتلاء [٣٩]، تقبل الأمر كارها خشية من أن يثب الأعداء على الثغور ويحتلوا أرض المسلمين أو يعود الناس من موسم الحج وهم بلا خليفة فيستقل كل والٍ بالولاية التي يحكمها كما خشي أن يفتك الثوار بالوادعين من أهل المدينة وهو

الحريص دوما على الدين والمسلمين من التمزق والتفريق[٤٠] .

بدأ الإمام مسيرة الإصلاح وهو تجسّيدا لمشروع السماء التي كانت العقيدة حاضرة في كل تفاصيله، واستلم مهام حكومته فكانت خطواته التركيز على مقومات أساسية ليأخذ المسار الذي انتهجه من قبل النبي ﷺ في إدارة شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والمالية والقضائية، ويطبق الخطة التي آمن بها من قديم أنها الأقوم (ألا إني بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث رسول الله ﷺ فيكم ..) [٤١] كانت أولى خطواته عزله لولاة الخليفة الثالث الذين تطبعوا بطباع الجور والخيانة وعلى الرغم من مشورة بعض الصحابة في الإبقاء على ولاة الشام والبصرة لحين استقرار الأمور وأخذ البيعة من شعوبهم، فكان رده حاسما : (فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا وصلاحها .. وأما ما يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحدا أبدا ..) [٤٢].

كان عزم أمير المؤمنين عليه السلام أكيدا في إقامة نوع من التوازن في سياسته وبين المثل والمبادئ التي يؤمن بها وبين ضرورات الواقع الجديد الذي يتحكم في توجيه المواقف والاحداث في اعتماده روح التقوى، فكان منهجه في مكافحة الفساد قائماً على عدة مرتكزات منها :

١ – كانت البدايات في مواجهة الفساد في رؤيته أن الجهاز الإداري المسؤول مباشرة نلتمسه من عهده لمالك الأشتر، بوصفه الأداة التنفيذية للخلافة، وهو منطلق هادف في ترصين الإدارة الواعية لبناء المنظمة الإنسانية العاملة والقائمة على إسعاد الناس وعدم أخذهم بالشدة (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبُعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الخلق أو نظير لك في الخلق) [٤٣]، وبذلك تحقق آمالا شاملة في تطوير البنية الاجتماعية وخلق التماسك المنظمي السديد [٤٤].

اعتمد الإمام على ولاة في إدارة الأمصار تمتعوا بثقته العالية وممن استوعبوا ابعاد سياسته في إدارة شؤون الدولة، وتتجلى ملامح صفات اختيار الولاة في وصيته لمالك الأشتر على الأسس التالية : (ثم انظر في أمور عمالك اختبارا ولا تولهم مُحاباة .. وتوخ منهم التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام .. ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم .. ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء ..) [٤٥] .

أراد الإمام أن يضع القواعد السليمة لبناء الدول والتي تبدأ في كل الأحوال من قياداتها فاشترط بعد أختيارهم وفق المعايير الموضوعية على سبيل الاختيار لا المحاباة، وأن تكون صفات المسؤولين من شريحة اجتماعية ذات تاريخ مشرف وحسب رفيع وماضٍ يرفده بالعطاء، فهذه الطبقة ومن قدمها في الإسلام قد وفرت فرصة طيبة للتربية الصالحة لتشرّبها بقيم ومبادئ الإسلام التي تغرس النزاهة في النفوس على خلاف حديثي عهد بالإسلام الذين آمنوا بعد أن أصبح الدين الجديد سلطة حاكمة ما يجعل احتمالية إسلامهم بدافع المكاسب وضمان المصالح الشخصية، وهذه الشخصيات من أصحاب البيوتات الصالحة عليها أن يتوفر فيها بند مهم كي يتولى حقل المسؤولية هو أن يكون من أصحاب التجربة والخبرة العملية المتراكمة يضاف لها صفة الحياء أي من الحريصين على الالتزام الأخلاقي والسمعة الوظيفية مما يمنعه من الممارسات المخجلة بحجة أن ثقل المسؤولية لا يسمح بمراعاة القيم الأخلاقية [٤٦] .

ولكي يكون الوالي حريصا في اختيار الإشخاص ويتلافى الوقوع في الخطأ، يعيّن المسؤول على سبيل التجربة لكي يثبت أهليته لتسنم الوظيفة وفي طبيعة الحال قد تختلف التجربة باختلاف العمل والشخص في الكيفية والمدَّة، ولهذه الاحتياطات أهميتها في جعل الموظف يشعر أنه تحت الفحص

والإختبار، والمنصب ليس منحة أزلية ما يجعله في حذر وتوجس دائم، ويعد تولية الموظف وتركه من جهة المسؤول الذي عينه يكون تقصيرا ومساهمة في ترويج الفساد بتهيئة أرضية ظهوره، وتلك الشروط التي ذكرت آنفا ذات أبعاد تحقق أهداف المجتمع من خلال أدوارهم القيادية سيما وان عملية الاختيار تمت وفق أسس موضوعية بعيدة عن الآثرة والمحاباة ولا تنطوي على الجور واعتمدت العدالة في توخي المصلحة العامة للرعية وهي تتلاءم مع الوظيفة المعاصرة (تكوين وتنمية الإداريين) لتنمية وتطوير المهارات، ثم تكليفهم في المواقع الهادفة في المسؤولية [٤٧] .

لم يترك الإمام الموظف دون تزويده ماديا لكي لا ترنو عينه إلى أموال المسلمين بل وتشجيعه على تعميق الاداء الإداري السليم فطالب بالإغداق عليه من الأموال لتكون قوة على استصلاح أنفسهم و يحقق لهم عيشة كريمة تجعلهم في غنى عن قبول أي نوع من الرشاوي الأمر الذي يقلل فرص استغلال الوظيفة ويضيق هامش الفساد.

٢- تفعيل نظام المراقبة هو الآخر ما أكد عليه الإمام كونه ينطلق من تعميق روح الود والثقة والتي هي إفرازات نظرية حديثة اتسمت بها نظرية (Z) اليابانية [٤٨]، في التعامل الإنساني وكذلك اعتمادها أسلوب الإدارة الميدانية لمتابعتهم وتجاوز الانحرافات قبل وقوعها وتفاقمها واتخاذ الإجراءات التصحيحية بشأنها كما تعتبر مؤشراً في تحقيق النجاح الهادف بشكل عام مهما كان حجم المسؤولية وطريقة أدائها وطبيعة تعاملها مع المجتمع، كذلك اعتمد الإمام في منهجه على أسلوب الرقابة السرية المتضمنة تعيين المخبرين ممن يتوفر فيه الإخلاص والدقة في نقل الوقائع لأنه مدعاة لاستعمال الأمانة وكي لا يُظلم الناس أما العلنية فطالما كان يطلب من عماله بإرسال كشوفاتهم إليه[٤٩] كما في قوله إلى مصقلة

بن هبيرة الشيباني (ت٥٠هـ) :(فارفع إلي حسابك وأعلم أن حساب الله أعظم من حسابك)[٥٠]، وهذا ما يجعله ملمًا بسيرة عماله الوظيفية، وقد ساعد على أن توفر المعلومات وتجعل الموظف الأعلى حاضرا في مكتب الموظف الأدنى ومحيطا بأعمالهم الإدارية حتى وإن كانوا في الولايات البعيدة ونجد في كتبه نماذج كثيرة مثل كتابه إلى عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) :(وقد بلغني تنمُّرُك لبني تميم وغلظتك عليهم وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر ..)[٥١]، وقوله لأحد العمال : (أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة ..) [٥٢]، وقوله لابن حنيف (ت٣٨هـ) عامله على البصرة : (فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ..) [٥٣]، وقوله : (إنّ عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه..)[٥٤]، وتلك الأمثلة تشير إلى متابعته لتصرفات ولاته ليكونوا دائما على حذر كي لا يصدرمنهم ما ينقله أولئك العيون.

ويضرب لنا الإمام مثلا آخر في التعامل الصحيح للحاكم مع الرعية دون أن يأخذ أمرهم الرقابي على محمل التهاون أو الشك، حين جاءته الهمدانية سودة بنت عمارة – فدخلت عليه دون أن يمنعها حاجب – تشتكي حيف رجل تولى الصدقات من قبله، كان ﷺ يُصلي فلما رآها انفلت من صلاته ثم قال بتعطف: (ألك حاجة فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم إنك الشاهد علي وعليهم لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ..) ثم أعطى سودة كتاب عزل عامله [٥٥].

تضمن تركيز أمير المؤمنين ﷺ على تثبيت حقائق الاتجاهات الإدارية الحديثة ومرتكزاتها الفكرية وأطرها الفلسفية المعاصرة بشكلها المادي، والتي جسّدها بصورة أكثر دقة وشمولية بإضافة وظيفتي التقوى والشورى، وهي تشتمل على خمسة وظائف أساسية هي (التخطيط، التنظيم، التحفيز، الرقابة، تكوين وتنمية الإداريين) [٥٦].

٣ - يأتي عليه السلام في توجيهاته بعد اختيار عماله وتوزيعهم في المناصب على كيفية التعامل مع الرعية دون المساس بكرامتهم أو الحط من أقدارهم، مشيرا حول التقسيم الطبقي للمجتمع، فبدأ فكره الاجتماعي بطبقة الفلاحين التي احتلت مكانة متميزة لديه وأهمه بالقياس إلى باقي الطبقات على اعتبار أن غالبية البلاد المفتوحة كلها مجتمعات زراعية ويمثلون الأغلبية العددية للسكان وكان الخراج (ضريبة الأرض الزراعية) من أهم مصادر ثروة الدولة من حيث التمويل أو المعيشة، قائلا : (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم .. لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ..) (٥٧)، جاء تأكيد الإمام على أهمية هذه الحرفة ودوام صلاحها الذي يعتمد على رعاية أهلها بالسبل السديدة على أعتبار أن التعامل معها يتوقف عليه مصالح الطبقات الآخرى ومن شأنه أن يحقق إصلاحا شاملا للمجتمع بكامله ومتوقفا على أمرهم (٥٨) .

فكانت تلك السُبل في استجلاب حسن ثنائهم ورضاهم من خلال قوله: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ..ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ...) (٥٩) .

على أثر الاهتمام بتلك الشريحة من حيث مراعاة الظروف الصعبة التي تمر بهم ثم تعمير ما قد يصيبه الخراب من الأرض وعمارتها، أي تكون الأولوية للتعمير والإصلاح على حساب التفكير باستحصال الخراج ثانيا والمراد به هو المشكلات الاقتصادية التي تواجههم وتتطلب تدخل الدولة بتخفيف الضرائب، وهذا ما يجلب ثناء الفلاحين وشكرهم الذي ينعكس بدوره على مقدار الخراج الذي من نتائجه يحقق زيادة مطردة في الإنتاج وعليه يشكل

الثروة التي تحقق للأمة صلاح شأنها، ثم يؤكد على أن لايستثقل أمر تخفيف المؤونة لأنهم يشكلون ذخرا مؤجلا يستخدم في عمارة البلاد فيما بعد وتزيين الولايات مع تحقيق ثنائهم باستفاضة العدل فيه لأن أكثر المشكلات وتخريب البلاد والعباد يتأتى من إعواز أهلها وضعفهم المادي والاقتصادي ومرده إلى سوء أنفس الحكام وفسادهم في رغبتهم في التحصيل والجمع وتحقيق المطامع الرخيصة على حساب المجتمع لظنهم السيء بالبقاء في مناصبهم القيادية وتجاهلهم عِبَر الزمان وتجارب الآخرين التي لم تدم لأحد، ليشير في موضع آخر إلى تلك القاعدة السماوية والبعد الاجتماعي في أداء المسؤوليات اتجاه الناس : (أن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيبقيها بأيديهم ما أعطوها فإذا منعوها حجبها عنهم ثم حولها إلى غيرهم) [٦٠] .

أشار الإمام ﷺ إلى نقطة مفصلية في اختيار العمال وكيفية مكافحتها وهو أن لا يعتمد على الفراسة وحسن الظن لأن البعض منهم يمتلك القدرة على النصب والاحتيال من خلال تصنعهم وحسن خدمتهم وغيرها من أساليب التضليل التي تنطوي على الحاكم وبالتالي تقوض من قدراته في إدارة الناس لذلك وفق المعيار الأخلاقي يتم إختبارهم ثم اختيار أحسنهم من العامة أثرا أولا وأعرفهم بالأمانة وجها ثانيا [٦١] .

عرّج الإمام إلى الناحية التنظيمية والإدارية المعاصرة بجعل الأعمال الموكلة للأشخاص على شكل دوائر ثم يجمع الأعمال المتماثلة بدائرة واحدة، فيكون لكل وحدة وشعبة وقسم مرؤوسوها ولكل دائرة رئيسٌ ليتم التشكيل الهرمي للتركيب الإداري، والغرض من التقسيم القدرة على ضبط الاعمال بحيث لا يصعب على الرئيس إدارتها ولا تخرج عن قدرته بتشتتها، ثم يحمل المسؤولية العيب أو التقصير من العاملين، بأن يلزم الرئيس الأعلى ويصبح مؤشرا عليه في تقصيره وذلك لتغاضيه في

أداء مرؤوسيه، ثم يجعل الإمام تلك العلاقة ضمن الاطار التنظيمي وفق مسؤوليتين احداهما دنيوية والممثلة بالعامل اتجاه الرئيس وآخرى آخروية اتجاه الله ﷻ [٦٢] وقد أكدت الأية الكريمة تلك المسؤولية ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [٦٣] .

٤ – تناول الإمام طبقة التجار وأرباب الصناعات وعدّها من الطبقات المهمة التي تساهم في توفير الاحتياجات الضرورية وإشباع حاجات المجتمع الذين يجلبونها من مصادرها ووصولها لمحتاجيها كما تقوم بهم وعليهم مرافق البلاد وطالب برعايتهم وتفقد شئونهم ومراعاة أحوالهم [٦٤]، لكنه يلفت نظر واليه إلى الجوانب السلبية وعيوبهم الاجتماعية والاقتصادية التي تتسبب بالفساد، من تفشي البخل والشح ورغبتهم في الاحتكار والاستغلال، وتحكمهم في البياعات والتطفيف في الكيل والموازين وزيادة الأسعاروهذه تُضمن الإضرار للعامة لذا على الوالي أو الرئيس أن يتصدى لهؤلاء ويطاردهم ويحاسبهم سيما وأن رسول الله ﷺ أكد عليه مسبقا وطالب أن يكون البيع سمحا وبموازين عادلة وأن لا تجحف الأسعار كلا الفريقين البائع والمشتري، أما إذا عاد المحتكر لاحتكاره فيجب التنكيل به في غير إسراف [٦٥]، (وتعد هذه الحالة من أرقى سبل التعاون الاجتماعي وتحقيق الأهداف الإنسانية المثلى وبأبلغ السبل الواعية لمصالح الرعية) [٦٦] .

من الجدير بالذكر أنه يجب الإشارة إلى ثلاث آليات أستخدمها أمير المؤمنين للوقاية من الفساد وهي إجراءات ترفع من كفاءة الخطة الوقائية والمتمثلة، أولا : العقوبات الاستباقية والتي جسّدها في تصرفه مع أخيه عقيل حين جاءه يشتكي الفقر ويطلب أكثر مما أخذ سائر الرعية فكان جوابه بإحماء حديدة وتقريبها من يده، لتذكيره بالعقاب الأخروي الذي سيطاله لو أخذ من بيت المال دون استحقاق، كذلك استرداده القلادة التي استعارتها أم

كلثوم، لأنه على يقين تام أن هذه الأمور قد تبدو صغيرة لكنها قد تنمو وتشكل خروقات كبيرة، فصدورها من أفراد ينتسبون إلى المسؤول بصلتهم العائلية تخدش أهم مبدأ قانوني وأخلاقي وهو (مبدأ المساواة أمام القانون)، والآلية الثانية : اعتماده الإنذار المبكر، عندما يكتشف بوادر انحراف من أحد ولاته وميله إلى مصالحه الخاصة، يسارع عليه السلام إلى تحذيره أو توبيخه كي لاتزل قدمه ويتعدى حدَّهُ، كما في تأنيب عثمان بن حنيف وكذلك كتابه إلى واليه شريح بن الحارث الذي قام بشراء بيت واسع تشكيكا باستغلال منصبه، فأرسل إليه يحذره ويزهدّه في الدنيا [٦٧]، أما الآلية الثالثة فهي : تأكيده على خطورة الأعوان (المقربين) أي المستشارين وفي مفهومنا الحالي (المدراء العامين) بإعتبارهم الخط الأول في الاتصال مع الآخرين والأداة في تنفيذ أوامره، وبالرغم من دورهم الايجابي في تسهيل الأمور لكنهم قد يتحولون إلى سجن رسمي يحجب المسؤول عن رؤية وسماع ما يجري خارجا، أي أراد الإمام التحفظ وعدم منحهم الثقة العالية أو اعتبارهم مقياسا في التوثيق لذلك يجب مراجعة تقاريرهم وتقييمهم للتحقق من صحة الأمور الموكلة إليهم كي لا يقع المسؤول في قيدهم المعلوماتي الذي يحجب الحقيقة والتحذير من تشكيلهم حاجزا يمنعه اللقاء بعامة الناس [٦٨].

ثالثا / اهتمامه عليه السلام في تطبيق الرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر .

أهتم الإسلام بمشكلة الفقراء والعناية بهم ومحاربة ظلمهم وإهمالهم، ولغرض الوصول لذلك الهدف في إقرار التوازن الاجتماعي سلك مسلكا يختلف في وسائله وتفاصيله عن المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الآخرى بإطاره الديني العام [٦٩]، وما يكفل بها تحقيق مجتمع متكافل لسد حاجات ورغبات تلك الفئة فكانت نظرته إلى هذه المشكلة أنها ليست مشكلة قائمة

بذاتها بل متصلة بغيرها من شؤون الحياة هذا أولا أما ثانيا فإنّ حلولها لا يقتصر على المواعظ الارشادية مما لايؤثر على غالبية الشعوب مالم ترتبط بقوانين واضحة تحدد الواجبات وتحميها دولة تثيب المحسن وتعاقب المسيء وهي سُنة الله ﷻ لاستقامة الحياة والنظام، لذلك فإن استراتيجة الإسلام في محاربة الفقر تميزت بهدفها الاسمى الذي اختلف عن كل الانظمة الوضعية بما في ذلك بقية الاديان، بكفالة المجتمع لمعيشتهم فكان استئصاله متمثلا **بالزكاة** وأحيانا **بالخُمس**، لتحرير الإنسان من شباكه ويهيء له حياة تتناسب ومكانته عند الله ﷻ كما في قوله : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾ [٧٠] وبذلك يكون قد هيأ له الجانب النفسي والروحي من خلال استشعاره بمكانته الاجتماعية وما يعكسه على دوره المادي في إعمار الأرض [٧١] .

كان مفهوم الفقر عند الإسلام هو أن الفقير من لم يظفر بمستوى من المعيشة يمكّنه من إشباع حاجاته الضرورية الاساسية الذي تسمح به حدود الثروة في البلاد أي أنه يعيش في مستوى تفصله هوّة عميقة من الأغنياء في البيئة الإسلامي ويتخلف عن مواكبة هذا الارتفاع المعيشي، لكن هذا المفهوم ليس مطلقا بقدر ما هو عدم الالتحاق بالمعيشة في المستوى اللائق بالناس، لأنه كمضمون لن يكون ثابتا في كل الظروف فغالبا ما تتبدل بتغير الأحوال [٧٢] .

انطلق الإسلام من مبدأ المساواة في جميع تشريعاته المتضمنة جميع مجالات الحياة، والكل سواسية على المبدأ القائم (الناس من آدم وآدم من تراب)، لكن انقلاب الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ ثم معاناة المجتمعات الإسلامي من معضلة الطبقية التي أفرزت الظلم والاستئثار بأموال المسلمين، حتى جاء يوم حكم أمير المؤمنين ﷺ الذي ضمن مسؤولية الدولة في الحفاظ على السلم المجتمعي بسيطرته على تطويق التفاوت الاقتصادي والفقر الفاحش من كل

الجهات وذلك ليعيد بناء المجتمع على أساس من العدالة الاجتماعية، بحثّه على استثمار مصادر الثروة ورعاية العاملين عليها، وبجهود الدولة المتمثلة ببيت المال((٧٣)، فكان أول إصدار أعلنه هو المسأوة وإرجاع الأموال التي تصرف بها الخليفة الثالث وعدم المداهنة مع أي طرف كان : (والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدلُ فالجور عليه أضيق) (٧٤) .

طرح الإسلام فكرة التكافل الاجتماعي وحثّد في سبيل ذلك جملة من الاحكام والنصوص كون الدين هو صاحب الدور الاساسي في حل المشكلة عن طريق تجنيد الدافع الذاتي لحساب المصلحة العامة (٧٥) ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٧٦) وكما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) (٧٧) .

كانت دعوات الإمام عليه السلام واضحة وصريحة في سدّ احتياجات الفقراء سواء بمطالبة الأغنياء أن لا يبخلوا بالعطاء لإعانة الضعفاء والمحتاجين لأن ذلك يعود على المنفق من الجانب الديني بما تعرف بالتجارة مع الله جل جلاله (إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة) (٧٨)، وتعود على الفقير في حال حصوله ما يؤدي غرضه من مستلزمات الحياة بالرضا والقناعة لأن هناك من رعاه واهتم بتدبير شؤونه، لأنه لو مُنع كما في قوله عليه السلام : (وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه)(٧٩)، أي سيصبح الفقير ذا نفسية تملؤها الكراهية وتكون النتيجة بالتعدي على الآخرين بالسرقة أو الاحتيال بمختلف الطرق بغية الانتقام .

لم يترك الإمام الفقير فريسة لشبح الفقر ومعاناته فبعد أن حثّ الناس بالموعظة والنصيحة لمساعدتهم كان تأكيده على ولاته في بيان حقوق الفقراء

ومسؤولية الدولة في التخفيف أو إزالة ذلك الضرر فإن لهم في فكره الاجتماعي حقوقا مقدسة في بيت المال، فكان منهجه الاقتصادي يعتمد توزيع الأموال بصورة عادلة وبالسوية، ويبدو أن تلك السياسة لم تكن لتأخذ مكانها من ناحية التطبيق والممارسة العملية دون أن يكون هناك تفاعل واتصال بين الخليفة الإمام والولاة الإداريين فضلا عن أن يكون هناك مشاعر التواصل بين الولاة والرعية بحيث يعرف كلاهما حق الطرف الآخر عليه وهذا يتجسّد في قوله (ليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية) [٨٠]، فكانت وصاياه تؤكد في هذا الجانب وهي :

١ - شدد الإمام على التحذير الدائم من التلاعب بأموال الناس وخيانتهم في سلب حقوقهم كما في كتابه إلى عامله على فارس زياد بن أبيه (ت٥٣هـ) : (أني أقسم بالله صادقا، لئن بلغني أنك خُنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر) [٨١] .

٢ - إصراره على توزيع الأموال متمثلا في خطابه إلى قثم بن العباس (ت٥٢هـ) عامله على مكة : (وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيبا به مواضع الفاقة والخلاّت وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا) [٨٢] .

٣ – جعل التجانس والاخوة الإنسانية بغض النظر عن المعتقد والدين أهم معايير دولته المثالية، وقصة النصراني المسن الذي تعجب من وجوده [٨٣] في تلك الحالة وفي دولته التي لا تعرف الظلم وعليه يحدد الحقوق والواجبات بين الدولة والشعب فقال : ماهذا ! ولم يقل من هذا ؟ وما لما لا يعقل ومن لمن يعقل، لتدل على منطقه القائم : (ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) [٨٤] .

٤ – وصيته لعامله على مصر خيرا بالطبقة السفلى من المجتمع الذين لا قدرة لهم على الكسب والتكسب (العاجزين عن العمل) ولهم واجب الرعاية والحقوق في دولته ويعّدهم له وهم : (من الذين لا حيلة وأهل البؤس والزمني ...) أي المساكين والمحتاجين وأصحاب الأمراض والعاهات المزمنة وكذلك اليتامى وكبار السن ممن لا حيلة لهم، فمسؤولية الدولة تأخذ جانب الكفالة والقيام بكل امورهم بل تتعهد بعدم تضييع حقوق اليتامى وإهمالهم، ولم يتجاهل الإمام الذين يمنعهم الحياء من السؤال رغم حاجتهم، فهو على العموم يطلب تخصيص جزء من أموال الدولة (صوافي الإسلام في كل بلد) لهم، وأن يتفرغ لبحث أحوالهم ورعاية أمرهم وعرض شأنهم على الوالي من قبل عمال أهل ثقة بل على الوالي كذلك أن يتفرغ ويخصص بعضا من وقته يتفقد فيه أمور هذه الطبقة بعد أن يبعد جنوده وحراسه ووأعوانه حتى يتحدثوا اليه في قضاياهم ومظالمهم واحتياجاتهم دون خوف أو رهبة وفي طلاقة لا تحجب ألسنتهم دونما تعتعة ثم يقول مؤكدا أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع) [٨٥].

أما ما كان من موقفه أزاء المال العام مقارنة بالفلسفة التي وجدت طريقها إلى الخليفة الثالث والتي تبيح له التصرف لحسابه الخاص في فضول الأموال أي ما زاد من أعطيات المسلمين، والا فلم كان إماما إذا لم يتجاوز على أموال الرعية ؟؟ غير إننا نلتقي على النقيض بفلسفة الفكر الاجتماعي عند علي عليه السلام فهو صاحب نظرة خاصة للمال العام لا تستحل التصرف به إلا لأهله، ونلتمسه من رفضه أن يعطي شيئا من بيت المال وقال له : (.. إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء المسلمين .. إنه ثمرة لجني أيديهم وقتالهم، وما تجنيه الأيدي يكون لافواه اصحاب هذه الأيدي، لا للذين لم يشاركوهم

العمل والجهاد) [٨٦]، ويُرى في محل آخر وهو يتقشف في ملبسه ومأكله الذي طالما كان عليه لخشيته من (هيهات أن يغلبني هوأي ويقودني جشعي إلى تخير الاطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع) [٨٧]، ولعله تشير إلى نفي العوز عن البلاد بحيث لم يكن متيقنا بوجود فقير واحد، ومما تقدم يتبين أن دولة أمير المؤمنين عليه السلام تجشّمت جميع المسؤوليات في رعاية الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم على اعتبار أنها جزأ لا يتجزء من رسالة الإسلام التي دعت إلى محو الفقر ونشر السعة بين الناس، كونه ينعكس على استقرار الأوضاع بمضامينها الدنيوية بما توفره الدولة من بيئة ملائمة لتحقيق الأمن الاجتماعي .

الخاتمة

١-أكد أمير المؤمنين على ضرورة التقويم الموضوعي للأداء العملي للنهوض بالأمة نحو التقدم والتطور فكانت من أولوياته محاربة البدع والانحراف ومكافحة الفساد الذي أدرج له خطوات بارزة وعملية نستطيع أن نستلهم منها طريقا مضيئا بواسطته يتم القضاء على تلك الآفة التي تؤخر البلاد وتدفعه إلى العصور المظلمة .

٢-رؤية الإمام الشاملة للحياة في كل أبعادها واجزائها فالاقتصاد متداخل مع السياسة وكلاهما يرتبط بالإدارة مع الأخذ بنظر الاعتبار بمبادئ الإسلام التي وصَّى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، والنظرية الإدارية لديه تبدأ أولا بالإنسان .

٣-أشار الإمام إلى حجم المسؤولية المركبة وفق الاطار إلهيكلي التنظيمي، سواء كانت في اطارها الرسمي المتمثل بالمجتمع الإسلامي بصفتهم المسؤولين تارة وأمام الله جل جلاله تارة آخرى أو في اطارها غير الرسمي (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) .

٤-مما تقدم نجد أن الإمام ضمن وفرض التكافل الاجتماعي لأن الإسلام اهتم ببناء المجتمع المتكامل وأوصى بالطبقات المسحوقة منه، وعلى إلزام الدولة بالاهتمام برعاياها حفاظا لماء وجوه هذه الطبقة، وعليه أن تتكفل بتوفير أقواتها دون أن يمسهم أذى أو الحط من كرامتهم .

٥-نلتمس من عهده لمالك الاشتر، قيام نهجه على معالجة الواقع الإنساني بجميع الابعاد المادية والروحية من خلال إحداث حالة من التوازن في حياة الناس وذلك لما يراه بوجود علاقة تبادلية تكاملية بين طبقات المجتمع .

٦-استخدم الإمام اسلوب التحفيز الذي يدفع إلى تفعيل المقدرة نحو المزيد من الاداء الجيد من خلال مراسلاته إلى ولاته الذين أحسنوا وأدوا الامانة على وجهها الكامل، ثم رفضه المبررات التي دفعت البعض منهم اي التجاوز في أموال الأمة بينما عزل آخرين بعد ثبوت الحجة على خيانتهم.

الهوامش:

١ سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

٢ سورة الإنسان : الآية ٨ .

٣ إبن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم (ت٢٣٥هـ)، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد (الرياض – ١٤٠٩هـ)، ج٦، ص١٦٤، رقم ٣٠٣٥٩.

٤ الخليل، سمير، القيم العصرية في فكر الإمام علي ﷺ، مجلة أبواب المعرفة، العدد الثالث، ٢٠٢٣ م، ص٣٦ -٣٧ .

٥ إبن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر،ط٣(بيروت – ١٤١٤هـ)، ج١١،ص٢٥٢ .

٦ الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر (٨١٧هـ)، القاموس المحيط،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت –٢٠٠٥م)، ج١، ص١٠٠٠.

٧ خليفة، عبد الرحمن، في علم السياسة الإسلامي، دار المعرفة الجامعة، (الإسكندرية – ١٩٩٠م)، ص٨٤-٨٦ .

٨ القلعي، أبو عبد الله، تهذيب السياسة وترتيب الرياسة، تحقيق : ابراهيم يوسف ومصطفى عجو، مكتبة المنار (الزرقاء – د.ت)، ص٧-٨ .

٩ إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص١٦، ص٢٠٥ ؛ الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨٠هـ)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف – ١٩٦٦ م)، ج١، ص١٩٥، باب لا تخلو الأرض من حجة .

١٠ الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة وزارة الارشاد الاسلامي، ط٢ (طهران – ١٤٠٣هـ)، ص٣- ٤ .

١١ إذا لم يكن للمرء في دولة إمرئٍ نصيب ولا حظ تمنى زوالها . الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسر العربية، إحياء التراث العربي (بيروت – ٢٠٠٢م)، ص٢٧٧ .

١٢ الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين ﷺ، ترتيب : عبد الحسن ذهيني، دار الهادي (بيروت –١٩٩٢م)، ص٣٣ .

١٣ الآمدي، المصدر نفسه، ص٢٠٥ .

١٤ الآمدي، المصدر السابق، ص٤٤١ .

١٥ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٥٨ .

١٦ الآمدي، غرر الحكم، ص٣٠٩ .

١٧ أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٣٢ .

١٨ للمزيد ينظر : الطرفي، حميد مسلم فرهود، الدولة المدنية عند الإمام علي ﷺ دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية والإدارية والدبلوماسية، معهد العلمين للدراسات العليا، (النجف الأشرف -٢٠١٢ م)، ص١٠٣ .

١٩ أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٣٠٧ .

٢٠ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية، ط٤ (النجف الأشرف – ١٩٧٤م)، ج٢، ص١٠٢ .

٢١ إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٢٦٣ .

٢٢ شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٢٢٥ .

٢٣ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ج٧٥، ص٨٣ .

٢٤ بيضون، إبراهيم، الإمام علي (في رؤية النهج ورواية التاريخ)، بيسان للنشر والاعلان، ط٢(بيروت – ٢٠٠٩ م)، ص١٥٤، ص١٦٠.

٢٥ الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات (بيروت – د.ت)، ج٢، ص٧٠٢ .

٢٦ جبرون، أحمد، مفهوم الدولة الإسلامية (أزمة الأسس وحتمية الحداثة)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط٢ (بيروت – ٢٠١٥م)، ص٣٥٧- ٣٥٨ .

٢٧ فرج، موسى، الفساد في العراق (خراب القدوة وفوضى الحكم)، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، (بغداد – ٢٠١٢م) ص٣٢ .

٢٨ مشكور، فخري، منهج الإمام علي ﷺ في مكافحة الفساد (دراسة في عهده الى مالك الأشتر)، الأمانة العامة للمزارات الشيعية / أمانة مسجد النخيلة التاريخي والمزارات الملحقة به، ٢٠١٦م، ص٢٢ ؛ كاشف الغطاء، عباس، الفساد الإداري في المظور الإسلامي " الجريمة المجهولة "، شركة صبح للطباعة (النجف الاشرف – ٢٠١٠م)، ص١٢.

٢٩ سورة الروم : الآية ٤١ .

٣٠ سورة المائدة : الآية ٣٣.

٣١ فرج، موسى، الفساد في العراق (خراب القدوة وفوضى)، الروسم لطباعة، (بغداد – ٢٠١٥م)، ص٣٤-٣٥

٣٢ سورة البقرة : الآية ١١ .

٣٣ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي(ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية (د.ت، ٢٠٠٩م)، ج٤، ص١٧٠ .

٣٤ صالح، أحمد عباس، اليمين واليسار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ (بيروت – ١٩٧٣م)، ص٩٤ .
٣٥ إبراهيم، أيمن، الإسلام والسلطان والملك، دار الحصاد، (دمشق – ١٩٩٨م)، ص٢٦٢ .
٣٦ طه حسين، الفتنة الكبرى، ج٢، ص٢٤٣ .
٣٧ إبن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢٠هـ)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، سروش، ط٢ (طهران – ٢٠٠٠م) .ج١، ص٢٩٢ .
٣٨ مالك الأشتر : ملك العرب وأحد الاشراف والابطال كان شهما مطاعا وذا فصاحة وبلاغة، شهد صفين وتميز في يومها قال الامام علي كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط٣(القاهرة – ١٩٨٥م)، ج٤، ص٣٤ .
٣٩ ابن أعثم، أبن أعثم، أبو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، دار الندوة (بيروت – بلا . ت) ج٢، ص٢٤٤ .
٤٠ الشرقاوي، عبد الرحمن، علي إمام المتقين، تحقيق : علي شيري، (دارالزهراء- ٢٠١٢م) ج١، ص٣٢٣ – ٣٢٦.
٤١ إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٧٢ .
٤٢ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٠ .
٤٣ محمد عبد، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٥٨ .
٤٤ حمود، خضير كاظم، السياسة الأدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين الأصالة والمعاصرة، مؤسسة الباقر(بيروت – د.ت)، ص١٤ .
٤٥ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٦٦ .
٤٦ مشكور، منهج الإمام، ص٢٨- ٢٩ .
٤٧ المصدر نفسه، ص٣٠ ؛ حمود، السياسة الادارية، ص١٢٥ .
٤٨ نظرية يابانية ابتكرها العالم الياباني وليم أوشي، شكلت مثلثا ذا أبعاد ثلاثة هي (المودة، الثقة، المهارة) عكست طبيعة العلائق السائدة في المجتمع الياباني القائمة على مبدأ الاحترام، تتجسد حيثياتها في التعامل وفق الأبعاد الإنسانية مع العاملين مما كان له أحسن الاثر في زيادة الانتاجية . حمود، السياسة الأدارية، ص١٧ .
٤٩ مشكور، فخري، منهج الإمام علي عليه السلام، ص٣١ .

٥٠ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الاشراف، تحقيق : سهيل زكار وآخرين، دار الفكر، (بيروت –١٩٩٦ م) ج٢، ص١٧٠ ؛ أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٦٤ .

٥١ إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٢٥ .

٥٢ شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٣٧ ؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٤٨٩ .

٥٣ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٠٥ .

٥٤ الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكوفي (ت٢٨٣هـ)، الغارات، تحقيق : جلال الدين المحدث، (إيران – د.ت)،ج٢، ص٥١٠ .

٥٥ إبن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تصحيح : أحمد الحلفي، مطبعة والدة عباس الأول (القاهرة –١٩٠٨م)، ص٣٥ .

٥٦ حمود، السياسة الادارية، ص٥٨، ص٦١، ص١٠١ .

٥٧ محمد عبده، نهج البلاغة، ص٤٦٧ .

٥٨ محمد عمارة، الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب ﷺ من كتاب علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(بيروت – ١٩٧٤ م)، ص٣٧ .

٥٩ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٦٧ .

٦٠ بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٧٠ .

٦١ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٦٨ .

٦٢ (وأجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم .. ومهما كان في كتابك من غيب فتغابيت عنه ألزمته ..) . محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٦٩ ؛ حمود، السياسة الأدارية، ص٧١-٧٢ .

٦٣ سورة الصافات : الآية ٢٤ .

٦٤ محمد عمارة، الفكر الاجتماعي، ص٤٠ .

٦٥ المصدر نفسه .

٦٦ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٧٠ ؛ حمود، السياسة الادارية، ص٧٦ .

٦٧ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي (ت٦٥٤هـ)، تذكرة خواص الأمة في خواص الأئمة، قدم له : السيد محمد صادق بحر العلوم، الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية (لا. م – د.ت)، ص١٤٩ – ١٥٠؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي (بيروت –١٤٢٤هـ)، ص٢٨٦هـ .

٦٨ مشكور، منهج الإمام علي، ص٣٤- ٣٥ .

٦٩ الصدر، محمد باقر، إقتصادنا، ص٣١٣ .
٧٠ سورة الاسراء : الآية ٧٠ .
٧١ حسين، غفران عبود، منابع الفكر الاقتصادي عند الإمام علي بن ابي طالب ﷺ دراسة نظرية تطبيقية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية (قسم الشريعة)، جامعة بغداد، ٢٠١٦م، ص٤٣٠ -٤٣١ .
٧٢ الصدر، محمد باقر، إقتصادنا، دار التعارف، ط١٤(بيروت – ١٩٨١م)، ص٧١٥ .
٧٣ الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، دار الهادي (بيروت -٢٠٠٢م)، ص٨١ .
٧٤ إبن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٦٩ .
٧٥ الصدر، محمد باقر، إقتصادنا، ص٣٢٦ .
٧٦ سورة المعارج : الآية ٢٤ و ٢٥ .
٧٧ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية (بيروت – ٢٠٠٣م)، ج٣، ص٤٩٢.
٧٨ شرح نهج البلاغة، ج١٩، ص١٠١ .
٧٩ المصدر نفسه، ص٣٠٣ .
٨٠ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٩١ . .
٨١ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٠٥ .
٨٢ حيدر، كامل، رسائل الإمام علي ﷺ، دار الفكر اللبناني (بيروت -١٩٩٥م)، ص٦٧ .
٨٣ الريشهري، محمود وآخرون، موسوعة الإمام علي بن ابي طالب ﷺ في الكتاب والسُنة والتاريخ، تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة، ط٢(د.م – ١٤٢٥هـ)، ج٥، ص١٥٨ .
٨٤ محمد عبده، نهج البلاغة، ج٣، ص٤٥٨ .
٨٥ المصدر نفسه، ص٤٧٠ – ٤٧١ ؛ محمد عمارة، الفكر الاجتماعي، ص٤١ .
٨٦ المصدر نفسه، ص ٣٨٢ ؛ محمد عمارة، الفكر الاجتماعي، ص٤٣ .
٨٧ الزمخشري، جار الله (ت٥٨٣هـ)، ربيع الابرار ونصوص الاخيار،، مؤسسة الأعلمي (بيروت – ١٤١٢هـ)، ج٣، ص٢٤٢.

المصادر والمراجع

القران الكريم

* إبن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء العربية (القاهرة – د.ت) .
* أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي(ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية (د.ت، ٢٠٠٩م) .
* ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم (تت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد (الرياض - ١٤٠٩هـ)، ج٦، ص١٦٤، رقم ٣٠٣٥٩ .
* أبن أعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، دار الندوة (بيروت – بلا. ت) .
* إبن طيفورأ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تصحيح : أحمد الحلفي، مطبعة والدة عباس الأول (القاهرة –١٩٠٨م) .
* إبن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢٠هـ)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، سروش، ط٢ (طهران –٢٠٠٠م) .
* الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين ﷺ، ترتيب : عبد الحسن ذهيني، دار الهادي (بيروت –١٩٩٢م) .
* ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط٣(بيروت - ١٤١٤هـ) .
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الاشراف، تحقيق : سهيل زكار وآخرين، دار الفكر، (بيروت –١٩٩٦ م).
* ابراهيم، أيمن، الإسلام والسلطان والملك، دار الحصاد، (دمشق- ١٩٩٨م) ،
* بيضون، إبراهيم، الإمام علي (في رؤية النهج وراوية التاريخ)، بيسان للنشر والاعلان، ط٢(بيروت - ٢٠٠٩ م) .
* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية(بيروت-٢٠٠٣م).
* الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسر العربية، إحياء التراث العربي (بيروت - ٢٠٠٢م) .
* الثقفي، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ)، الغارات، تحقيق : جلال الدين المحدث (إيران – د.ت).
* حسين، غفران عبود، منابع الفكر الاقتصادي عند الإمام علي بن ابي طالب ﷺ دراسة نظرية تطبيقية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم

* الإسلامية (قسم الشريعة)، جامعة بغداد، ٢٠١٦م، ص٤٣٠ -٤٣١.
* حمود، خضير كاظم، السياسة الأدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بين الأصالة والمعاصرة، مؤسسة الباقر(بيروت - د.ت) .
* حيدر، كامل، رسائل الإمام علي ﷺ، دار الفكر اللبناني (بيروت -١٩٩٥م) .
* خليفة، عبد الرحمن، في علم السياسة الإسلامي، دار المعرفة الجامعة،(الإسكندرية - ١٩٩٠م).
* الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، ط٣(القاهرة - ١٩٨٥م) .
* الريشهري، محمود وآخرون، موسوعة الإمام علي بن ابي طالب ﷺ في الكتاب والسُنة والتاريخ، تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة، ط٢(د.م - ١٤٢٥هـ) .
* الزمخشري، جار الله (ت٥٨٣هـ)، ربيع الابرار ونصوص الاخيار، مؤسسة الأعلمي، (بيروت - ١٤١٢هـ).
* سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي (ت٦٥٤هـ)، تذكرة خواص الأمة في خواص الأئمة، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية (لا. م - د.ت) .
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي (بيروت -١٤٢٤هـ) .
* الشرقاوي، عبد الرحمن، علي إمام المتقين، تحقيق : علي شيري،(دار الزهراء -٢٠١٢م).
* الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨٠هـ)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف - ١٩٦٦ م) .
* صالح، أحمد عباس، اليمين واليسار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ (بيروت - ١٩٧٣م) .
* الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، وزارة الارشاد الإسلامي، ط٢(طهران- ١٤٠٣هـ).
* الصدر، محمد باقر، إقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات (بيروت - ١٩٨١م) .

* الطرفي، حميد مسلم فرهود، الدولة المدنية عند الإمام علي ﷺ دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية والأدارية والدبلوماسية، معهد العلمين للدراسات العليا، (النجف الأشرف -٢٠١٢ م) .
* طه حسين، الفتنة الكبرى، دار الحياة للنشر والتوزيع (بلا . م-٢٠١٦ م) ..
* الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر (٨١٧هـ)، قاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة (بيروت - ٢٠٠٥م) .
* القلعي، أبو عبد الله، تهذيب السياسة وترتيب الرياسة، تحقيق : ابراهيم يوسف ومصطفى عجو، مكتبة المنار (الزرقاء - د.ت) .
* الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات (بيروت - د.ت) .
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، (بيروت - د.ت) .
* محمد عبده، نهج البلاغة، خرج مصادره : فاتن محمد خليل اللبوت، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي (بيروت – د.ت) .
* محمد عمارة، الفكر الأجتماعي لعلي بن أبي طالب ﷺ من كتاب علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(بيروت - ١٩٧٤ م) .
* مشكور، فخري، منهج الإمام علي ﷺ في مكافحة الفساد (دراسة في عهده الى مالك الأشتر)، الأمانة العامة للمزارات الشيعية / أمانة مسجد النخيلة التاريخي والمزارات الملحقة به، ٢٠١٦م .
* الموسوي، محسن باقر، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، دار الهادي (بيروت -٢٠٠٢م) .
* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية، ط٤ (النجف الأشرف - ١٩٧٤م) .

مؤشر الفقر العالمي لعام ٢٠٢٣ وموقع العراق فيه – حلول ومعالجات بالإفادة من منظور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

م.د. احمد ابراهيم حسين علي العبيدي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البعثات والعلاقات الثقافية

ملخص البحث

ينطلق الباحث من المنظور الاقتصادي للأمام علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال استراتيجية فذة وشمولية لمكافحة الفقر. فالمشكلة لا تكمن في أشخاص يفترشون الأرض ويستعطون الناس، إنما في العوامل والأسباب لهذه الظاهرة . ففي عالم يتسم بمستوى لم يسبق له مثيل من التنمية الاقتصادية والوسائل التكنولوجية والموارد المالية، لم يزل الملايين الذين يعيشون في فقر مدقع يمثلون عارا أخلاقيا. فالفقر ليس مسألة اقتصادية فحسب، بل هو ظاهرة متعددة الأبعاد تشمل نقص كل من الدخل والقدرات الأساسية للعيش بكرامة. لقد حددت الأمم المتحدة يوم السابع عشر من أكتوبر / تشرين الأول من كل عام وأسمته اليوم الدولي للقضاء على الفقر End Poverty، كذلك سعت المنظمة الدولية من خلال أهداف التنمية المستدامة إلى تحقيق ذلك الهدف ضمن أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ وهو الهدف الأول (القضاء على الفقر)، وفيما يتعلق بالعراق فإن نسبة الفقر فيه خلال ٢٠٢٢، بين ٢٢-٢٥٪ مقابل ارتفاع سعر دقيق القمح على أساس سنوي بنسبة ١٤٪ وارتفاع سعر زيت الطعام النباتي على أساس سنوي بنسبة ٢٦٪ وارتفاع سعر الأرز على أساس سنوي بنسبة ١٧٪. كما احتل العراق المرتبة ٧٥ من أصل ١٠٣ دول بمؤشر سعر رغيف الخبز؛ إذ يسأوي سعر الرغيف ٧٨ سنتًا أمريكيا، في حين احتل المرتبة ٥٤ من أصل ١٠٤ دول حسب مؤشر صافي الراتب (الدخل) الشهري بعد الضرائب العالمي بمبلغ ٧٤٠ دولاراً و٩٣ سنتًا. واستقر العراق في المرتبة ٩٣ بمؤشر الرعاية الصحية العالمي من أصل ٩٦ دولة أي أنه رابع أسوأ دولة من حيث الرعاية الصحية فيما احتل المرتبة ٣١ من أصل ١١٦ دولة في مؤشر التلوث العالمي.

Abstract

The researcher proceeds from the economic perspective of Imam Ali Ibn Abi Talib, peace be upon him, through a unique and comprehensive strategy to combat poverty. The problem does not lie in people who spread the ground and ask people for help, but in the factors and causes of this phenomenon. In a world characterized by an unprecedented level of economic development, technological means and financial resources, millions living in extreme poverty continue to be a moral disgrace. Poverty is not only an economic issue, but a multidimensional phenomenon that encompasses the lack of both income and basic capacities to live in dignity. The United Nations has assigned the seventeenth of October of each year and called it the International Day for the Eradication of Poverty.

Through the sustainable development goals, the international organization sought to achieve that goal within the sustainable development goals for the year 2030, which is the first goal (poverty eradication), and with regard to Iraq, the poverty rate in it during 2022, between 22-25%, compared to the increase in the price of wheat flour on an annual basis by 14%, the increase in the price of vegetable edible oil on an annual basis by 26%, and the increase in the price of rice on an annual basis by 17%. Iraq also ranked 75th out of 103 countries in the price index of a loaf of bread, with a price of 78 US cents, while it ranked 54th out of 104 countries according to the global net salary (income) index after taxes of $ 740 and 93 cents. Iraq settled in 93rd place in the global health care index out of 96 countries, meaning that it is the fourth worst country in terms of health care, while it ranked 31st out of 116 countries in the global pollution index.

المقدمة

الفقر هو أحد أكبر المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في العالم اليوم. حتى في الولايات المتحدة، كثيرًا ما نرى أشخاصًا يتسولون من أجل المال والطعام. خلال فصول الشتاء القاسية، هناك نقص في الملاجئ والملابس الدافئة للمشردين. نرى أشخاصًا بكل متعلقاتهم يجلسون أو ينامون في عربة مترو الإنفاق لأنهم ليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه. في ليلة واحدة فقط في الولايات المتحدة في عام ٢٠١٨ على سبيل المثال تم العثور على ٥٥٣،٧٤٢ شخصًا بلا مأوى وبحاجة إلى المساعدة. مع كل تقدم تكنولوجي على مدار القرون الماضية، لا يزال هناك نقص في الموارد التي تلبي احتياجات الأشخاص الأقل دخلاً .

يسير العالم في طريق القضاء على الفقر بشكل نهائي، حيث توقع تقرير جديد لمركز التنمية العالمية، التابع للأمم المتحدة في ١٥ آذار ٢٠٢٣، أن يتم القضاء على الفقر المدقع عالمياً بحلول عام ٢٠٥٠، وسط تساؤلات حول إمكانية إنجاز المهمة. وتُبشر التوقعات بإمكانية القضاء على أسوأ أنواع الفقر مدفوعا بالنمو الاقتصادي في البلدان منخفضة الدخل، ففي عام ٢٠٥٠، سيبدو العالم مختلفا عما هو عليه، ولا يمكن أن يستمر الفقر في ظل النمو الاقتصادي المتنامي. و"الفقر المدقع" حسب التصنيفات العالمية يطلق على الدول التي يبلغ دخل الفرد فيها أقل من دولارين في اليوم الواحد. ووفقا لمركز التنمية العالمية، قد يختفي مصطلح دول منخفضة الدخل من القاموس عقب هذه الفترة. وسيجني ثلثا العالم في ٢٠٥٠ أكثر من عشرة دولارات في اليوم الواحد، أي ستصل نسبة ارتفاع الدخل إلى ٤٢ بالمئة في اليوم. وتأتي هذه النتائج في ظل توقعات الخبراء بنمو أبطأ بكثير في البلدان ذات الدخل المرتفع على مدى العقدين المقبلين، بينما سيزداد دخل الفرد في البلدان النامية خلال المدة نفسها. والمقصود بالفقر المدقع

هو " تلك الحالة الشديدة من العوز التي يكون الفرد فيها غير قادر على تأمين ثلاث وجبات في اليوم، وهي حد مطلوب لإمداد الجسم بما يحتاجه من طاقة السعرات الحرارية". في ظل وجود تضخم، ثمة تحفظ في الوقت الحالي على تصنيف الفقر المدقع، أي ما القدر من المال الذي يحتاجه الفرد حتى لا يكون ضمن الأشخاص الذين يعانون الفقر المدقع.

يحأول المختصون الدفع بتصنيفات أكثر عدلا ودقة، كأن يجري الانتباه إلى عدد الأسرة المتاحة للمرضى في مجتمع من المجتمعات، إلى جانب استحضار البنى التحتية للمدارس.، والتوزيع العادل للثروة في العالم ليس مهمة سهلة، فهناك حاجة لأن تتوقف الدول الغنية عن استنزاف الدول الفقيرة".

في العراق تشكل نسبة الفقر فيه ٣٠٪ حسب إحصاءات وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي العراقية، أي ما يعادل ثلث سكان العراق البالغ عددهم أكثر من ٤٣ مليوناً لعام ٢٠٢٣، ولايختلف الواقع الديموغرافي في العراق عن أية دولة أخرى في العالم من ناحية تمركز الفقر فيها وتمدّده بنسب معينة قد تكون في بعض المدن عالية جدا أو تحت المستوى المسموح به عالميا، وبعض مستويات الفقر فيها تكون تحت خط الفقر والبعض فوقه.

أولاً : مشكلة الدراسة

لعل من المفارقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية النادرة أَنْ تنتشر ظاهرة الفقر في العراق، وتتحوَّل إلى إشكالية بكل أبعادها السلبية في بلد غني جدًّا بثرواته البشرية الهائلة، وإمكانياته الطبيعية المتنوعة من اتساع الأراضي الخصبة، وتوفر المياه العذبة، فضلًا عن الثروات المعدنية المتعددة، وبالذات النفط الخام والغاز الطبيعي. ومما زاد من إشكالية ظاهرة الفقر في العراق انتشار فيروس كورونا، منذ ٢٤ فبراير/ شباط ٢٠٢٠، وإغلاق الحدود لغالبية دول العالم، وتقليص الأنشطة

الاقتصادية، مما أدى إلى انهيار أسعار النفط في الأسواق الدولية، ومن ثم إحداث شلل تام لكل أنشطة الاقتصاد العراقي، فضلًا عن الافتقار إلى تطبيقات عملية ناجعة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة طيلة السنوات العشرين الماضية، والتي من شأنها وضع مرتكزات أساسية لتطويق التأثيرات السلبية لهذه الظاهرة التي تحولت إلى مأزق يواجه صنَّاع القرار السياسي والاقتصادي في العراق.

تتأثر أنشطة المستثمرين والعاملين في القطاعات الاقتصادية المختلفة في العراق بالظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بهذه الأنشطة، لاسيما في ظل عدم وجود بيئة استثمارية جاذبة لمجمل أنشطة القطاع الخاص بشكل عام، والمشاريع الصغيرة والمتوسطة المرتبطة به على وجه التحديد، لوجود صعوبات ومعوقات متراكمة أثقلتها التطورات في مختلف ميادين الحياة، خاصة السياسية والاقتصادية منها، والتي مرَّ بها العراق في السنوات الأخيرة، لذا يسعى البحث إلى محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما أبرز مؤشرات ظاهرة الفقر في العراق ؟

٢. ما أسباب ظاهرة الفقر في العراق؟

٣. ما أبرز التحديات الاقتصادية في العراق ؟

في سياق هذه الإشكالية وأبعادها المختلفة، تحأول الدراسة استقصاء فرضية عكست علاقة عكسية قوامها: كلما استفحلت ظاهرة الفقر في العراق، أدى ذلك إلى انخفاض مستوى الأجور، ومن ثمَّ تراجع القدرة المالية لأعداد كبيرة من أفراد المجتمع وانخفاض مستوى المعيشة، مع تراجع الخدمات في كافة المجالات وبالذات في التعليم والصحة والخدمات، مما يؤدي إلى تفاقم وانتشار المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العراقي، فيما يؤدي تراجع ظاهرة الفقر في المجتمع العراقي إلى نتائج إيجابية معكوسة في كل المجالات.

ب- أهمية الدراسة وأهدافها

تتجلى أهمية دراسة ظاهرة الفقر في العراق بالنظر إلى سياقاتها؛ حيث ظهرت في ظل نظام اقتصادي في طريقه نحو التطبيق الرأسمالي، وبخاصة بعد الاحتلال الأميركي في عام ٢٠٠٣؛ إذ تفاقمت تأثيرات هذه الظاهرة الغريبة في بلد ثري جدًّا كالعراق، والتي انتشرت جغرافيًّا في كل مدنه، وأدت تداعياتها السلبية إلى استفحال مشاكل اقتصادية واجتماعية مركَّبة، وتحوَّلت إلى عقبة كأْداء في ظل إخفاق المعالجات المطروحة.

وتتلخص أهداف الدراسة في:

- تحديد المفاهيم الرئيسة والثانوية المتعلقة بموضوع الفقر في العالم و العراق .
- تحديد أسباب الفقر في العراق.
- تقديم مقترحات وتوصيات لمعالجة ظاهرة الفقر في العراق بالاستفادة من استراتيجيات مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

المحور الأول : مفهوم الفقر وأسبابه وأنواعه

الفقر لغة ضد الغنى، ومثل الضعف وقيل الفقير أحسن حالاً من المسكين وقد جاء في التنزيل الحكيم " إنما الصدقات للفقراء والمساكين "، فالفقير هو الذي له ما يأكل أما المسكين فهو الذي لا شيء له . وخلاصة القول ان الفقير هو الذي له ما يأكله لكنه لا يستطيع ضمان كسب رزقه وتأمينه على كل حال، وهو أفضل حالاً من المسكين .

أما التعريف الاصطلاحي للفقر فهو : عدم القدرة على تحقيق الحد الادنى من مستوى المعيشة، والفقر يشير إلى مجموعة من الناس تعتبر طبقة اجتماعية وهي طبقة الفقراء .[١]

كذلك يعرف علماء الاجتماع الفقر على انه : مستوى معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية والمتصلة بالاحترام الذاتي للفرد أو مجموعة أفراد، وخط الفقر هو الحالة التي يكون فيها الفرد عاجزاً عن الوفاء بتوفير متطلبات الغذاء والملبس والمأوى الضروري لنفسه .[٢]

ومن وجهة نظر الباحث الاقتصادية فإن الدول منخفضة الدخل (الفقيرة) هي تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن ٦٠٠ دولار سنوياً وعددها ٤٥ دولة معظمها في قارة أفريقيا، منها ١٥ دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد السنوي عن ٣٠٠ دولار.

يمكن تصنيف الأبعاد الأساسية التي تساهم في تكوين الفقر (أسباب الفقر) وفق الآتي :[٣]

١- البعد السياسي : اذ يسهم التوزيع الجغرافي في التأثير على مستوى المعيشة لأفراد المجتمع، ويرجع ذلك لقلة الموارد المتاحة للافراد نظراً لتركيبتها الجغرافية بالاضافة إلى العوامل الامنية والسياسية المرتبطة بها مثل حالة الحروب التي تؤثر بشكل مباشر وفاعل على الاقتصاد المحلي لأنها تحول دون تقدم عجلة التنمية الاقتصادية وايقاف اي نشاط اقتصادي واستثماري في البلد، وبالتالي انخفاض ملحوظ للموارد المتاحة للافراد مما يؤثر على مستوى المعيشة ويسبب تفشي ظاهرة الفقر .

٢- البعد الاقتصادي : ويندرج تحت هذا البعد الحيوي ما يعتري النظام الاقتصادي من تقلبات وتحديات متنوعة يسهم فيها التقدم العالمي والتغيير التكنولوجي والتطورات المستمرة وعدم استغلال الثروات والإمكانات

المادية والبشرية والمالية والمعلوماتية بشكل فاعل وكفوء والتي لها التأثير الايجابي أو السلبي على حياة جميع أفراد المجتمع ومستوى معيشتهم .

٣- البعد الاجتماعي : ان ظهور الطبقات الاجتماعية وتمايزها في أي مجتمع يعد بيئة خصبة لظهور الفقر وتدني مستوى معيشة الافراد، لأن ذلك يسهم في وضع خطوط حمراء في التعاطي مع معطيات الحياة ومواردها . وهذا يقلل الفرص في أوجه بعض الأفراد باختزال الموارد والامكانات المتاحة مما يؤدي بدوره إلى ظهور آفة الفقر وتدني مستوى معيشة الأفراد داخل المجتمع .

ومن وجهة نظر الباحث يمكن إيجاز أسباب الفقر بشكل عام وفق الآتي :

- عدم وجود التخطيط الكفوء والفاعل .
- عجز الدول الفقيرة عن الاستفادة من الحزم التقنية المقدمة من المؤسسات والوكالات الدولية .
- الفساد المالي والإداري .
- انعدام الاستقرار السياسي .
- سوء توزيع الثروة والمدخولات
- انخفاض معدل النمو السنوي في نصيب الفرد الواحد من الناتج الاجمالي المحلي GDP .
- انخفاض إنتاجية الأفراد العاملين .
- ارتفاع معدلات أعباء الحماية الاجتماعية .
- الحروب الداخلية والخارجية والاستعمار .
- انتشار البطالة .
- انخفاض مستوى المهارة وظهور الجهل والأمية .
- ظهور وانتشار الأوبئة والأمراض وتدني مستوى تقديم الرعاية الصحية مما

يؤدي إلى ارتفاع معدلات الوفيات .

- نقص وسوء التغذية والتي تؤدي إلى انتشار الأمراض .
- تدني مستويات الإسكان وصعوبة الحصول على سكن ملائم بأسعار معقولة
- قلة فرص التعليم لجميع أفراد المجتمع

أما أنواع الفقر فيمكن إيجازها بنوعين اساسيين (الفقر الثابت المتواصل وهو جماعي هيكلي، أما الفقر الطارئ أو الظرفي فهو ناجم عن أزمة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية أو كارثة طبيعية والذي يمكن تجاوزه من خلال التضامن الشعبي والدولي) .

يتفق الباحث مع إشارة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي[٤] إلى مفهوم الفقر على انه : عدم القدرة للوصول إلى الحد الأدنى من الاحتياجات المهمة المادية كالطعام والسكن والملبس ووسائل التعليم والصحة وحاجات غير مادية مثل حق المشاركة والحرية الإنسانية والعدالة الاجتماعية، ويعرف الفقر أيضاً بعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة للأفراد .

المحور الثاني : الترتيب العالمي لأكثر الدول فقراً لعام ٢٠٢٣

احتل العراق المرتبة الـ ٧٨عالميا والثامنة عربيا بأكثر الدول فقرا خلال العام ٢٠٢٣، وفقاً لمجلة "غلوبال فاينانس Global Finance" المتخصصة بتصنيف دول العالم. وذكرت المجلة في تقريرها لشهر نيسان لعام ٢٠٢٣، إن "العراق احتل المرتبة الـ ٧٨ من أصل ١٩٣ دولة مدرجة بالجدول من حيث نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي متقدما مركزا واحدا نحو الفقر بالمقارنة عن العام ٢٠٢٣ الذي كان يحتل المركز ٧٩ فيه ". وذكرت المجلة المشار إليها ان "دولة جنوب السودان احتلت المرتبة الأولى كأكثر دول العالم فقرا تليها بوروندي ثانيا، فيما احتلت جمهورية جنوب أفريقيا المرتبة الثالثة، ومن ثم

جاءت جمهورية أفريقيا الوسطى رابعا، وجاءت الصومال وجمهورية الكونغو وموزمبيق والنيجر ومالأوي وتشاد عند المراتب الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة على الترتيب، فيما تذيلت ايرلندا ولوكسمبورغ وسنغافورة الترتيب باقل دول العالم فقرا". وعربيا جاءت الدول العربية الأكثر فقرا هي، الصومال بالمرتبة الأولى تليها ثانيا اليمن، ومن ثم ارتيريا ثالثا، والسودان رابعا، ومن ثم موريتانيا خامسا، والمغرب سادسا، والأردن سابعا، والعراق ثامنا، وتونس تاسعا، والجزائر جاءت بالمرتبة العاشرة. واشارت إلى ان "قياس مدى فقر أو ثراء أمة معينة مقارنة بأمة أخرى يتم على أساس نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي من خلال تعويض الفروق في تكاليف المعيشة ومعدلات التضخم". ونوهت المجلة إلى أن "جائحة الفيروس التاجي أثبتت أن العمال ذوي الدخل المنخفض والمهاجرين غالبًا، الذين يعيشون في بعض الدول الغنية جدًا، لقوا أنفسهم فجأة عاطلين عن العمل ومشردين وتقطعت بهم السبل دون الكثير من شبكة الأمان، فيما عمدت العديد من الدول الأقل ثراءً إلى الوراء لرعاية جميع المحتاجين خلال الأزمة".

يرى الباحث أنه "مع أن الطاقة والغذاء سلعتان أساسيتان مع القليل من البدائل، فإن الأسعار المرتفعة تكون مؤلمة بشكل خاص للأسر ذات الدخل المنخفض، من الأسهل على العائلات خفض أو إلغاء الإنفاق على الإلكترونيات أو الملابس أو الترفيه عندما ترتفع الأسعار، ولكن عندما يتعلق الأمر بالطعام أو التدفئة أو النقل - وهو أمر ضروري للعيش وكسب الرزق - يصبح الأمر أكثر صعوبة. نتيجة لذلك، يمكن أن يشكل السيناريو التضخمي في كثير من الأحيان تهديدًا للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي". ولهذا السبب، على المدى الطويل، ينبغي من الأفضل ألا تكون ثريًا فحسب، بل أن تكون متكافئًا أيضًا. فالكثير

من عدم المساواة الاقتصادية يخنق النمو للجميع، ويزيد احتمال عدم الاستقرار السياسي، وتكاليف الرعاية الصحية ومعدلات الوفيات أعلى، وكذلك معدلات الجريمة والفساد، أن تكون غنيًا في بلد فقير له أيضًا تكاليف.

من وجهة نظر الباحث الاقتصادية كيف يمكن ان نحدد أفقر الدول في العالم؟ إذ أن نصيب الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي يعتبر في كثير من الأحيان المعيار الاقتصادي القياسي الأنسب، فإن التعويض عن الاختلافات في تكاليف المعيشة ومعدلات التضخم باستخدام تعادل القوة الشرائية (Purchasing power parity -PPP) الذي يمكن أن يقيم بشكل أفضل القوة الشرائية للفرد في أي بلد معين. فمن الصعب تحديد سبب واحد للفقر على المدى الطويل. ويمكن للحكومات الفاسدة أن تحول دولة غنية جدًا إلى دولة فقيرة. وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ من الاستعمار المتركم، وضعف سيادة القانون، والحروب والاضطرابات الاجتماعية والسياسية، والظروف المناخية القاسية وتتفاقم نقاط الضعف وبضمنها ان الدولة المثقلة بالديون لا تتمكن من توفير مدارس جيدة، كما أن القوى العاملة ذات التعليم الرديء ستحد من قدرتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة .

تعاني الأسر المحرومة في جميع أنحاء العالم من أشد العواقب الاجتماعية والاقتصادية لوباء فيروس كورونا في أعوام ٢٠١٩ و٢٠٢٠ و٢٠٢١. وفي أفقر بلدان العالم التي ترتفع فيها مستويات العمالة غير الرسمية، لم تكن هناك شبكات أمان اجتماعي أو قروض مؤقتة لإبقاء الأعمال التجارية مفتوحة وتشغيل العمال. ويتوقع البنك الدولي أن يخسر الجيل الحالي من الطلاب في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل ما يصل إلى ١٠٪ من متوسط دخلهم السنوي في المستقبل. قبل كوفيد-١٩، كانت نسبة سكان العالم الذين يعيشون

في فقر مدقع - أي على أقل من ١,٩٠ دولار في اليوم - قد انخفضت إلى أقل من ١٠٪ بعد أن كانت أكثر من ٣٥٪ في عام ١٩٩٠. ولم يوقف الوباء هذا التقدم فحسب، بل عكسه أيضًا: منذ البداية ومع اقتراب حالة الطوارئ الصحية حتى نهاية عام ٢٠٢٢، قدر صندوق النقد الدولي أنه من المحتمل أن يكون ١٩٨ مليون شخص إضافي قد دخلوا في صفوف الفقراء المدقعين.[٥]

لقد أدت الحرب في أوكرانيا التي اندلعت في الأول من شباط ٢٠٢٢ إلى ارتفاع حاد في أسعار المواد الغذائية. وكتبت مجموعة من الاقتصاديين في تقرير "تحديث أزمة الغذاء العالمية" أن "جائحة كوفيد-١٩ والحرب في أوكرانيا أدت إلى تفاقم انعدام الأمن الغذائي من خلال خفض الإمدادات الحالية والمتوقعة من الغذاء والأسمدة، مما أدى إلى ارتفاع حاد في أسعار الغذاء العالمية والمحلية". "تقرير صدر للتو عن صندوق النقد الدولي. "وقد تفاقمت هذه الآثار بسبب التأثير المستمر للصراعات والأحداث المدمرة المرتبطة بالمناخ في العديد من الدول الهشة والمتأثرة بالصراعات." وعلى الرغم من تراجع ضغوط الأسعار هذا العام، فمن المتوقع أن يواجه ٣٤٥ مليون شخص في ٧٩ دولة، وهو أعلى مستوى على الإطلاق، انعدام الأمن الغذائي الحاد في عام ٢٠٢٣، أي أكثر من ضعف العدد في عام ٢٠٢٠، حسبما تلخص بيانات صندوق النقد الدولي في الشكل (١) الذي يبين البلدان العشرة حول العالم الأكثر تضرراً من تضخم أسعار الغذاء:

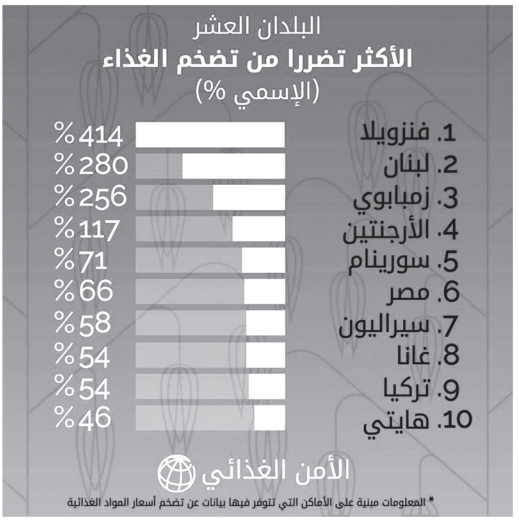

الشكل (١) البلدان العشرة حول العالم الأكثر تضرراً من تضخم أسعار الغذاء لعام ٢٠٢٢

تتجلى هذه الأنتكاسات في مكاسب الأمن الغذائي والحد من الفقر بشكل خاص في البلدان العشرة الأشد فقرا في العالم، وجميعها تقع في أفريقيا. وفي المتوسط، لا تتجاوز حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ١٣٨٠ دولاراً في أفقر دول العالم. وفي المقابل يبلغ هذا الرقم نحو ١٠٥ آلاف دولار في أغنى دول العالم .وتقع ثلاثة من البلدان المدرجة في قائمتنا في منطقة الساحل الأفريقي أو جزء منها، حيث تتسبب موجات الجفاف المستمرة في نقص الغذاء وما يرتبط به من مشاكل طبية واجتماعية. وخمس منها غير ساحلية، مما يجعلها في وضع غير مؤات إلى حد كبير مقارنة بأولئك الذين يمكنهم الوصول إلى التجارة البحرية. فجميعها تفتقر إلى الاستقرار السياسي، وقد شهدت انتخابات متنازعاً عليها أو صراعات عرقية/ دينية وأداؤها ضعيف في تصنيف الدول الأكثر أمانا في العالم .

يمكن ترتيب الدول العشر الأكثر فقراً، بدءاً من الدولة التي احتلت المرتبة العاشرة الأكثر فقراً مروراً بالدولة المصنفة على أنها الدولة الأكثر فقراً في العالم لعام ٢٠٢٣. للحصول على الترتيب الكامل لدول العالم من الأفقر إلى الأغنى وفق الجدول الآتي :

جدول (١) الترتيب العالمي للدول العشر الفقيرة حول العالم لعام ٢٠٢٣

الإجمالي-تعادل	البلد/ الإقليم	المرتبة
١,٧٨٨	ليبيريا	١٠
١,٧٨٧	تشاد	٩
١,٦٨٢	ملأوي	٨
١٦٠٠	النيجر	٧
١,٥٥٦	موزمبيق	٦
١,٤٧٤	جمهورية الكونغو الديموقراطية	٥
١,٣٧٤	الصومال	٤
١,١٢٧	جمهورية أفريان الوسطى	٣
٨٩١	بوروندي	٢
٥١٦	جنوب السودان	١

القائمة أدناه لأفقر البلدان في العالم تقيس ٩٧ دولة من حيث الناتج المحلي الإجمالي وتعادل القوة الشرائية وتصنفها من الأفقر إلى الأغنى . ويتم التعبير عن هذه القيم بالدولار الدولي الحالي، مما يعكس أسعار الصرف المقابلة وتسويات تعادل القوة الشرائية.

تصنيف أفقر دول العالم في عام ٢٠٢٣

الناتج المحلي الإجمالي- تعادل القوة الشرائية ($)	البلد/ الإقليم	المرتبة
٥١٦	جنوب السودان	١
٨٩١	بوروندي	٢
١,١٢٧	جمهورية افريقيا الوسطى	٣
١,٣٧٤	الصومال	٤
١,٤٧٤	جمهورية الكونغو الديموقراطية	٥
١,٥٥٦	موزمبيق	٦
١٦٠٠	النيجر	٧
١,٦٨٢	ملأوي	٨
١,٧٨٧	تشاد	٩
١,٧٨٨	ليبيريا	١٠
١,٩١٦	مدغشقر	١١
٢,٠٤٢	اليمن	١٢
٢,٠٨٢	سيرا ليون	١٣
٢,١٨٨	إريتريا	١٤
٢,٣٨١	كيريباتي	١٥
٢,٤١٤	جزر سليمان	١٦
٢,٦٢٧	زيمبابوي	١٧
٢,٦٥٦	مالي	١٨
٢,٧٢٦	بوركينا فاسو	١٩
٢,٧٥٤	توجو	٢٠
٢,٨٠٤	غامبيا	٢١
٣,٠٠١	فانواتو	٢٢
٣,٠٧٢	غينيا بيسأو	٢٣
٣,٠٩٠	رواندا	٢٤
٣,٢١٨	غينيا	٢٥
٣,٢٢٤	أوغندا	٢٦
٣,٢٤٨	هايتي	٢٧

الناتج المحلي الإجمالي- تعادل القوة الشرائية ($)	البلد/ الإقليم	المرتبة
٣,٢٥١	ليسوتو	٢٨
٣,٤٦٣	جزر القمر	٢٩
٣٦٠٠	تنزانيا	٣٠
٣,٦٣٧	تيمور الشرقية	٣١
٣,٧٢٤	أثيوبيا	٣٢
٣,٩٣١	ميكرونيزيا	٣٣
٤,٠٤١	زامبيا	٣٤
٤٣٠٠	بنين	٣٥
٤,٤٧١	السودان	٣٦
٤,٥١٥	السنغال	٣٧
٤,٥١٦	بابوا غينيا الجديدة	٣٨
٤,٦٦٥	الكأميرون	٣٩
٤,٦٦٩	جزر مارشال	٤٠
٤,٨٧٤	سأو تومي وبرينسيبي	٤١
٥,١٠١	نيبال	٤٢
٥,١٣٢	ميانمار	٤٣
٥,١٥٥	جمهورية الكونغو	٤٤
٥,٢٩٣	طاجيكستان	٤٥
٥,٧٩٧	توفالو	٤٦
٦,٠٩٢	كمبوديا	٤٧
٦,١٧٨	نيجيريا	٤٨
٦,٢٥٠	جمهورية قيرغيزستان	٤٩
٦,٣٢٤	ساموا	٥٠
٦,٥٦٩	كينيا	٥١
٦,٦٨٨	الضفة الغربية وغزة	٥٢
٦,٨٣٦	باكستان	٥٣
٦,٨٩٤	جيبوتي	٥٤
٦,٩٧٤	غانا	٥٥
٧,٠١١	كوت ديفوار	٥٦

الناتج المحلي الإجمالي- تعادل القوة الشرائية ($)	البلد/ الإقليم	المرتبة
٧,١٢٥	تونغا	٥٧
٧,٢٢٢	أنغولا	٥٨
٧,٢٢٨	هندوراس	٥٩
٧,٤٣٧	موريتانيا	٦٠
٧,٦٠١	نيكاراغوا	٦١
٨,٠٢٨	فنزويلا	٦٢
٨,٦٦٣	بنغلاديش	٦٣
٩,٠٧٣	الهند	٦٤
٩,٦٦١	كابو فيردي	٦٥
٩,٨٠١	جمهورية لأو الديمقراطية الشعبية	٦٦
١٠,٣٠٨	أوزبكستان	٦٧
١٠,٣٢٧	بوليفيا	٦٨
١٠,٤٦٠	المغرب	٦٩
١٠,٥٤٦	غواتيمالا	٧٠
١٠,٩٣٩	بليز	٧١
١١,٣٤٢	نأورو	٧٢
١١,٤٢٠	فيلبيني	٧٣
١١,٤٤٠	ناميبيا	٧٤
١١,٤٩٢	إيسواتيني	٧٥
١١,٦٤٧	السلفادور	٧٦
١٢,٨٨٧	جامايكا	٧٧
١٢,٨٩٣	الأردن	٧٨
١٢,٩٢٧	العراق	٧٩
١٣,٢٧٠	تونس	٨٠
١٣,٥٠٧	الجزائر	٨١
١٣,٥١٣	الاكوادور	٨٢
١٣,٩٠١	أوكرانيا	٨٣
١٤,١٦١	دومينيكا	٨٤
١٤,١٧٠	بوتا	٨٥

الناتج المحلي الإجمالي- تعادل القوة الشرائية ($)	البلد/ الإقليم	المرتبة
١٤,٢٢٣	سيريلأنكا	٨٦
١٤,٤٥٨	فيتنام	٨٧
١٤,٩٣٩	منغوليا	٨٨
١٥,٥٧٨	باراجواي	٨٩
١٥,٦٢٠	كوسوفو	٩٠
١٥,٧٢٧	فيجي	٩١
١٥,٨٥٥	إندونيسيا	٩٢
١٦,٠٩١	جنوب أفريقيا	٩٣
١٦,١٣٢	بيرو	٩٤
١٦,٣٩٤	بالأو	٩٥
١٦,٨٤٠	مولدوفا	٩٦
١٦,٩٧٩	مصر	٩٧
غير متوفر	أفغانستان، لبنان، سوريا، أوكرانيا	—

من خلال الاستفادة من بيانات البنك الدولي التي توضح ان البلدان الأقل فقراً حول العالم هي الأقل انفاقاً على الفقراء (بنسبة ٣ ٪ فقط) من خلال انعدام أو ضعف الخدمات الأساسية المقدمة (التعليم، الصحة، الماء النظيف، الكهرباء وغيرها)

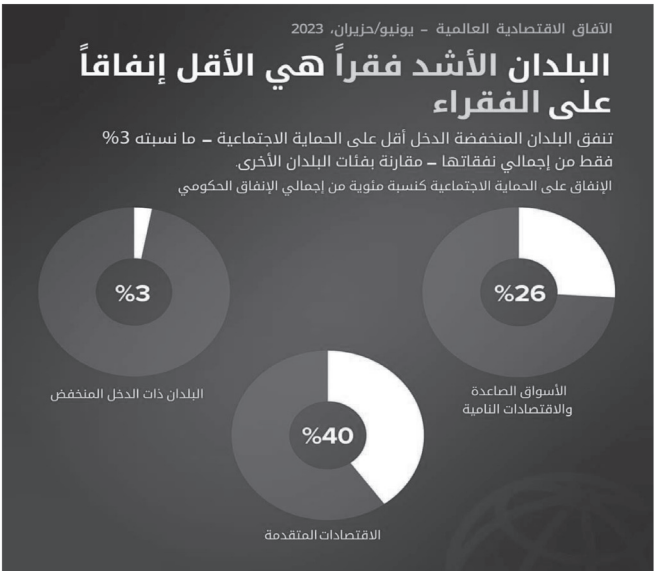

شكل (٢) الإنفاق على الفقراء حول العالم

بالتركيز على بلدنا العزيز (العراق) يتوقع صندوق النقد الدولي ان العراق سيكون أكثر الدول نمواً اقتصادياً بالمقارنة مع بعض الدول العربية وفق المعطيات المثبتة في الشكل (٣)

شكل (٣) توقعات صندوق النقد الدولي لعام ٢٠٢٣ لنمو دول الشرق الأوسط

لا بد للباحث التركيز على الواقع الزراعي والثروة الحيوانية للبلاد باعتبارها أحد الموارد المتاحة للأفراد العراقيين لتحسين مستوى معيشتهم . إذ يمكن الاستفادة من البيانات المنشورة من قبل مجلس النواب العراقي – دائرة البحوث والدراسات النيأبية لعام ٢٠٢٢ التي تبين النسبة المئوية لبعض المحاصيل الزراعية في العراق من حيث تغطية الحاجة المحلية لسكان العراق .

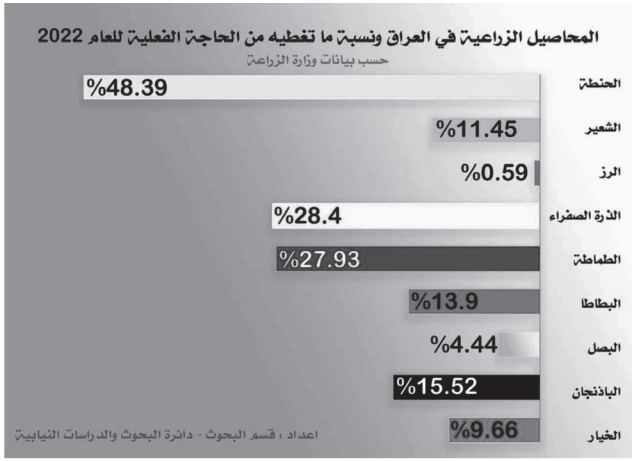

شكل (٤) النسبة المئوية لبعض المحاصيل الزراعية في العراق من حيث تغطية الحاجة المحلية لسكان العراق.

كذلك فأن إنتاج الحنطة قد بلغ ٤٨٪ فقط من الحاجة الفعلية للسكان في العراق لعام ٢٠٢٢

شكل (٥) إنتاج الحنطة في العراق والحاجة الفعلية لها للمدة من ٢٠٠٩ ولغاية ٢٠٢٢

كذلك هو الحال بالنسبة للثروة الحيوانية في العراق التي تعاني من تفاوت في كميات الإنتاج المحلي للمنتجات الحيوانية خلال سنة ٢٠٢٢

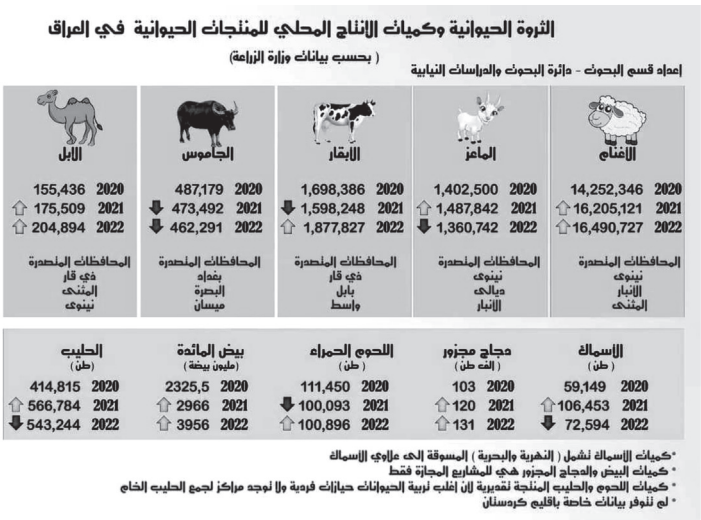

الثروة الحيوانية وكميات الانتاج المحلي للمنتجات الحيوانية في العراق

(بحسب بيانات وزارة الزراعة)

إعداد قسم البحوث - دائرة البحوث والدراسات النيابية

الأغنام	الماعز	الأبقار	الجاموس	الابل
14,252,346 2020	1,402,500 2020	1,698,386 2020	487,179 2020	155,436 2020
⇧ 16,205,121 2021	⇧ 1,487,842 2021	⇩ 1,598,248 2021	⇩ 473,492 2021	⇧ 175,509 2021
⇧ 16,490,727 2022	⇩ 1,360,742 2022	⇧ 1,877,827 2022	⇩ 462,291 2022	⇧ 204,894 2022
المحافظات الملحدرة	المحافظات الملحدرة	المحافظات الملحدرة	المحافظات الملحدرة	المحافظات الملحدرة
نينوى	نينوى	ذي قار	بغداد	ذي قار
الأنبار	ديالى	بابل	البصرة	المثنى
المثنى	الأنبار	واسط	ميسان	نينوى

الأسماك (طن)	مجاج مجزور (الف طن)	اللحوم الحمراء (طن)	بيض المائدة (مليون بيضة)	الحليب (طن)
59,149 2020	103 2020	111,450 2020	2325,5 2020	414,815 2020
⇧ 106,453 2021	⇧ 120 2021	⇩ 100,093 2021	⇧ 2966 2021	⇧ 566,784 2021
⇩ 72,594 2022	⇧ 131 2022	⇧ 100,896 2022	⇧ 3956 2022	⇩ 543,244 2022

- كميات الإسماك تشمل (النهرية والبحرية) المسوقة الى مراكز الاسماك
- كميات البيض والمجاج المجزور هي للمشاريع المجازة فقط
- كميات اللحوم والحليب المنتجة تقديرية إذ إغلب تربية الحيوانات حيازات فردية ولا توجد مراكز لجمع الحليب الخام
- لم تتوفر بيانات خاصة باقليم كردستان

شكل (٦) كميات الإنتاج المحلي للمنتجات الحيوانية خلال سنة ٢٠٢٢ في العراق

حددت وزارة التخطيط العراقية في الثاني من شهر نيسان٢٠٢٢ الآليات والمعايير المتبعة في احتساب الفقر في العراق. إذ إن "هناك أنواعا من الفقر، منها فقر (الدخل) الذي يرتبط بعامل مستوى دخل الفرد وفق خط معين، فإذا كان معدل الدخل أقل من الخط المرسوم، عُدّ الفرد فقيرا، وإذا ارتفع دخله فوق ذلك الخط، فهو خارج خانة الفقر، ويدخل في ذلك تفاصيل الحاجة إلى الغذاء". وهناك عامل الفقر متعدد الأبعاد الذي يشمل بالإضافة إلى الدخل، ٣ معايير أخرى هي الصحة والتعليم والسكن، مبيناً أنه "إذا لم تتوفر تلك المتطلبات للإنسان عُدَّ فقيرا". وأعلنت وزارة التخطيط، في وقت سابق، عن استراتيجية جديدة لمعالجة الفقر بالعراق تمتد لـ ٥ سنوات تستكمل

الاستراتيجية السابقة التي ينتهي العمل بها العام ٢٠٢٢. وتعد "استراتيجية مكافحة الفقر في العراق الممتدة للأعوام ٢٠٢٣-٢٠٢٧ في مراحلها الأولى في الاستعداد والإعداد لتنفيذها ولغاية الأن لم تبرز ملامحها"، مبينا أنه "يجب أن تكون ملامحها كاملة وأن تأخذ شكلها النهائي ومن المؤمل أن تكتمل نهاية السنة ٢٠٢٢ ". العمل بدأ بتعأون وتنسيق مع الوزارات والجهات المعنية والحكومات المحلية في المحافظات ومنظمات دولية لوضع المسارات الرئيسة والمحأور الأساسية"، إذ ان "الاستراتيجية تأخذ بالاعتبار التغيرات التى حدثت منها الازمة الاقتصادية الناتجة عن جائحة كورونا".

إن "المناطق والمحافظات الأكثر فقرا ستأخذ الأولوية في مجالات معينة واساسيات الاستراتيجية هي دعم الفقراء أو ما يعرف بالفقر متعدد الأبعاد في مجال الصحة والتعليم والسكن والدخل وعملية تمكين النساء وعودة النازحين لصناعة مجتمع متماسك". يمكن الاشارة إلى أن "الاستراتيجية ستعمل وفق المسارات الرئيسة ومنها الفقر ومراكز تركز الفقر على الخارطة المرسومة في وزارة التخطيط وسيكون هنالك مسح جديد اخر للوقوف على واقع الفقر في العراق خلال الفترة الأخيرة وفق محأور أساسية".

إن "الاستراتيجية ستغطي العراق كله وسيكون التعامل مع المحافظات حسب نسبة الفقر في كل محافظة، فالمحافظات الأكثر بنسبة الفقر، ستكون ذات الأولوية والاهتمام وفي المحصلة الاستراتيجية ستشمل جميع المحافظات العراقية". وأطلقت وزارة التخطيط في العام ٢٠١٨ استراتيجية لمكافحة الفقر امتدت لخمس سنوات وتنتهي العام ٢٠٢٢. بالتالي يمكن تلخيص نسبة الفقر في جميع محافظات العراق على أساس بعض المؤشرات، إذ يلاحظ ان محافظة المثنى هي الأكثر فقراً ومحافظة السليمانية هي الأقل فقراً لعام ٢٠٢٢ وكما موضح في الشكل (٧)

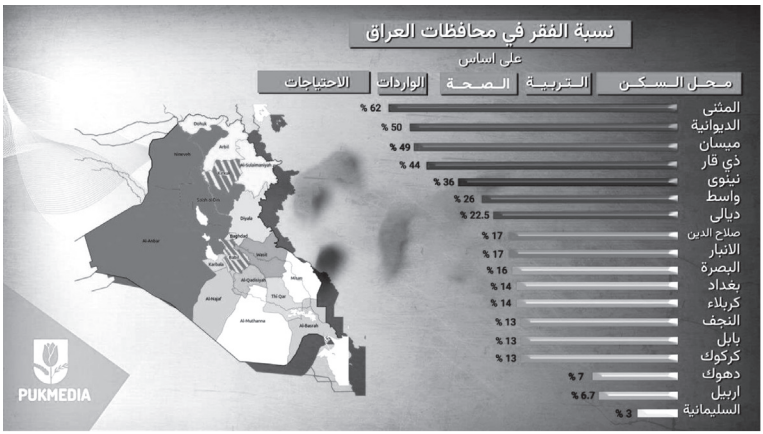

شكل (٧) نسبة الفقر في محافظات العراق لعام ٢٠٢٢

المصدر :

https://www.pukmedia.com/AR/Details/178150

من خلال البيانات الرسمية المنشورة يمكن ملاحظة انخفاض الإيرادات الكمركية في العراق لسنة ٢٠٢٢ والتي كان من الممكن زيادة مساهمتها في الإيرادات العامة للدولة العراقية والتي ستساهم في تخفيف حدة الفقر في العراق من خلال شمول المزيد من طبقات المجتمع الفقيرة برواتب وإعانات اجتماعية

شكل (٨) الإيرادات الكمركية في العراق للفترة من عام ٢٠١٥ لغاية ٢٠٢٢

المحور الثاني : استراتيجية مكافحة الفقر من منظور أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يعاني العالم منذ الازل مشكلة سرمدية الوجود وما استطاع افضل حكام العالم وابرز علماء الاقتصاد القضاء عليها تماماً، وقد تفاقمت هذه الظاهرة حتى اكتسحت العالم بأكمله، واثّرت بصورة سلبية على الوضع الحالي، فاختلفت المصطلحات بين ضعف الحال، والازمة المالية، وتراجع الاقتصاد، لتصب جميع هذه المشاكل في مصب واحد، ألا وهو الفقر.[٦] ولكي نكون اقرب إلى الواقع الاقتصادي نلاحظ بأن العراق في السنوات الاخيرة بات يمر بأزمة مالية صعبة انتهت آخرها بتقليص رواتب موظفي الدولة، والتقاعد و...الخ. لتستمر الازمة وتتفاقم أكثر باستفحال الارهاب ودخول داعش إلى الاراضي العراقية والذي سبب خللاً كبيراً في موازنة الدولة على اثر العتاد ووسائل الحرب التي دفعت الدولة اموالاً كثيرة في تهيئتها لمواجهة العدو. ولاشك بأن الظروف الامنية تلعب دوراً كبيراً في اقتصاد البلد، ويعتبر الوضع الامني من العوامل المهمة في زيادة نسبة الفقر، خصوصاً وان الاحصائيات الاخيرة تشير إلى أن ٣٥٪ من الشعب العراقي بات يعيش تحت خط الفقر، بسبب الهجرة الداخلية ودخول الارهاب، والنزاعات الطائفية والبطالة وضعف الحالة الاجتماعية...الخ. ناهيك عن الدول التي أخذها الفقر إلى حالة من المجاعة والتي بات على اثره يموت طفل في كل ٥ ثواني بسبب الجوع!، ولا نريد ان نتصور بأن العراق من الممكن ان يتعرض إلى مثل هذه الحالة، لأنه يعتبر من الدول الغنية التي تملك احتياطياً كبيراً من النفط الأسود.. ولكن!!.

على اية حال.. سوء الأوضاع السياسية والتوتر الامني اضافة إلى النزاعات الداخلية والخارجية وعدم توفر القيادة الصحيحة جميعها تمثل عوامل مساعدة

في زيادة انتشار الفقر، ولمعالجة هذه الحالة لابد لنا من مراجعة التاريخ ليشهد لنا بوجود قائد عظيم، استطاع ان يعالج الفقر ويحد من انتشاره، ليكوّن على اثره دولة خالية من الفقر تمأما... الا وهو الأمام علي بن أبي طالب ﷺ، حيث قال الأمام ﷺ: "ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص!، ولا عهد له بالشبع!" (١).

ومكافحة الفقر لم يكن موضوعاً هيناً ابدا، وفي هذا المنظور نلاحظ بأن الأمام علياً استخدم استراتيجية فذة وشمولية لمكافحة الفقر... فالمشكلة لا تكمن في اشخاص يفترشون الأرض ويستعطون الناس، انما في العوامل والأسباب العديدة والمتشابكة التي ادت إلى وجود هذه الشريحة الكبيرة وظهورها على السطح بهذه الصورة التي تثير الاسف أكثر مما تثير الشفقة والعطف.

وتتجلى أسباب الفقر ومخرجاته، في مرتكزات اساسية متمثلة بالمجالات السياسية والاقتصادية والامنية، كون ظاهرة الفقر في أسبابها وكذلك معالجتها تتحرك ضمن العوامل السياسية والاقتصادية المتمثلة بدور الدولة ومؤسساتها وقطاعات الاقتصاد الوطني، في إنتاج الثروات وتنميتها وتوفير البيئة السياسية المستقرة لتنميتها وتنشئتها، ثم تضطلع العوامل الاجتماعية وهيئات المجتمع المدني بأدوارها المحورية في معالجات هذه الآفة، وضمن بيئة أمنية سليمة توفر لها أسباب النجاح والديمومة.

وتنقسم الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر إلى قسمين:

القسم الأول: حلول الدفع أو الموانع، وهي تلك التي تحول دون تولد الفقر أو بتعبير ادق هي عوامل ايجاد الثروة والغنى ثم أسباب المحافظة عليها ثم بواعث تنميتها، وترتبط بالبنية التحتية والمنهج العام والأرضية التي تعد حاضنة لمشكلة الفقر.

القسم الثاني: حلول الرفع، وهي تلك التي تعالج الفقر بعد حدوثه.(٢)

كما ان طرق مكافحة الفقر تنقسم على ثلاثة محاور رئيسية احدها فردية، والاخرى تعتمد على الدولة والأخيرة تعتمد على الاثنين معاً اي الفرد والدولة. وان عوامل ايجاد الثروة وتنميتها وطرق مكافحة الفقر تتلخص بمنح الأرض والمعادن والثروات كلها للناس، وتوفير حق استثمارها، اضافة إلى التكافل والضمان الاجتماعي، ووضع معايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين والزامهم بها، وتكريس مبدأ المساءلة والمحاسبة ليسود العدل بين الناس.

وتنشيط حركة الاموال.. إذ كلما تحركت رؤوس الاموال شهد الاقتصاد نشاطا وحيوية أكثر وتوفرت السيولة بيد الناس وجرت التعاملات بسهولة أكثر وانخفض التضخم، أما اكتناز الاموال فهو يجمدها ويمنع من الثروة، إذ قال الله في كتابه الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣).

وان من الحلول _اضافة إلى ضرورة ان تكون الضرائب على الارباح لا على الاستهلاك_، ان يتسم النظام الضرائبي بالمرونة، وعليه يجب ان تنخفض نسبة الضرائب كلما انخفضت نسبة الارباح وهو ما ينسجم مع العقل وفي ذلك نص الأمام علي ﷺ: "فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو احالة ارض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح امرهم".

كما ان هنالك عوامل غيبية كالتقوى وتجنب الربا، إذ انها تعتبر من العوامل التي تستجلب البركة الالهية غيبياً وتستدعي لطف الله لرزق عبيده من خزائن غيبه، حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤).

والعوامل الاخلاقية كالصدق والنزاهة والإنصاق فانها سلسلة كاملة تصب بشكل غير مباشر في انماء الثروة والحفاظ عليها، فإن الناس لو عرفوا من الكاسب أو التاجر الصدق والنزاهة لوثقوا به واقبلوا عليه وازداد عملاؤه.

وهنالك أسباب كثيرة تقضي على الثروة والغنى، وتزيد نسبة الفقراء في المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر مثل موجبات ارتفاع الاسعار وظاهرة الغلاء وسوء التوزيع والربا، وكثرة الموظفين الذي يشغلون مناصب وهمية، اضافة إلى سباق التسلح الذي اثقل كاهل ميزانية الدولة، وسرقات الحكومة والفساد المالي والمقامرة والاحتكار و...الخ.

أما سبل وآليات الغنى والخروج من دائرة الفقر فتتم من خلال التفكير الابداعي والمغامرة المدروسة اللذين يعتبران من اهم سبل اكتشاف طرق جديدة نحو الثراء كما انهما يعدان من اهم سبل التغلب على العقبات غير المتوقعة التي قد يواجهها ارباب العمل والشركات. وجوهر هذين الامرين يشير اليه الأمام عليه السلام: "كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله فرجع نبياً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرجت سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين"(٥)، إذ كثيراً ما يكون الثراء والفرج والتقدم في غير المتوقع، وفي (ما لا ترجو فائدته)، بل ولا تحتملها ابدا، فلا تكن تقليديا جامداً، بل كن متحررا مطلقاً. ولكن هذا لا يعني ان يخاطر الإنسان بطريقة غير مدروسة، بل يجب ان تكون خطواته خطوات واعية ومنطقية وفق خطة مدروسة لأوضاع السوق وظروف المستهلك وخصوصيات المتعاملين. ويعتبر العدل والإنصاق والابتعاد عن ظلم الناس من الامور التي اكد عليها الأمام علي بن أبي طالب في رسالته إلى مالك الأشتر حيث قال في نصه: "انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك

فإنك ان لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة الظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب الامور اليك أوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة"[٦].

وهذه السياسة العظيمة التي استخدمها الأمام في القضاء على الفقر لها تفرعات كثيرة لم تسعنا الحروف من طرحها والتوسع فيها أكثر، إذ تعتبر هذه الآلية من اعظم الآليات التي شهدها التاريخ في مكافحة الفقر. وهي خطوات عملية واضحة وصالحة لأي زمان ومكان، يقدمها لنا الأمام لتفادي هذه المشكلة والقضاء عليها، فلو عملنا بهذه الثروة العظيمة والحلول السحرية التي تركها لنا الأمام لعمَّ الغنى في كل بلد، ولما بقي فقير واحد على وجه الكرة الأرضية!.

المحور الثالث : توقعات مستقبلية وحلول ميدانية

وفق احصاءات حكومية يتوقع مختصون عراقيون ارتفاع عدد الفقراء في البلاد خلال العام ٢٠٢٣ إلى أكثر من ١٣ مليون مواطن من مجموع (أكثر من ٤٣ مليون مواطن) وبنسبة ٣٠٪ اي ان ثلث سكان العراق هم فقراء، بسبب المشكلات الاقتصادية التي يشهدها العراق والمرتبطة بتراجع قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار الامريكي، بالإضافة إلى المتغيرات التي تشهدها السوق العراقية من ارتفاع كبير في مستويات الأسعار وانخفاض القدرة الشرائية للأفراد، وتراجع المستوى المعيشي للعائلة العراقية بشكل عام .

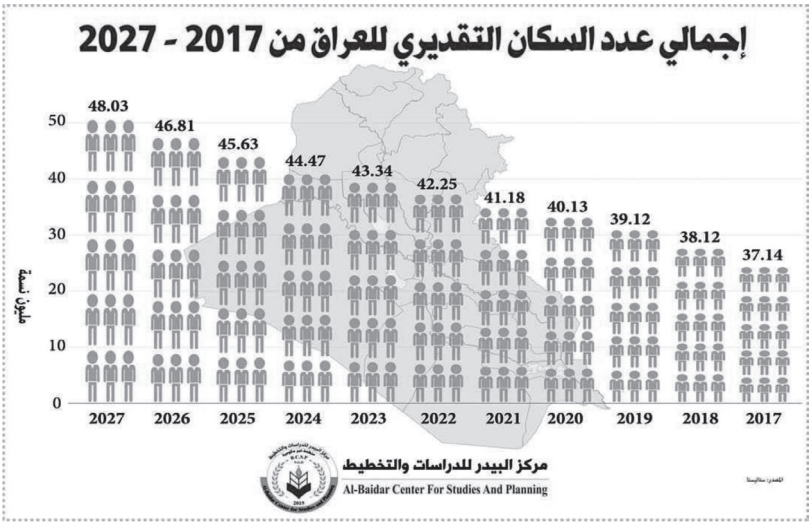

وكانت الإحصائية الرسمية، التي أعلنت عنها وزارة التخطيط لعام ٢٠٢٢، قدرت عدد الفقراء بأكثر من ١٠ ملايين عراقي بنسبة تجاوزت ٢٥ في المائة، وأن هذه النسبة ارتفعت مقارنة بعامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠، حيث كانت لا تتجاوز ٢٠ في المائة، قبل جائحة كورونا على وجه التحديد. وكشفت وزارة التخطيط في العراق أن الفقر في البلاد يتزايد لأسباب اقتصادية متجذرة تشمل السكن والصحة والتعليم ومستوى الدخل بالإضافة إلى الغذاء، وكذا العوامل الأمنية والسياسية والوضع الاجتماعي. وقال المتحدث باسم وزارة التخطيط، عبد الزهرة الهندأوي، إن هناك محافظات عراقية ارتفعت نسب الفقر فيها إلى حد كبير، حيث تصدرت محافظة المثنى قائمة المحافظات الأكثر فقراً بنسبة تخطت ٥٠ في المائة، تليها محافظات القادسية وذي قار وميسان، التي تتراوح نسب الفقر فيها ما بين ٤٥ و٤٨ في المائة، فيما تتراوح نسبة الفقر في بقية المحافظات ما بين ٢٠ و٣٧ في المائة. إن نزوح أكثر من خمسة ملايين عراقي من مناطقهم إلى مناطق أخرى وترك الكثيرين منهم أعمالهم ووظائفهم من الأسباب التي ساهمت بارتفاع مستويات الفقر إلى حد كبير. وضعت

وزارة التخطيط والتعاون الأنمائي العراقية عدة استراتيجيات للحد من الفقر، حيث عملت على الاستراتيجية الأولى بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١٤، فيما عملت على الاستراتيجية الثانية بين عامي ٢٠١٤ و ٢٠١٨، وتسعى للعمل على الاستراتيجية الثالثة لخمس سنوات قادمة ضمن خطة معالجة مشاكل السكن والدخل والصحة والتعليم، للمساهمة في الحد من ارتفاع مستويات الفقر. وتعد نسبة البطالة في العراق غير مسيطر عليها، بسبب الزيادات الحاصلة من تخرج عشرات الآلاف من الشباب والشابات من المعاهد والكليات بمعدل سنوي، إضافة إلى النمو السكاني السريع في البلاد، مبيناً لـ"العربي الجديد" أن "الحكومة العراقية الحالية تراعي هذه النسبة، لكنها لحد الأن لم تتجه نحو تفعيل وتقوية القطاع الخاص، وفتح المعامل والمصانع العراقية المعطلة". وقد أشارت بيانات رسمية لوزارة التخطيط إلى أن نسبة البطالة بين صفوف الشباب للأعمار بين ١٨ إلى و٣٠ سنة تتجاوز ٢٠ بالمائة، بينما تنخفض النسبة للأعمار المتقدمة من شريحة القوى العاملة، فيما توضح من خلال بياناتها الرسمية أن "استئناف العمل بالمشاريع المتوقفة وخلق الفرص الاستثمارية داخل البلاد من شأنها أن يوفرا فرص عمل جيدة للعاطلين".

يتوقع البرلمانيون العراقيون أن "الحكومة الحالية تمضي باتجاه حلّ أزمة الفقر والبطالة بالإمكانيات المتوفرة والمتاحة، وهناك فرص استثمارية تسعى حكومة السوداني لخلقها في عدد من المحافظات، ومنها الموصل والبصرة وبغداد وصلاح الدين، لاستيعاب الشباب العاطلين". فمن أولى محاور البرنامج الحكومي لحكومة السيد محمد شياع السوداني المحترم هي الحماية الاجتماعية ومكافحة الفقر، ومكافحة البطالة وتوفير فرص عمل، فضلاً عن محاور اخرى تخص التنمية وقطاعات الصحة والاسكان والتربية، وهذه المحاور

جميعها تصب في خانة جهود التخفيف من الفقر في ظل معدلات فقر مرتفعة في العراق بلغت أكثر من (٣١٪). الحكومة العراقية السابقة، وعبر وزارة التخطيط، اكدت في وقت سابق من عام ٢٠٢٢ العمل على وضع استراتيجية ثالثة للتخفيف من الفقر ٢٠٢٢-٢٠٢٦ بعد انتهاء برامج الاستراتيجية الثانية للتخفيف من الفقر ٢٠١٨ – ٢٠٢٢. كان من نتائج المحصلات الست للاستراتيجية الثانية (دخل أعلى ومستدام من العمل للفقراء، تحسين المستوى الصحي، تحسين تعليم الفقراء، سكن ملائم وبيئة مستجيبة للتحديات، حماية اجتماعية فعالة للفقراء، والأنشطة المستجيبة للطوارئ) وما جرى تنفيذه من استراتيجية التخفيف من الفقر وتقارير المتابعة ينبغي ان تكون حاضرة في اعداد الاستراتيجية الجديدة. كذلك تقارير متابعة تنفيذ الاستراتيجية الصادرة عن الادارة التنفيذية للاستراتيجية في وزارة التخطيط. أما المعوق الاكبر الذي عرقل تنفيذ الاستراتيجية وبرامجها فهو قلة وتبويب التخصيصات المالية. إذ يلاحظ على الاستراتيجية الثانية انه التخصيصات المالية لبرامجها ضمنت مع التخصيصات الاستثمارية، وبسبب الأوضاع الامنية ولاسيما في المناطق المحررة، وظروف جائحة كورونا، وظروف التظاهرات (وفقا لتقارير متابعة تنفيذ الاستراتيجية)، وعدم وجود حكومة كاملة الصلاحيات، تعثرت كثير من برامج الاستراتيجية. وفقا لتقارير متابعة تنفيذ استراتيجية التخفيف من الفقر، ما جرى انفاقه على برامجها خلال السنوات ٢٠١٨ – ٢٠٢١ هو (١٠٣،٥٥٥،٨٠٤،٦٨٠) من أصل الإنفاق الاستثماري للمدة نفسها والبالغ (٥٤،٧٧٤،٨٠١،٨٩١،٧٥٣) أي بنسبة (٠،١٩ ٪). وفق ذلك يستدعي الامر ان يكون التخصيص المالي محدداً كما في باقي الوزارات والهيئات وباقي مؤسسات الدولة لمواجهة أكبر تحدٍ يواجه الحكومة والمجتمع. وقد صدر

مؤخرا تقرير عن مجموعة البنك الدولي بعنوان " الفقر والرخاء المشترك ٢٠٢٢: تصحيح المسار" واشار إلى ان الفئات الاشد فقرا على مستوى العالم عانت وواجهت انتكاسات كبيرة في مجالي الصحة والتعليم، مع ما يترتب على ذلك من عواقب مدمرة، منها ارتفاع حالات الوفيات المبكرة وفقدان التعليم الواضح. وستترتب على هذه الأنتكاسات، إذا لم تتم معالجتها من خلال التحرك على صعيد السياسات، عواقب دائمة على آفاق دخل السكان مدى الحياة. وكانت مسارات التعافي الاقتصادي من جائحة كورونا متفاوتة، حيث تعافت الاقتصادات الأكثر ثراء من الجائحة بوتيرة أسرع بكثير من الاقتصادات منخفضة ومتوسطة الدخل. وقد أدى تصاعد أسعار الغذاء والطاقة – من جراء الصدمات المناخية والصراع الدائر فيما بين أكبر منتجي الغذاء في العالم – إلى إعاقة الجهود الرامية إلى تحقيق تعافٍ سريع. وبنهاية عام ٢٠٢٢، من الممكن أن يكون هناك ما يصل إلى ٦٨٥ مليون شخص يعانون الفقر المدقع، ومن شأن ذلك أن يجعل عام ٢٠٢٢ ثاني أسوأ عام في جهود الحد من الفقر في العقدين الماضيين بعد عام ٢٠٢٠.

التقرير يحدد ثلاثة إجراءات رئيسية ذات أولوية على صعيد سياسة المالية العامة في السنوات المقبلة، حيث تعمل البلدان على تصحيح المسار:

- اعادة توجيه الإنفاق بعيدا عن اعانات الدعم نحو تقديم الدعم للفئات الفقيرة والأكثر احتياجا.
- زيادة الاستثمارات العامة التي تدعم التنمية على المدى الطويل.
- تعبئة الايرادات دون المساس بالفقراء، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الضرائب العقارية وضرائب اخرى وزيادة الطبيعة التصاعدية لضرائب الدخل الشخصي وضرائب الشركات. وإذا كان من الضروري رفع

الضرائب غير المباشرة، ويمكن استخدام التحويلات النقدية في الوقت نفسه للتعويض عن تأثيراتها على الاسر الأكثر احتياجا.

ان تسريع وتيرة الحد من الفقر والتقدم نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة على الصعيد العالمي سيتطلبان اتخاذ إجراءات أكثر شمولاً من السياسات. وسيشمل ذلك وضع طائفة أوسع نطاقاً من السياسات لتحفيز نوع النمو الذي يمكن ان يعود بالنفع على السكان على جميع مستويات الدخل ولاسيما الفئات الاشد فقرا. ويعد تصحيح المسار امرا عاجلاً وصعباً على حد سواء. وحتى إذا تبين ان تصحيح المسار غير كاف للقضاء على الفقر المدقع بحلول عام ٢٠٣٠، فيجب ان يبدأ الأن من اجل تحقيق تعافٍ مستدام من الازمات المتداخلة التي تعصف بالعالم اليوم. ولكن عراقيا الاختلاف يكون بدرجة جذرية عن كل تلك الدول إن تواترت نسب الفقر فيه وبشكل تقترب من خط الفقر أو تحته في ظل دولة يختلف اقتصادها بشكل جذري عن تلك الدول التي تحتفظ بنسب معينة للفقر كما هي في المشهد السيوسولوجي العراقي إلى الحد الذي يكون الفقر وخطّه احدى متلازمات هذا المشهد والتي ازدادت خاصة بعد التغيير النيساني، وسبب الاختلاف هو طبيعة المشهد الاقتصادي/ السيوسولوجي العراقي نفسه عن غيره هو انه اقتصاد غير فقير، فالاقتصاد الفقير يصدق على تلك الدول ذات متلازمات الفقر ويعيش الكثير من مواطنيها تحت خط الفقر، ولكن العراق يختلف إذ لايوجد تطابق مأبين الواقعين الاقتصادي والسيوسولوجي وهذه شيزوفرينيا لاتكاد توجد في مشهد سيوسولوجي/ اقتصادي اخر غير العراق، فالعراق يشبه تلك الدول ديموغرافيا ويناقضها اقتصاديا فهذه النسب تزداد يوما بعد يوم دون معالجات حقيقية إذ تقترب الكثير من شرائح المجتمع العراقي من خط

الفقر بينما الاقتصاد العراقي الريعي يزداد غنى والمجتمع العراقي يزداد فقرا. ولتعدّد أسباب الفقر في العراق يجب ان تتعدّد طرائق معالجته أو التخفيف منه فقد ادرك رئيس الوزراء عبد المهدي وهو رجل اقتصاد ان من اهم أسباب الفقر شحة السكن واضطرار الاف العوائل إلى السكن أما في العشوائيات التي انتشرت على اديم الوطن أو الرزوح تحت رحمة بدلات الايجار الباهظة التي تثقل كاهل المواطن البسيط وتضيف المزيد من المعاناة على حياته اليومية ناهيك عن شظف العيش وتردي الخدمات، ولأن العراق يحتاج إلى أكثر من ثلاثة ملايين وحدة سكنية وهو رقم مهول قياسا إلى البلدان الاخرى ويكشف عن احد مستويات الفقر في العراق ومن اهمها وهو احد أسباب التصدعات التي تحصل في اغلب العوائل التي تحصل فيها خلافات تؤدي إلى تشتتها بانفصال الازواج عن بعضهم لهذا السبب، لذا ارتأت الدولة توزيع قطع اراض على الفقراء وذوي الدخل المحدود لتكون الخطوة الأولى في سلّم معالجة ظاهرة الفقر ومن المؤكد انها لن تكون كافية لذلك أو الأخيرة. فما زال أمام الحكومة شوط طويل في هذا المضمار لأن صيغة معالجة الفقر التي ترد كثيرا في البرامج الحكومية تحتاج إلى اجراءات اقتصادية واسعة وطويلة الامد تبدأ من معالجة التضخم النقدي في العملة الوطنية والذي يبتلع اغلبية رواتب ومدخرات الاسر وممن يكونون أكثر تعرضا لمخاطر مناسيب التضخم التي تقربّهم من خط الفقر الذي تعرّفه الموسوعة الحرة بانه (هو حالة العوز المادي، حيث يعيش الإنسان دون حد الكفاف المتمثل بسوء التغذية والمجاعة حتى الموت، وما ينتج عن ذلك من انخفاض المستوى الصحي والتعليمي والحرمان من امتلاك السلع المعمرة والاصول المادية الاخرى، وفقدان الضمان لمواجهة الحالات الطارئة كالمرض والاعاقة والبطالة والكوارث والازمات

وغيرها)، أما خط الفقر فهو : المستوى الأدنى من حاجة العائلة، إلى المأكل والملبس والرعاية الصحية والتعليمية والسكن، أما من يعيش تحت خط الفقر فهو في حالة فقر مدقع شديد ويكون في واقع معاشي مزرٍ. ولايمكن تبرئة الفساد السياسي والمالي والاداري من هذه التهمة فهو سبب اضافي في تفشي الفقر في المجتمع العراقي لأن الفساد كان وما يزال سببا في تبخر الكثير من الاموال العامة وهدر اموال أكثر الموازنات لاسيما الأنفجارية منها والتي ضاعت مردوداتها في جيوب الفاسدين الذين مافتئت الاستراتيجيات الحكومية تنشط في مقارعة الأسباب التي ادت إلى استفحالهم وتغولهم وافلاتهم من العقاب واسترجاع مانهبوه. وعلى مستوى مكافحة الفقر بشكل جدي تبقى الأمال معقودة على الاستراتيجية الوطنية للحد من الفقر وكان العراق قد أطلق عام ٢٠١٠، الاستراتيجية الوطنية الأولى للتخفيف من الفقر لعامي ٢٠١٠ - ٢٠١٤، التي وضعت ضمن أولوياتها تحسين الواقع المعيشي والمستوى الصحي والتعليمي للمواطنين، مع توفير بيئة سكن مناسبة لشريحة الفقراء، فضلاً عن توفير الحماية الاجتماعية لمحدودي الدخل، واطلاق الاستراتيجية الثانية للتخفيف من الفقر للسنوات ٢٠١٨-٢٠٢٢ بمشاركة عدد من الوزارات والنواب والخبراء والامم المتحدة والمنظمات والبنك الدولي. وهذه الاستراتيجية متعددة القطاعات والاتجاهات وهي الاهم إذ هدفت إلى الأنطلاق نحو حقبة جديدة في النمو غايتها تقليص معدلات الفقر إلى الربع بحلول عام ٢٠٢٢ وبمحصلة تشاركية بين جميع الوزارات مع التركيز على الشرائح الأكثر تضررا وفقرا كالنازحين والمهجرين وسكان الارياف وهي استراتيجية مكمّلة للاستراتيجيات السابقة التي كانت تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة الا انها كانت محدود الفعالية. وتأتي الاستراتيجية

الثانية والتي نحن نعيش في غمارها كمحصلة لجهد امي مشترك مع الامم المتحدة والبنك الدولي، لتهدف إلى تحسين مستوى الإنفاق الضروري والتوجه إلى زيادة إنتاجية العمال وخلق فرص العمل وايصال الرعاية الصحية للفقراء وتوفير البنى التحتية والتعليم والسكن الملائم ومعالجة مشكلة العشوائيات واصلاح نظام الرعاية الاجتماعية وتهيئة وضع معيشي مناسب لمن تضرّر من الحرب ضد داعش و الهدف الأساس من هذه الاستراتيجية، يكمن في تقليص معدلات الفقر إلى ادنى حد ممكن، من خلال تبنّي سياسة اقتصادية تنسجم مع الوضع المالي الذي يعيشه العراق حالياً، والناتج عن انخفاض أسعار النفط عالمياً. كما تنصّ على تأسيس صندوق خاص لتمويل مشاريع الفقر، من خلال المخصصات المالية في الموازنة الاتحادية أو التبرعات التي قد تحصل عليها الحكومة، حيث تشير تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء إلى أن احتلال عصابات داعش الإرهابية أجزاء من البلاد، وانخفاض أسعار النفط العالمية، ساهما في رفع نسبة الفقر إلى ٢٣٪، بعدما انخفضت خلال الاستراتيجية الماضية إلى ١٥ في المئة في النصف الأول من عام ٢٠١٤ لذا يقع على استراتيجية الحد من الفقر ان تعمل على خفض مناسيب معدلات الفقر إلى أقل مستوى مقبول ما يستدعي تدخل الجميع للحد من استفحال مخاطره الاجتماعية وغيرها. من ابرز أسباب الفقر تفشي البطالة وشحة فرص التعيين في الوظائف الحكومية وان كانت مناسيب تلك الوظائف قد بلغت حدودا عالمية غير مسبوقة (أكثر من ثمانية ملايين موظف مستمر في الخدمة فضلا عن ملايين المتقاعدين) ولكنْ هنالك أوجه اخرى لتشغيل الايادي العاطلة عن العمل كتنشيط القطاعات الاقتصادية الاخرى وتفعيلها كالصناعة والزراعة والسياحة بأنواعها ما يساهم في رفد الموازنات المالية العامة بواردات تكسر

احتكار الريع النفطي وتزيد من الدخل القومي للفرد العراقي، ما يساهم في تقليل مناسيب الفقر وتساهم ايضا في أن يغادر العراق حالة الفقر المدقع وانعدام الأمن الغذائي باتباع إجراءات تستهدف الفئات الهشة خلال مدة تنفيذ هذه الاستراتيجية، أما التحديات التي واجهتها هذه الاستراتيجية فتتمثل بمشكلة التمويل المالي الذي يشكّل التحدي الأول والاكبر فيبقى الامل منوطا بمساهمة المنظمات الدولية ورفد الاستراتيجية بالأموال اللازمة لتحقيقها، ولغرض الحد من مناسيب الفقر في العراق يجب ان تتضافر جميع الجهود الحكومية والدولية الاممية في برنامج حقيقي وليس ترقيعيا أو مبسترا يقتصر على حل جزئي أو منفرد كتوزيع الاراضي وان كان حلا مهما الا انه لايكفي وللدراسة صلة.

المحور الرابع : مقترحات البحث على وفق منهج وتعاليم أمير المؤمنين الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يمكن الاشارة إلى الحلول الاستراتيجية حول القضاء على ظاهرة الفقر في فكر وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفق الآتي :

١- الالتزام باتباع حكمة الله في الكون، وان الثروات هي لجميع الناس بمعنى التجأوب والتفاعل مع قول الله تعالى في سورة البقرة : ٢٩ " خلق لكم ما في الأرض جميعاً "

٢- الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية .

٣- ترشيد الإنفاق .

٤- الضمان الاجتماعي .

٥- التوازن بين الريف والحضر في التخطيط الاقتصادي .

٦- التكافل الاجتماعي .

٧- الالتزام بمعايير موضوعية للمسؤولين الاقتصاديين .

٨- تكريس مبدأ المساءلة والمحاسبة .

٩- تنشيط حركة الاموال والغاء الاكتناز .

١٠- تقليص ساعات العمل .

١١- المرونة في فرض الضرائب .

١٢- توفير الحريات وبضمنها الاقتصادية .

١٣- على الدولة الاشراف، لا الإنتاج

١٤- محاربة كافة عوامل الفقر السياسية والاقتصادية والاجتماعية

الهوامش

١ سردار، عبد الرحمن سيف، اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل - الطبعة الاولى، دار الراية، ٢٠١٥ . عمان - الاردن .

٢ نفس المصدر السابق .

٣ نفس المصدر السابق .

٤ اية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، استراتيجيات مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الامام علي بن ابي طالب ﷺ، الطبعة الاولى - مكتبة هيئة الامين، ٢٠١٢، الكويت .

٥ Poorest Countries in the World 2023, LUCA VENTURA, SEPTEMBER 17, 2023, global finance magazine, https://www.gfmag.com/global-data/economic-data/the-poorest-countries-in-the-world

٦ زهراء وحيدي، ١٤ حزيران ٢٠١٧، موقع بشرى حياة، https://bshra.com/rights/1201

المصادر والمراجع:

١- نهج البلاغة ج٣/ ص٧٢
٢- كتاب استراتيجية إنتاج الثروة/ آية الله السيد مرتضى الحسيني
٣- سورة التوبة / ٣٤
٤- سورة الاعراف/ ٩٦
٥- من لا يحضره الفقيه: ج٤/ ص٢٨٤/ ب١٧٦/ ح٣٠
٦_ رسالة الأمام علي ﷺ إلى الأشتر النخعي
٧- اية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، استراتيجيات مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الأمام علي بن أبي طالب ﷺ، الطبعة الأولى – مكتبة هيئة الامين، ٢٠١٢، الكويت .
٨- سردار، د. عبد الرحمن سيف، اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل – الطبعة الأولى، دار الراية، ٢٠١٥ . عمان – الاردن .

الآليات المتبعة لمكافحة الفقر في دولة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

م.د. خديجة حسن علي القصير

جامعة الكوفة / كلية الآداب

ملخص البحث

الفقر ظاهرة مجتمعية خيمت على الأمم لعصور طويلة نتيجة لطبيعة المجتمعات القائمة على تفشي الطبقية بين فئات المجتمع من جانب والتمييز في التعامل وتفضيل فئة على اخرى من جانب آخر، وقد حاولت الحكومات المتعاقبة على اختلاف امزجتها ايجاد الحلول المناسبة لاحتواء هذه الظاهرة أو الحد منها لما لها من تأثيرات سلبية مختلفة في الحياة الاجتماعية والنفس البشرية ناهيك على تأثيراته في المنظومة الفكرية للسلوك الفردي.

انطلقت استراتيجية دولة الامام علي بن أبي طالب ﷺ في مكافحة الفقر والحد من هذه الظاهرة من نقطة جوهرية ان الثروات لكل الناس، ولم يأتِ هذا من فراغ وإنما يتزامن مع ماورد في قوله تعالى﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة البقرة، الآية:٢٨) وهذه فلسفة جوهرية مفادها أن كل مامتاح هو من حق الانسان التمتع به ومن ثَمَّ درأ ماقد يواجهه من عقبات اقتصادية تؤول على المجتمع بالفقر.

وتتمحور الآليات التي اعتمدتها حكومة الإمام ﷺ في محاربة الفقر الى تشخيص أسباب هذه الظاهرة، ومن ثم وضع الحلول المناسبة لها، وفي مقدمة الأسباب واقع المشكلة هو النظام الطبقي الذي كان يعيشه المجتمع قبل تولي الامام علي ﷺ الخلافة، ومجريات هذا النظام على الواقع الاجتماعي ومخرجاته السلبية التي كان احدها هو تفشي الفقر في الدولة الاسلامية، ومن ثم طرح الحلول المناسبة وتتمثل بالكثير من الاجراءات التي اتبعها الامام وفي مقدمتها اتخاذ التدأبير لمعالجة الفقر والتخلص من الطبقية ومن ثَمَّ المساواة في الحقوق بين الأفراد.

قسم البحث بحسب مادته العلمية الى مقدمة وثلاثة مباحث تم فيهما معالجة ظاهرة الفقر وفق منظور الدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكما موضح:

المبحث الأول: منهجية البحث

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الإسلامي حتى قيام حكومة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام

المبحث الثالث: الآليات التي اتبعتها دولة الامام لمعالجة ظاهرة الفقر.

وتأتي الخاتمة وبعدها المصادر العلمية المتنوعة.

Abstract:

Poverty is an eternal phenomenon that has afflicted different societies from time immemorial to the present day. Successive governments, with different mixes, have tried to find appropriate solutions to contain or limit this phenomenon because of its various negative effects on social life and the human psyche, not to mention its effects on the intellectual system of individual behavior.

The strategy of the state of Imam Ali Ibn Abi Talib, peace be upon him, in combating poverty and reducing this phenomenon was launched from an essential point that wealth is for all people, and this did not come from a vacuum, but rather coincides with what was mentioned in the Almighty's saying ﴿ It is He who created for you all that is on the earth ﴾ (Surat Al-Baqara Verse: 28) This is a fundamental philosophy that states that everything that is available is a person's right to enjoy it.

The mechanisms adopted by the government of the Imam, peace be upon him, in combating poverty centered on diagnosing the causes of this phenomenon, and then devising appropriate solutions for it. At the forefront of the causes is the reality of the problem, which is the class system in which society was living before Imam Ali, peace be upon him, assumed the caliphate, and the course of this system on the social reality. And its negative outputs, one of which was the spread of poverty in the Islamic state, and then proposing solutions, which are represented by many measures that the Imam followed, foremost of which was taking measures to address poverty and get rid of classism, and thus equal rights among individuals.

The research was divided according to its scientific material into an introduction and three topics in which the phenomenon of pov-

erty was addressed according to the perspective of the Islamic state during the era of the Commander of the Faithful, Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him), and as shown:

The first topic is methodology.

The second topic is the components of the Islamic society until the establishment of the government of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him).

The third topic is the mechanisms used by the Imam of the government to address the phenomenon of poverty. Conclusions and recommendations come by various scientific sources.

المقدمة

تعد ظاهرة الفقر إحدى الظواهر المعقدة جداً التي تواجهها المجتمعات على اختلاف اصولها، وخطورة هذه الظاهرة تكمن في كونها متداخلة مع كافة مناحي الحياة الأخرى، السياسية منها والاجتماعية، والقانونية والدينية، والنفسية والفكرية وحتى الروحية منها، وهذا التداخل بين الظاهرة والعوامل المذكورة تبين لنا مقدار العجز الذي يواجهه الانسان من أجل إيجاد الحلول الشاملة والمناسبة للقضاء على الفقر أو الحد منه.

وتعددت العوامل التي تكون الباعث الأساسي لخلق هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمعات، وتعد سياسات الحكومات واخص بالذكر الحكومات التي سبقت تولي حكومة الامام علي عليه السلام زمام الأمور، العامل المباشر لنشوء هذه الظاهرة وانتشارها لتشجيع بعضها على الطبقية والفوارق المجتمعية بين الأفراد حتى بات الجزء الاغلب منهم يعاني من العواقب الوخيمة لهذه الظاهرة.

وعند تسلم الإمام علي زمام الخلافة في الدولة العربية الإسلامية حاول جاهدًا السير على مبدأ الرسول محمد صلى الله عليه وآله في حفظ حقوق الأفراد والمساواة فيما بينهم، وعمد إلى اتباع منهج الثروات هي ملك لكل الناس لتكون باعثاً أساسيّاً للفرد للعمل والحفاظ على حقه الطبيعي الذي كفل له بموجب الشرع والمتمثل بالعيش عيشة كريمة تصون كرامته وتوفر احتياجاته.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً : أهمية البحث

يتطرق هذا البحث إلى بيان المشاكل التي أوجدها تفشي النظام الطبقي وسياسات التفريق في التعامل بين بناء المجتمع الواحد في ظل الدولة العربية الإسلامية الموحدة قبل تولي الإمام علي الحكم، وتداعيات ذلك على الفرد نفسه والتي أدت إلى ان تنحسر الثروات والامتيازات لفئات مجتمعية محددة دون غيرها، وهذا بطبيعته أدى إلى تفشي الفقر وماترتب عليه من أثار سلبية على الفرد والمجتمع. ثم ابدأ بإيراد امتيازات حكومة الإمام والاستراتيجيات التي اتبعتها للحد من هذه الظاهرة وهي إنما تمثل النهج القويم بالسير على خطا الرسول صلى الله عليه وآله بالمساواة ونبذ الطبقية في التعامل، ومن ثَمَّ الحد من الظواهر السلبية التي تفتك بالمجتمع .

ثانياً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في:

١-ماهية الآليات التي انتهجتها دولة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع ظاهرة الفقر المجتمعي وكيفية مواجهتها؟

٢-ماهية المخلفات السياسية التي اوجدتها الحكومات السابقة لحكومة أمير المؤمنين وأثرها في تفشي الفقر المجتمعي؟

٣-هل كانت الاستراتيجية التي اتبعتها حكومة الإمام عليه السلام مناسبة للقضاء على الفقر أو الحد منه ؟

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١- التعرف على الواقع الذي كانت تمر به الدولة العربية الإسلامية وماواجهته من آفات مجتمعية قبل تولي الإمام علي الحكم مع مقاربة بين ماكان في عهد من سبق الإمام علي ﷺ وعهده، ونظراً لسعة الدولة الإسلامية وترامي اطرافها فقد اخترت بعض النماذج المستوحاة من طبيعة التعامل المتبع لمكافحة الفقر في بعض اجزاء الدولة.

٢-عرض رؤية توضيحية لسياسة الإمام ﷺ ومنهجه في الحد من الظواهر المجتمعية الهدامة وفي مقدمتها ظاهرة الفقر انطلاقا من مبدأ المساواة في توفير سبل العيش والحياة الكريمة للأفراد.

رابعاً: فرضية البحث

يسعى البحث إلى الوصول إلى نتائج حقيقية من خلال جمع بعض الاشارات الواردة في المصادر التاريخية المهتمة بالبحث في معالجة الظواهر المجتمعية التي تركت آثاراً سلبية في المجتمع الإسلامي للتعرف على فرضية البحث التي تنص على" كان الإمام ﷺ رائدا لمبدأ المساواة بين فئات المجتمع كافة والتوزيع العادل للثروات بين الناس تحقيقاً للعدالة المجتمعية ونبذ الظواهر السلبية التي تعود بنتائج عكسية على سلوك الفرد النفسي والاجتماعي".

خامساً: أسلوب البحث

وُظِّفَ المنهج الوصفي في هذا البحث من خلال جمع المصادر التي تناولت موقف الإمام علي ﷺ من ظاهرة الفقر وحرصه على ايجاد الآليات المناسبة للحد من تفشي هذه الظاهرة، وان يكون أفراد المجتمع بمستوى واحد وان ينالوا حقوقهم كاملة في ظل الدولة العربية الإسلامية بلا تمييز وتحليلها واستنباط الاستنتاجات بالشكل الذي يتماثل مع المشكلة موضوع البحث.

المبحث الثاني: مكونات المجتمع الإسلامي حتى قيام حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

لايخفى على اي باحث في الشأن الإسلامي أن المؤسسة السياسية التي أوجدها الرسول محمد صل الله عليه وآله وسلم إنما هي نتاج لسلطة الرسول السياسية لقيادة الدولة والمجتمع وهذه بدورها أُسست تدريجياً اعتماداً على سلطاته الدينية بصفته رسول الله ينزل عليه الوحي من السماء بأوامر الله وليس لأي أحد أن يدعي لنفسه مثل هذا الأمر.

وعندما توفي الرسول وخرجت الأمة عمّا وضعه لهم من تدأبير تؤدي إلى استمرارية الكيان الذي أوجده مرت الأمة بتداعيات عديدة كان لها الأثر الكبير في انشقاق عصا الوحدة التي أوجدها الرسول صلى الله عليه وآله في صفوفهم، وحصلت محاولات لإيجاد نظام سياسي يسعى إلى تنظيم شؤون المسلمين في تلك المرحلة الحرجة، فبدأ العهد الراشدي بإختيار أبي بكر ليتولى امور الدولة بعد الرسول، وفي هذه الحقبة كان المجتمع الإسلامي مقتصراً على العنصر العربي المتمثل بالمهاجرين إلى المدينة، والانصار من الاوس والخزرج سكان المدينة الاصليين، ومن ثم قريش التي تُعدّ فتية عهد بالإسلام لإنضمامها له وهجرة بعض أبناءها واستيطانهم في المدينة.

كانت هذه هي فئات المجتمع في تكوينه الأول، ثم تدريجياً وبعد توالي الراشدين في الحكم واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية نتيجة لحروب التحرير وانضواء العديد من الاقاليم تحت راية الإسلام، اتسع كيان المجتمع الإسلامي ليضم، إضافة إلى العنصر العربي، عناصر اخرى فأصبح خليطاً من العرب والموالي من اليهود والنصارى والمجوس والطوائف الأخرى، فتحول إلى مجتمع عالمي يضم تحت كنفه مختلف المذاهب والأديان والفرق والاتجاهات[1].

والذي أسعى إلى توضيحه هنا هو آلية تكوين المجتمع الإسلامي وتنوع طبقاته، وأثر هذا التنوع في نشوء ظاهرة الفقر، فالمجتمع بدأ كما اشرت يضم فئات مختلفة تحت لوائه وهذه الفئات لم تكن على وتيرة واحدة في الامتيازات والحقوق التي كانت تقدمها الدولة لأفراده وسوف نورد امثلة تبين هذا الأمر، ففي عهد الرسول محمد كان وضع العطاء مختلفاً إذ وضع صل الله عليه وآله وسلم اللبنات الأولى لهذا النظام ولم يقبل مالاً بل يوزعه على المسلمين حينما يحصل عليه وكان يمنح العطاء لمن هو بن خمس عشرة سنة فما فوق [٢]. وفي عهد أبي بكر ومنذ تسلمه زمام الأمور سعى إلى توزيع العطاء بين الناس بالمساواة ولم يضع فروقاً بين السابقين الأولين او المتأخرين في الإسلام حتى قيل له لنقدم اهل السيف على قدر منازلهم قال:" إنما أسلموا لله ووجب اجرهم عليه يوفيهم ذلك في الآخرة انما هذه الدنيا بلاغ" [٣]، وكان رفض ابو بكر لهذه المطالب جوهرياً وله الأثر في الحد من تفشي الثروة بيد فئة دون أخرى؛ لكونه يروم نتيجة واحدة هي خلق فجوة في المجتمع تدعو إلى الطبقية الاجتماعية التي حاربها الإسلام، وتذكر المصادر التاريخية أنه في بدايات تسلمه الأمر أعطى كل فرد ذكر كان وأنثى سبعة دراهم وثلث ثم جعلها في العام الثاني عشرين درهماً [٤].

لكن التوسع الذي حصل بعد الفتوح الإسلامية والهجرة في عهد عمر بن الخطاب ادت إلى كثرة الروافد لدرجة انها تجاوزت عدد الفاتحين انفسهم مما ادى إلى الشكوى من المساواة والنقد لها عند بعضهم [٥]، لذلك لجأ عمر إلى اتباع مبدأ التفضيل في العطاء بين القبائل العربية وبحسب ترتيبهم في الديوان هذا الأمر الذي ادى وبطريقة غير مباشرة إلى تفشي العصبية القبلية التي سعى الإسلام إلى اخفائها [٦]، ومن هنا كانت البدايات الأولى لظهور الطبقية

والتمييز في التعامل بين المسلمين، وقد اختلف في نسب العطاء التي اقرها عمر للمسلمين فقد ذكرت بعض الروايات أنه قد منح المهاجرين خمسة آلاف درهم في السنة في حين حدد للأنصار أربعة آلاف درهم [٧].

وفي عهد عثمان بن عفان شهدت الدولة العربية الإسلامية نموًا ترتب عليه منح القطائع من الصوافي والارض الموات، إذ كان سخياً ومتساهلاً ومنح العديد من كبار الصحابة الاراضي واحيانا تصل المنحة إلى قرية او ضيعة، إذ تذكر المصادر التاريخية انه اقطع العديد من صوافي كسرى وماكان من ارض الجالية، اذ اقطع طلحة النشاستج واقطع خباب بن الارت استينيا واقطع عدي بن حاتم الطائي الروحاء واقطع جرير بن عبد الله البجلي أرضاً على شاطىء الفرات [٨]، فأدى انتشار هذه القطائع إلى ظهور طبقات أخرى تمثل الاحرار والموالي والرقيق العاملين في تلك الأراضي، فأخذت الطبقية سبيلاً في المجتمع الإسلامي ومن ثم تفشيها تدريجياً في الدولة العربية الإسلامية .

أخذ المجتمع في نهاية مدة عثمان يضم فئات من أصحاب المال والنفوذ المتحكمة في الامور وهذا بدوره ادى إلى تدني الوضع الاجتماعي للفئات الأخرى، وخاصة الموالي الذين لم يكونوا على وتيرة واحدة في الامتيازات والحقوق، فضلا عن ظهور طبقة العمال والعبيد التي تنامت تدريجيا في المجتمع؛ بسبب حياة البذخ التي عاشتها الطبقة الغنية والأنفة من القيام بالاعمال الزراعية والحرفية فأوجدت هذه الطبقات لخدمة هذه الفئة وأخذت تعاني صعوبات الحياة من أجل العيش.

المبحث الثالث: الآليات التي اتبعتها دولة الإمام لمعالجة ظاهرة الفقر

لايختلف اثنان أن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان يعالج مشاكل الأمة وقضايا الدولة بموقف نظري وعملي في آن واحد، ونجد هذا

الأمر راسخا في نهج البلاغة الذي يشتمل على الخطب والرسائل والكلمات القصار التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام في مناسبات مختلفة وأوقات متباينة وكان الهدف منها هو تغيير أوضاع الأمة الإسلامية وتحقيق السعادة المنشودة لها.

والمتمعن النظر في كتاب نهج البلاغة يجد العديد من خطب الإمام علي عليه السلام والرسائل التي يحث فيها عليه السلام تُعدّ السيطرة على ظاهرة الفقر التي نجمت عن سوء التطبيق في عهد عثمان بن عفان للثروة ففي كلمته الرائعة التي تُعدّ آية من آيات الجمال الأدبي والحكمي قوله عليه السلام الذي أصبح مثلاً يضرب في كل مكان:"إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك"[٩]. ولكي نشخص هذه الظاهرة لابد لنا من تحديد المباديء السياسية التي اعتمد عليها الإمام عليه السلام للحد من هذه الظاهرة والتي اعتبرت مسلمات أساسية وآليات تم اللجوء اليها لمحاربة الفقر، ومن ثم وضع الحلول المناسبة له، فكانت الاجراءات التي اتبعها الإمام تصبو في التخلص من الطبقية ومن ثَمّ المساواة في الحقوق بين الأفراد، وقد اتخذ خطوات جلية في سبيل الحد من هذه الظاهرة وفي ما يلي نورد بعضاً منها.

أولا- القضاء على النظام الطبقي في الدولة العربية الإسلامية:

عند تسلم الإمام علي الخلافة كان المجتمع عبارة عن طبقات متعددة ابرزها طبقة الاغنياء التي احتلت مكانة مميزة في العهد السابق لحكمه؛ لذلك لجأ إلى اتخاذ خطوات عديدة للحد من تفشي هذه الطبقة وهو في ذلك قد سار على خطى الرسول في منهجه فسارع إلى استرجاع جميع الاراضي التي منحها عثمان لطبقات الاغنياء والمترفين، وقد اورد المسعودي ذلك بقوله"وقسم الإمام علي جميع الاموال التي كانت في بيت مال المسلمين على الناس ولم يفضل طبقة على أخرى وانما جعلهم جميعهم سواسية" [١٠]. مما اثار مخاوف الاغنياء من سياسة الإمام وعدوها استهدافاً لهم واعلنوا المعأرضة ضد تلك السياسة [١١].

ولم يفرق في التعامل هنا بين العرب والموالي لتحسين الوضع الاقتصادي لجميع فئات المجتمع ففي عهده عليه السلام شاعت المساواة بين العرب جميعا حتى قيل له يا أمير المؤمنين اعطي هذه الاموال وفضل الاشراف من العرب على الموالي والعجم فقال:" اتأمروني ان اطلب النصر بالجور"[١٢] فكان عليه السلام يعطي العطاء بين الناس بالمساواة ولم يفضل أحداً على أحد واعطى الموالي كما اعطى العربي وكان دليلة ان أولاد اسماعيل لم يفضلوا على أولاد اسحق في كتاب الله[١٣].

وقد سار على نهج الرسول صلى الله عليه وآله في التسامح عند أخذ الجزية ومراعاة الفئات المستضعفة من اهل الذمة وكان عليه السلام يقول:(انما بذلوا الجزية لتكون اموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا [١٤] وبأن حماية الأرواح والممتلكات من الأخطار الخارجية لبناء الدولة الإسلامية كافة هي من واجباتها الأساسية.

ثانيا- استثمار الأراضي الزراعية

اتبع الإمام علي عليه السلام سياسة اقتصادية رائعة للحد من الفقر حتى قبل ان يتولى

الخلافة من خلال مااقترحه على عمر بن الخطاب في التصرف بأرض السواد تمهيداً لاحلال نظام الضمان الاجتماعي لفئات المجتمع إذ استشار عمر الصحابة في أمر أرض السواد؛ فأشاروا عليه بتقسيمها بينهم، وعندما استشار الإمام علي عليه السلام في أمر هذه الأرض اشار عليه بالقول: " إن قسمتها اليوم لم يكن لم يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها في اريديهم يعلمونها فتكون لنا ولمن بعدنا، فقال: وفقك الله"، وهنا اراد الإمام من الدولة ان تكرس جهودها لخدمة مواطنيها فلا حاجة لادخار الأموال إمام حاجة الناس اذ هي وسيلة لغاية عظمى هي اسعاد الفرد وحفظ كرامته، فلا تبقى به حاجة إلى من يتصدق عليه مادامت الدولة تسد حاجته وحاجة عياله من خلال الضمان الاجتماعي الذي اقترحه الإمام عليه السلام.

والنقطة المهمة الأخرى في سبيل الحد من ظاهرة الفقر اعتماد فلاحي المناطق المفتوحة ضمن خزين بيت المال أي مادة للمسلمين لأننا وكما نعرف ان الفاتحين الأوائل اغلبهم كانوا قليلي خبرة بالزراعة وبهذا فبقاء فلاحي المناطق أنفسهم يحقق للدولة أمرين، أولهما: يمنع ضياع الأراضي الخصبة او بيعها مما يؤثر سلبا في دخل المسلمين المستفيدين منها، وثانيهما: ان فلاحي تلك المناطق اصبحوا من رعايا الدولة وهي مسؤولة عنهم فتوزيع الأراضي قد يعرضهم للجوع والحرمان فيكونون عالة ومن ثَمّ يسببون مشاكل اجتماعية تعكس بصورة سلبية على استقرار الدولة [١٥].

ثالثا- تنازل الخليفة عن حقوقه المالية

أحدى اهم الآليات التي اتبعها الإمام عليه السلام للحد من ظاهرة الفقر هو التخلي عن حقوقه المالية او مايعرف بحق الخليفة إذ أمر بتقسيم مايفضل من الأموال على فقراء المسلمين تحقيقاً للعدالة الانسانية وان لايبقى معوزا في المجتمع إذ اراد الإمام ان يكفل لكل مواطن رزقه بما يحفظ له انسانيته، وقد

سُئل الإمام عن سبب خشونة عيشة: علام اقتصرت انت ياأمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الحشف فقال: ان الله افترض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بالعوام لئلا يشنع بالفقير فقره فكان عليه السلام يريد الحفاظ على الصورة التي رسمها الإسلام لرأس الدولة ولنظام الحكم فيها.(١٦).

رابعاً- تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي

يُعدّ الإمام علي عليه السلام مبدأ التكافل الاجتماعي أمرأ واجبا لامجال للتملص منه وفي نهج البلاغة إشارات عديدة لهذا الأمر منها ما وجهه الإمام علي عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة عندما بلغ الإمام انه قد دعي إلى وليمة من أهلها:" أَمَّا بَعْدُ يَا بن حُنَيْف فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدَبَة فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الاَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إلى طَعَامِ قَوْم عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ. وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إلى ما تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمُقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ"(١٧)، وأيضا في كلام قاله عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:"يا كميل، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، و يدلجوا في حاجة من هو نائم. فو الّذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلبا سرورا إلاّ و خلق الله له من ذلك السّرور لطفا. فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل(١٨).

وحدد الإمام الموارد الضرورية لتنفيذ حق التكافل الاجتماعي في مسألة مهمة ألا وهي إيصال الفقير إلى حد الاكتفاء أي أن التكافل الاجتماعي يحدث عندما تؤدي الفرائض الشرعية الكفاية للفقير ومن المحتمل أن تعجز بعض جوانب هذه الفرائض عن القيام بذلك الأمر فقد تعجز أموال الزكاة عن البلوغ إلى هذا المستوى من الحالة الاقتصادية للفقراء فهنا لابد من وجود أموال غير الزكاة والخمس هي المعول عليها لسد الثغرات الاقتصادية في المجتمع وقد تكون أموال الزكاة والخمس جزءاً منها[١٩].

أما في كيفية توزيع أموال الزكاة في عهد الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فكانت توزع بحسب ما جاء في القرآن الكريم على مجموعة من الفئات هي: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَبن السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة ٦٠)، أي إن مال الزكاة لا يشمل المقاتلين أو غيرهم، بل يشمل الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم فقط. وثبت عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ من انه وضع الزكاة على أموال غير الأموال التي وضعت عليها الزكاة في الصيغة التشريعية الثابتة فكما هو معروف أن الصيغة التشريعية الثابتة وضعت الزكاة على تسعة أقسام من الأموال غير انه ثبت عن الإمام علي ﷺ أنه وضع الزكاة في عهده على أموال أخرى أيضا كالخيل مثلا وهذا عنصر متحرك يكشف عن أن الزكاة كنظرة إسلامية لاتختص بمال دون مال وان من حق ولي الأمر أن يطبق هذه النظرية في أي مجال يراه ضروريا[٢٠].

هذه بعض الخطوات التي اعتمدتها حكومة الإمام للحد من ظاهرة الفقر فهو ومنذ اليوم الأول من خلافته سعى إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي والقضاء على المظاهر السلبية التي تشكل آفات مجتمعية هدأمة تعود بالسلب على أفراده وكان ابرزها هو الغاء سياسة التفريق في العطاء فلا يوجد فرق

بين المهاجرين من الصحابة الانصار وبين غيرهم من المسلمين؛ لان الفريق الأول قدموا التضحيات للإسلام وهذا الشيء ثوابه عند الله في الدار الآخرة اما العطاء فيوزع بالتساوي لان الدنيا ليست للثواب وانما الثواب في الآخرة .

الخاتمة

نستنتج من بحثنا هذا جملة من الامور وهي:

-ظاهرة الفقر ليست بحديثة العهد في الدولة العربية الإسلامية وإنما ظاهرة متفشية في المجتمع منذ الأزل.

-ظاهرة الفقر لها تأثيرات سلبية مختلفة في الحياة الاجتماعية والنفس البشرية ناهيك على تأثيراته في المنظومة الفكرية للسلوك الفردي.

-أحيانًا السياسات التي تتبعها الحكومات تكون سبباً فاعلا في تفشي هذه الظاهرة في المجتمع.

-وجدت الكثير من الجوانب السلبية التي شجعت على توغل ظاهرة الفقر في الدولة الإسلامية وأبرزها انتشار الطبقية التي أدت بدورها إلى خلق فروق بين بناء المجتمع الوأحد.

-انطلقت استراتيجية دولة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في مكافحة الفقر والحد من هذه الظاهرة من نقطة جوهرية ان الثروات لكل الناس.

-أوجد الإمام علي ﷺ العديد من الحلول الجوهرية لمواجهة ظاهرة الفقر ابرزها تفعيل نظام التكافل الاجتماعي والحد من الطبقية والتمييز في العطاء الذي كان متفشياً في ظل الحكومات السابقة .

الهوامش

١-خليل، ١٤١٣هـ: ٧٤
٢-بن خياط، ١٩٦٧، ص٦٤
٣-بن الأثير، ١٩٩٧م، ج٢،ص٢٦٥
٤- بن سلام،١٩٧٥، ص٣١٦
٥- الدوري،٢٠٠٩، ص٥٢
٦-الشريف، ١٩٦٨، ص٢٤٧
٧ -بن سلام،ج٢،ص١٤٣
٨-السرخسي، بلا.ت، ص١٠
٩-بن أبي الحديد،٢٠٠٧م، رقم: ٣٢٨
١٠-علي بن الحسين بن علي بن الحسين ١٩٨٤م، ج٢،ص٣٥٣
١١-بن اعثم، بلا.ت، ج٢، ص٢٤٨
١٢-بن أبي الحديد، ١٩٩٧،ج١، ص١٨٢
١٣- اليعقوبي، ١٩٩٥م، ص ١٢٧
١٤- الزيلعي،١٩٩٧،ج٣،ص ٣٨١ ؛ الكاشاني، ١٣٢٨، ج ٧، ص ١١٠- ١١١
١٥- قدأمة، ١٩٨١م، ص٣٦٢
١٦- بن عبد ربه، ١٩٨٣م،ج٢،ص٣٧٤
١٧- بن أبي الحديد، ٢٠٠٧م، ج٤، ص٥٥٣
١٨- م.ن.، ص١٦٦
١٩-م.ن.
٢٠- الصدر، ١٤٠٣هـ، ص٥٠

المصادر والمراجع:

* بن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، تحققي: محمد ابراهيم، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م.
* بن اعثم، أبو محمد بن اعثم الكوفي(.:٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: محمد عبد المعبد خان، بلا.م،دائرة المعارف العثمانية، بلا.ت.
* بن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م.
* بن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
* ابو الفرج، قدأمة بن جعفر بن قدأمة بن زياد البغدادي(ت ٣٣٧هـ)، الخراج وصناعة الكتابة ، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
* أبو بكر الكاشاني، البدائع، طبعة الخانجي، ١٣٢٨هـ.
* جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي(ت:٧٦٢هـ)، نصب الراية، تقديم: محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري المحقق: محمد عوأمة الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.
* خليل، عماد الدين، الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، بحث منشور في مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٤١٣هـ.
* الدوري، عبد العزيز، اوراق في التاريخ والحضارة، بيروت، ٢٠٠٩.
* السرخسي، ابو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، بيروت، بلا.ت.
* الشريف، احمد ابراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العأمة في القرنين الأول والثاني، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٦٨.
* الصدر، الشهيد محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، ط٢، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ.
* المسعودي، علي بن الحسين بن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، قم المقدسة، دار الهجرة، ١٩٨٤م.
* اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
* بن خياط، خليفة،١٩٦٧، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، النجف.
* بن سلام،١٩٧٥، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة.

الاسس والمبادئ العامة للرعاية الاجتماعية من تراث الإمام علي (عليه السلام)

(سياسات الرعاية الاجتماعية و مكافحة الفقر التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام))

م.د. سجاد كامل عبود

ملخص البحث

إن من أولويات مسؤوليات السلطة و الحاكم هو الاهتمام بأمور المسلمين عامة و بأمور المستضعفين خاصة لاسيما أمورهم المعاشية ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام :(أأقنع من نفسي بأن يقال : أمير المؤمنين، و لااشاركهم في مكاره الدهر، أو اكون أسوة لهم في جشوبة العيش) فأمير المؤمنين عليه السلام جعل هدفا من أهداف تولية السلطة هو حماية المستضعفين و رعايتهم، يقول عليه السلام : (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلمون من عبادك..)؛ و لهذا امتازت حكومة أمير المؤمنين بمزايا عِدّة من شأنها ان تقضي على ظاهرة الفقر أو على الأقل التقليل منها.

خصائص حكومة أمير المؤمنين:

١. المساواة في العطاء: ان من أبرز أسباب المشكلة الاقتصادية هو سوء التوزيع؛ لذا فان أمير المؤمنين قد ساوى في العطاء بين المسلمين وقال عليه السلام : (أتأمروني أن اطلب النصر بالجور فيمن وليّت عليه والله لا أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجما. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف و انما المال مال الله لهم).

٢. اهتمام الإمام بطبقة الفقراء والمحتاجين و حث الولاة على الاهتمام بهم، فها هو عليه السلام يوصي مالك الأشتر رض بالاهتمام بهم فيقول: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، و المساكين والمحتاجين، واهل البؤس فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزاً، واحفظ الله مااستحفظك من حقك فيهم).

٣. خصص عليه السلام مواردَ لتأمين متطلبات الطبقة المستضعفة إذ أمر الولاة بذلك كما في قوله: (واجعل لهم قسماً من بيت مالك، و قسماً من غلات صوافي في كل بلد). وبذلك سوف تكون هذه الميزانية متحركة على ضوء الإنتاج و بحجمها تُراعي أمور الناس المحتاجين.

٤. جعل الإمام عليه السلام مسؤولية على الدولة تؤديها تجاه اولئك الذين يدفعون ضريبة الخراج، فعلى الدولة أن تتفقد احوالهم، وترعى شؤونهم الصحية والثقافية وترفع من مستواهم المهني؛ لان ذلك يتسبب في زيادة الانتاج وتحسينه، من ثَمَّ ستتحسن نسبة الموارد التي تسهم في تحسين اوضاع الطبقة الضعيفة، ولأن الاعتماد على الضريبة دون الاهتمام بالإنتاج سيؤدي إلى الدمار.

Abstract

One of the priorities of the responsibilities of the authority and the ruler is to take care of the affairs of Muslims in general and the affairs of the oppressed in particular, especially their livelihood matters. The Commander of the Faithful, peace be upon him, says: (Shall I be content with myself to be called: Commander of the Faithful, and not participate with them in the time of hardships, or not sharing the harshness of life with them?

Indeed, the Commander of the Faithful, peace be upon him, has made one of the goals of assuming power the protection and care of the oppressed. He, peace be upon him, said: (O God, you know that it was not among us to compete for authority, nor to seek any of the vanity of ruin, but let us restore the landmarks of your religion and demonstrate reform. In your country, the oppressed of your servant to ensure their safety.

For this reason, the government of the Commander of the Faithful was distinguished by several advantages that would eliminate the phenomenon of poverty or at least reduce it:

1- Equality in giving: One of the most prominent causes of the economic problem is poor distribution. Therefore, the Commander of the Faithful equated giving among the Muslims and said, peace be upon him: (Do you order me to seek victory through injustice against the one over whom I have been appointed? …….If the money was mine, I would be equal to them, but what is about the fact that the money is His for them ?

2- The Imam's concern for the class of the poor and needy and urging the governors to care for them. What is the matter, peace be upon him, Malik al-Ashtar, may God be pleased with him, recommends that they be concerned with them, saying: (I advise you

in the name of Allah to be kind to the lowest class of those who have no help, and the needy, and the people of misery and for a long time, for in this class……

3- He, peace be upon him, allocated resources to secure the needs of the vulnerable class, as he ordered the governors to do so, as in his saying: (And allocate for them a portion of your treasury house, and a portion of raw crops in every country.) Thus, this budget will be movable in light of production and its size, in order to keep in line with their affairs as well as the needy in particular..

4- The Imam, peace be upon him, made it a responsibility for the state to fulfill the demands of those who pay the tax. The state must inspect their conditions, take care of their health and cultural affairs, and raise their professional level because this will for sure, lead to increasing and improving production, together with a considerable increase in the proportion of resources that contribute to improving the conditions of the weak class as a result of relying on taxes only without paying due attention to the deteriorated condition of the outcome during the harvesting season.

المقدمة

عاشت البشرية متأرجحة في ظل ايديولوجيات مختلفة ومتناقضة في كثير من الأحيان، يثقل كاهلها ظلم الحكومات وتتقاذفها نزوات الحكام واهواؤهم، فلا يجد الإنسان مخرجا من تلك الامواج المتلاطمة بسوء ما جبلت عليه معظم النفوس البشرية من اضطهاد الآخرين، الا ببصيص امل اخبر الله ملائكته: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]، على أمل أن الخليفة يحقق ارادة المستخلف في بسط العدل ومحاربة الظلم الذي عانت منه البشرية حتى في عالمنا الاسلامي في ظل حكومات اتخذت طريقة في الحكم على خلاف ما رسمه وطبق بعضه رسول الإنسانية والرحمة الالهية المهداة للبشرية محمد صلى الله عليه وآله، فكاد القنوط يتسرب إلى الناس اثر تلك المظالم: ولو كاد الوعد الإلهي – اني اعلم ما لا تعلمون – ان يكون باطلاً واستخلافاً عبثاً تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لو لا ان منّ الله على المؤمنين و رأف بالعباد، بمدة يأسف المنصفون والاحرار على قصر امدها جراء مخططات الجبابرة والطامعين ومشاغبات الإنتهازيين والنفعيين، فكانت أيام حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلسماً لجراح المحرومين، ونموذجاً رائعاً يحتذى به في تجسيد العدالة والقضاء على الفقر، بما له من رؤى واقعية و مساعٍ جادة اراد بها انقاذ البشرية من براثن الجشع والظلم، وقد ظهر ذلك في خطبه و مراسلاته للولاة و متابعته و محاسبته لهم، و هذا ما ينبغي اظهاره للاجيال و بيانه للناس ولو من خلال البحوث والمؤتمرات احياءً للسيرة العطرة للإمام علي عليه السلام، وللاقتداء به وتعريف الشباب خصوصاً بتراثنا الحضاري.

المبحث الأول: مفردات البحث و مسؤولية الدولة

المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للفقر والمكافحة

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفقر

لا يوجد فرق كبير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفقر؛ و لذا سنجعلهما في معنىً واحد. قال بن فارس : الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء من عضو او غير ذلك من ذلك: الفقار للظهر، الواحدة فقارة، سميت للحزوز والفصول التي بينها والفقير المكسور فقار الظهر، وقال اهل اللغة: منه اشتق اسم الفقير وكأنه مكسورٌ فقار الظهر، من ذلته ومسكنته و من ذلك، فقرتهم الفاقرة وهي الداهية، كأنها كاسرة لفقار الظهر، وبعض أهل العلم يقولون: الفقير الذي له بلغة من عيش، ويحتج بقوله:

أما الفقير الذي كانت حَلُوبَتهُ وفق العيال فلم يترك له سَبدُ[٢]

قال المحقق الحلي : الفقراء هم الذين تقصر أموالهم عن مؤنة سنتهم[٣]

قال بن منظور: روى بن سلام عن يونس قال: الفقير يكون له بعض ما يقيمه، والمسكين الذي لا شيء له، و يروى عن خالد بن يزيد انه قال : كأن الفقير انما سميّ فقيراً لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه فهذا هو الفقير[٤]

و جاء في المصباح المنير قال بن السكيت: (المسكين) الذي لا شيء له، و(الفقير) الذي له بُلغة من العيش و كذلك قال يونس و جعل (الفقير) أحسن حالاً من (المسكين)[٥]

و قال الفيروز ابادي: (الفقر: ضد الغنى وقدره ان يكون له ما يكفي عياله، أو الفقير من يجد القوت، والمسكين: من لا شيء له، أو الفقير: المحتاج، و المسكين من اذلّه الفقر أو غيره من الاحوال) [٦]

ثانياً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمكافحة

لا يوجد فرق كبير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمكافحة و لذا سنجعلهما في معنىً واحد . قال بن منظور: (المكافحة مصادفة الوجه بالوجه مفاجأةً . كفحه كفحاً، وكافحه مكافحةً وكفاحاً: لقيه موجهةً . ولقيه كفحاً ومكافحةً وكفاحاً اي مواجهةً. والمكافحة في الحرب: المضاربة تلقاء الوجوه. المكافحة : المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه)[٧].

و جاء في المنجد: (كفح العدو: واجهه واستقبله كفةً كفة كافح القوم اعداؤهم: استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس و لاغيره، يقال: هو يكافح الأمور: اي يباشرها بنفسه)[٨]

المطلب الثاني : مسؤوليات الدولة تجاه المواطن

أولاً : على الدولة والحكومة رعاية المواطن في الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و الأمنية و الصحية والثقافية)[٩].

يقول أمير المؤمنين : (أيها الناس إن لي عليكم حقا ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا وتأديبكم كي ما تعلموا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم)[١٠].

ثانياً : ان تعطي الأولوية للإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية وهو القانون الذي سنّه عليه السلام .

ثالثاً: الرعاية والضمان الاجتماعي : هناك دائماً طبقات محرومة في المجتمع لها حاجة إلى الرعاية الدائمة والاهتمام المستمر و يتحمل الوالي النصيب الاكبر من المسؤولية في رعاية شؤون هؤلاء و هم اصحاب الحاجات و الفقراء و اليتامى والضعفاء؛ ولكي يستطيع الحاكم تأدية هذه المهمة عليه ان يشكل هيئة تقوم بأعمال الرعاية.

يقول الإمام: و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم تقتحمه العيون، وتحتقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية احوج إلى الإنصاق من غيرهم.

و يقول أيضاً: و تعهد أهل اليتم و ذوي الرقة في السن (الشيوخ والعجزة) ممن لا حيلة له و لا ينصب للمسألة نفسه.

و أيضاً: ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، و أهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (ذوي العاهات))[11].

و يعتمد الضمان الاجتماعي في الدولة الإسلامية على أساسين:

١.الأساس الأول: (التكافل العام : هو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين كفالة بعضهم لبعض، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وامكاناته، يجب عليه ان يؤديها على أي حال كما يؤدي سائر فرائضه. والضمان الاجتماعي التي تمارسه الدولة على أساس هذا المبدأ للتكافل العام بين المسلمين يعبر في الحقيقة عن دور الدولة في الزام رعاياها بامتثال ما يكلفون به شرعاً. فقد جاء في الحديث الصحيح عن سماعة: (انه سُئل الإمام جعفر بن محمد عن قوم عندهم فضل و بإخوانهم حاجة شديدة، و ليس يسعهم الزكاة، أيسعهم ان يشبعوا ويجوع إخوانهم ؟ فإن الزمان شديد، فرد الإمام عليه قائلا: ان المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله و لا يحرمه فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه والتوأصل والتعاون عليه والمواساة لأهل الحاجة)[12])[13].

٢.الأساس الثاني: (حق الجماعة في مصادر الثروة : و على أساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين، بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على افراد المسلمين أنفسهم،

وجاء في كتاب الإمام علي إلى واليه على مصر: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، و أهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (ذوي العاهات) فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا و احفظ لله ما استحفظك من حقك فيهم و اجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للاقصى منهم مثل الذي للادنى... إلى ان يقول وتفقد أمور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لاولئك ثقك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم، ثم اعمل فيهم للاعذار لله يوم تلقاه)[١٤].

المبحث الثاني : صفات الحاكم وأثرها في الحكم:

المطلب الأول : بعض من مؤهلات وصفات الإمام علي عليه السلام

ان سلوك الإنسان وأفعاله و ما يصدر منه من تصرفات تمثل انعكاسا لطبيعته و خلقه، فصفة الحاكم لها أثر في الرعية، يقول بن خلدون: (اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه، من حسن شكله وملاحة وجهه... وانما مصلحتهم فيه من حيث إضافته اليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية، فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم، فالسلطان من له رعية، والرعية من لها سلطان، والصفة التي له من حيث إضافته اليهم هي التي تسمى الملكة، وهي كونه يملكهم، فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فإنها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم، و ان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم)[١٥].

فالنبي كان رحمةً مهداة للبشرية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[١٦] لأنه كان على خلق عظيم، و علي عليه السلام كان ربيباً للصادق الامين، قال عليه السلام : (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره

وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به ﷺ - من لدن أن كان فطيما - أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به)[١٧] فقد اجتمعت في شخصية علي مؤهلات و أسباب الكمال، إذ أذهب الله عنه الرجس و طهره تطهيرا، مع عناية رسول الله به، ليكون من رسول الله كما كان هارون من موسى، فالإنسانية والزهد سمةُ عند علي، والورع والتقوى ملازمة لشخصه، فلم يتكلف العدالة والرأفة بالناس، كيف لا وهو إمام المتقين ولم تغره الدنيا أو يستهويه بريق السلطة كما استهوى غيره، والسلطة عنده اهون من نعلٍ بالٍ لولا ان يقيم حقاً أو يدفع باطلاً، فلم يرغب بالسلطة الا من اجل إقامة العدل، يقول عليه السلام : (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الأصلاح في بلادك. فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك)[١٨].

فقد امتاز عليٌّ بصفات منها :

١-العدل : قال عليه السلام: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة لما تحت افلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم أهون عندي من ورقة في فم جرادة).

٢-الزهد : روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: (دخلت على علي بالخورنق، وهو فصل الشتاء، وعليه خلق قطيفة هو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! ان الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيبا، وانت تفعل ذلك بنفسك ؟ فقال: والله ما ارزؤكم شيئا، و ما هي الا قطيفتي التي اخرجتها من المدينة).

٣-الإنسانية : قوله عليه السلام لمالك الأشتر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

٤-العبقرية : قوله عليه السلام : (علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)

٥-الخلق العظيم : خرج علي و هو راكب، فمشى معه قوم فقال: (ألكم حاجة ؟ قالوا: لا، قال: انصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي).[١٩]

المطلب الثاني : بعض ممن تأثر بشخصية الإمام علي عليه السلام

و قد عشقه كثير من الناس حتى من غير المسلمين واستهوتهم صفاته، نذكر منهم:

١) الكاتب اللبناني الشهير ميخائيل نعيمه يقول: (ان علي بن أبي طالب كان من عظماء البشر انبتته الأرض العربية التي فجرت الدعوة الإسلامية في شخصه ينبوعاً من المواهب ولم يكن الإمام علي مجرد بطل في ميادين الحرب فحسب، بل انما كان بطلاً في صفاء البصيرة وطهارة الوجدان وسر البيان وعمق الإنسانية وحرارة الإيمان ومكارم الاخلاق، وانه ليستحيل على مؤرخ مهما بلغ من الفطنة ان يكون قادراً على وصف شخصية عظيمة من معيار الإمام علي حتى لو كتب الف صفحة، ذلك العملاق الذي لم تسمعه اذن ولم تبصره عين من قبل)[٢٠].

٢) قال روجيه غارودي:(في يوم من الأيام استوقفتني إحدى طالباتي الفرنسيات و سألتني: "أنت مدرسي و أنا احرص علي قرائة كتاباتك و مقالاتك و حضور محاضراتك و قد لفت نظري أنك تتحدث دائما عن شخص مسلم اسمه "علي". من هو علي هذا؟! و لماذا أثر فيك كل هذا التأثير؟!

يكمل روجيه غارودي و يقول: فقلت لها إن علي هو بن عمّ نبي الإسلام

محمد ﷺ و زوج بنته وقائد من قواده العسكريين و سأسألك سؤال يبين لك جزءاً بسيطاً من هذه الشخصية.

قالت الفتاة: تفضل! فسألها روجيه غارودي و قال لها: لو أنك عبرت الشارع و جاءت سيارة مسرعة و ضربتك، ماذا سيحصل لك؟!

التلميذة ردت عليه وقالت له: سأموت حالاً.. أو يغمي عليّ!

فرد عليها و قال لها: هذا الرجل تعرض – علي- لضربة سيف و هو ساجد يصلي و قد وصلت الاصابة إلى داخل تجويف الجمجمة، أي أنها وصلت إلى الدماغ و شملته. لقد وصلت الضربة إلى أعماق أعماق المخ.. هناك.. هناك، حيث تقبع الحكمة والمعرفة. مع ذلك و بعد يوم واحد فقط راح يملي - و هو علي فراش الموت والضربة القاتلة نافذة في اعماق المخ- راح يملي وصيته إلى بنه البكر الحسن. و هذه الوصية هي من اروع ما عرفته الإنسانية عبر تاريخها على الاطلاق؛ لأنها تتضمن الحكمة والموعظة والرقي و أسمى معاني الإنسانية.

التلميذة سألته – وهي متأثرة جدا- و قالت له: و ماذا قال فيها؟

فقال لها: سأروي لك بعضا منها. علي عليه السلام قال لبنه الحسن وهو علي فراش الموت: ارفق يا ولدي بأسيرك. (يقصد الرجل الذي ضربه بالسيف و هو ساجد) وارحمه و أحسن إليه و أشفق عليه بحقي عليك. أطعمه يا بنيّ مما تأكل واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدما و لا تغلّ له يدا فإن انا مِتُّ، فاقتصّ منه بأن تقتله بضربة واحدة. ولا تحرقه بالنار و لا تمثّل بالرجل، فإني سمعت جدك رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

فإنا إن عشتُ فإنا أولى بالعفو عنه وأنا أعلم بما افعل به[٢١].

٣) كلام عباس محمود العقاد: (لم أعرف أو أسمع عن حاكم يتم اغتياله في عاصمته ويقسم برب الكعبة ويقول: فزت !! أي فوز يتحدث عنه علي بن أبي طالب عليه السلام ؟!

أنا أقسم برب الكعبة لو اجتمعت كل قواميس السياسة والحكم في العالم لما استطاعت ان تحيط بمعنى هذا الفوز !

اشترك في ٨٠ غزوة وصرع بها أبطال العرب وصناديدهم، ولم يقل فزت !!

بايعه الناس على الخلافة في مشهد لم يسبق لأي خليفة أن مرّ به، ولم يقل فزت !!

بل قال: اتخذوني وزيراً لا أميراً !

منذ سنين كلما أمر على هذه الكلمة (فزت ورب الكعبة) أشعر ان كل منظومتي الفكرية تهتز !!

إذا كان علي عليه السلام هو الفائز .. فمن الخاسر ياترى ؟!!

الفوز والخسارة في قاموس عليّ يرسمان لوحة الإنسانية التي أرادها الله ان تستخلفه في عالم الوجود ..

فليراجع كل منّا فوزه و خسارته ويعرضهما على قاموس عليّ عليه السلام ...

(عظم الله أجوركم)

فاز علي، وخسرت الإنسانية بفقده ورب الكعبة)

يتضح مما تقدم و غيره ان حياة أمير المؤمنين عليه السلام امتازت بخصال عدة كان من أوضحها تعامله الإنساني المجرد مع الآخرين والمبني على احترام الإنسان بغض النظر عن أي شيء آخر والمحافظة على حقوقه وشخصيته المادية والمعنوية في أي موقع ومكان؛ ولذا قد أوصى بعهده لمالك الاشتر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفإن: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق)[٢٢].

وقد جسّد أمير المؤمنين عملياً هذه الإنسانية مع نصراني حيث كان الإمام عليه السلام في شوارع الكوفة.. فمر بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف عليه السلام متعجباً وقال عليه السلام: ما هذا؟ ولم يقل من هذا، و(ما) لما لا يعقل؛ و(من) لمن

يعقل، أي انه ﷺ رأى شيئاً عجيباً يستحق أن يتعجب منه، فقال أي شيء هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفّف.

فقال الإمام ﷺ : ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، أجروا له من بيت المال راتباً [٢٣]. فبهذه الإنسانية وهذه الرحمة كان أمير المؤمنين يحنو على سائر رعيته، فيشعر بهم ويعيش معاناتهم، يقول ﷺ: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أو بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أو أبيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أو أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أمير الْمُؤْمِنِينَ، وَلا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أو أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أو الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أو أُتْرَكَ سُدًى، أو أُهْمَلَ عَابِثاً، أو أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أو أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ)[٢٤].

فإنسانية علي جعلته يعيش حياة الفقراء ويشعر بمعاناتهم، وبقابلياته العقلية كانت له رؤية واقعية في مكافحة الفقر، و بورعه وتقواه جسّدها عملياً بنفسه أو بأوامره ووصاياه للولاة، وهذا ما سنبينه في المبحث القادم.

المطلب الثالث : شذرات مما قيل في علي ﷺ

١-قال ابو سعيد الخدري و جابر الأنصاري قالا: (لما نزلت الآية : اليوم

أكملت لكم دينكم ... قال النبي صلى الله عليه وآله: الله أكبر على اكمال الدين و اتمام النعمة و رضى الرب برسالتي و ولآية علي بن أبي طالب بعدي)[٢٥]

٢-في صحيح البخاري الحديث ٤٤١٦- حدثنا مسدد حدثنا عن بحي عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج إلى تبوك و استخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي[٢٦].

٣-عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان، قال: قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال ان تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم[٢٧].

٤-عن انس بن مالك قال: (بينما نحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الساعة يدخل عليكم من الباب سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين و قبلة العارفين و يعسوب الدين و نور المؤمنين و وارث علم النبيين، فقال انس: فاذا علي بن أبي طالب قد اقبل)[٢٨].

٥-عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا انس اسكب لي الوضوء، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: يا انس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين و سيد المسلمين و قائد الغر المحجلين و خاتم الوصيين، قال انس: قلت : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، اذ جاء علي: فقال: من هذا يا انس ؟ فقلت: علي، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه و يمسح عرق علي بوجهه، قال علي: يا رسول الله: لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل ؟ قال : و ما يمنعني و انت تؤدي عني وتسمعهم صوتي و تبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي [٢٩].

٦-اعدل رجل في تاريخ البشرية: اعلنت منظمة الامم المتحدة في مثل هذا اليوم من العام ٢٠٠٢ عن اختيار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام اعدل حاكم في تاريخ البشرية.

المبحث الثالث : أسباب و علاج المشكلة الاقتصادية (الفقر)

تختلف التيارات الفكرية في الحقل الاقتصادي في تحديد طبيعة المشكلة الاقتصادية والطريقة العامة لعلاجها.

المطلب الأول : أسباب المشكلة الاقتصادية

المشكلة الاقتصادية في رأي الرأسمالية هي: ان الموارد الطبيعية للثروة لا تستطيع ان تواكب المدنية، وتضمن اشباع جميع ما يستجد خلال التطور المدني من حاجات ورغبات.

والماركسية ترى: ان المشكلة الاقتصادية دائما هي مشكلة التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع. وأما الإسلام فيرى ان المشكلة هي مشكلة الإنسان نفسه ولم تنشأ عن بخل الطبيعة أو عجزها عن تلبية حاجات الإنسان بل ان الله تعالى انعم على الإنسان بنعم كافية لاشباعه و تحقيق سؤاله قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأرض وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآخرجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهَارَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ٣٣ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤ ﴾[٣٠]

فظلم الإنسان و كفرانه للنعمة هما السببان المزدوجان للمشكلة الاقتصادية في حياة الإنسان، ويتجسد ظلم الإنسان على الصعيد الاقتصادي: في سوء التوزيع و يتجسد كفرانه للنعمة في اهماله لاستثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها، فحين يمحى الظلم من العلاقات الاجتماعية للتوزيع وتجند طاقات الإنسان للاستفادة من الطبيعة واستثمارها تزول المشكلة الاقتصادية التي يعيشها الإنسان البائس منذ ابعد عصور التاريخ[٣١].

المطلب الثاني: علاج أمير المؤمنين للمشكلة الاقتصادية (الفقر)

بعد أن عرفنا أن تصور الإسلام للمشكلة الاقتصادية ينحصر في سببين رئيسين، وهما ظلم الإنسان في توزيع الثروة و كفرانه للنعمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاما. ولايخفى ذلك على أمير المؤمنين فكان علاجه لمشكلة الفقر ينسجم مع هذه الأسباب .

أولاً : علاج الإمام لمظاهر الظلم

لقد قام الإمام بعدة خطوات في تطبيق عدالة التوزيع منذ استلامه للسلطة:

١-التسوية في العطاء : من المبادئ المهمة التي اعتمدها أمير المؤمنين هو التسوية في العطاء بين الرعية فقال: (و ان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة) وقال لمن اشار عليه بأن يزيد في عطاء بعض المتنفذين و اصحاب الشأن لاستمالتهم : (اتأمرونّي ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا اطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما، لوكان المال لي لسويت بينهم، فكيف وانما المال مال الله لهم، الا و ان اعطاء المال في غير حقه تبذير و إسراف)[٣٢].

٢-استرداد ما قطعه عثمان من مال لبعض المقربين: قال عليه السلام: (الا ان كل قطيعة اقطعها عثمان ، و كل ما اعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، و فرق في البلدان، لرددته فإن العدل في سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه اضيق)[٣٣].

٣-محاسبة الولاة محاسبة شديدة و استرداد ما اخذوا من مال: فقد يضطر علي إلى تهديد هؤلاء الولاة باشد العقوبات اذا هم خانوا من مال الشعب شيئا صغيرا أو كبيرا، وقد يبلغ التوجع في نفسه مبلغا عظيما اذا ادركه احدهم بان واليا أو عاملا بات على غصب أو احتكار فاذا به يوجه اليه قولا تملؤه عصبية الحق

وثورة العدل[٣٤]. بعث إلى بعض عماله يقول: (بلغني انك جردت الأرض فاخذت ماتحت قدميك، واكلت ماتحت يديك فارفع الية حسابك)[٣٥].

وكتب إلى زياد بن أبيه- خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة- : (واني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الامر، والسلام،)[٣٦]

ثانياً: علاج الإمام لكفران النعمة

المتمثل بعدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله عليه استغلالا تاما.

لقد كانت للإمام استراتيجية في مكافحة الفقر من خلال ايجاد الثروة والمحافظة عليها أو تنميتها، منها:

١-منح الأرض والمعادن والثروات كلها للناس: لقد جعل الإمام الحق للناس في استثمار المشتركات، عن أبي عبدالله الصادق قال: (قال أمير المؤمنين: سوق المسلمين كمسجدهم ومن سبق إلى مكان فهو احق به إلى الليل وكان لا يأخذ على بيوت السوق الكراء)[٣٧]

٢-اعطى الأولوية للاعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية: فقد اعطى الإمام الأولوية المطلقة للاعمار والإنتاج والتنمية وليس للضرائب، فقد ورد في وصيته لمالك الاشتر عندما ولاه مصر (وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج)[٣٨]

فقد ركز أمير المؤمنين على عمارة البلاد دون الضرائب لأن التركيز على الضرائب من دون عمارة الأرض يخرب البلاد و يهلك العباد.

٣-ترشيد الإنفاق: يعد من أهم أسس سلامة الاقتصاد وطرق القضاء على الفقر ومن الأمثلة على ذلك:

أ) إطفاء الإمام السراج، وكان من أموال بيت المال عندما جاءه شخص

يتحدث في أمر شخصي.

ب)كان عليه السلام يقارب بين السطور في رسائله، وقد أصدر قرارا عاما لعماله: (ادقوا اقلامكم وقاربوا بين سطوركم)[٣٩].

جـ) الاختزال في وقت الحاكم وفي وقت العمال والموظفين، فإن مجموع هذه الأوقات تشكل ثروة هائلة للبلاد لو صرفت في القضايا الاستراتيجية، يقول عليه السلام: (واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني) [٤٠].

٤-الضمان الاجتماعي : من القوانين التي شرعها الإمام علي في هذا المجال ما ذكره في عهده لمالك الاشتر : (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك من غلات صوافي الإسلام من كل بلد، فإن للاقصى مثل الذي للادنى، وكل قد استرعيت حقه).[٤١]

٥-خلق التوازن بين الريف والحضر: إن من أهم أسباب اختلال التوازن الاقتصادي وشيوع الفقر اهتمام الحكومات بالمدن على حساب القرى والارياف، مما يسبب نزوح الكفاءات والخبرات من الارياف للمدن، نتيجة لوجود فرص عمل اكثر، ووجود الراحة والرفاهية و سائر المغريات، ويسبب ذلك كله ضعف الإنتاج الزراعي و زيادة نسبة الفقر، قال عليه السلام في عهده لمالك الاشتر: (فإن للاقصى منهم مثل الذي للادنى و كل قد استرعيت حقه)[٤٢]

٦-التكافل الاجتماعي[٤٣]: أرسى الإمام علي دعائم التكافل الاجتماعي إذ إن الإسلام قد وضع أسس التكافل الاجتماعي في أبعاد عديدة، فبات ذلك من أهم عوامل مكافحة الفقر.

الخاتمة

كان الإمام علي عليه السلام صاحب رسالة إنسانية خالدة انبثقت من معين جوهر مكارم الاخلاق و لذا بقي ذكره الحسن كالشعاع المنير يضيء درب الهدآية والصلاح للبشرية.

و قد ميّز عليٌ عليه السلام من غيره أنه لم يعش سطوة الحاكم وانما كان الزهد والتواضع ملازماً لشخصه، فأحس بالفقراء؛ لأنه عاش حياتهم و عمل بجد على رفع معاناتهم؛ لأن الخلق و العدالة والمبدئية كانت سجايا و ملكة عنده .

الهوامش

١ سورة البقرة: اية ٣٠

٢ احمد بن فارس٣٩٥،معجم مقاييس اللغة ج٤ص٤٤٣ - مكتب الاعلام الاسلامي - قم١٤٠٤

٣ المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الاسلام، ج١ص١٤٦ انتشارات دار التفسير، ط٢، ١٤٢٤ - قم

٤ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج٥ص٦٠، ت٧١١، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت ١٤١٤

٥ الفيومي احمد بن محمد بن علي، المصباح المنير ص١٤٨، ت٧٧٠ المكتبة العصرية، طبعة جديدة منقحة ٢٠١٠

٦ الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، (٧٢٩-٨١٧)،القاموس المحيط، ص٤٢٦ دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٤-٢٠٠٣

٧ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب

٨ لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص٦٩٠ دار المشرق ، ط٣٣، بيروت

٩ انظر الموسوي محسن، دولة الامام علي، ص١٨٨، دار البيان العربي، الطبعة الاولى ١٩٩٣، وانظرالقبانجي صدر الدين، المذهب السياسي في الاسلام، ص٢١١، مكتب امام جمعة النجف الاشرف، الطبعة السابعة

١٠ العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٢٧، ص٢٥١

١١ انظر : الموسوي محسن، دولة الامام علي، ص٢٣١

١٢ الحر العاملي، وسائل الشيعة ، ج١١، ص٥٩٧

١٣ الصدر محمد باقر، اقتصادنا، ص٧٣٦

١٤ المصدر السابق ص٧٤١

١٥ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص١٨٨،طبعة قديمة

١٦ سورة الانبياء: اية ١٠٧

١٧ الريشهري محمد، موسوعة الامام علي ابن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٨، ص١٩٤

١٨ الصالح صبحي، نهج البلاغة، ص٢٤٧، دار الاسوة للطباعة والنشر، الطبعة السادسة، ١٤٢٩ هـ

١٩ انظر: جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية

٢٠ الشبكة العنكبوتية
٢١ المصدر السابق
٢٢ الريشهري محمد، موسوعة الامام علي ابن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ، ج، ٤ص٢٣٤
٢٣ انظر:الخالدي مزهر، العدل والعدالة في منهجية الامام علي، ص١٨٩، مطبعة الثقلين، النجف الاشرف ٢٠٢٣
٢٤ الصالح صبحي، نهج البلاغة،ص٥٧٢
٢٥ النطنزي الاصفهاني ابو الفتح محمد بن احمد بن علي، الخصائص العلوية على جميع البرية والمآثر العلية لسيد الذرية، ٤٨٠-٥٥٠ هـ، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الاولى ٢٠١٨ ص، بيروت ١٨٩
٢٦ الخصائص العلوية ص٣١١
٢٧ الكنجي الشافعي محمد بن يوسف، كفاية الطالب في مناقب علي ابن ابي طالب، ص١٦٣ عن مجمع الزوائد ٨:٣١٤ بتصرف
٢٨ العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٣٨، ص١٣٤
٢٩ الخصائص العلوية، ص٥٣
٣٠ سورة ابراهيم: الاية ٣٢-٣٤
٣١ انظر: الصدر محمد باقر، اقتصادنا، ص٣٦١-٣٦٣
٣٢ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، ج ١، ص١٠٩، طبعة طهران (٢٠ مجلد)
٣٣ المصدر السابق، ص٢٦٩، طبعة طهران (٢٠ مجلد)
٣٤ انظر: جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية، ص١٧٢
٣٥ ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، ج١٦، ص١٦٤، طبعة طهران (٢٠ مجلد)
٣٦ الصالح صبحي، نهج البلاغة، ص٥١٤
٣٧ انظر: الشريفي حسين، الادارة والاقتصاد عند الامام علي واثرها في مكافحة الفقر، ص١٧٩
٣٨ الصالح صبحي، نهج البلاغة، ص٦٠٣
٣٩ الصدوق محمد بن علي بن بابويه، الخصال، ص٣١٠
٤٠ الشريفي حسين، الادارة والاقتصاد للامام علي، ص١٨٣
٤١ المصدر السابق، ص١٨٥
٤٢ الصالح صبحي، نهج البلاغة، ص ٦٠٧
٤٣ الشريفي حسين، الادارة والاقتصاد للامام علي، ص١٨٨

يقصد بالتكافل الاجتماعي ان يكون افراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والاضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كل فرد فيه ان عليه واجبات ازاء الاخرين كما له حقوق ويكون له شعور بالمسئولية ازاء الذين ليس باستطاعتهم ان يحققوا حاجاتهم الخاصة، وذلك بايصال المنافع اليهم ودفع الاضرار عنهم.

المصادر المراجع

القرآن الكريم.

* بن أبي الحديد، نهج البلاغة، طبعة طهران (٢٠ مجلد)
* بن خلدون عبدالرحمن بن محمد، مقدمة بن خلدون، طبعة قديمة
* بن منظور جمال الدين، لسان العرب، ت٧١١، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت ١٤١٤
* احمد بن فارس ت٣٩٥،معجم مقاييس اللغة - مكتب الاعلام الإسلامي – قم١٤٠٤
* جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية
* الحر العاملي، وسائل الشيعة
* الخالدي مزهر، العدل والعدالة في منهجية الإمام علي، مطبعة الثقلين، النجف الاشرف ٢٠٢٣
* الريشهري محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ.
* الشبكة العنكبوتية
* الشريفي حسين، الادارة والاقتصاد عند الإمام علي وأثرها في مكافحة الفقر.
* الصالح صبحي، نهج البلاغة،دارالاسوة للطباعة والنشر، الطبعة السادسة،١٤٢٩ هـ
* الصدر محمد باقر، اقتصادنا
* الصدوق محمد بن علي بن بابويه، الخصال
* العلامة المجلسي، بحار الأنوار
* الفيروز ابادي محمد بن يعقوب، (٧٢٩-٨١٧)،القاموس المحيط، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٤- ٢٠٠٣
* الفيومي احمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، ت٧٧٠ المكتبة العصرية، طبعة جديدة منقحة ٢٠١٠
* القبانجي صدر الدين، المذهب السياسي في الإسلام، مكتب إمام جمعة النجف الاشرف، الطبعة السابعة
* الكنجي الشافعي محمد بن يوسف، كفآية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، عن مجمع الزوائد
* لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار المشرق ، ط٣٣، بيروت
* المحقق الحلي، نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام، انتشارات دار التفسير، ط٢، ١٤٢٤- قم
* الموسوي محسن، دولة الإمام علي، دار البيان العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٣،
* النطنزي الاصفهاني ابو الفتح محمد بن احمد بن علي، الخصائص العلوية على جميع البرية والمأثر العلية لسيد الذرية، ٤٨٠-٥٥٠ هـ ، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٨ بيروت

مفهوم العدالة الاجتماعيّة والمساواة عند الإمام علي عليه السلام

م.د. مصطفى رزاق علاوي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام/ أقسام واسط

ملخص البحث

شغلت فكرة المساواة والعدالة حيزاً واسعاً من الجهد الفكري والعملي الذي قام به الإنسان على امتداد مسيرته في هذه الحياة ، ولم يكن الإمام علي عليه السلام (٢٣ هـ/ ٤٠ هـ = ٥٩٩ م / ٦٦١ م) بعيدا عن هذا المسعى الإنسانيّ في سبيل تحقيق حق المساواة العادلة وإرسائه ؛ لذا حظي كل من مفهوم (المُساواة) ومفهوم (العدالة) بأهمية بالغة عند المجتمعات البشرية كافة، سواء أكان ذلك في تأريخها أم في حاضرها، وستعنى بهما الأجيال القادمة قطعا؛ لأهميتهما في التعبير عن الكرامة الإنسانية ، والحرية ، والأمان ، والاستقرار النفسي والمجتمعي .

إنّ مفهوم العدل يعبر عن الإنصاف، أي يُعبر عن معاملة الناس بشكل متساوٍ، وعدم الانحياز لفئةٍ معينة، أو تعريضهم للظلم أو التعامل معهم بعنصرية، وذلك من خلال سن القوانين الاجتماعية، والسياسية، والجنائية، التي من شأنها تحقيق الإنصاف بين أفراد المجتمع في مختلف المجالات : الصحية، والتعليمية، وحتى في مجال الأعمال، وبصرف النظر عن أجناسهم وأعراقهم، ويتجلى دور هذه القوانين في منح أفراد المجتمع الفرص المتساوية في الحياة، إضافة إلى حمايتهم في مختلف المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.[1]

وبعد :

سأتناول في هذا البحث مفهوم العدالة والمساواة عند الإمام علي عليه السلام من خلال ثلاثة مطالب أساسية : أولها : العدالة والمساواة على المستوى الفردي أو الإنساني ، وكيف نظر الإمام إلى ذلك المفهوم؛ ليحقق العدالة والإنصاف للأفراد من دون تحيز أو ميول لشخص دون آخر ، أما المطلب الثاني من العدالة والمساواة في فكر الإمام علي عليه السلام فسيكون على المستوى الجماعي أو الاجتماعي بعد أن كان على الخاص أصبح على المستوى الأعم ، وبعد أن كان للداني

أصبح للقاصي ، في حين كانت العدالة والمساواة على المستوى الاقتصادي وتقسيم الحقوق والأموال في المطلب الثالث ، أما المطلب الرابع فهو المفهوم السياسي من حيث تحقيق العدالة بين الرعية وإنصاف المظلومين، وتحقيق مبدأ التوازن ، إذ لم يكن ذلك غائباً عن الإمام علي عليه السلام ، بل كان حاضراً في منظومته وحكومته ، وقد أولاها عناية كبيرة ، وجعلها الركيزة الأساسية للانطلاق إلى الجانب السياسي أو نظام الحكم .

وتنطلق مشكلة البحث من خلال تحليل دور الإمام علي عليه السلام في تحقيقه للعدالة المجتمعية إبان مدة حكمه أنذاك ، وكيف أنه عمل على تجسيد تلك العدالة والانصاف بين كافة فئات المجتمع دون النظر إلى صلة القرابة أو اللون أو العرق أو الدين والمذهب ، إضافة إلى ذلك تقسيم الحقوق والواجبات بين الكل؛ لكي تتحقق العدالة على أتم وجوهها .

إن فرضية البحث تنطلق من مفاد أساسي هو أن للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رؤية مميزة لحقوق الانسان تتسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي الفعلي لتلك الحقوق الرئيسة للإنسان ، ويمكن الاستفادة من هذه الرؤية لمعالجة اشكالية حقوق الانسان وسط التسلط والانتهاك والجور والظلم .

أما الهدف من الدراسة واهميتها فيأتي من خلال الوقوف على أهم المرتكزات والنقاط الرئيسة التي انطلق منها الإمام علي عليه السلام في توظيف مبدأي العدالة الاجتماعية والمساواة والانصاف بين فئات المجتمع ، وكيف أنه كان الصوت المنادي والمطالب بحقوق الافراد وصيحاته المدوية برفض الظلم والتسلط والقهر والاستغلال وانتهاك الحقوق . متخذاً من جوانب الفرد والمجتمع ككل والاصعدة السياسية والاقتصادية ركائز ومنطلقات ومبادئ لتحقيق ذلك اللون من العدالة وتجسيدهُ في مفاصل المجتمع .

وانطلق البحث من منهجية تقوم على المنهج التاريخي والتحليلي الذي نتناول فيه خطب الإمام علي عليه السلام وكلماته ومن ثم نعمل على تفسير تلك الكلمات وعلى ماذا تنص وتتضمن ، وما الذي اراده الإمام عليه السلام من أفكاره التي عمل بها ليحقق ويطبق ويؤطر لمبدأ أساسي ومطلب مهم من حقوق الإنسان .

Abstract

The idea of equality and justice has occupied an important place in the scientific and intellectual effort that the human being did during his / her life, and Al Imam Ali was never far away from this human target in order to achieve the right of equality and justice.

The concepts of equality and justice were significant in the human communities whether in their history or in the present day, and the next generations will make use of them due to their importance in expressing the human dignity, freedom, safety, the social and psychological stability.

Moreover, the concept of justice expresses fairness, dealing with people the same, and never taking side with some groups and that through making social, and political laws that give people the same rights in different fields like education, health and economy, regardless of their class and descent, and that was clear in giving equal chances in life to the individuals of the society in addition to protecting them in the different social, political and economic fields.

The research will tackle the concept of equality within the viewpoint Al Imam Ali (Peace and Blessing be Upon Him) through three basic points, and Al Imam Ali did his best to plant that concept and applying it in the community: Firstly, the equality and fairness in the individual and human level and how Al Imam Ali looked at that concept to achieve equality and fairness to the individuals without favoring one over another. Secondly:

The concept of equality in the intellect of Al Imam Ali has been collectively taken into consideration, whether private or general, nearby or far away in linkage through which the political concept has valid at the time-being to equally apply fairness among the people in the system of Al Imam Ali, peace be upon him who has given this matter its special care to be integrating with the political side and the regime system through which people unanimously feel content when distribution is being on an equal term with one another without any class distinction.

١ـ المطلب الأوّل : العدالة والمساواة على المستوى الفردي :

الإمام علي عليه السلام شخصية عظيمة وفريدة ومميزة ليس هناك أفضل منه إلا شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فهو الأطهر والأعلى والأعلم والأفضل والأحسن والأعظم والأكمل و الاعدل في كل المجالات: الروحية والأخلاقية والبطولة والشجاعة والفقه والقضاء والبلاغة والفصاحة والإدارة والحكم . فمما لا شك فيه أنّ الشريعة الإسلامية وضعت مبادئ المساواة والعدالة والحرية في خط واحد يكمل أحدهما الآخر؛ لأن هذه المبادئ هي التي تعبر عن حقيقة وكرامة الإنسان، التي تنشدها حقوق الإنسان في الدساتير والصكوك الدولية، فالمجتمع الذي لا مساواة فيه لا حرية فيه ؛ ولاعدل ؛ ولا سلام ، ويكون مجتمعًا عنوانه الظلم والطغيان وسيطرة القوي على الضعيف والغني على الفقير[٢]. ويكون التيه والفوضى وضياع الحقوق وانتهاك الحقوق هي المسيطرة على مسرح الاحداث .

وقوله تعالى خير دليل على ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[٣] ، فالمساواة في الإنسانية التي أقرها الإسلام أسقطت كل نظريات الأجناس والأعراق والألوان واللغات ، وقد جعل الإسلام المفاضلة بين الناس بالتقوى، وهذا مصداق لقول الإمام علي عليه السلام :(ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تريد أكلهم فهم صنفان: إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق)[٤] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الناس سواسية كأسنان المشط)[٥]، وكذلك قوله بتحقيق العدالة والمساواة بين الناس في خطبته في حجة الوداع: (أما بعد أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، إن اكرمكم عند الله أتقاكم)[٦]، وقال أيضا (إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم،

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: (لن تقدّس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير خائف)[٧].

ومفهوم العدل المساواة عند الإمام علي عليه السلام يبينه من خلال قوله تعالى في القرآن الكريم (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**)[٨] ، فالعدل عنده يعني الإنصاف ، اما الإحسان فهو التفضل[٩] . ولا شك في أن ربيب الرسول وأخاه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نال من الأفضال والمكارم والمعارف ما لم ينله أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كان القدوة الحسنة في زمنه في تجسيد المساواة الإنسانية ،والعدالة الاجتماعية في تلك العهود الغابرة، وكان المثل الأبرز للمجتمعات الإنسانية التي تلته. فلقد شكلت العدالة في منظور الإمام هاجساً حياً يتفاعل معه، ويسعى إلى تحقيقه، ويشدد على المشتغلين معه في اتباع العدالة وتنشيط مفاصلها، يوجههم في ذلك ويراقبهم عليه، ويعزلهم إذا قصروا، ويشيد بهم إذا تتبعوا منهج الحق في ذلك. لذا لم ينشغل فكر الإمام في شيء بقدر انشغاله في موضوع العدل والإنصاف وتطبيق برنامج المساواة [١٠].

ومن خلال المساواة والعدل الإنساني الذي كان يصبو اليه نراه يبدأ بأهل بيته أولاً وذلك بوصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام قائلا : (يا بني، اجعل نفسك ميزانا في ما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره له، ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم)[١١].

ومن الجدير بالذكر إن الإمام علي عليه السلام انطلق صوتا للعدالة الإنسانية من قاعدة الإسلام، سواءً أكان ذلك في القرآن الكريم، أم في سنة الرسول صلى الله عليه وآله علاوة على سمات الإمام الحميدة من الإيمان والتقوى، والمعطيات العلمية والفقهيّة التي أدت إلى إقامته العدل بين الناس، والذي يعد الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي، والحكم الإسلامي ؛ إذ لا وجود للإسلام في مجتمع

يسوده الظلم ولا يعرف العدل، وكانت مسائل العدالة والحكومة هي من أكثر ما اهتم به الإمام (١٢)عليه السلام . إذ قال عبارته (فالعدل اشرفهما وافضلهما) (١٣) .

وهذا العدل والمساواة والإنصاف مع الآخرين يجب ان يكون حتى في حالات الغضب ومع القريب والبعيد، فنراه يقول :(عليكم بكلمة حق في الرضا والغضب والعدل مع الصديق والعدو)(١٤) . وهذا الكلام ينطبق حتى على غير المسلمين ، إذ كتب في رسالة إلى عماله على الخراج مؤكداً حرمة أموال كل الناس مسلمين وغير المسلمين، وكذلك حرمة حقوقهم ، إذ يقول: (ولا تمسُن مال أحد من الناس ؛ مصل ولا معاهد)(١٥) . ويرى مرتضى المطهري (١٢٩٨هـ/ ١٣٩٩هـ = ١٩١٩م/ ١٩٧٩م) ان أكثر المسائل التي شغلت فكر الإمام واولاه اهمية بالغة في كتابه نهج البلاغة هي الحكومة والعدالة، (إذ انه اولاهما اهمية كبرى لا توصف) (١٦) .

وإذا أردنا أن نفصل في هذا المجال، على ضوء (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام، نجد الأثر الكبير الذي خلفه القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم، في تشكيل شخصية الإمام المسلم والحاكم المؤمن، وفي توجيه علاقته بالإنسان، فخليفة المسلمين حريص على حفظ دين الفرد مع تقديم كافة الضمانات التي تصونه وتجعل منه إنساناً حراً في عقيدته وعبادته وتفكيره (عباد الله، الله الله، في أعز الأنفس عليكم، وأحبّها إليكم. فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه. فشقوة لازمة أو سعادة دائمة، فتزودوا في أيام الغناء لأيام البقاء. فقد دللتم على الزاد وأمرتم بالظعن، وحثثتم على المسيرة. فإنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالمسير ألا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه، وتبقى عليه تبعته وحسابه)(١٧).

٢- المطلب الثاني : العدالة والمساواة على المستوى المجتمعي (الإنساني) :

انطلق الإمام علي عليه السلام في حياته لتحقيق العدالة على المستوى الأعم ، إذ كرس جُل جهده وعمله لتعم المساواة والعدالة على جميع أطياف المجتمع الذي يعيش فيه ؛ لتتحقق العدالة الإلهية على الأرض بوساطة خليفته، وخير ما يدل على تلك العدالة الشمولية نظرته إلى الناس جميعهم من خلال شعاره الذي جعله دستوراً لذلك (الناس اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)، فهذه العدالة والإنصاف تحقق على أجناس البشر وإن كانوا يختلفون في المظهر واللون وغيرها ، وتعطي للبعد الإنساني عمقاً ورؤية بعيدة في التعامل اكثر شمولية في صورة الاخوة على أساس الدينا وفي الخلق والتكوين الجسدي .

كان الإمام علي عليه السلام يدرك أن العدالة مفتاح لدخول الحقوق الأخرى، فلو انعدمت العدالة في المجتمع لانعدم ما دونها، لذا شدد على تحقيقها منطلقا من أنّ الناس جميعا أحرار، يولدون ويموتون، وليس من حق أي كان أن يسلبهم هذا الحق فقد قال:(أيها الناس! إن آدم لم يلد عبدا ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرارا)[١٨] ، كما حذر من انجرار الناس إلى بعضهم حتى يصل بعضهم إلى أن يتنازل عن حريته ليكون في موضع العبودية، فيفقد غاية وجوده، ويتحول إلى مسلوب الإرادة . وقد يتمثل ذلك في خضوع الناس إلى الحكام الظلمة الذين يسلبون الناس حرياتهم ويحولونهم إلى عبيد وجواري ؛ ليصبحوا هم أسياداً وأحراراً في حين يعاني الناس الذل والهوان؛ لذا نجد الإمام عليه السلام يحذر من وقوع الإنسان في موقع العبودية لغير الله (لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا)[١٩].

إن المساواة العادلة بين أفراد المجتمع عند الإمام علي عليه السلام هي :(ليست شعارا يرفع ولا كلمة تقال بل هي جهد يبذل وعمل يعمل ومفهوم يطبق في المجتمع تطبيقا جاداً بلا تفاوت بين إنسان وإنسان وبلا ترخص لإنسان دون إنسان)[٢٠] .

فكثيراً ما كان يقول مردداً (ان الناس عندنا في الحق اسوة)[٢١] . وهذا المعنى يدل على تحقيق مبدأ العدالة بالمستوى الاجتماعي الأعم . وعن المساواة بين بني البشر ونبذ التفرقة بين الأفراد واعتماد العدل يقول علي عليه السلام في كتاب له إلى الاسود بن قطيبة صاحب حُلوان: (فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل. فاجتنب ما تنكر أمثاله (لو صدر من غيرك)[٢٢] .

وفي إشارة إلى وجوب المحافظة على الكرامة الإنسانية وتحقيق العدالة والمساواة بين الناس يقول عليه السلام:(اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه)[٢٣]. وكذلك قوله (الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه)[٢٤]، تطبيقاً لمفهوم العدالة بين الناس .

لقد حرص الإمام علي عليه السلام على تطبيق مبدأ العدالة بين الناس من خلال محاربة الظلم، وأخذ الحق من الظالمين، وإرجاعه إلى أصحابه؛ لذا لم يترك مناسبة إلا وأعلن فيها أنه يسعى إلى تطبيق مبدأ إحقاق الحق، وإن أنكره عليه الناس؛ لان الحق طريق موحش وعر، يتطلب من سالكيه الصبر و التحمل، كما يتطلب من الناس إعانة الإمام على تنفيذ العدالة ؛لان تطبيق العدالة هم مشترك، فالظلم الاجتماعي يلحق الجميع ، ولا يميز بين إنسان وآخر. لذا قال عليه السلام: (أيها الناس :أعينوني على أنفسكم ، وأي مال له لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتى أورده من هل الحق، وإن كان كارها)[٢٥].

ومن جانب آخر يرى الإمام أنّ العدل هو أفضل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجّي وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجلٍ، ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر)[٢٦].

ومن جهة أخرى، وارتباطا وثيقا بعدالة الإمام المجتمعية فكراً وسلوكاً كان الإمام حازماً وحذراً في مسألة الظلم ورفضه وتجنبه على المستويين :الشخصي والعام، إذ يقول : (والله لان أبيت على حسك السعدان مسهداً، او أجر في الاغلال مصفداً، احب الي من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام)[٢٧] . ويقول عليه السلام في هذا الصدد : (والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها، على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته)[٢٨] .

وأولى الإمام علي عليه السلام اهتماما منقطع النظير بالفقراء والمحرومين، إذ كان الإمام ينظر إليهم نظرة الحريص على تضييق مساحة الفقر، ورفع مستواهم المعيشي؛ لأنه يعلم أن الفقر يمكن أن يسبب تدهورا أخلاقيا وانحطاطا نفسيا، لذا عمل منذ الساعات الأولى من تسنمه الخلافة على إيقاف تضخم الثروات بسبب التمييز في توزيع الثروة الذي سبب فوارق طبقية بين أبناء المجتمع، فصارت طبقة تملك المال الذي يكسر بالفؤوس، وطبقة لا تملك ثوبا تلبسه. لذا كان الإمام من الوهلة الأولى يعلن القسمة بالسوية، وان الناس متساوون في الثروة لا يمكن لأحد أن يحصل على أكثر من غيره في العطاء مادام الجميع يخضعون لقانون المواطنة. فقد أعلن الإمام برنامجه الأول لمحاربة الفساد المالي وإعادة الحق لأصحابه: (ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق)[٢٩].

ولقد أوصى الإمام علي عليه السلام مالكاً الأشتر رضي الله عنه بإلزام التقوى والانصاف والعدل بين الناس واظهار الورع والحلم وتطبيق العدالة الإلهية في الأرض ، إذ يوصيه قائلاً (فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ؛ فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت وكرهت)[٣٠]

٣ ـ المطلب الثالث : العدالة والمساواة على المستوى الاقتصادي .

إنّ أفراد المجتمع منذ بداية حياتهم يولدون غير متساوين في الحقوق والفرص والمستحقات ، وهذا الأمر يعود بطبيعة الحال إلى عوامل جمة ، منها : العامل الوراثي، والبيئة الاجتماعية ، والعامل الاقتصادي ، وعوامل التربية والفوارق الطبقية وغيرها ، وهذه العوامل كفيلة بالانعكاس على قدراتهم وإمكانياتهم و أوضاعهم بعدم تحقيق مستوى واحد من المساواة والحقوق والواجبات ، وفي النهاية نحصل على نتيجة خلاصتها عدم حصول كل أفراد المجتمع على أجور متساوية .

إنّ مسألة التساوي في الأجور وفي المعيشة لأفراد المجتمع مشكلة أساسية أخذت جانباً مهماً ومساحة واسعة من الفكر الإسلامي ، ففي كتاب (اقتصادنا) للشهيد محمد باقر الصدر (قدس)(١٣٥٣هـ / ١٤٠٠هـ = ١٩٣٥م / ١٩٨٠م) نجده يتناول هذه المسألة بإسهاب إذ يرى : بـ(أن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع ومتداولاً بينهم ، إلى درجة تتيح لكل فرد العيش بالمستوى العام ، أي أن يحيى جميع الافراد مستوى واحداً من المعيشة ، مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد تتفاوت بموجبها المعيشة، ولكنه تفاوت درجة ، وليس تناقضاً كلياً في المستوى ، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي)[٣١].

فقد تبنى النظام الحقوقي الإسلامي عدداً من الإجراءات تستهدف موازنة المستوى المعيشي بين أفراد المجتمع ؛ لتقليل الفوارق الطبقية الواسعة ، فاتباع سياسةٍ ماليةٍ مناسبةٍ ولا سيّما ما يتعلق بالتشريع الضريبي وإنفاق عوائدها في الحفاظ على التوازن العام ، ووضع أراضٍ تحت تصرف الدولة ، وإنفاق عائداتها لدعم التوازن العام[٣٢] ، إذ تمثل هذه الفكرة إجراءات أساسية للصالح العام، ولتحسين المستوى المعيشي ، على الأخص في ما يتعلق بتوسيع القطاع العام،

وفي هذا الصدد يقول السيد محمد باقر الصدر في كتابه (اقتصادنا) : (وقد يكون اروع نص تشريعي يحدد وظيفة الفيء ، ودوره في المجتمع الاسلامي بوصفه قطاعاً عاماً ، هو المقطع القرآني في سورة الحشر)[٣٣] .

ومضمون ذلك أن يكون مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء المجتمع ومنع احتكار الثروات ، بل أن يعم التساوي والشعور بالمحتاج والمسكين ، قال تعالى: **(مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)**[٣٤] .

وقد أكد الإمام علي عليه السلام على ضرورة توزيع الفيء بالتساوي لمستحقيه من أفراد المجتمع ، إذ قال : (والفيء فقسمهُ على مستحقيه)[٣٥] ، وفي موضع آخر قال (لئن بلغني أنك خُنت من فيءِ المسلمين شيئاً...)[٣٦] . وهذا الأمر ليس بغريب عن الإمام عليه السلام فكان جلّ همه التوزيع العادل بين الرعية وإنصافهم ونبذ الظلم بينهم ، فقد جاء في عهد الإمام علي عليه السلام إلى واليه في مصر مالك الأشتر النخعي (٥٩٥ م / ٦٥٨ م = ٢٥ ق . هـ / ٣٨هـ) : (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين ، وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً . واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكلٌّ قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم)[٣٧] .

فمن خلال هذا النص الذي أكده الإمام علي عليه السلام أراد أن يضع مسؤولية وإلزام للحكومة بتوفير العيش الكريم والحياة العادلة لكل فرد من أفراد المجتمع [٣٨]،

وتوجد مجموعة من التشريعات الإسلامية ذات الصلة بمبدأ التوازن وتحقيق العدالة والمساواة ، من أمثال محاربة اكتناز النقود ، وإلغاء الفائدة ، وتشريع أحكام الإرث ، وإعطاء الدولة صلاحيات ضمن منطقة الفراغ المتروكة لها في التشريع الإسلامي ، وإلغاء الاستثمار الرأسمالي للثروات الطبيعية الخام [٣٩].

في ضوء الفكر التشريعي الإسلامي فإن جميع أفراد المجتمع متساوون في تحمل المسؤولية ، وفي الجزاء والحقوق المدنية ، ومن ثَمَ تنعدم الفروق الطبقية بين الأفراد على أساس اللون ، والحاكم والمحكوم ، ومستوى الثراء[٤٠] . وقد بين القرآن الكريم ذلك بعدد من الآيات القرآنية ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٤١].

وقد وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك بدقة في عهده إلى مالك الأشتر واليه على مصر بقوله : (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته (أبطل) وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب)[٤٢]. لذلك كانت رعاية الشؤون المتعلقة بالأفراد وتحقيق متطلباتهم وتوفير العيش السعيد لهم وتلبية حوائجهم كلها على درجة الاهمية القصوى في النظام التشريعي الإسلامي آنذاك[٤٣].

٤ – المطلب الرابع :العدالة والمساواة على المستوى السياسي (القضاة و الولاة):

أقام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدة خلافته دولة قوامها العدل الإلهي بالرغم من الحروب التي نشبت بالضد منه ، وعندما كان العدل هو المشروع والركيزة التي انطلق منها في دولته ؛ فقد اهتم عليه السلام بصورة دقيقة بمن يمثلون دولة العدل الإلهي وهم القضاة والولاة؛ لأنهم تقع

عليهم مهمة تطبيق العدل الإلهي على الأرض ، وبذلك قد وضع الأسس والمبادئ والصفات الموضوعية التي تقوم عليها صرح تلك الدولة .

وحفلت خطب الإمام علي عليه السلام بالكثير من الإشارات تصريحاً وتلميحاً عن الاوضاع السياسية والاجتماعية ، وما تركتهُ من آثار سيئة على المجتمع حتى بعد توليهِ الخلافة عليه السلام ، إذ لم يستطع المجتمع أن يتخلص من تلك الآثار سيما وأن قادت الحزب القرشي المتنفذون مافتئوا يعأرضون السياسة الإصلاحية التي تبناها الإمام عليه السلام وأعلنها حين اختارهُ الناس للبيعة بعد مقتل عثمان بن عفان ، فكان أول ما بدأ بهِ برنامجهُ الإصلاحي تغيير ضوابط توزيع العطاء وإعادتهِ إلى ما كان عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد أفرز هذا الإجراء معأرضة شديدة من الزعامات القرشية الذين كبرُ عليهم أن يساوى بهم غيرهم بدعوى سبقهم في الجهاد ونصرت الإسلام وهذا ما صرح به طلحة والزبير عندما سألهم الإمام عليه السلام عن أسباب خلافهما لهُ بقولهم(٤٤) : (إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا و أوجفنا عليهِ بخيلنا أو رجلنا وظهرت عليهِ دعوتنا)(٤٥)، فكان رد الإمام عليه السلام حاسماً بقولهِ :(قد وجدت أنا وأنتما رسول الله يحكم بذلك . وأما قولكما جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا ، فقديما سبق قوم إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، والله موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم)(٤٦) .

لقد قدم الإمام علي عليه السلام أفضل انموذج للحاكم العادل للإنسانية في كل مكان وزمان، في التضحية والنزاهة والمحاسبة إذ يقول في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر) ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك)(٤٧) ، وهذا الحديث مصداق لقوله:(هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى

تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى)[٤٨].

ورفض أمير المؤمنين كافة أشكال الطبقية للمنتفعين والوجهاء والاستغلالين، وطبق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع بمبدأ العدالة والمساواة، بلا أي تفضيل لقريشي أو هاشمي أو لأفراد العائلة أخوة أو أبناء أو من المهاجرين أو الأنصار أو عربي أو أعجمي مسلم أو غير مسلم. وهذا الأمر لم يعجب البعض الذين عبروا عن غضبهم بأنهم عرب أو مسلمون من المهاجرين و الانصار. فقال عليه السلام في خطبة توعوية للناس:(يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.. فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أَثَرة، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون)[٤٩].

لقد كان خليفة المسلمين الرابع وإمام عصره علي بن أبي طالب عليه السلام ، إمام عدل منصف ، فكرس حياته كلّها لإنصاف الناس ، وحث الرؤساء والحكام و ولاته على إقامة العدل ونصرة المظلوم ؛ لذا نراه يشدد على تطبيق المساواة في كل شيء، كي يشعر الناس بالعدل، ويسود المجتمع مظاهر الحق والعدل والمساواة . ووجب ذلك على الحكام أنفسهم، إذ تتحقق العدالة الاجتماعية حينما يكون الحكام عدولا؛ أي أن (جمال السياسة العدل)[٥٠]. وهذا يأتي على وفق القرآن الكريم الذي يصرح بقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾[٥١] ، وكذلك قوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[٥٢] .

ولو راجعنا ما تطرق اليه الإمام علي بن ابي طالب في اقواله حول هذا الموضوع، لوجدنا انه قد حدد الاطار النظري لواجبات الحاكم والمحكوم. فواجبات الحاكم هي :

١. ترك الطمع ومخالفة الهوى .

٢. الشفافية والوضوح مع الرعية .

٣. عدم الاحتجاب عن الرعية .

٤. طلب المشورة من الناس .

٥. الزهد في المعيشة .

٦. حفظ الأمن .

٧. التربية والتعليم .

٨. اقامة الفراض .

٩. منع الظلم واحقاق حقوق الضعفاء .

١٠. القضاء بالعدل .

١١. الحفاظ على الأموال العامة .

١٢. جباية الفيء والصدقات وتوزيعها بالحق على مستحقيها .

وفي المقابل، فان واجبات المحكومين تتلخص في:

١- الوفاء بالبيعة .

٢- الطاعة للحاكم [٥٣].

أما الصفات التي كان يريدها الإمام عليه السلام ممّن يتولى القضاء فهي:

١-القدرة على التدبر وسعة الصدر ، إذ يقول (ممن لا تضيقُ به الأمُور، ولا تمحكهُ الخُصُومُ)[٥٤]؛ وهذا الكلام يعني أن يكون القاضي ذا مقدرة على تصريف الامور بحنكة وتمييز الحكم من دون الاختلاط عليه ، ومعنى

تمحكه الخصوم أي الصبر على الخصم في اللجاجة والتمادي .

٢-عليه (أن لا يتمادى في الزلة)[٥٥] ، ويعني التدقيق والتأني في اصدار الحكم قبل الوقوع في الخطأ والزلل والرأي والدين .

٣- وأن (لا تُشرفُ نفسهُ على طمعٍ)[٥٦] ، وتعني أن يكون منزهاً من الطمع والجشع وغيرها .

٤-التأني في إقرار الحكم : ويصف الأمير تلك النقطة بالقول : (ولا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاهُ وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج)[٥٧] . وتعد هذه النقطة من أهم المرتكزات في حكم القضاة ، إذ يحتاج إلى دراسة عميقة وشاملة للخصمين قبل أن يبت بالمسألة بينهم ويحتاج إلى ورع ودراية والمام بالأمور.

٥-عدم التبرم بمراجعة الخصم : (وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم)[٥٨] .

٦-الصبر حتى تكشف حقائق الأمور : (وإياك والملالة فإنها من السخف والنذالة)[٥٩] .

٧- ويجب على القضاة أن يكونوا (أصرمهم عند اتضاح الحكم)[٦٠] .

٨-عدم التأثر بالإطراء أو الإغراء : (لا يزدهيه إطراءٌ ولا يستميلُهُ إغراءٌ)[٦١] .

وتعد انطلاقة الإمام نحو المساواة العادلة والحكم بإنصاف بين الناس، مسالة مبدئية في سلوكه أصيلة في رؤيته فهي لم تكن ردة فعلا واستجابة للمطالب الشعبية أو مناورة سياسية بل هي حق للإنسان حمل لواء المطالبة به قبل توليه الحكم، إذ أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بإقامة (الحدود على القريب والبعيد والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط والقسم بالعدل بين الاسود والاحمر)[٦٢] . وله ايضاً قول بين فيه أهميه العدل والمساواة وضرورته بين الناس قال فيه (ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النيّر غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول

فصدَّق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار) .

ويرى الإمام علي عليه السلام بأن أفضل الخلق المقربين إلى الله تعالى هم العادلون الذين يحكمون بالقسطاس المستقيم من دون تحيّز أو ميول ، فـ(افضل عباد الله عند الله إمام عادل)[٦٣]، بل كان يؤكد على أنّ (زمن العادل خير الازمنة وزمان الجائر شر الازمنة)[٦٤]. وكذلك قوله : (ان افضل عباد الله إمام عادل هدي وهدى فأقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة... وان شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به)[٦٥] ، ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد عند الإمام بل نراه يجعل من العدل الفيصل والحكم في دخول الجنة ، وكأن العدل عنده بين العباد أشبه بالهوية التي يعبر من خلالها صاحبها ، فنراه ينصح الإنسان بصورة عامة وصاحب السلطة بصورة خاصة أن يكون عادلاً ، قائلاً : (إياك والجور، فإن الجائر لا يشم ريح الجنة)[٦٦] .

أما في عهده عليه السلام، إلى محمد بن أبي بكر(١٠هـ / ٣٨هـ = ٦٣١م / ٦٥٨م)، حين قلّده مصر أوصاه أن يكون لين التعامل ،عادلاً بين الناس بالتساوي ، يعاملهم بالتي أقوم :(فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك ،وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم)[٦٧]. ولم ينتهِ الأمر إلى ذلك بل نراه يوجه وصاياه للحاكم بالعدل والقسط وعدم الظلم للرعية : (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه

الله أدحض حجته (أبطل) وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب)[٦٨].

وفي المضمون نفسه يقول : (عامل سائر الناس بالإنصاف)[٦٩] . لأن الشخص الذي لا يتمتع بميزة العدالة في حكمه مع الآخرين لا يصلح ان يكون غير المتقي قائدا للمسلمين او قاضيا أو شاهدا في المسائل القضائية أو إماما للصلاة ولا يصبح تبني المواقف تبعا لأنبائه وآرائه كونه فاقدا للمصداقية [٧٠] ، فالحاكم عنده مسؤول إمام الله وعليه تقع تحمل المسؤولية إمام الأمة فيقول عليه السلام لولاته : (انصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فأنكم خزان الرعية و وكلاء الامة)[٧١] .

ويخاطب الإمام مالك الاشتر ناصحاً له (ليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل جمعها والرضى الرعية ،وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد)[٧٢]. ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله متوعداً:(وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدّنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر (المال) ثقيل الظهر ضئيل الأمر (ضعيف) والسلام)[٧٣] .

إن رفض الجور وتأكيد المساواة والعدالة فضلاً عن بعديها المعنوي والمجتمعي، فإن لهما بعداً سياسياً مادياً عند الإمام وذلك بتحقيق الاستقرار إذ يقول : (ثبات الدولة بإقامة سنن العدل) ، وكذلك قوله إن(بالعدل تصلح الرعية)[٧٤].

وبعد ذلك ينقل الإمام علي عليه السلام حديثاً سمعه عن النبي محمد صلى الله عليه وآله (١٢ ربيع الأول من عام الفيل / ١١هـ = ٥٧١م / ٦٣٢م) يؤكد فيه على مساواة وإنصاف الضعيف المحتاج حتى تتحقق العدالة الإلهية في الأرض:(فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لن تقدّس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير خائف)[٧٥]. وفي قمة غضبه من أولئك المسؤولين الذين تجرؤوا على العامل الفقير يقول: (والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة

ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل من مظلمتهما)[٧٦] .

إنّ المساواة العادلة تقوي شأن السلطان داخليا وخارجيا،(إذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وادى الوالي اليها حقه اعز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل . فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء)[٧٧] . وأما عن حفظ المال وهو من حق الناس على السلطة، فيقول من كلام له لما عوتب على التسوية في العطاء: (ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله)[٧٨] ويقول محذراً شريح بن الحارث القاضي (٣٠هـ / ٧٨هـ = ٥٩٠ / ٦٩٨م) : (فانظر يا شريح لا تكون اتبعت هذه الدار من غير مالِك، أو نقدت الثمن من غير جلالك فإذاً أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة)[٧٩] .

وعن إقامة العدل والمساواة بين بني البشر ونبذ التفرقة بين الأفراد واعتماد العدل يقول الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى الأسود بن قطيبة صاحب حُلوان: (فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل. فاجتنب ما تنكر أمثاله لو صدر من غيرك)[٨٠]. وفي المضمون نفسه حول العدل والمساواة يقول موصياً بعض عماله : (واخفض للرعية جناحك، وآس (سوّ بينهم) في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك)[٨١].

ويوجه عليه السلام رسالة إلى أحد ولاته محذراً إياه من الظلم والعدوان:(وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارباً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[٨٢].

إنه الموقف الواضح والفكر الذي يفصح عنه، إنه (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام، إنه وثيقة جامعة تعالج الإنسان داعية إياه إلى المطالبة بحقوقه

كاملة التي أوجبها الله له، ومستحثة إياه كي يؤدي واجباته اتجاه خالقه ونفسه ومجتمعه والبشرية جمعاء، محذرة من أي تلكؤ أو تساهل بداعي الخوف أو الضعف. لكن ذلك على ما يبدو بعد الإمام علي ﷺ أصبحت المساواة والعدالة في موضع غير الذي كانت عليه في زمانه مما دفع علي الوردي إلى القول :(ان المساواة دفنت مع علي في قبره)(٨٣) .

كانت تلك الموضوعات التي عرضناها _ ولو بشيء من الإيجاز _ لمعرفة العدالة والمساواة التي طبقها الإمام علي ﷺ في زمنه ، وكيف أنه كان عادلاً إلى أبعد الحدود لدرجة لم ينم فقير جائع عنده ، كيف لا وهو صاحب اليتامى وأبو المساكين والفقراء ، فموضوعات العدالة وإنصاف الفقير والمعوز كانت ديدن عمله وهمه الأكبر الذي ما برح يسايره ، لكي يصل إلى حلول تطبيقية لمشاكل شائكة استشرت في زمنه .

لقد أرسى الإمام علي ﷺ القواعد والأسس لبناء دولة إسلامية قوامها الشريعة الدينية الحقة ، التي تعمل على خلاص البشرية جميعها دون مجتمع معين ، هادفةً إلى تحقيق العدالة الإلهية بين البشر في الأرض ، وأن تكون نصرة للمحتاج الفقير دون تمييز على أساس اللون أو العرق أو الطائفة أو درجة القربى حتى لا تكون هنالك دولة تعمل على المشاعر والعواطف أو على حساب الآخرين .

الخاتمة

شغلت قضية حقوق الإنسان عبر العصور البشرية المتوالية وإلى يومنا هذا الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا المجال ؛ لما لها من الأولوية ضمن متطلبات البشريّة وغاياتها وهمومها وهواجسها ، حتى غدت هدفا ووسيلة يصبو إليها الإنسان لضمان العيش بسعادة وحرية تامة ، فقد أعطى الإمام علي عليه السلام للعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان مفهومها الحقيقي ، وذلك من خلال إنصاف فئات المجتمع كافة من دون تحيز لطرف دون آخر، ففي ظل حكمه الراشد وضع قواعد أساسية ونظماً وأبعاداً مهمة لذلك المفهوم وجعل له الأولوية عنده، فمن خلال المساواة والحكم العادل يعيش الإنسان بسعادة تامة. فهذه المسألة إنما نجدها في الموقف الواضح والفكر الذي يفصح عنه، إنه (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام، إنها وثيقة جامعة تعالج أحوال الإنسان كافة داعية إياه إلى المطالبة بكامل حقوقه التي أوجبها الله له، ومستحثة إياه كي يؤدي واجباته تجاه خالقه ونفسه ومجتمعه والبشرية جمعاء، محذرة من أي تلكؤ أو تساهل بداعي الخوف أو الضعف.

لقد شغلت فكرة المساواة والعدالة حيزاً واسعا في فكر الإمام من أجل تحقيق حق المساواة العادلة بين الناس وإرسائها بينهم ، فلم يكن هناك شخص مقرباً عنده له حقوق وامتيازات دون آخر ، فحق الفرد والجماعة سواء ، فقد أعلن عليه السلام منذ اليوم الأول من توليه الحكم مبدأ تحقيق العدالة والتزامه بنهج المساواة بين الناس واتخذ قراره الصارم بإلغاء سياسة التمييز في العطاء وساوى بين الناس من دون أي تفضيل أو تمييز، فلم يكن أي شخص تعرض إلى الظلم في زمنه من دون استحقاقه ولم يكن هناك فقيراً أو جائعاً لم يأخذ حقه، بل كان الجميع يتمتع بمبدأ العدالة والمساواة والإنصاف ؛

لـذا شـهد حكمـه دولـة عادلـة تسـعى للمسـاواة بـين النـاس وتحقيـق العدالـة التامـة وتوفـير العيـش ، فـما أحـوج الأمـة الإسـلامية وهـي تعيـش الطائفيـة و المحـن والويـلات ومـآسي فقـدان العدالـة والمسـاواة، أن تقـرأ تلـك الشـخصية الخالـدة لتتعـرف عـلى سـمو تعاليـم الإسـلام وبراءتـه ممـن يـمارس باسـمه الظلـم والعـدوان وانتهـاك الحقـوق .

الهوامش

١ ابراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي عليه السلام ، مركز آدم للدفاع عن الحقوق والحريات ،٢٠٠٩ ، ص٣ ، رابط الملف: http: / /ademrights.org

٢ المصدر السابق ، ص ٣ .

٣ سورة الحجرات / آية ١٣ .

، مجلة أهل البيت عليهم السلام ، ١٩ ، تاريخ النشر يناير ٢٠١٦ ، رابط المجلة على الانترنت ٤ http://abu.edu.iq/research/journals/ahl-al-bayt/issues/19

٥ السرخسي ، شمس الدين (٤٠٩هـ / ٤٩٠هـ = ١٠٠٩م / ١٠٩٠م) . المبسوط ، ج٥، ط١ ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٣ .

٦ الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي(؟ / ٩٤٢هـ) . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج٨ ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣، ص٤٨٢ .

٧ عبده ، الشيخ محمد (١٢٦٦هـ / ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩م / ١٩٠٥م). شرح نهج البلاغة ،ج٣، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢ .

٨ سورة النحل ، آية ٩٠

٩ دخيل ، علي محمد علي . شرح نهج البلاغة ، دار الكتب ، بيروت ، ٢٠١١م ، ص ٦٥٦ .

١٠ أبراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي عليه السلام ، ص٤ .

١١ الرضي ، الشريف (الجامع) (٣٥٩هـ / ٤٠٦هـ = ٩٧٠ م/ ١٠١٦م). نهج البلاغة ، كتاب٣٠، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح ، تحقيق فارس تبريزيان، إيران ، مؤسسة دار الهجرة ، ١٣٨٠هـ ، ص٥٠٤ .

١٢ ابراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي عليه السلام ، ص٤ .

١٣ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨، ص ٧٦ .

١٤ الحراني ، ابو محمد . تحف العقول عن آل الرسول ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط ٤ ، قم ، مؤسسة النشر، ١٤٢٠هـ ، ص ٨٨ .

١٥الموسوي ، الشريف الرضي . نهج البلاغة ، خطبة رقم ٢٧ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧.

١٦ مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ط١٩٩٢،١، ص٨٢ .

١٧ عبده ، الشيخ محمد . شرح نهج البلاغة ، ج٢، ص٥٢.

١٨ الكليني ، الشيخ (٢٥٥هـ / ٣٢٩هـ = ٨٦٨م / ٩٤١م). الكافي ج ٨ ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط٢ ، ١٣٦٢ ش ، ص ٦٩ .
١٩ ابراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي ﷺ ، ص٧ .
٢٠ جعفر ، د. نوري(١٣٣٢هـ / ١٤٢٢هـ = ١٩١٤م / ١٩٩١م) . فلسفة الحكم عند الإمام ، ط٢، القاهرة ، دار المعلم ، ١٩٧٨، ص ٨.
٢١ الرضي ، الشريف . نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، ص٥٧١ . وأيضاً، السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص٨٥ .
٢٢ نهج البلاغة ، ج٣، ص١١٦ .
٢٣ عبده ، الشيخ محمد . شرح نهج البلاغة ، ج٢، ص٨.
٢٤ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص٨٥ .
٢٥ ابراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي ﷺ ، ص٨ .
٢٦ نهج البلاغة ، ج٤، ص٨٩ – ٩٠.
٢٧ الشيرازي ، السيد محمد الحسيني (١٣٤٧هـ / ١٤٢٢هـ = ١٩٢٨م / ٢٠٠١م) . اثار الظلم في الدنيا والاخرة ، بيروت ، مؤسسة المجتبى ، ٢٠٠١ ، ص٦ .
٢٨ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص ٧٨ .
٢٩ نقلًا عن : ابراهيم ، جميل عودة . مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي ﷺ ، ص٩ .
٣٠ شرح نهج البلاغة ، ج٥ ، ص ١٣٥ .
٣١ الصدر ، السيد محمد باقر . اقتصادنا ، ط٢٠ ، بيروت ، دار المعارف للمطبوعات ، ١٩٨٧، ص ٦٨٢.
٣٢ الرهيمي ، أ. د سعد خضير عباس . الوعي الفكري للفرد ومسؤولية الدولة الانسانية اساس التغيير الاجتماعي في حتمية المشروع الحضاري في فكر الامام علي ﷺ ، بحث منشور في مجلة المبين ، تحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني ، العدد السادس ، السنة الثالثة ، العراق _ كربلاء ، ٢٠١٨م ، ص ٦٧.
٣٣ الصدر ، محمد باقر . اقتصادنا ، ص ٦٦٥_ ٦٦٦.
٣٤ سورة الحشر / الآية ٧ .
٣٥ دخيل ،علي محمد علي . شرح نهج البلاغة ، ص ٦٧٠ .
٣٦ المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ .
٣٧ عهد الامام علي ﷺ لمالك الاشتر ، موقع على الانترنت ، تاريخ الزيارة ٤/ ٦/ ٢٠١٩، رابط الملف : http:// bit.iy\2vktcf9 وأيضاً : الرهيمي ، أ. د سعد خضير عباس . الوعي

الفكري للفرد ومسؤولية الدولة الانسانية اساس التغيير الاجتماعي في حتمية المشروع الحضاري في فكر الامام علي عليه السلام ، بحث منشور في مجلة المبين ، ص٦٨ .

٣٨ ينظر : الصدر، محمد باقر . اقتصادنا ، ص ٦٦٤ .

٣٩ الرهيمي ، أ. د سعد خضير عباس . أنموذج لعلاج الخلل في التوازن الاقتصادي العام في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر ، بحث منشور في مجلة المبين ، تحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني ، العراق _ كربلاء ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، نيسان ٢٠١٧ ، ص ٩٦_ ٩٧.

٤٠ الرهيمي ، أ. د سعد خضير عباس . الوعي الفكري للفرد ومسؤولية الدولة الانسانية اساس التغيير الاجتماعي في حتمية المشروع الحضاري في فكر الامام علي عليه السلام ، ص٦٨ .

٤١ سورة النساء / الآية ١٣٧ .

٤٢ نهج البلاغة، ج٣، شرح عبده ، محمد. ص٨٥ . وكذلك عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر، موقع على الانترنت ، تاريخ الزيارة ٤/ ٦/ ٢٠١٩ ، في الرابط التالي
http:// bit.iy\2vktcf

٤٣ ينظر: الموسوي ، د. السيد علي مير، د. السيد صادق حقيقة . مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام والمذاهب الأخرى ، تعريب خليل زامل العصامي ، ط١، اصدارات المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي ، بيروت ، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠١١ ، ص ٢٤٨.

٤٤ أنسام غضبان عبود الباهلي و قاسم عبد سعدون الحسيني ، الخطاب الوعظي وهدفهُ الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً ، بحث منشور في مجلة المبين ، العدد السابع ، السنة الثالثة ، كربلاء ، حزيران ٢٠١٨ ، ص ١٠٩ .

٤٥ أبن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧٠، ص ٤١ – ٤٢.

٤٦ المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

٤٧ نهج البلاغة / ٣ / ٩٤ .

٤٨ نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام – ج ٣ – الصفحة ٧٢ .

٤٩ الشريدة ، عبدالله . الامام علي عليه السلام القائد السياسي الامثل ، بيروت ، دار المحجة البيضاء ، ١٤٢٩هـ ، ١٠٦ .

٥٠ المصدر السابق ، ص ٩٥ .

٥١ سورة النساء : آية ٥٨.

٥٢ سورة النحل : آية ٩٠ .

٥٣ العبد الله ، الدكتور حامد ، الدكتور عبد الله سهر . العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب ﷺ – الأول ، مقال منشور على الانترنت ، تاريخ الزيارة ٢٢/ ٧ / 2019 ، رابط الملف http://arabic.balaghah.net/content

٥٤ نهج البلاغة ، ٣ / ٩٤ .

٥٥ المصدر نفسه ، ٩٤ .

٥٦ أ. د. حاكم حبيب الكريطي ، صفات القضاة والولاة في نهج البلاغة ، قراءة تأويلية ، بحث منشور في مجلة المبين ، رئيس التحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني، العدد السابع ، السنة الثالثة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠١٨ ، ص ١٤٧ .

٥٧ نهج البلاغة ، ٣ / ٩٤ .

٥٨ المصدر نفسه / ص ٩٤ .

٥٩ حاكم حبيب الكريطي ، صفات القضاة والولاة في نهج البلاغة ، قراءة تأويلية ، ص ١٥١ .

٦٠ نهج البلاغة ، ٣ / ٩٤ .

٦١ المصدر نفسه ، ٩٤ .

٦٢ ينظر: السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص ١٠٠ .

٦٣ الرضي ، الشريف ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، ص٢٨٧.

٦٤ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص ٧٨ .

٦٥ نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

٦٦ المصدر نفسه ، ص٩٥ .

٦٧ نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٢٧.

٦٨ المصدر نفسه، ص ٨٥.

٦٩ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص١٠١ .

٧٠ ينظر: الدين ، محمد مهدي شمس(١٣٥٤هـ / ١٤٢١هـ = ١٩٣٦م / ٢٠٠١م) . دراسات في نهج البلاغة ، ط٢ ، بيروت ، دار الزهراء ، ١٩٧٢ ، ص٣٥ .

٧١ السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص١٧٧ .

٧٢ الرضي ، الشريف . نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، ص ٧٥ .

٧٣ نهج البلاغة ، ج٣،ص٢٠.

٧٤ نقلًا عن : السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي ﷺ ، ص٩٦ .

٧٥ نهج البلاغة ، ج٣، ص١٠٢.

٧٦ المصدر نفسه ، ج٣، ص٦٧.

٧٧ ينظر: السعد ، غسان . حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام ، ص٩٧ .
٧٨ نهج البلاغة ، ج٢، ص٧.
٧٩ المصدر نفسه، ج٣، ص٤.
٨٠ المصدر نفسه، ج٣، ص١١٦.
٨١ المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٧.
٨٢ المصدر نفسه ، ج٢، ص١٩٨-١٩٩.
٨٣ الوردي ، د. علي (١٣٣٣هـ / ١٤١٥هـ = ١٩١٣م/ ١٩٩٥م) . وعاظ السلاطين ، ط٢، لندن ، دار كوفان ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٥ .

المصادر والمراجع

* أنسام غضبان عبود الباهلي و قاسم عبد سعدون الحسيني ، الخطاب الوعظي وهدفهُ الإصلاحي في سيرة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ جوانب من خطبة الوسيلة أنموذجاً ، بحث منشور في مجلة المبين ، العدد السابع، السنة الثالثة، كربلاء، حزيران ٢٠١٨ .
* ابو محمد الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط ٤ ، قم ، مؤسسة النشر، ١٤٢٠هـ .
* جميل عودة ابراهيم ، مفهوم المساواة والعدالة في منظومة الإمام علي ﷺ، مركز آدم للدفاع عن الحقوق والحريات ،٢٠٠٩.
* حامد العبد الله ، الدكتور عبد الله سهر. العدالة السياسية عند الإمام علي بن أبي طالب ﷺ – الأول، مقال منشور على الانترنت ، رابط الملف // :http arabic.balaghah.net /conten
* حاكم حبيب الكريطي ، صفات القضاة والولاة في نهج البلاغة ، قراءة تأويلية ، بحث منشور في مجلة المبين ،رئيس التحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني، العدد السابع ، السنة الثالثة ، كربلاء المقدسة ، ٢٠١٨ .
* السيد محمد باقر الصدر ، اقتصادنا، ط٢٠، بيروت ، دار المعارف للمطبوعات ، ١٩٨٧.
* السيد محمد الحسيني الشيرازي ، (١٣٤٧هـ / ١٤٢٢هـ = ١٩٢٨م / ٢٠٠١م). اثار الظلم في الدنيا والاخرة، بيروت ، مؤسسة المجتبى ، ٢٠٠١.
* السيد علي مير الموسوي ، د. السيد صادق حقيقة . مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام والمذاهب الأخرى ، تعريب خليل زامل العصامي ، ط١ ، اصدارات المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر الإسلامي ، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠١١.
* سعد خضير عباس الرهيمي ، الوعي الفكري للفرد ومسؤولية الدولة الانسانية اساس التغيير الاجتماعي في حتمية المشروع الحضاري في فكر الامام علي ﷺ ، بحث منشور في مجلة المبين ، تحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني ، العدد السادس ، السنة الثالثة ، العراق _ كربلاء ، ٢٠١٨م .
* سعد خضير عباس الرهيمي ، أنموذج لعلاج الخلل في التوازن الاقتصادي العام في ضوء عهد الإمام علي ﷺ لمالك الاشتر ، بحث منشور في مجلة المبين ، تحرير السيد نبيل قدوري حسن الحسني ، العراق _ كربلاء ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، نيسان ٢٠١٧ .
* الشريف الرضي الموسوي ، نهج البلاغة ، خطبة رقم ٢٧ ، ط١ ، بيروت، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧.

* الشريف الرضي ، (الجامع) (٣٥٩هـ / ٤٠٦هـ = ٩٧٠ م/ ١٠١٦م). نهج البلاغة ، كتاب٣٠، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح ، تحقيق فارس تبريزيان، إيران ، مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٠هـ .
* الشيخ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،ج٣، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٩٠ .
* الشيخ الكليني ، (٢٥٥هـ / ٣٢٩هـ = ٨٦٨م / ٩٤١م). الكافي ج ٨ ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط٢ ، ١٣٦٢ ش.
* شمس الدين السرخسي ، المبسوط ، ج٥ ، ط١ ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ .
* علي محمد علي دخيل ، شرح نهج البلاغة ،دار الكتب ،بيروت، ٢٠١١م.
* عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر ، موقع على الانترنت ، تاريخ الزيارة ٤/ ٦/ ٢٠١٩ ، رابط الملف :
* http:// bit.iy\2vktcf9
* علي الوردي ، (١٣٣٣هـ / ١٤١٥هـ = ١٩١٣م / ١٩٩٥م) . وعاظ السلاطين، ط٢، لندن ، دار كوفان، ١٩٩٥ .
* عبدالله الشريدة ، الامام علي عليه السلام القائد السياسي الامثل ، بيروت ، دار المحجة البيضاء ، ١٤٢٩هـ .
* غسان السعد ، حقوق الانسان عند الامام علي عليه السلام ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ .
* مجلة أهل البيت عليهم السلام ، ١٩ ، تاريخ النشر يناير ٢٠١٦ ، رابط المجلة على الانترنت ، http://abu.edu.iq/research/journals/ahl-al-bayt/issues/19
* محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٨ ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣، .
* مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة، الدار الإسلامية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢.
* محمد مهدي شمس الدين ، (١٣٥٤هـ / ١٤٢١هـ = ١٩٣٦م / ٢٠٠١م). دراسات في نهج البلاغة ، ط٢ ، بيروت، دار الزهراء ، ١٩٧٢ .
* نوري جعفر ، (١٣٣٢هـ / ١٤٢٢هـ = ١٩١٤م/ ١٩٩١م) . فلسفة الحكم عند الإمام ، ط٢، القاهرة ، دار المعلم، ١٩٧٨ .

السياسة التشريعية لتجسيد المبادئ العلوية

في القوانين المعاصرة

(الرعاية الاجتماعية أنموذجًا)

د. جمانة جاسم الاسدي

د. آمال علي الموسوي

الباحثة دعاء صالح شعلان

ملخص البحث

تتملكنا رغبة وفي الوقت نفسه هيبة وعظمة، عندما نكتب عن المبادئ القانونية للإمام علي عليه السلام وتجسيدها في المنظومة القانونية، ذلك الرجل هو رائد الإصلاح والفكر القانوني في تقديم الرعاية الاجتماعية ومعالجة الفقر، فهو صفحة رائعة من الإشراق الإنساني، تضيف شرفًا إلى تاريخ الإنسانية، وفي مجالات القانون وفروعه، وثروة علمية لا تحد بحدود، إذ اتسم فكره ومبادئه ومنهجه بالاستقامة والواقعية التي كونت لنا رصيدًا من الثراء العلمي، لم نجده في غيره، لأنه هالة من القداسة والعظمة والحكمة، فالمبادئ العلوية تعد نظرية متكاملة في العصر الحديث، فهي وثيقة علمية يمكن لرجال القانون والسلطة التشريعية الأخذ بها وتطبيقها في الحياة القانونية.

ولتحقيق المبادئ العلوية وفعاليتها في المنظومة القانونية في الدولة العراقية، لاسيما في الوقت الحاضر، لأنها تشكل إطارًا ينبغي ان تسير عليه القوانين المعاصرة، لمعالجة حالات واقعية تظهر بالمجتمع نتيجة حداثة العصر.

فلابد من إصلاح نصوص القانون بتعديلها بما يتفق مع المبادئ القانونية التي جاء بها الإمام علي عليه السلام رائد الإصلاح والمعرفة القانونية، فالسياسة التشريعية في القانون المعاصر يجب ان تتجه نحو إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل ومعاناة الأفراد في المجتمع، من حيث تقديم الرعاية الاجتماعية، والقضاء على حالات الفقر، لتغيير واقعهم نحو الأفضل، وما كان متحققًا من مبادئ وأسس في عهد الإمام علي عليه السلام، يمكن تحقيقه في الوقت الحاضر لخلق مجتمع خال من حالات الضعف من الناحية المادية والمعرفية.

Abstract

We are possessed by desire and at the same time prestige and greatness, when we write about the legal principles of Imam Ali (peace be upon him) and their embodiment in the legal system. That man is a pioneer of reform and legal thought in providing social care and addressing poverty. He is a wonderful page of human radiance, adding honor to the history of humanity. And in the areas of law and its branches, and a scientific wealth that does not limit borders, as its thought, principles, and approach were characterized by integrity and realism that created for us a balance of scientific wealth, which we did not find in others, because it is an aura of holiness, greatness and wisdom, and it accommodates all noble human meanings that elevate the individual and society. Alawiism is an integrated theory in the modern era with accuracy and justice. It is a scientific document that jurists and jurisprudents can adopt and apply in legal life.

The legislative policy of the state's authority is linked to multiple controls in accordance with the provisions of Islamic law and does not contradict it as it is based on the cosmic and social norms that govern human existence, adherence to higher values and principles, foundations, and costs approved by God for human dignity, and the

administration of justice. It appears in society as a result of modern times.

Emphasizing on and striving for the possibility of developing the legal system in accordance with superior principles and keeping pace with recent developments and various circumstances, as the provisions of the law still have not addressed many of the issues that raise controversy and debate. So it should enact legal texts that are consistent with the constants of Islam and the supreme principles to achieve guarantees of social welfare and others.

المقدمة

أولًا- أهمية الموضوع

يكتسب البحث أهميته من خلال محاولة تحقيق المبادئ العلوية وفعاليتها في المنظومة القانونية في الدولة العراقية، لاسيما في الوقت الحاضر، ومع حداثة العصر المتسارع، وصعوبة تحقيق متطلبات الحياة المعيشية، لابد من إصلاح نصوص القانون عبر محاولات تعديلها بما يتفق مع المبادئ القانونية التي جاء بها الإمام علي ﷺ رائد الإصلاح والمعرفة القانونية، فالسياسية التشريعية في القانون المعاصر يجب انّ تتجه نحو إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل ومعاناة الأفراد في المجتمع، من حيث تقديم الرعاية الاجتماعية، والقضاء على ظاهرة الفقر المستشرية، ولتغيير واقعهم نحو الأفضل، وما كان متحققًا من مبادئ وأسس في عهد الإمام علي ﷺ، يمكن تحقيقه في الوقت الحاضر لخلق مجتمع خالٍ من حالات الضعف من المادية والمعرفية.

والتأكيد والسعي إلى إمكانية تطوير المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية ومسايرة المستجدات المستحدثة، والظروف المختلفة، إذ أن نصوص القانون ما زالت لم تعالج العديد من المسائل التي يثار فيها الجدل والنقاش، فالسلطة التشريعية هي الأساس في النظام السياسي للدولة، كونها تمتلك الصلاحيات التشريعية، والتنفيذية، والرقابية، وعليها انّ تسن نصوصاً قانونية توافق ثوابت الإسلام والمبادئ العلوية لتحقيق ضمان الرعاية الاجتماعية وغيرها.

ثانيًا- إشكالية البحث

سنبحث في سياق هذه الإشكالية وأبعادها المختلفة، لأنه وكما تبين لنا ان هناك علاقة بين السلطة التشريعية والأنظمة القانونية والانقياد لمبادئ الإسلام والأسس العامة لثراث الإمام علي ﷺ، حيث أكثر القوانين بحاجة إلى

مراجعة وفحص وتدقيق، إذ أن الأمر يحتاج إلى إعادة تعديل بعض النصوص القانونية مستمدة أفكارها وصياغاتها من المبادئ العلوية محاولة الخروج برؤية متوازنة بين رسائل الأنبياء والحياة العصرية.

وإزاء هذا الواقع، فإن المجتمع إمام تحديات لمواجهة الحياة المعاصرة وما يجري فيها من حرب فكرية تعود إلى غزو روح الفكر الغربي الاناني مما أدى إلى التفكك الاسري وانهيار المنظومة القيمية في المجتمع ، ومع ضرورة تأشير المخاطر الحالية والمستقبلية وإيجاد الحلول الناجعة لحل الإشكاليات الاجتماعية من خلال تحقيق الترابط بين السياسة التشريعية وما توضع من نصوص، وبين إتخاذ تلك المبادئ نصوصًا قانونية ليتم تطبيقها على الجميع.

ثالثًا- أهداف البحث

نهدف من وراء هذا البحث إلى عدة أمور منها:

١-الوقوف على ظاهرة سلبية وجدت في كل المجتمعات، وهي ظاهرة الفقر وانطلاقًا من منظومة القيم الدينية والأخلاقية ابتداءً من (الرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي) محاولين معالجة هذه الظاهرة وإيجاد الحلول والمقترحات لها.

٢-تحديد بعض النصوص القانونية المخالفة للشريعة الإسلامية وتأثيرها على بناء المنظومة القيمية لبناء الأسرة والمجتمع.

٣-نأمل انّ تستعين السياسة التشريعية ورجال القانون عند سن القوانين واللوائح بالمبادئ العلوية التي جاء بها الإمام علي عليه السلام وتطبيقها في التشريعات الوطنية للدولة المعاصرة.

٤-على السياسة التشريعية أن تأخذ بنظر الاعتبار مشاكل الأسرة والمجتمع ومن أهمها معالجة ظاهرة الفقر كونه ذا تأثير بالغ على بناء الفرد والأسرة.

٥- نشر الوعي بين افراد المجتمع من خلال عقد الندوات والورشات عن كل ما يتعلق بمفاهيم الرعاية الاجتماعية والكفالة والفقر واثرهما على المجتمع من الجانب السلبي والايجابي .

٦-التأكيد والسعي على إمكانية تطوير المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية ومسايرة الظروف المختلفة، إذ أن نصوص القانون ما زالت لمْ تعالج العديد من المسائل التي يثار فيها الجدل والنقاش، فالسلطة التشريعية هي الأساس في النظام السياسي للدولة، وتمتلك صلاحيات تشريعية، وعليها ان تسن نصوصاً قانونية توافق ثوابت الإسلام لتحقيق ضمان الرعاية الاجتماعية وغيرها.

رابعًا- منهيجة البحث

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي في توصيف الوضع القائم من خلال سن تشريعات تتجسد فيها مبادئ الرسل والأنبياء (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)، وتكون قابلة للتطبيق الفعلي على الجميع.

خامسًا- خطة البحث

من أجل تحقيق اهداف البحث سيتم تقسيم البحث بالشكل الثنائي، عبر تقسيمنا البحث على مبحثين الأول بعنوان مفهوم السياسة التشريعية وأركانها، والذي تطرقنا فيه من خلال المطلبين، إلى الأول منه في تعريف السياسة التشريعية ودورها في بناء الدولة العصرية، فيما سنبحث في المطلب الثاني اركان السياسة التشريعية، أما المبحث الثاني فسنركز في آثار تطبيق المبادئ العلوية في القوانين المعاصرة، وهنا قسمنا المبحث على مطلبين أيضًا الأول منه في إصلاح المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية، فيما سنعرج في المطلب الثاني على وسائل تحقيق المبادئ العلوية في ضمان الرعاية الاجتماعية.

إضافة إلى الخاتمة التي تتضمن النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها أثناء البحث والتقصي.

المبحث الأول

مفهوم السياسة التشريعية ودورها في بناء الدولة العصرية

إن مفهوم السياسة التشريعية يرتبط ارتباطاً تامًا بالعملية التشريعية وسن القوانين في كافة المجالات، كما أن السياسة التشريعية تلعب دورًا في تحقيق الكثير من المبادئ لبناء الدولة المعاصرة، فمفهوم السياسة التشريعية هي الصياغة القانونية للنص التشريعي وهي الوسيلة التي بمقتضاها يتم نقل التفكير القانوني من الحيز الداخلي إلى العالم الخارجي، أي الأداة التي من خلالها يتم تعبير الفكرة الكامنة لتصبح بفضل عنصر سياسة التشريع الجيد حقيقة اجتماعية وبالتالي يتم التعامل على أساس النصوص القانونية الصحيحة [1].

وإنّ قيام دولة القانون يقتضي قيام أسس ومبادئ أهمها وجود دستور يحكم هذه الدولة، ويجب أن يحمل في طياته مبادئ لا تخالف ثوابت الإسلام[2]، كما يحمل أيضًا استقلالية القضاء، والفصل بين السلطات في الدولة بين ثلاث هيئات، إذ تخضع الدولة لتطبيق القانون الموافق للدستور والتي لا يمكن لأيّ شخص مخالفته.

فالسلطة التنفيذية المتمثلة في الحكومة على تنفيذ التشريعات، اما السلطة القضائية فتسعى إلى تطبيق القانون من خلال الفصل في المنازعات وتحقيق العدالة، وتكون مسؤولة عن مصداقية القوانين التي تطبق في الدولة، كما انّ للمحكمة الدستورية دورها الفعال في النظر في مدى دستورية القوانين.

ووفقًا لذلك سنقسم المبحث على مطلبين نبحث في المطلب الأول منه تعريف السياسة التشريعية، فيما سنعرج في المطلب الثاني على السياسة التشريعية ودورها في بناء الدولة المعاصرة.

المطلب الأول

تعريف السياسة التشريعية

إن السياسة التشريعية تعتبر الركيزة الأساسية لجودة القواعد القانونية، وبالتالي يمكن تحقيق المبادئ العلوية في ظل واقع متغير، وأنها المسلك أو الخطة المتبعة من الجهة المختصة بالتشريع، نحو تطبيق السياسة العامة في مجالاتها المتنوعة، ولكل دولة سياسة تشريعية خاصة بها تحدد ملامحها وفقًا لظروفها ومتطلبات الحياة [٣].

فالسياسة التشريعية لكل دولة تمثل المدخل وحجر الأساس في رحلة الصناعة التشريعية، يتم من خلالها إصدار الأنظمة واللوائح بما يتوافق مع السياسة العامة بمستجداتها، وإن التشريع يرتبط بالسياسات العامة للدولة ويعكس توجهاتها التقويمية والتطويرية، فالأصل في النصوص التشريعية أن ترتبط بالواقع الفعلي، كما أن التشريع يعد أداة لتحقيق أهداف الدولة والمجتمع من خلال توافق نصوص القانون بالمصالح العامة المراد تحقيقها [٤].

هذا وانّ السياسة التشريعية لا تعني مجرد وضع نصوص وتصبح قابلة للتطبيق العملي بمجرد صياغتها، إنما لها مفهوم واسع يتضمن آليات الصياغة التشريعية المطابقة للشريعة الإسلامية، والتي تعنى بتحقيق العدالة والمساواة والرعاية الاجتماعية ومكافحة الفقر [٥]، ولا غنى عنها في الوقت الحاضر، إلا أن النصوص التشريعية في الدولة المعاصرة تعرضت لنقد واسع من الفقهاء وشراح القانون بسبب العيوب التي تظهر في روح وغاية النصوص التشريعية

من ناحية مضمومنها، والتي كانت سببًا في الكثير من النزاعات والتفكك الاسري والمجتمعي، كما أثرت في اختلاف الاحكام القضائية بسبب عدم التناغم والانسجام بين نصوص القانون والشريعة الإسلامية والسبب يعود إلى إغفال المشرعين الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية والمبادئ العلوية.

ويمكن تعريف السياسة التشريعية في الاصطلاح القانوني:

تعرف السياسة التشريعية على أنها: "عملية نقل وإيصال الخطاب والأفكار والغايات المقصودة من خلال الالفاظ والعبارات الخاصة باللغة القانونية" (٦)، أو تعرف على أنها: "عملية نقل المعطيات والحاجات والضوابط الاجتماعية بشكل منظم إلى نصوص قانونية محكمة" (٧)، وعرفها آخر على أنها: "عملية تتكون من مجموعة من الوسائل المستخدمة لصناعة الأفكار القانونية والنصوص التشريعية بطريقة التعاون على تطبيق القانون مما يحقق استيعاب متطلبات الحياة في قوالب تشريعية" (٨).

وعرفها أحد الشراح، وحاول أنْ يبرز الجانب الاجتماعي فيها بأنها: "الوعاء الذي يتكون من مجموعة من الأفكار العامة التي تبين حاجة المجتمع والتي يجب أن ينشدها النظام القانوني الذي يتجه المشرع إلى تحقيقها متبعًا في ذلك رسائل الأنبياء والرسل(عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)" (٩).

ويمكن لنا تعريفها على أنها: (أداة المشرع للتعبير عن أفكار ومتطلبات المجتمع على شكل نصوص قانونية ملزمة لتلبي حاجات الأفراد والمجتمع وفقًا لنصوص الشريعة الإسلامية).

ومن المؤكد أن مسيرة السياسة التشريعية نحو تجسيد مبادئ الأنبياء والرسل (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) وتطبيقها في الواقع العملي لا يتم إلاّ من خلال النص عليها في التشريعات الوطنية وصياغتها في قواعد قانونية ملزمة تحمل في طياتها الرعاية الاجتماعية ومعالجة الفقر.

المطلب الثاني

دور السياسة التشريعية في بناء الدولة المعاصرة

إنّ معرفة دور السياسة التشريعية في بناء الدولة العصرية يتطلب منا بيان ما المقصود بالدولة العصرية، كون الدولة هي الوحدة الارتكازية في العالم المعاصر، أو هي دولة المؤسسات، أو هي التي تعتمد على مجموعة من الوظائف الحكومية المتمثلة في مؤسساتها السياسية والتشريعية والقضائية والتنفيذية، فالصفة المميزة للدولة العصرية هي أنها دولة مؤسسات في الوقت الحاضر، إلاّ أنه أصبح بناء الدولة وتأصيل سبل النمو والتجديد الحضاري فيها يعتمد إعتمادًا أساسيًا على كفاءة وفعالية تلك المؤسسات [١٠].

وبما ان الغاية الاساسية من وراء التشريع هي ضبط المجتمع وتنظيمه، وهذا ما يجعل سلطة التشريع تسعى دائمًا إلى تحسينه للارتقاء بما ينظمه، ولعل ما يضعف السياسة التشريعية هو عدم حملها السنن الإلهية ومبادئ الأنبياء والائمة ﷺ، فبعض النصوص القانونية تخالف الشريعة الإسلامية، ومنهج الأنبياء، كما نجده في قطيعة مع المبادئ العلوية، المتعلقة برعاية افراد المجتمع ذوي المستوى الضعيف ماديًا [١١].

فالسلطة التشريعية تختص بصنع ووضع التشريع، وتنفرد السلطة التنفيذية بتنفيذ ما صنعته ووضعته السلطة التشريعية، وتختص السلطة القضائية بتطبيق نصوص ذلك التشريع، وعليه فخضوع الدولة للقانون يطبق في كل ما يصدر عن الدولة من اعمال مهما اختلفت باختلاف السلطات وتعددها [١٢].

وإن تقديم اقتراحات قوانين حق مسند للحكومة ولأعضاء البرلمان فكلما كانت السياسة التشريعية تسعى إلى بناء دولة القانون ذلك من خلال تشريع قوانين من طرف السلطة التشريعية (البرلمان)، حيث يمارس البرلمان السياسة

التشريعية ويختص بمجال القانون عن طريق تقديم مقترحات تتوافق مع احكام ومبادئ الأنبياء والمرلسين (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) فتشمل الرعاية الاجتماعية ومعالجة حالات الفقر أو من أن الممكن يكون الاقتراح يستهدف تعديل بعض النصوص القانونية التي خالفت الشريعة الإسلامية [١٣].

ولكن نجد في الوقت الحاضر بأنه لا يخلو تشريع من غموض أو مخالفة للدين الإسلامي أو تعارض مما يشكل آثارًا سلبية سواء في التطبيقات النظرية أم العملية، ولعل أبرز ما يظهر في التشريعات هو الابتعاد عن تنظيم الرعاية الاجتماعية والمعالجة الحقيقية للفقر والتشرد.

إذ تحتل السياسة التشريعية أو التنظيم التشريعي دورًا مهمًا وبالغاً في الدولة العصرية، والتي تتجلى أهميتها من خلال النصوص التشريعية السليمة، لذلك تعد وسيلة لانشاء النصوص التشريعية الرصينة وظهورها إلى الواقع لتكون قابلة للتطبيق العملي من المخاطبين بها، فتطبيق النصوص التشريعية لا يكون ممكنًا إلاّ عن طريق أداة معينة تجعل منها ذات أثر ملموس على الواقع وممثلة إلى حاجات ومتطلبات الأفراد لا سيما الطبقات الضعيفة [١٤]، وعلى واضع النصوص التشريعية تفهم وادراك حالات الأفراد ذوي الطابع الضعيف المحتاج.

وانّ نجاح عملية الإصلاح السياسي عمادها وأساسها هو القدرة على سن تشريعات جيدة تحقق الرؤى والتطلعات الوطنية بالمقارنة مع التطورات والحداثة التي واكبت العصر، فالمشكلة الأساسية في العملية التشريعية تكمن في استخدام آليات بعيدة عن الدين الإسلامي، فالتشريع المراد إصداره ومضمون قواعده، هو تعديل نصوص قانونية أو تغييرها أو إضافة نصوص تعالج حالات واقعية في المجتمع، حيث هناك العديد من النصوص القانونية تتعارض أصلًا مع الشريعة الاسلامية مما أدى إلى تعقيد المنظومة التشريعية

الوطنية التي باتت تعاني الجدل والنقاش واللبس، والسبب هو الخروج عن المبادئ المستقرة بالدين الإسلامي [١٥].

المبحث الثاني

آثار تطبيق المبادئ العلوية في القوانين المعاصرة

مما لا شك فيه انّ تطبيق مبادئ الإمام علي عليه السلام في الدولة المعاصرة تجسيدٌ لكل القيم والمبادئ السامية التي لا يختلف عليها ذو فطرة سليمة وعقل سوي، ويمكن الاستفادة من هذه التجربة ومحاولة تكرارها في زماننا الحاضر، واعتقادًا منا بانّ هذه المبادئ هي القادرة على إنقاذ الإنسانية من مهاوي السقوط وتوفير رعاية وحياة كريمة تتحرك وفق تلك المبادئ وتنطلق على ضوئها، فالناس يتمنون تحقيق دولة كهذه، عبر تحقق الرعاية الاجتماعية، والعدالة والمساواة، والكرامة الإنسانية، وتعالج الفقر، إلاّ انّ السلطة التشريعية بعيدة عن هذه التجربة وللأسف الشديد.

كما وتعتبر الرعاية الاجتماعية، والكفالة مبدأ من المبادئ العلوية التي يتوخى منها أن تسود وتستغرق التشريع، فيعد من المبادئ التي تساعد على شيوع الثقة، والتعاون ، والتضامن في المجتمع، وعليه فإن الأنظمة القانونية يجب أن تتسم بالرعاية الاجتماعية لخلق حالة الاستقرار والاطمئنان في العلاقات والمراكز القانونية داخل الدولة، والثقة التامة بالقانون، لضمان إصدار تشريعات سليمة تتجسد بها كل مبادئ الإمام علي عليه السلام.

وفي ضوء تلك المعطيات سنقسم هذا المبحث على مطلبين سنركز في المطلب الأول منه على إصلاح المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية، أما المطلب الثاني فسنبحث في وسائل تحقيق المبادئ العلوية ضمانًا للرعاية الاجتماعية.

المطلب الأول

إصلاح المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية

شكلت المبادئ العلوية ومضامينها منظومة إصلاحية للقوانين فهي منهاج حي وشاخص إمام البصائر والابصار، ينهلُ منها أفكار الفضيلة والسمو والترفع عن الصغائر ونبذ الظلم واعانة المظلوم ورعاية الضعيف، فهذه المبادئ مستمدة من القرآن الكريم وتترك الخيار للإنسان ليميز الصحيح من الخطأ، فقد كان الإمام علي ﷺ يرسخ المبادئ العظيمة لينقذ الامة من الظلم والفقر والفساد.

ومما لا شك فيه ان التأمل في الفكر القانوني للإمام علي ﷺ يعد بحثًا في أعلى مستوياته، فقد وضع الأسس التي تخلص إلى التطبيق العملي (للرعاية الاجتماعية)[١٦]، ووضع أن التغيير والإصلاح نحو الأحسن في جميع مرافق الدولة، يحتاج إلى نية صادقة وحركة تغييرية وفعلية من المجتمع، تصحبها تضحيات وتنازلات عن المصالح الخاصة والرفاهية والامتيازات، والقران الكريم يقرر في نصوصه القرانية (انما المؤمنون اخوة ..) [١٧] ، ويؤكد الرسول الأعظم هذا المفهوم إلى ان المسؤولية والرعاية والتكافل والتعاون مشترك بين افراد الامة ، حيث قال :(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

ولقيام دولة يسود فيها القانون الإسلامي المبني على أسس تشريعية دقيقة مطابقة للأسس الشرعية ومتوافقة مع المتطلبات العصرية، لتحقيق دولة إسلامية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومبادئ الأنبياء والرسل (عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام) لتحقيق العدالة بكل تفاصيلها، والمعاونة في الشدة ، والعفو ، والصفح ، فالاسلام مصدر السياسة التشريعية[١٨]، وقد أولى الإمام علي ﷺ الطبقة الكادحة والمحتاجة من الناس، وهي طبقة المرضى والعجزة والايتام والمحتاجين بما لتركهم من اثار خطيرة،

بحيث تنعكس على المجتمع ككل، إذ غالبا ما يرافق الفقر مظاهر البطالة وعمالة الأطفال والتشرد، والسكن العشوائي وتفشي الامراض، وسوء العلاقات الزوجية، وانخفاض المستوى العلمي والثقافي، أي أن المشكل الناجمة عن الفقر ترتبط بشكل تراكمي مع غيرها، ومن ثم يصعب فيما بعد القضاء عليها، وقد تضمن عهده إلى مالك الاشتر وصيته بهذه الطبقة، كما تضمنت نصوصاً أخرى عبر فيها عن قلق الإمام علي ﷺ على هذه الطبقات، وحرصه على توفير مستلزمات العيش الكريم لهم (١٩).

على اعتبار ان الفقر هو الحرمان المادي الذي تتجلى أهم مظاهره هو تدني مستوى المعيشة للأفراد والأسر، وفقدان القدرة على مواجهة الحالات الصعبة كالمرض والبطالة والاعاقة والكوارث والأزمات، وقد كان للرعاية الاجتماعية مكانها الرائد في فكر الإمام علي ﷺ فقد كانت من أولوياته استشعارًا منه لاهميتها في إنجاز الأعمال، وتحقيق العدالة وإعادة ثقة الرعية بالراعي بعد ان أصابها التشويه فيما مضى من الأيام، وقد حاول استرداد ما أُضيع من حقوق المسلمين، حيث قال ﷺ مقولته المشهورة في المال المأخوذ في غير حقه: "والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق" (٢٠).

وإيمانًا منا بأهمية الرعاية الاجتماعية وحالات العجز بسبب الفقر في فكر الإمام علي ﷺ وبقيمة المبادئ لما تحمل بين جنباتها من مُثل إنسانية ونبل ومروءة، حفاظًا على كرامة الإنسان وسد احتياجاته.

كما ونظم شؤون المجتمع بنحو من الدقة والشمول ولم يميز بالعطاء وحرص على توسيع مظلة الرعاية الاجتماعية ليشمل الذمي أسوة بالمسلم، حيث حرص على نبذ كل اشكال العنصرية والتعصب للطائفة أو العرق

أو الدين، ونظر بنظرة واحدة بالمساواة للجميع، وسعى إلى إصلاح كافة المؤسسات والأجهزة واحداث التغيير المطلوب في المجتمع، وإيجاد مؤسسات إسلامية منبثقة من روح النظام الإسلامي [٢١].

واتبع الإمام علي ﷺ سياسة الإعانات لدعم الطبقات الفقيرة التي تحتاج إلى عون الدولة ودعمها، وتكمن أهمية هذه المعونات في تحسين هذه الطبقات بما يحتاج إليه الأفراد في حياتهم اليومية مما يقوم بسد رمقها، فضلاً عن الجانب المعنوي لهذه الإعانات، والتي تشعر الفرد بأن الدولة معه وتشعر به، وتحنو عليه، وتشد من أزره لمواجهة الصعوبات، وان هذه المعونة ليست منة أو تفضلًا من أحد، وإنما هي حق شرعه الله تعالى لهذه الفئات المستحقة، كما نستشف إن مقدار المعونة ليس محددًا بسقف معين، بل يعطى كل فرد بما يصلح حاله، وهذا يدل على لفتة اجتماعية واقتصادية غير مسبوقة، فإعطاء كل فرد بما يصلح حاله، بمعنى تهيئة الأسباب المناسبة لهذا الفرد على مواجهة الحياة [٢٢].

ويكون إصلاح الحال من خلال إصلاح النفس أولا ، وتربية النفس وتهذيبها نحو القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام ، ومن ثم يتم إصلاح الآخرين ، فعن طريق إشاعة ثقافة العمل والاحسان، والتكافل، والتضامن، للقضاء على مظاهر الفقر، وإشاعة روح المبادرة والاحساس بالآخرين، وتقديم روح المساعدة للمحتاجين، ليكتسب منه قوته وقوت عائلته، ومن ثم الاعتماد على كسبه والخروج من دائرة الفقر والمسكنة وحفظ ماء الوجه من ذل السؤال[٢٣].

ويمكن إصلاح النظام القانوني ورقيّ المجتمع وتطويره وتقويمه عندما يقتبس في أحكامه من المبادئ التي جاء بها أهل البيت ﷺ كما يمكن أن تتخلل النصوص التشريعية الالتفاف إلى تحقيق من هم بحاجة إلى دعم مادي من خلال قوانين مخصصة لهم تساعدهم على توفير القوت اليومي أو فرص

عمل تحسن من مستواهم المعيشي وتسير أمورهم [٢٤].

وما احوجنا اليوم إلى هذه الجوانب من المبادئ التي عالجها الإمام علي ﷺ في حكومته الرائدة، حتى أصبح أنموذجاً للمبادئ العادلة في الدولة العصرية، فلم نسمع عن مسيحي مات من الجوع، أو مسلم تعرض لسرقة، أو يهودي قد اعتقل بتهمة ديانته، فالجميع يعيش بسلام وامان، كما نجد ان هذه المفاهيم الواردة أعلاه لا تتمثل بحال في القوانين الوضعية لأنها مرتبطة بعقيدة المسلم أولا قبل أن تكون نصوصاً قانونية ملزمة .

وأن تقديم اقتراحات قوانين حق مسند للحكومة ولاعضاء البرلمان، حيث يمارس البرلمان السلطة التشريعية ويختص بمجال القانون عن طريق تقديم مقترحات قوانين تتضمن مبادئ الشريعة الإسلامية ومنها مبادئ الإمام علي ﷺ والتي تتعلق بحقوق الافراد، على اعتبار انّ السلطة التي يتمتع بها البرلمان سلطة تقديرية واسعة ينفرد بها دون الحكومة، في حين تمارس الحكومة السلطة التنفيذية التي يتقاسمها رئيس الدولة ورئيس الحكومة، فالحكومة يتحدد اختصاصها في التشريع بمجال التنظيم، لكن لا شيء يحد من سلطتها باقتراح القوانين.

المطلب الثاني

وسائل تحقيق المبادئ العلوية ضمان للرعاية الاجتماعية

لابد ان تكون هناك وسائل لتحقيق المبادئ العلوية التي من خلالها تتحقق الرعاية الاجتماعية ووضع حلول لمشاكل الفقر، من خلال العلاقة التكاملية بين المجتمع ومؤسسات الدولة، فقد وضع الإمام علياً ﷺ أسساً للوعي والإرادة الاجتماعية وتحقيق العدالة والمساواة في الدولة، وحسن التعامل، وترسيخ مبدأ الاخوة الإنسانية في الدين والخلق، حيث لم تكن لها فعالية في الفترة التي سبقته، فعاث الحكام في الأرض فسادًا، بل نخروا في كيان الإسلام ووحدته، لذا نجد

الإمام علي عليه السلام ينبه الناس الذين تدافعوا على بيعته بالحقيقة: "ذمتي بما أقول رهنية وأنا به زعيم إنّ من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات، ألا وإنّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا" (٢٥).

فقد كانت من المبادئ التي ينشد بها الابتعاد عن الرشوة ، والربا ، والاستغلال، والظلم والمحاباة للحصول على الوظيفة والامتيازات، ويؤكد على التكامل فيما بين افراده حتى يشعر الجميع أنهم جسد واحد ، فالخير الذي يبحث عنه الجميع ينبع من الجميع، ولا يأتي من العالم الخارجي، وكان من المتشددين للمطالبة بالعدل والانصاف والأمانة والصدق والإحسان، لأنها رسالة واضحة إلى الناس بأن يواكبوا مسيرة الحق ويساعدوا في إشاعة قيم الدين والأخلاق في المجتمع، ومساعدة جميع الطبقات (٢٦).

وإن تحقيق المبادئ العلوية ومنها ما يعنى بالرعاية الاجتماعية، والحد من الفقر، سمات دولة الإمام علي عليه السلام، فهي ضمان لحقوق الإنسان الأساسية، فقد يكون تقديم الاعانة أو المساعدة من خلال تقديم القروض التشغيلية التي تعطى للعاملين مقابل تقدمهم في العمل، إلاّ انّ ما يميز عهد الإمام علي عليه السلام كانت تعطى بدون مقابل ولا تسترد لبيت المال، كما ارسى الإمام علي عليه السلام دعائم التكافل الاجتماعي التي تعد من أهم عوامل مكافحة الفقر إضافة إلى كونه عامل استقرار اجتماعي (٢٧).

ولخلق منظومة تشريعية متكاملة تقوم على أساس ضبط إيقاع سن وأنشاء القواعد القانونية، وتنظيم مسارها دون عقبات، وذلك ضمن سياسة عامة

تشريعية تراعي تحقيق المبادئ الإسلامية ومنها مبادئ الرسل والأنبياء (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام).

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة بحثنا الموسوم: (السياسة التشريعية لتجسيد المبادئ العلوية في القوانين المعاصرة "الرعاية الاجتماعية أنموذجًا")، والذي تضمن بيان مفهوم السياسة التشريعية ودورها في بناء الدولة المعاصرة وما هي المبادئ العلوية وتأثيرها على القوانين الوطنية، إذ أصبح من الضروري الوقوف لدراسة هذا الموضوع والاستفادة من مبادئ الإمام علي عليه السلام وتجسيدها في إصلاح المنظومة القانونية، وبعد ذلك كان لزامًا علينا بيان أهم النتائج والتوصيات والإشارة إلى ما يستحق طرحه من مقترحات نأمل الأخذ بها من قبل الجهات المختصة، وهي كالآتي:

أولًا- النتائج:

١-لكل دولة مسلمة سياسة تشريعية خاصة بها ولابد لهذه السياسة ألّا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية في كل العصور.

٢-أنّ للسياسة التشريعية دورًا بارزًا في إضفاء النصوص القانونية كل ما يطابق الشرع الإسلامي ، فعلى كل دولة إسلامية ان تنتهج في نصوصها مبادئ الرسل والأنبياء (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)، لأنها تعد نظرية متكاملة في حقوق الإنسان ورعايته وحمايته.

٣-لدى سن القوانين لابد من الرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية كما نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمي في العراق، والدستور بهذا الوصف يشكل إطارًا قانونيًا للمبادئ الأساسية التي يعود إليها المشرع في سن القوانين.

٤-لاحظنا من خلال البحث أنّ الإمام علياً عليه السلام كرس جهوده للرعاية الاجتماعية وأوجد حلولًا لمعالجة حالات الفقر ووضع سياسة تشريعية خاصة بها.

٥-مساهمة منظمات المجتمع المدني لها الأثر البالغ في تعزيز ثقافة التكافل الاجتماعي التي دعا لها الرسول الاعظم ﷺ والإمام علي عليه السلام في عدة مواضع من احاديثهم الشريفة، في محاولة جدية للارتقاء بالنفس البشرية نحو العطاء والبذل والمساعدة وتقديم المعونة بشكل دائم ومستمر.

ثانيًا- التوصيات:

١-التركيز على بناء مؤسسات تتسم بالقدرة على توفير سلع ضرورية وتقديمها للفئات المحتاجة، بغية تخليص المجتمع من سلبيات العوز والفاقة والمتجسدة بالبطالة والتشرد وعمالة الاطفال والسرقة وغيرها.

٢-ندعو الفقه العراقي إلى تسليط الضوء على الحالات التي يعاني منها المجتمع في محاولة لوضع الحلول والمقترحات لتوزيع الأدوار ومهارات التعامل مع الحالات والوقائع الجدية المطروحة.

٣-إصلاح بعض التشريعات والسياسات التي تساهم في الرعاية الاجتماعية والقضاء على الفقر وشمول شرائح أخرى بحاجة ماسة إلى رفع مستواها من خط الفقر عبر الرعاية الاجتماعية.

٤-نشد على يد وسائل الإعلام والاتصالات في تسليط الضوء على الحالات المستحقة للاعانة وتفعيل دور المجتمع في التكافل الاجتماعي لما له من عظيم الأثر في تغير الواقع المرير لبعض الأفراد.

٥-نتأمل من السلطة التشريعية (البرلمان) الاخذ بالمبادئ العلوية وتطبيقها في النصوص التشريعية ، وعلى الافراد الالتزام وتطبيق تلك المبادئ .

الهوامش

١ بـن حفـاف إسـماعيل ، الصياغـة التشريعيـة ودورهـا في خدمـة التشريـع ، بحـث منشـور في مجلـة العيـار ، جامعـة تسمسـيلت ، المجلـد ٤ ، العـدد ٨ ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٩ .

٢كـما في نـص المـادة الثانيـة / الفقـرة أولا مـن البـاب الأول الموسـوم بباب المبـادئ الأساسـية ، مـن دسـتور العـراق لعـام ٢٠٠٥ النافـذ ، حيـث نصـت المـادة عـلى انـه : "الإسـلام ديـن الدولـة الرسـمي ، وهـو مصـدر أسـاس للتشريـع ....."، وحسـنا فعـل المـشرع العراقـي عندمـا اتجـه ناحيـة اعتبـار الإسـلام دينـا رسـميا للدولـة وأساسـا للتشريـع فيـما يتوجـب عليـه اسـتمداد النصـوص القانونيـة مـن قواعـد وأحـكام الديـن الإسـلامي .

٣ إسراء محمـد كاظـم ، دور السياسـية في تعزيـز الحقـوق والحريـات وانعكاسـه عـلى المواطنـة الصالحـة، بحـث منشـور في مجلـة العلـوم القانونيـة والسياسـية ، تصدرهـا كليـة القانـون والعلـوم السياسـية ، عـدد خـاص ، المؤتمـر العلمـي الـدولي الرابـع ، جامعـة ديـالى ، العـراق، ٢٠٢٢، ص ٧٥.

٤ د . جمانـة جاسـم الاسـدي ، الفكرالقانـوني في قضـاء الامـام عـلي g ، كليـة القانـون ، جامعـة كربـلاء ، مقـال متـاح عـلى موقـع جامعـة كربـلاء . . ..uokerbaia.edu.iq/ / https>es

٥ عـلى سـبيل المثـال نـص المـادة (٥٧) مـن قانـون الأحـوال الشـخصية العراقـي رقـم (١٨٨) لسـنة ١٩٦٩ ، فيـما يتعلـق بسـن الحضانـة ، حيـث يتضـح الخـلاف بـين الشريعـة الإسـلامية والقانـون : تراجـع المـادة (٥٧بفقراتهـا مـن القانـون ذاتـه)

٦ د . رافـد خلـف هاشـم البهـادلي ، و د . عثـمان سـلمان غيـلان العبـودي ، التشريـع بـين الصياغـة والصناعـة ، ط ١ ، بغـداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٤،

٧ د . عـلي احمـد عبـاس ، الصياغـة التشريعيـة واثرهـا في تطبيـق القانـون دراسـات قانونيـة ، بحـث منشـور في مجلـة يصدرهـا قسـم الدراسـات القانونيـة في بيـت الحكمـة ، العـدد ٢١ ، السـنة ٦ ، ٢٠٠٧ ، ص ٨٥.

٨ د . ثروت الاسيوطي ، مبادئ القانون ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٦٦ .

٩ ينظـر : د . حامـد زكـي ، التوفيـق بـين القانـون والواقـع ، بحـث منشـور في مجلـة القانـون والاقتصـاد ، العـدد الأول ، السـنة الثانيـة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤٦

١٠ د . عـلي احمـد عبـاس ، الصياغـة التشريعيـة وأثرهـا في تطبيـق القانـون ، بحـث منشـور في مجلـة دراسـات قانونيـة ، تصـدر عـن قسـم الدراسـات القانونيـة في بيـت الحكمـة ، العـدد ٢١، السـنة ٦ ، ٢٠٠٧ ، ص ٩٩.

١١ د . رافـد خلـف هاشـم البهـادلي ، ود . عثـمان سـلمان غيـلان العبـودي ، التشريـع بـين

الصناعة والصياغة ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٤وما بعدها .

١٢ د . احمد عبيس نعمة الفتلاوي ، التشريع السليم ومعوقات العملية التشريعية في العراق، الطبعة الأولى ، منشورات زين الحقوقية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٤.

١٣ مثال ذلك : بعض النصوص القانونية التي وردت في قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل ، كما في نص المادة (٥٧) المتعلقة بالحضانة ، فالاصل في الشريعة الإسلامية الحضانة تكون للاب بعد سنة للولد وسنتين للبنت ، وهناك محاولات جادة لتعديل هذه المادة وفقا للشريعة الإسلامية .

١٤ د . ليث كمال نصراوين ، متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني ، بحث منشور في وقائع المؤتمر السنوي الرابع " القانون .. أداة للإصلاح والتطوير " كلية الحقوق ، الجامعة الأردنية ، العدد ٢ ، الجزء الأول ، مايو ٢٠١٧ ، ص ٣٨١.

١٥ د . جمانة جاسم الاسدي أ د . امال علي الموسوي ، نحو اصلاح النظومة الاسرية وفقا للشريعة والقانون ، بحث تمت مشاركته في وقائع مؤتمر الإسلام حياة الدولي الرابع للعتبة الحسينية المقدسة ، الموسوم ب (الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة) المنعقد في ١٧/ ٥/ ٢٠٢٣ ، ص ١٨ .

١٦ تعرف الرعاية الاجتماعية بأنها: "مجموعة متنوعة من الخدمات والاعانات المقدمة من خلال الجهود التطوعية والخيرية للجهات الرسمية وغير الرسمية ، التي تهدف الى خدمة أبناء المجتمع الذي يعاني من الفقر والحاجة وافرادها العاجزين عن خدمة ذواتهم ، وذلك لتخفيف الازمات التي يعانون منها"، د . عبد الخالق محمد عفيفي ، الرعاية الاجتماعية " الأسس والمجالات " القاهرة ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٥.

١٧ سورة الحجرات : آية ١٠ .

١٨ د . ليث كمال نصراوين ، متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني، المرجع السابق ، ص ٣٨٥.

١٩ د . رحيم علي صياح ، فلسفة التكافل الاجتماعي عند الامام علي عليه السلام (عهده الى مالك الاشتر أنموذجا) ، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل ، المجلد الثالث ، العدد ١٤ ، ص ١٣٢ .

٢٠ الشيخ محمد عبده ، نهج البلاغة ، القاهرة ، مؤسسة المختار ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٣.

٢١ د . علي احمد عباس ، المرجع السابق ، ص ٨٧.

٢٢ محمود عبد السلام أحمد ، المعالجة الإسلامية للتخلف الاقتصادي ، الوراق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان ، ٢٠١٤ ، ص ٣٤.

٢٣ عدنان إبراهيم محمد الحجار ، السياسية التشريعية الفلسطينية في القوانين الاقتصادية ، أطروحة دكتوراه ، كلية الحقوق ، القانون الخاص ، جامعة باجي مختار ، فلسطين ، ٢٠١١، ص ٧٦ .
٢٤ لقد نص قانون الرعاية الاجتماعية في العراق رقم (١١) لسنة ٢٠١٤ ، حيث شمل بعض الفئات من المجتمع ومنهم العاطل عن العمل ، والارملة ، والمطلقة ، وزوجة المحكوم ، والعزباء ، واليتيم ، والعاجر ، والمهجورة من قبل زوجها ، ولكن يمكن شمول شرائح أخرى غير المذكورة في هذا القانون ، لكل شخص او عائلة تعيش تحت خطر الفقر ان يكون لها الحق في الرعاية الاجتماعية بحسب هذا القانون اعتمادا على بيانات تجري من قبل هيئة الرعاية الاجتماعية والبحث الاجتماعي بشكل سنوي .
٢٥ علي ال غراش ، منهج الامام علي في بناء المجتمع ، مقال متاح على شبكة النبأ المعلوماتة ، 2018، https://annabaa. Org/arabic/ahlalbayt/15520.
٢٦ د . عبد هادي القيسي، التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة ، دراسة نقدية ، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ، ٢٠١٦ ، ص ٣٢٠ .
٢٧ محسن باقر محمد صالح ، خصائص الإدارة عند الامام علي بن ابي طالب ﷺ، بحث منشور في مجلة أهل البيتﷺ ، العدد ١ ، كلية القانون ، جامعة أهل البيت ﷺ،كربلاء ، ٢٠٢١ ، ص ٥٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا- الكتب القانونية

* احمد عبيس نعمة الفتلاوي، التشريع السليم ومعوقات العملية التشريعية في العراق، الطبعة الأولى ، منشورات زين الحقوقية، الإسكندرية ، ٢٠٠٥م.
* ثروت الاسيوطي، مبادئ القانون ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م.
* رافد خلف هاشم البهادلي، ود. عثمان سلمان غيلان العبودي، التشريع بين الصياغة والصناعة ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٩ م.
* الشيخ محمد عبده، نهج البلاغة ، القاهرة ، مؤسسة المختار ، ٢٠٠٨ م.
* عبد الخالق محمد عفيفي، الرعاية الاجتماعية " الأسس والمجالات " القاهرة ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٧م.
* محمود عبد السلام أحمد، المعالجة الإسلامية للتخلف الاقتصادي، الوراق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، عمان ، ٢٠١٤م.

ثانيًا- البحوث والمقالات

* إسراء محمد كاظم، دور السياسة في تعزيز الحقوق والحريات وانعكاسه على المواطنة الصالحة ، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والسياسية، تصدرها كلية القانون والعلوم السياسية ، عدد خاص، المؤتمر العلمي الدولي الرابع ، جامعة ديالى، العراق ، ٢٠٢٢م.
* بن حفاف إسماعيل، الصياغة التشريعية ودورها في خدمة التشريع ، بحث منشور في مجلة العيار ، جامعة تسمسيلت ، المجلد ٤ ، العدد ٨ ، ٢٠١٣ م.
* د . جمانة جاسم الاسدي ، الفكر القانوني في قضاء الإمام علي ﷺ ، كلية القانون ، جامعة كربلاء ، مقال متاح على موقع جامعة كربلاء https / /uokerbaia.edu.iq.
* د. جمانة جاسم الاسدي أ د . امال علي الموسوي ، نحو إصلاح المنظومة الاسرية وفقا للشريعة والقانون، بحث تمت مشاركته في وقائع مؤتمر الإسلام حياة الدولي الرابع للعتبة الحسينية المقدسة ، الموسوم ب (الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة) المنعقد في ١٧/ ٥/ ٢٠٢٣ .
* حامد زكي، التوفيق بين القانون والواقع، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد ، العدد الأول ، السنة الثانية، ١٩٨٥ م.
* رحيم علي صياح ، فلسفة التكافل الاجتماعي عند الإمام علي ﷺ (عهده إلى مالك الاشتر أنموذجا)، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل ، المجلد الثالث، العدد ١٤.
* عبد هادي القيسي ، التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة ، دراسة نقدية، بحث

منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ، ٢٠١٦ م، ٣٢٠ .

* عدنان إبراهيم محمد الحجار ، السياسية التشريعية الفلسطينية في القوانين الاقتصادية ، أطروحة دكتوراه ، كلية الحقوق ، القانون الخاص ، جامعة باجي مختار ، فلسطين ، ٢٠١١.
* علي احمد عباس، الصياغة التشريعية وأثرها في تطبيق القانون ، بحث منشور في مجلة دراسات قانونية ، تصدر عن قسم الدراسات القانونية في بيت الحكمة ، العدد ٢١ ، السنة ٦ ، ٢٠٠٧م.
* علي ال غراش ، منهج الإمام علي في بناء المجتمع ، مقال متاح على شبكة النبأ المعلوماتة ، ٢٠١٨ ، https: //annabaa
* غيلاس أمينة، محي الدين عواطف، الصياغة التشريعية الجيِّدة للقاعدة القانونية والامن القانوني ، بحث منشور في مجلة الحقوق والحريات، المجلد ١٠ ، العدد ٢ ، الجزائلر ، ٢٠٢٢م.
* ليث كمال نصراوين، متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني ، بحث منشور في وقائع المؤتمر السنوي الرابع/ "القانون .. أداة للإصلاح والتطوير" كلية الحقوق ، الجامعة الأردنية ، العدد ٢ ، الجزء الأول ، مايو ٢٠١٧م.
* محسن باقر محمد صالح ، خصائص الإدارة عند الإمام علي بن ابي طالب ﷺ، بحث منشور في مجلة أهل البيت ﷺ ، العدد ١، كلية القانون، جامعة أهل البيت ﷺ ،كربلاء ، ٢٠٢١.

ثالثًا- القوانين

* دستور العراق لعام ٢٠٠٥ النافذ.
* قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م المعدل.
* قانون الرعاية الاجتماعية في العراق رقم (١١) لسنة ٢٠١٤ م.

فكر الإمام علي عليه السلام في محاربة فقر المجتمع

د. نور سمير يونس محمد الحيالي

جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

ملخص البحث

ومازال الفقر يشكل الهاجس الأكبر للبشرية جمعاء، وذلك بالرغم من التطورات التي حدثت في العصور المتأخرة، ومن ضمنها التطورات العلمية والتكنالوجية. والمطلِّع على تقارير الامم المتحدة حول نسب الفقر في العالم يجد ارقاماً مخيفة لأعداد السكان، والدول التي تعاني من هذه الآفة الخطيرة، بل إنَّ اعداد من هم تحت خط الفقر لا تقل خطورة عن ذلك، فقد بلغت نسبة من هم تحت خط الفقر في العراق بمعدل ٣٥٪ حيث يحصلون على دخل يومي بنسبة خمسة دولار أو اقل، ومن ثَمَّ تشكل هذه النسبة تهديداً كبيراً لاقتصاد البلد ومحاولة بنائه، وهذا مذكور في تقرير برنامج الامم المتحدة الانمائي حول العراق، وهو منشور على الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة.

ولقد تفرد الإمام علي عليه السلام في حديثه عن الفقر، وتبيان سبل مكافحته بمنهج متكامل، وسوف نتناولُ في هذا البحث: أسباب الفقر والحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر في فكر الإمام علي عليه السلام. وأيضاً: فكر الإمام علي عليه السلام في التوزيع والتوازن الاقتصادي لضمان العدالة بين أبناء المجتمع.

Abstract

Poverty is still the greatest concern for all of humanity, despite the developments that have occurred in recent times, including scientific and technological developments. Anyone who looks at United Nations reports on poverty rates in the world will find frightening numbers of population and countries that suffer from this dangerous scourge. Indeed, the number of those below the poverty line is no less dangerous than that, as the percentage of those below the poverty line in Iraq has reached an average of 35. % as they receive a daily income of five dollars or less, and therefore this percentage poses a major threat to the country's economy and the attempt to build it which is manifestly remarked in the report of the United Nations Development program on Iraq as published on the official website of the United Nations. Imam Ali, peace be upon him, was unique in speaking about poverty and showing ways to combat it with an integrated approach. In this research, we will discuss: the causes of poverty and strategic solutions .

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على حضرة الجوهر المكنون، والسِّر المصون، الهادي بالرحمة، نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آله عليهم السلام ومن سار ...الخ ومن سار على دربه واقتدى به واقتفى أثره إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنَّ ظاهرة الفقر تُعدّ مشكلة من مشكلات المجتمع، وآفة من الآفات التي انتشرت في مجتمعاتنا اليوم، فلا بُدَّ من مكافحته ومحاربته، فهو يؤدي إلى خلخلة قيم المجتمع وسلوكيات أفراده وعدم انضباطهم؛ لأنَّ هذه العلة تؤدي إلى انتشار السرقة والجهل والأمية والانحراف الأخلاقي.

ومن أبرز الشخصيات التي حاربت الفقر ووضعت استراتيجيات لمكافحته هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فمن خلال قراءة سياسته وفكره في إدارة دولته، فإننا نجدها في عهده قد شهدت تغيرات اقتصادية حسَّنت من الواقع المعاشي للناس، فبعد أن كان الناس في العصور التي سبقته عليه السلام يعانون من مشاكل مادية واقتصادية حادة، بدأ عليه السلام بالتوزيع العادل بين فئات المجتمع، وقد أقرَّ عدداً من القوانين والأنظمة لإعادة الهيكلية الاقتصادية للأمة؛ لمحاربة الفقر والقضاء عليه، وهذا ما سنوضحه في هذا البحث الذي تناول: فكر الإمام علي عليه السلام في محاربة فقر المجتمع.

أولاً: أهمية البحث:

١- إنَّ ما حققه الإمام علي عليه السلام من نتائج الاصلاحات المالية والاقتصادية في مدة وجيزة، بالرغم من الصعوبات التي واجهها، تجعلنا نبحث في فكره وسياسته لتطبيقها على مجتمعاتنا اليوم.

٢-وللبحث أهمية من خلال ما آل إليه بلدنا الحبيب من مشكلات اجتماعية كثيرة ادت إلى تفاقم مشكلة الفقر، ولا سيما في المدن التي عانت من آثار الحرب.

٣-إنَّ متطلبات المعيشة المعقدة اليوم في المدن ومع العوز المادي وقلة العمل يؤدي إلى مشكلات اجتماعية وآثار نفسية.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

١- حب آل البيت دفعني للكتابة في هذا الموضوع.

٢-الرغبة في إيجاد حل لمشكلة الفقر التي تؤدي إلى هدم كيان المجتمع.

٣- عمل دراسة لمكافحة آفة من آفات المجتمع، والاستفادة من تجربة السابقين، وخير قدوة في هذا الأمر هو الإمام علي عليه السلام.

ثالثاً: مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

١- هل يمكن تطبيق الحلول الاستراتيجية التي اتخذها الإمام علي عليه السلام على مجتمعنا اليوم؟

٢- ما النتائج المترتبة على تطبيق نظام التوزيع والتوازن الاقتصادي؟

رابعاً: منهجية البحث:

اعتمدتُ في بحثي على المنهج الوصفي التحليلي في توصيف مشكلات الفقر، ثم تحليلها والكشف عن استراتيجيات مكافحة الفقر؛ لتطبيقها على المجتمع.

وهناك بعض الأمور المنهجية التي اتبعتها خلال كتابة البحث:

١- لم اترجم لأي علم ورد في البحث؛ خشية الإطالة والخروج عن صلب الموضوع.

٢-عند ذكر الكتاب في الهامش، اكتفيتُ بذكر اسم الكتاب والجزء -إن وجد- والصفحة، أمَّا بطاقة الكتاب فذكرتها كاملة في صفحة ثبت المصادر والمراجع.

٣- خرجتُ الأحاديث من مظانّها، ولم أحكم عليها.

خامساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث ومادته العلمية إلى أن يُقسم إلى: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: أهمية البحث، وأسباب اختيار البحث، ومشكلة البحث، ومنهجيته وخطته.

واشتمل التمهيد على مبحثين: تناول المبحث الأول مفهوم الفكر والفقر لغةً واصطلاحاً، وتناول المبحث الثاني سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وجاء المبحث الأول ليبين أسباب الفقر، والحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر في فكر الإمام علي عليه السلام.

أمَّا المبحث الثاني فقد اشتمل على بيان فكر الإمام علي عليه السلام في التوزيع والتوازن الاقتصادي.

وأخيراً الخاتمة التي ذكرتُ فيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بمفردات العنوان، وسيرة الإمام علي عليه السلام

المبحث الأول: مفهوم الفكر والفقر

قبل البدء بالحديث عن فكر الإمام علي عليه السلام في محاربة فقر المجتمع، لا بُدَّ لنا أن نُبين بعض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية، وهي المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفكر، والمفهوم اللغوي والاصطلاحي للفقر، وذلك في مطلبين.

المطلب الأول: مفهوم الفكر لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الفكر لغةً:

قال ابن فارس: (الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبراً. ورجل فكير: كثير الفكر)[1].

وجاء في لسان العرب: الفَكرُ والفِكرُ: هو إعمال الخاطر في الشيء، جمعه أفكار. التفكر التأمل[٢].

والْفَكْرُ بالفتح مصدر فكرت في الأمر، تأملته، الفكر بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر، أي: نظر وروية. وفكَّر الشخصُ: مارس نشاطه الذِّهني، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً[٣].

من خلال ما سبق تبين أنَّ التعريف اللغوي للفكر يدور حول: تردد القلب في الشيء، والتفكر فيه، واعمال العقل.

ثانياً: الفِكرُ اصطلاحًا:

يرى الغزالي أنَّ الفكر هو: (إحضار معرفتين في القلب ليستثمر فيهما معرفة ثالثة)[٤].

بينما يرى الرازي أنَّ الفكر جاء بمعنى التأمل؛ ليدل على معنى الفكر[٥].

ويمكن تعريف الفكر بأنَّه: (ظاهرة تاريخية واجتماعية، نمت بالعمل البشري والممارسة الاجتماعية، وتطورت خلال المراحل المختلفة في تاريخ التطور الإنساني، وليست اللغة إلَّا التعبير الاجتماعي الخارجي لعمليات الفكر الداخلية)[٦].

والفكر أيضاً هو نتيجة عملية التفكر والتفكير التي يقوم بها الإنسان، وتتمثل هذه النتيجة في خواطر وآراء وتصورات ومعتقدات، يتم على أساسها اتخاذ قرار، أو تبني موقف، أو ممارسة سلوك، وإنَّنا نجد أنَّ التفكُّر مصطلح قرآني ويعني درجة عالية من الوعي، والمتابعة، والمعاودة[٧]، وهذا ما ذكره ابن عاشور في تفسيره بقوله: (والتفكر: تكلف الفكرة، وهو معالجة الفكر ومعاودة التدبر في دلالة الأدلة على الحقائق)[٨].

أمَّا التفكير فهو: (اكتشاف المجهولات من طريق المعلومات، والمفكر مكتشف ما دام مفكراً)[٩].

المطلب الثاني: مفهوم الفقر لغة واصطلاحاً.

أولاً: الفقر لغةً:

قال ابن فارس: (الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء، من عضو أو غير ذلك ... منه اشتق اسم الفقير، وكأنَّه مكسور فقار الظهر، من ذلته ومسكنته)[١٠].

وفي لسان العرب: الفقر ضد الغنى، وهو الحاجة، والفقير الذي لا شيء له، كأنَّ الفقير إنَّما سمي فقيراً؛ لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة، تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه[١١].

فيدور معنى الفقر في اللغة حول: الحاجة، والعوز، فالفقير هو المحتاج.

ثانياً: الفقر اصطلاحاً:

للفقر في اصطلاح الاقتصاديين له عدَّة معان منها:

الفقر: هو العجز عن إشباع الحاجات الأساسيَّة أو الضَّروريَّة.

وقيل: هو انعدام الرَّفاهية، أو انخفاض مستوى المعيشة.

وقيل: هو انعدام الحيلة، وانعدام القدرة على التَّعبير، ممَّا يحدّ من قدرة الفقير على الاختيار، والاستفادة من الفرص.

أمَّا الفقير: فهو مَن لا يمتلك شيئًا، والشُّعوب الفقيرة هي الشُّعوب الَّتي يكون أغلب مواطنيها من المعدومين[١٢].

المبحث الثاني: سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام

المطلب الأول: اسمه ولقبه واسلامه واستشهاده عليه السلام.

أولاً: اسمه ونسبه عليه السلام:

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي[١٣]. فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله[١٤].

ثانياً: لقبه وكناه عليه السلام:

١- **ألقابه:** لقب أمير المؤمنين علياً عليه السلام بالعديد من الألقاب التي تُشير إلى بعض محاسن صفاته، وهي: الصدِّيق، والوصيِّ، والفاروق، ويعسوب الدين، والوليّ، وأمير المؤمنين، والأمين، والهادي، والأذن الواعية، والمرتضى، والشريف، وخير البشر، وبيضة البلد، وسيد العرب، وحجة الله[١٥].

٢- **كُناه:** أبو الريحانتين، أبو السبطين، أبو الحسن، أبو الحسين، أبو تراب[١٦].

ثالثاً: إسلامه عليه السلام:

كان أمير المؤمنين عليه السلام أول الصغار إسلاماً، فقد جاء بعد إسلام خديجة "رضي الله عنها" وهي تصلي مع النبي صلى الله عليه وآله (فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم. فمكث علي تلك الليلة، ثم إنَّ الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليَّ يا محمد؟

فقال له رسول الله ﷺ: تشهد أنَّ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد. ففعل علي وأسلم)[١٧].

رابعاً: وفاته عليه السلام:

أُغتيل علي بن أبي طالب عليه السلام على يد أحد الخوارج، يُدعى عبد الرحمن بن ملجم في الواحد والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ، في المسجد الكبير بالكوفة في العراق، كان يبلغ من العمر ٦٢ أو ٦٣ عاماً، توفي متأثراً بجراحه بعد يومين من إصابة ابن ملجم على رأسه بسيف مطلي بالسموم[١٨].

وعند وفاته عليه السلام قال: (إني مفارقكم، فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ماذا أرى لما بكيت، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنبيون، وهذا محمد ﷺ يقول: يا علي، أبشر، فما تصير إليه خير مما أنت فيه)[١٩].

المطلب الثاني: اختيار الإمام علي عليه السلام معلماً ومرشداً لمحاربة الفقر.

لقد كانت كلمات وحِكَم وممارسات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الاقتصادية هي المرجع الأساس للتعرف على الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر، فالسبب في اختياره عليه السلام لهذا الأمر هو مجموعة من العوامل، منها:

١- لأنَّه عليه السلام الأعرف بعد النبي محمد ﷺ بمنهج السماء، لقوله ﷺ: " أعلمكم علي "[٢٠].

٢- لأنه عليه السلام خلَّف لنا في أحاديثه وكلماته وخطبه خاصة عهده لمالك الأشتر، خطوطاً عريضة ترسم استراتيجية واضحة المعالم؛ لمكافحة الفقر على مدى التاريخ[٢١].

٣- ولأنَّه عليه السلام عاش معاناة الفقر في حياته اليومية، فقد ولد في بيئة فقيرة، وذاق فيها طعم الفقر، فأحس بعمق مأساة الفقراء.

٤- لتميزه عليه السلام بتجربة كبيرة وخبرة واسعة في التعامل مع هذه المشكلة، فقد عاشر النبي ﷺ حقبة الفقر الشديد، ثم حقبة الثروات الطائلة التي انهالت

على رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد رأى عليه السلام وتعلم من النبي محمد صلى الله عليه وآله كيف يتعامل مع الفقر؟ وكيف يتعامل مع الغنى؟ وكيف يوظف كل ذلك لوضع خطة متكاملة من كل الجوانب لمكافحة الفقر(٢٢).

٥-تألقه عليه السلام نظرياً وعملياً عندما أضحى حاكماً على الدولة الإسلامية التي لم تكن تغرب عنها الشمس آنذاك، فقدم نظرية اقتصادية متكاملة ثم طبقها على الواقع، فتحولت البلاد إلى جنة لا يُرى فيها فقير واحد، وذلك في أقل من خمس سنوات، حتى أنه عليه السلام قال: (ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع)(٢٣).

٦-تميزه عليه السلام بمثابرة استثنائية وبإرادة جبارة لتقديم الحلول النموذجية المقابلة للفقر، وذلك من خلال استصلاح الأراضي الشاسعة خارج المدينة، وقد ثقف الناس على العمل والانتاج بدلاً من انتظار مساعدة الآخرين.

٧- تحمله عليه السلام معاناة استمرت حقبة طويلة، وتحولت إلى ممارسات عملية ميدانية لمكافحة الفقر. فعندما تزوج الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عاش حياة الفقراء، حتى أنه كان أحيانا يرهن درعه عليه السلام ليقترض ثلاثة أصواع من الشعير لقوت يومه، وقد عمل عليه السلام وكدَّ وكدح في التجارة والزراعة، ثم عندما انهالت عليه الثروة، بقي حاملاً منهجه المتكامل والمتميز في مكافحة الفقر الذي كان من بنوده (الضمان الاجتماعي) و (التكافل الاجتماعي) وغيرها كثير، فكان قد وظَّف كل ثرواته لمكافحة الفقر(٢٤).

المبحث الأول: أسباب الفقر، والحلول الاستراتيجية

لمكافحة الفقر في فكر الإمام علي عليه السلام

هناك الكثير من الأسباب التي تزيد من نسبة الفقر في المجتمعات بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذه الأسباب تتغير أو تزيد بحسب تغير الزمن،

ففي وقتنا الحالي مثلاً ظهرت الكثير من الأسباب التي ادت إلى زيادة نسبة الفقر في المجتمع العراقي، كارتفاع اسعار الدولار الأمريكي، وظاهرة الغلاء وارتفاع أسعار السلع.

أمَّا الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر فهي على نوعين: حلول مانعة وحلول دافعة. وسنتناول ذلك في هذا المبحث الذي اقتضى أن يُقسم على مطلبين.

المطلب الأول: أسباب الفقر.

١ - الهجرة الطائفية:

إنَّ ما حصل في العراق منذ ٢٠٠٣ إلى آخر الأحداث التي مرَّ بها العراق في شتى المناطق، قد أدى إلى زيادة الفقر في المجتمع، فالتهجير القسري الذي تعرض له الأفراد، تسبب بمعاناة قاسية وكبيرة لتلك العوائل العراقية، وذلك لأنهم تركوا ممتلكاتهم واموالهم ومساكنهم وفرُّوا بأنفسهم وأهليهم، وسكنوا الخيام في أطراف المدن وافتقروا لجميع لوازم الحياة والخدمات.

٢-كثرة الموظفين:

هذا السبب من المشاكل الشائعة في الدول التي يسيطر عليها الاقتصاد الحكومي المغلق، فالإسلام يرى أنَّ ظاهرة أعداد الموظفين في دوائر الدولة ومؤسساتها، تمثل عبئاً على الفقراء؛ وذلك لأن الموظف يستهلك بدون انتاج، بينما الفقير يجهد نفسه لينتج، لكنه بالكاد يتمكن من الاستهلاك والحصول على احتياجاته.

فالنبي محمد ﷺ بعد فتح مكة اكتفى بتنصيب حاكمٍ واحدٍ على مكة. ولقد قام الإمام علي عليه السلام بأمر مدهش في مجال القضاء على تضخم الموظفين، فقد قام بتخطيط استراتيجي شامل ومتكامل، استطاع بذلك ان يحكم العدل في الكوفة ذات الأربعة ملايين نسمة، بقاضٍ واحد[٢٥].

٣-الفساد الإداري والمالي:

قال الإمام علي عليه السلام: (إنَّما هلك من كان قبلكم أنَّهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه)[٢٦].

ولا ينبغي أن يكون الوالي على المسلمين مرتشياً، قال عليه السلام: لا ينبغي أن يكون ... المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع[٢٧].

لقد بات الفساد الإداري والمالي يزعزع كيان الدولة من جميع النواحي، سواء كانت الناحية السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، وهذا الأمر أدى إلى انتشار الفقر في المجتمع؛ بسبب تكدس الأموال بأيدي فئة قليلة من الأفراد، وحرمان افراد المجتمع من امور العيش الأساسية: البنى التحتية، والماء، والكهرباء، والمشتقات النفطية، وهذا اثقل كاهل المواطن الذي بات مضطراً إلى شراء هذه المستلزمات بأسعار باهضة.

٤- تصنيع وشراء الأسلحة والحروب:

إنَّ استهلال الأسلحة والسباق إلى التسلح يستهلك سنوياً مئات المليارات من الدولارات، وقد أعدَّ معهد ابحاث السلام تقريراً يذكر فيه: أنَّ النفقات العسكرية العالمية في العام ٢٠٠٤ تجاوزت الألف مليار دولار. أمَّا في العام ٢٠٠٦ فقد قاربت الفين وثمانمائة ملياراً، أي تريليونين وثمانمائة مليار دولار. فلو تم انفاق هذه الأموال على توفير الحاجات الأساسية للناس، لسدَّ ثغرة من ثغرات الفقر.

ونحن عندما ذكرنا بأن تصنيع وشراء الأسلحة من اسباب الفقر، هذا لأنَّها تثقل كاهل الناس، إذ توفرها الحكومة من الضرائب مما يشكل عبئاً إضافياً على الفقراء، أو أنَّها تستقطعها من وارد الدولة ومن الثروات الطبيعية كالنفط، وهذا يعني سرقة اموال الناس تحت شعار تعزيز القوة العسكرية، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية تجد هذه الاسلحة وبسهولة طريقها نحو

الصراعات الداخلية والحروب، ومن ثَمَّ تسويق تلك الاسلحة، ثم العمل على ديمومة هذه الحروب، والحرب هي أهم أسباب فقر الشعوب[٢٨].

٥-احتكار البضائع:

فمن الأسباب التي تؤدي إلى فقر المجتمع هو السيطرة وحبس الطعام أو كل ما يعسر عليهم وقت الحاجة، ويبقى إلى أن يرتفع سعر البضاعة ويعرضها للبيع بسعر أعلى، وهذا الأمر منهي عنه في الإسلام، حتى أنَّ النبي ﷺ لعن المحتكر، إذ قال ﷺ: " الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون"[٢٩].

وقال الإمام علي عليه السلام في عهده للأشتر: (فامنع من الاحتكار، فإنَّ رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع)[٣٠].

٦-أخذ الربا من الأفراد:

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[٣١].

وقال الإمام علي عليه السلام: (يا معشر التجار، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر. والله لَلربا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا)[٣٢].

فالربا تنشر آفة الفقر من حالات كثيرة ومنها:

أ-إمَّا أن يكون المقترض به حاجة ماسة للقرض، كعملية جراحية أو علاج مستعجل، أو لتسديد دين أو دفع ضريبة أو غرامة، أو غير ذلك. وصاحب هذه الحالة عادة ما يكون من ذوي الدخل المحدود، وإلَّا لما اضطر للاقتراض، فأخذ الربا منه يحوله من الطبقة المتوسطة إلى الطبقة الفقيرة، حتى ولو كانت نسبة الربا قليلة فالضغوط ستكون شديدة عليه، وستزيد من حالة فقره.

ب- أن يقترض لمشروع عمل، أو لتوسيع تجارته: وأخذ الربا من هذا المستثمر يؤدي إلى تشديد الضغط على الفقراء، فمن أجل تعويض نسبة الربا المفروضة

عليه، يضطر إمَّا لزيادة قيمة منتجاته، أو تقليل أجور العمال، وفي كلتا الحالتين فإنَّه ينعكس سلباً على الفقراء(٣٣).

وقد سأل هشام بن الحكم أبا عبدالله عليه السلام عن علة تحريم الربا ؟ فقال: (إنَّه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه، فحرم الله الربا لتنفر الناس من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات من البيع والشراء، فيبقى ذلك بينهم في القرض)(٣٤).

٧- الإسراف والتبذير:

يعد زيادة الإنفاق الاستهلاكي عن الحد من أهم أسباب الفقر، فهو يؤدي إلى انخفاض الادخار، ولقد حرَّم الإسلام الاسراف، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٣٥). ثُمَّ بينَّ القرآن الكريم النتيجة التي تلحق الإسراف، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٣٦).

وقال صلى الله عليه وآله: " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف، أو مخيلة"(٣٧).

وقال الإمام علي عليه السلام: (التبذير عنوان الفاقة)(٣٨).

وقال أيضاً: (كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً)(٣٩).

وبنظرة سريعة في مجتمعنا نرى الكثير من الاسراف والتبذير في أمور ليست من ضروريات العيش، ومن ثَمَّ فإنَّ هذا يؤدي إلى زيادة الاستهلاك الترفي الذي حرَّمه الإسلام، فعندما يزيد الإنفاق لحد الإسراف والتبذير فإنَّ الادخار والاستثمار ينخفض، وتظهر النتائج السلبية على المجتمع، فتزيد البطالة، وينخفض النمو الاقتصادي، ويقل الدخل الحقيقي، وينخفض المستوى المعيشي.

٨-التطفيف والغش:

لقد حرَّم الله تعالى التطفيف وتحدث عنه في القرآن الكريم في سورة

كاملة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[٤٠]. وقال تعالى: ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[٤١].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الغش ومن النقص في الموازين ومن التدليس في البيع والشراء: فعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلَّا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم)[٤٢].

وذكر الإمام الصادق عليه السلام: (ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المسترسل فإنَّ غبنه لا يحل، ولا ترضى للناس إلَّا ما ترضى لنفسك، وأعط الحق وخذه، ولا تخن ولا تخف ولا تحزن فإنَّ التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة)[٤٣].

إنَّ عدم غبن البسطاء وعدم كتمان العيب، له أثر مباشر في تخفيف الضغط على الفقراء، كما له أثر غير مباشر من حيث إشاعته الثقة بين الناس، ويدفع الجميع نحو الاتقان في الإنتاج بدل الغبن والتطفيف، وهذا يحسن الجودة فتطول أعمار المنتجات فيقل الضغط على الفقراء لعدم اضطرارهم لشراء البضاعة من جديد بعد مدة قليلة نظراً لخرابها أو تعطيلها أو ما شابه ذلك[٤٤].

والآن في زماننا يدخل في باب التطفيف الموظف الذي يذهب صباحاً لعمله، ثُمَّ يوقع في قائمة الحضور، وبعدها ينصرف ويأتي آخر الدوام الرسمي فيوقع انصرافًا، كذلك الموظف الذي يغش في عمله وينقل أسرار شركته التي يعمل فيها لمؤسسة أو شركة أخرى للإضرار بها، ثم في آخر الشهر يريد أن يأخذ راتبه كاملاً مكملاً هو في الحقيقة أيضًا من المطففين.

٩- فرض الضرائب على الاستهلاك:

لقد وضع الإسلام فرض الضرائب على الفائض من الأرباح، بينما اليوم فقد وقعت حكومات العالم بخطأ فادح، إذ وضعوا الضرائب على الاستهلاك، وهذا أدى إلى ضغط على الفقراء بشدة، وزادتهم فقراً إلى فقرهم.

الآن الدول الغربية وضعت الضرائب على كل بضاعة، إذ إن كل ما يشترى من السوبر ماركت أو السوق فإنَّ ضريبته معه، مما يشكل أكبر العبء على الفقراء.

أمَّا ضرائب الإسلام، فلا تؤخذ إلَّا إذا فاض شيء عن احتياجات الشخص، من مأكل أو ملبس أو مركب أو مسكن أو غير ذلك، فيؤخذ منه الخُمس بعد مرور سنة كاملة أو على بدء الاستثمار والتجارة، وهذا بعد استثناء كافة المؤن والنفقات[٤٥].

وفي حديث أمير المؤمنين ﷺ مع مالك بن الأشتر نص قانوني إنساني يوضح فيه المرونة في اخذ الضرائب، إذ قال ﷺ: (فإن شكُّوا - أي أهل الخراج الذين تأخذ منهم الضريبة- ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غَرَق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به، فإنَّ العمران محتمل ما حملته، وإنَّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنَّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر)[٤٦].

١٠-تكليف ميزانية الدولة بما لا فائدة منه:

بات المسؤول في الدولة العراقية الآن يثقل كاهل ميزانية الدولة، وذلك من

ناحية الرواتب الضخمة التي يأخذها المسؤول شهرياً، ولم يقف الأمر عن هذا الحد بل تعداها إلى رواتب الحماية الشخصية وإلى مبالغ الايفادات الضخمة، بينما يعاني الموظف البسيط كموظف البلدية أو المعلم مثلاً من قلة الرواتب وعدم كفايتها لسد حاجة عائلته.

وقد احتج أبو ذر الغفاري تلميذ الإمام علي عليه السلام على معاوية عندما بنى لنفسه قصراً بأربعة ملايين دينار ذهبي، فقال له: إن كنت بنيت قصرك هذا بأموال الله فقد اجترحت إثماً وارتكبت حراماً، وإن كنت بنيته بأموالك فقد أسرفت[٤٧].

المطلب الثاني: الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر في فكر الإمام علي عليه السلام

هناك نوعان من الحلول الاستراتيجية لمكافحة الفقر، وهي:

١-الحلول المانعة: وهي التي تحول دون تولد الفقر، وهذا النوع يرتبط بالأرضية التي تعد حاضنة لمشكلة الفقر.

٢-الحلول الدافعة: وهذا النوع من الحلول يعالج الفقر بعد حدوثه[٤٨]. ومن هذه الحلول:

أولاً: ترشيد النفقات:

لو عُدنا إلى سيرة الإمام علي عليه السلام والنظر في إدارته وتسيير شؤون الدولة، لوجدنا عشرات الأمثلة التي تبين ترشيد الإنفاق في حكومته عليه السلام وهذا من أهم أُسس سلامة الاقتصاد وطرق القضاء على الفقر. ومن الأمثلة التي تعكس دقة الإمام علي عليه السلام في وضع قوانين لترشيد الانفاق:

١- أصدر الإمام علي عليه السلام قراراً عاماً للعاملين، بأن يقاربوا بين السطور عند الكتابة، إذ قال عليه السلام: (أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم)[٤٩]. وكان عليه السلام أول المباشرين بهذا القرار.

٢- قيامه عليه السلام بإطفاء السراج، عندما جاءه شخص ليتحدث في أمر شخصي، وذلك لأنَّ السراج كان من أموال بيت المال، فأمر بسراج من بيته، وعندما سُئل عن سبب ذلك، قال عليه السلام: (كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه)[٥٠].

٣- حتى الوقت كانت له قيمة عن الإمام علي عليه السلام، إذ كان يُقر على أصحابه بعدم الاسراف في وقت الحاكم ووقت العاملين والموظفين، فقال عليه السلام: (واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار؛ فإنَّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار)[٥١].

فاليوم في دولتنا العراق مثلاً، هناك الكثير والكثير من النفقات الطائلة التي تُثقل كاهل ميزانية الدولة بما لا فائدة منه، والتي لو صُرفت على تنشيط اقتصاد البلد؛ لرفعت العوز والحاجة عنهم، وللأسف اقتصر ترشيد دولتنا على تقليص الخدمات على المواطن في كافة المجالات، سواء أكان مجال التعليم أم الصحة أم الكهرباء أم وسائل النقل والاتصالات، وهذا كله يفرض على الفرد واسرته تكاليف إضافية في ميزانيته.

ثانياً: الاهتمام بالبنى التحتية، وإعطاؤها الأولوية بالتنمية والاستثمار:

أعطى الإمام علي عليه السلام الأولوية المطلقة للإنتاج وإعمار البلاد وتنميتها بدل الضرائب، ويتمثل ذلك في وصيته عليه السلام لمالك الأشتر، إذ قال له عليه السلام: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنَّ ذلك لا يدرك إلَّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلَّا قليلاً)[٥٢]. والتعليل الذي ذكره عليه السلام يدل على النظرة الاقتصادية الثاقبة والرؤية الاستراتيجية الشاملة.

ثالثاً: الضمان الاجتماعي:

انحسر الفقر في الدولة الإسلامية التي حكمها أمير المؤمنين عليه السلام وهذا يشمل المسلمين وغير المسلمين، فقد استنكر الإمام علي عليه السلام وغضب على رجل نصراني قد شاخ واصبح غير قادر على العمل، فأمر بأن يكون له راتب من بيت مال المسلمين، لكيلا يكون في البلاد الإسلامية مظهر واحد من مظاهر الجوع والفقر.

عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام قال: مرَّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال)[٥٣].

فالضمان الاجتماعي يُعدّ من القوانين التي أقرها الإمام علي عليه السلام إذ قال في عهده لمالك بن الأشتر: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإنَّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإنَّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنَّك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همَّك عنهم، ولا تصعِّر خدك لهم)[٥٤].

رابعاً: التكافل الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[٥٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[٥٦]. ""

وقال النبي محمَّد صلى الله عليه وآله: " ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به "[٥٧].

وقال صلى الله عليه وآله: " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(٥٨).

وغير ذلك من النصوص والأحكام التي تبين أنَّ الإسلام اهتم ببناء المجتمع وتكافله، وقد أرسى الإمام علي عليه السلام دعائم التكافل بين أبناء المجتمع، فأقر تكفل الأب بنفقات ابناءه ما داموا بحاجة، وأقر تكفل الابن بنفقات أبيه وأمه مادامت بهما حاجة، وأقر أيضاً قانون تكفل الزوج بنفقات زوجته، كل ذلك محاربة للفقر وحصره

من كافة أطرافه، وهو ما طبقه الإمام علي عليه السلام في إدارته لدولته الإسلامية(٥٩).

خامساً: تقرير مبدأ المحاسبة والمساءلة:

لحفظ الدولة من داء التملك على المنصب، أو من إهمال الحاكم وعدم متابعته شؤون الدولة، فقد كرَّس الإمام علي عليه السلام مبدأ الشفافية والمحاسبة والمساءلة، وفتح أيضاً الباب للناس لعزل الحاكم إن خرج عن النهج السياسي السليم أو النهج الاقتصادي الذي يعطي الناس حقوقهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإنَّ تعاهدك في السِّر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإنَّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة)(٦٠).

وفي ما يتعلق بالمراقبة عن بُعد، فإنَّ هذا يعد من أهم الفروق بين الإسلام وبين الأنظمة المستبدة، ففي الإسلام وعلى ضوء منهج الإمام علي عليه السلام فإن العيون الجاسوسة تكون على الحكام والمدراء ومسؤولي الدولة

والاقتصاد لمصلحة الناس. أمَّا في الأنظمة المستبدة فعلى العكس تماماً، فالعيون الجاسوسة توضع على الناس لمصلحة الحكام والولاة والمسؤولين[٦١].

سادساً: توازن التخطيط الاقتصادي بين الريف والحضر:

إنَّ العناية بالريف سبب أساسي في الحفاظ على اقتصاد متطور وسليم، وقد كان الإمام علي عليه السلام أول من دعا لإيجاد التوازن الاقتصادي بين الأرياف والقرى وبين المدن، فقال عليه السلام في عهده لمالك بن الأشتر: (فإنَّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيتُ حقه)[٦٢]. أي أنَّ الحقوق الاقتصادية التي لأهل الريف والبادية، هي تماماً مماثلة للحقوق التي لأهل المدن، ولا يجوز للحاكم أن يفرط بأي منهما، وهو مسؤول عن كلا الحقين.

والآن في زماننا نرى أنَّ الدولة اهتمت بالمدن وتركت القرى والأرياف، مع العلم بأنَّ من أهم أسباب اختلال التوازن الاقتصادي وشيوع الفقر هو عدم الموازنة بين الريف والحضر، والسبب في ذلك هو النتيجة التي تترتب على عدم التوازن، وهي نزوح الكفاءات والخبرات من الأرياف إلى المدن، وذلك لوجود فرص عمل أكثر، ووجود الرفاهية ووسائل الراحة وكافة المغريات، وذلك يؤدي إلى ضعف الانتاج الزراعي وزيادة الفقر في الريف، وتخلف الأرياف علمياً وثقافياً أيضاً، مما ينعكس بدوره على الاقتصاد[٦٣].

سابعاً: محاربة كافة أسباب الفقر:

لا بُدَّ من محاربة كل أسباب الفقر التي تحدثنا عنها في المطلب السابق، وهي: الهجرة الطائفية، وكثرة الموظفين، والفساد الإداري والمالي، وتصنيع وشراء الأسلحة والحروب، واحتكار البضائع، وأخذ الربا من الأفراد، والاسراف والتبذير، والتطفيف والغش، وفرض الضرائب على الاستهلاك، وتكليف ميزانية الدولة بما لا فائدة منه.

المبحث الثاني: فكر الإمام علي ﷺ في التوزيع والتوازن الاقتصادي

وقبل البدء بالحديث عن فكر الإمام علي ﷺ في التوزيع والتوازن الاقتصادي، لا بُدَّ أن نوضح بصورة موجزة مفهوم كل من التوزيع والتوازن الاقتصادي، أمَّا مفهوم التوزيع: فهو سياسات محددة، وإقرار أنظمة؛ لإعادة تقسيم الثروات والدخل المالي بين أفراد المجتمع؛ وذلك لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي، فإعادة التوزيع في الإسلام، قد تكون نتيجة سياسات اجتماعية ومالية تتخذها الدولة(٦٤).

وأمَّا مفهوم التوازن الاقتصادي، فالمراد منه التوازن بين الناس في المستوى المعيشي، فلا يتمتع جيل بالثروات والأموال على حساب جيل آخر(٦٥). وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث الذي اقتضى أن يُقسم إلى مطلبين.

المطلب الأول: فكر الإمام علي ﷺ في ضمان عدالة التوزيع الاقتصادي.

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يُشير إلى العدالة في التوزيع الاقتصادي بين الناس، وقد انتهج الإمام علي ﷺ منهجاً متكاملاً وخططاً لتحقيق هذا التوزيع العادل، ومن ذلك:

أولاً: تقليل التفاوت المادي بين الناس:

لتقليل التفاوت المادي بين الناس، خصَّ الإمام علي ﷺ الفقراء والمحتاجين وغير القادرين على العمل بالنفقة من بيت المال، ورغَّب الناس بمساعدتهم، وعدم خزن الأموال، قال ﷺ: (هلك خزان الأموال وهم أحياء)(٦٦). ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل عالج التفاوت المادي بين الناس بأمور أخرى، من ذلك:

١- **منع الثروات المتضخمة التي تنتج من الاحتكار**: فقد منع ﷺ الاحتكار الذي يُعد أحد أسباب الفقر، وأمر أن يكون البيع سمحاً فيه عدالة، وليس فيه مضرة لا على البائع ولا على المشتري، فقال: (وليكن البيع بيعاً

سمحاً بموازين عدل واسعاً، لا يجحف بالفريقين من البائع والمبتاع)[٦٧].

٢- **حق العمل**: حثَّ الإمام علي عليه السلام على العمل، الذي يكفل الأجر للعامل، فقال: (قد تُكُفِّل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل)[٦٨]. وقال عليه السلام: (الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور)[٦٩].

٣- **صلة الرحم بكفالة الأقارب**: بعد أن نهى عليه السلام عن الاحتكار؛ ليمنع تراكم الثروة بطرق غير مشروعة، وبعد أن حثَّ عليه السلام الأفراد على العمل للانتفاع بأجورهم، نجده يعمد إلى حلقة أخرى من حلقات تنظيمه للتفاوت في الدخل المادي، وهي الكفالة بين الاقارب، إذ يلزم الغني الانفاق على الأقارب وكفالتهم، فيقول: (عليك بصلة الرحم فإنَّها مكثرة في المال)[٧٠]. وقد أنكر على الذين لا يساعدون أقاربهم لا يصلون الرحم في حال حاجتهم، فيقول: (يأتي على الناس زمان ... يعدون الصدقة غرماً، وصلة الرحم مِنَّاً)[٧١]. وللأسف فنحن في زمان صارت الصدقة غرماً، وصلة الرحم مِنَّةً.

٤-**ثانياً: حَثَّ المسلمين على الصدقات:**

حثَّ الشرع على إخراج الصدقات، ورغَّب المسلمين على إخراجها بمضاعفة الثواب، فالله سبحانه وتعالى وعد المتصدقين والمتصدقات بمضاعفة الأجر والثواب، إذ قال: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٧٢]. ثم جاءت السنة النبوية تؤكد ذلك، فقد روي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: " إنَّ الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلَّا الطيب، وتعبد لها بيمينه، ثم يربيها كما يربي أحدكم مهره، حتى إنَّ اللقمة لتصير مثل أُحد"[٧٣].

وقد حَثَّ الإمام علي عليه السلام على الصدقة بقوله: (استنزلوا الرزق بالصدقة)[٧٤].

وقال عليه السلام: (إنَّ لله عباداً يختصهم الله بالنعم؛ لمنافع العباد، فيقرها في أيديهم ما بذلوها، فإذا ما منعوها نزعها الله منهم، ثم حولها إلى غيرهم)[٧٥].

وقد عدَّ الإمام علي ﷺ الصدقة من الأمور اللواتي هزلهنَّ جدّ، وذلك لحرصه ﷺ على جعل الصدقة تؤدي دوراً إيجابياً في توزيع الأموال، فيقول: (ثلاثة لا لعب فيهنَّ: النكاح، والطلاق، والصدقة)[٧٦].

ثالثاً: استخدام عدة طرق للتوزيع:

استخدم الإمام علي ﷺ عدة طرق للتوزيع التطوعي أو الإجباري؛ ليعطي للتوزيع الاستمرارية والمرونة، ومن هذه الطرق:

١- **المساواة في العطاء:** اشتهر الإمام علي ﷺ بمساواته في العطاء والتوزيع الاقتصادي، فقد كتب إلى عامله على المدينة: (أمَّا بعد، فقد بلغني أنَّ رجالاً ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، وعلموا أنَّ الناس عندنا في الحق أسوة ذهبوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسخطا)[٧٧]. ولَّما عُوتِب على المساواة في العطاء قال: (تأمروني أن أطلب النصر بالجور ... ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنَّما المال مال الله)[٧٨].

٢- **محاربة نشوء الاقطاع:** لقد بدأ الإمام علي ﷺ بمحاربة نشؤ الاقطاع، فمنذ مطلع خلافته في المدينة، قام باتباع سياسة المساواة في العطاء، فيُذكر أنَّه ﷺ صعد المنبر في اليوم الثاني من بيعته في المدينة، فقال: (أنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا وإن عندنا مالاً نقسمه بينكم ولا يتخلفنّ أحداً منكم عربي ولا أعجمي كان من أهل العطاء، أو لم يكن إلَّا حضر ولم يفضل أحداً على أحد)[٧٩]. ويقول الإمام ﷺ عن الاقطاعيين الذين ملكوا الأموال عند خلافته بسبب نظام الاقطاع: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددته، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[٨٠].

رابعاً: ضبط آلية التوزيع:

استخدم الإمام علي ﷺ وسائل وأساليب فنية منضبطة؛ لتحقيق التوزيع العادل بين الناس، ومن ذلك:

١-كان ﷺ يستخدم الميزان في توزيع الأنصبة بين الناس، ويتحرى الدقة في ذلك، فقد روي أنَّ رجلاً أهدى للإمام علي ﷺ هدية من ذهب وفضة، فلما رآها ﷺ قال: (ثكلتك أمك، لقد أردت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة، ثم جعل يزنها ويعطي كل عريف بحصته)[٨١]. وذُكر: (أنَّ علياً ﷺ أتى بمال فأقعد بين يديه الوزَّان والنَّقاد، فكَّوم كومة من ذهب وكومة من فضة، فقال: يا حمراء، ويا بيضاء احمري وابيضي وغرِّي غيري)[٨٢].

٢-كانت الأموال توضع عند الخازن قبل توزيعها على الناس، إذ كانت الارزاق تُخزن في مكان يقال له الجار[٨٣]، وقد استمرت ارزاق أهل المدينة في عهد الإمام علي ﷺ ترسل من مصر في البحر وتخزن في الجار إلى أن ظهرت الفتنة[٨٤].

٣-تعيين العرفاء، وهم المسؤولون عن توزيع الاموال والصدقات على مستحقيها، قال أبو عبد الله الزبيري: (كان العطاء يُدفع إلى العرفاء، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ أعطيتهم ويدفعها إليهم)[٨٥]. وكان العطاء يوزع مرة واحدة في السنة في خلافة أمير المؤمنين علي [٨٦]ﷺ. وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام، أنَّ علياً ﷺ كان: (يدعو العرفاء، فيعطيهم الذهب والفضة، فيقتسمونه)[٨٧].

المطلب الثاني: فكر الإمام علي ﷺ في حفظ التوازن الاقتصادي.

كان لأمير المؤمنين ﷺ سياسة في غاية الحكمة، فقد سعى إلى التوازن بين افراد المجتمع في المستوى المعيشي، فوضع وسائل لضبط استخدام المال عند انفاقه، فكما ذكرنا في المطلب السابق، أنَّه ﷺ حثَّ على التوزيع العادل للأموال، ومن هذه الوسائل:

أولاً: الموازنة بين الزراعة والصناعة والتجارة: فقد اهتم ﷺ بالقطاعات الاقتصادية الثلاثة، وهذا يظهر من خلال دعوته في عهده إلى الأشتر، وذلك بضرورة الاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة، فقال: (وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ... ثم استوصي بالتُّجار وذوي الصناعات، وأوصي بهم خيراً)[٨٨].

والغاية من اهتمامه ﷺ؛ لكي يضمن تحقيق نمو اقتصادي متوازن في المدى الطويل، وهذا نابع من الفهم الصحيح للأصول الاقتصادية في الإسلام، التي تقتضي بأنَّه إذا ما اهتم النّاس بحرفة معينة، وأهملوا الحرف الأخرى، بما يسبب الضرر للجماعة ككل، فللدولة الحق في التدخل، فإذا اهتم الناس بالتجارة مثلاً وأهملوا ما عداها من الحرف كالزراعة والصناعة، فإنَّ الدولة تستطيع أن تضع الأحكام التي من شأنها أن تضمن نمو وانتشار ثروات الناس بالتساوي بين الأنشطة الاقتصادية، الزراعة والتجارة والصناعة، بما يعود على الجماعة بالخير والفائدة[٨٩].

ثانياً: التوازن المالي: بمعنى إنفاق الأموال الشخصية بطريقة متوازنة؛ لأنَّ الأموال المشروعة والسلع هي فضل من الله تعالى، فيجب علينا أن نرعاها ولا نبذرها بالإهمال، فالشخص السفيه يجب منعه من تبذير مورد رزقه، وإدارة أمواله نيابة عنه، والإنفاق عليه من دخل امواله، أمَّا ما يتعلق بالبخل فهو يجعل بعض الناس يغلون أيديهم بدلاً من أن يخرجوا ثرواتهم من أجل منفعة وخدمة الآخرين، غير مدركين أنَّ غُلَّ اليد يزيد المرء فقراً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، لأنَّه يضع ثروته بعيداً عن الاستخدام المثمر والمفيد[٩٠]. ويحذرنا القرآن الكريم من سوء عاقبة هذا الأمر، فقال عزَّ وجل: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٩١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٩٢]. يقول أمير المؤمنين ﷺ: (أنفق غير مسرف ولا مقتر)[٩٣]. إذاً بهذه الطريقة، يمكن تحقيق التوازن الاقتصادي في إنفاق المال.

ثالثاً: إعادة التوزيع عند فقدان التوازن المالي: يتعين على ولي الأمر التدخل من وقت لآخر لإعادة توزيع الثروة عند فقدان التوازن المالي، وهو ما قام به أمير المؤمنين علي ﷺ عند توليه الخلافة، فقد عزل الأشعث بن قيس عن أذربيجان وارمينية، وكان عاملاً عليها في عهد عثمان وصادر ما اقتُطِع له هنالك من الأموال[٩٤]. وحين بدأت تظهر في شبه الجزيرة العربية وخارجها طبقة من كبار الأثرياء، صادر الأموال التي استأثر بها الأقلية من الناس، واتنزع الأموال التي كانت قد أُقطعت لجماعة من المسلمين، وقسَّم ما في بيت المال على الناس، ولم يفضل أحداً على أحد[٩٥].

رابعاً: استخدام الملكيات العامة والخاصة في حفظ التوازن الاقتصادي: فمن قبيل استخدام الملكية العامة في تحقيق التوازن الاقتصادي، فإنَّ ذلك يظهر من خلال رأي الإمام علي ﷺ في سواد العراق، فقد رفض أن توزع الأراضي المفتوحة على المهاجرين الغانمين وإحالتها للملكية العامة[٩٦].

أمَّا بالنسبة للملكية الخاصة فقد دعا الإمام علي ﷺ إلى استثمار الأرض وإحيائها[٩٧]، كما أنَّه كره تركز المال في أيدي طائفة معينة حتى يكون المال متداولًا بين أفراد المجتمع[٩٨]. وذلك بتشجيع الصدقات التطوعية والإنفاق العام من قبل الأفراد، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾[٩٩]. وهذا مراعاة للأصل الاقتصادي الإسلامي الخاص بحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع؛ ولتحقيق التكامل وعدم التناقض والصراع.

خامساً: تطبيق نظام التوزيع العادل: إنَّ الحاكم وحاشيته والرعيَّة سواسية، فينبغي على الحاكم أن ينصف الرعية من نفسه وخاصة أهله ومن له هوى فيه من رعيته، وأن يحول بين الناس وهؤلاء من الاستئثار بشيء من المكاسب والمغانم، فوق غيرهم من عامة الناس، ولا يتحقق هذا إلَّا بنزول الوالي بنفسه إليهم واختلاطه بهم، فبهذه السياسة العادلة بإعطاء كل ذي حق حقه، وإضافة الجهد إلى صاحبه تستقيم الأمور، ويتحقق الرضا الشعبي عن سياسة الوالي، ويحرص الناس على الولاء للدولة ما أمكنهم ذلك؛ لشمولهم بالمواساة والرعاية[١٠٠].

يؤيد ذلك ما يقوله الإمام علي عليه السلام في خطابه للأشتر: (إياك والاستئثار بما الناس فيه إسوة)[١٠١]. ويقول عليه السلام: (أنصف الله وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنَّك إلَّا تفعل تَظلِم ... وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته، من إقامة على ظلم ... ولا تقطعنَّ لأحد من حاشيتك وحامَّتِك قطيعة، ولا يطمعنَّ منك في اعتقاد عقدة تُضِرُّ بمن يليها من الناس في شِرب أو عمل مُشترك)[١٠٢].

الخاتمة:

خلال كتابة البحث والغوص في الكتب العلمية التي تحدثت عن مشكلة الفقر وكيفية الحد منها، فقد توصلتُ إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١- هناك الكثير من الأسباب التي دعتنا لاختيار الإمام علي عليه السلام معلماً ومرشداً لمحاربة فقر المجتمع.

٢-كان لكتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر منهجية تبين كيفية الإنفاق التي تبناها عليه السلام، والتي تؤدي إلى التنمية الاقتصادية للمجتمع، ومن ثَمَّ تحقيق الاستقرار الذي بدوره سيساعد على التنمية.

٣- انتهج الإمام علي عليه السلام منهجاً متكاملاً وخططاً؛ لتحقيق التوزيع الاقتصادي العادل.

٤- كان لسياسة الإمام علي عليه السلام في التوزيع المالي سمة بارزة، ألا وهي التسوية في العطاء، فقد أدرك عليه السلام أهمية هذا المجال وفكَّر في تغيير النظام من العطاء إلى التسوية في العطاء.

٥- كان لأمير المؤمنين عليه السلام سياسة في غاية الحكمة، فقد سعى إلى التوازن بين افراد المجتمع في المستوى المعيشي، فوضع وسائل لضبط استخدام المال عند انفاقه.

٦- فيما يخص مجال التوازن، فقد وازن عليه السلام بين القطاعات الاقتصادية: الزراعة والصناعة والتجارة، وخير مثال على ذلك ما فعله في اراضي السواد، إذا جعلها موقوفة لأغراض التوازن الاجتماعي، ويمكن تطبيق هذه الصورة على مجتمعنا، وذلك بأن تقوم الدولة بتخصيص جزء من واردات بعض المشاريع العامة للإنفاق منها على أغراض التوازن الاجتماعي.

ثانياً: التوصيات:

١- عمل احصائية ميدانية لأسباب الفقر، ومحاولة الدولة الحد منها عن طريق عمل استراتيجية مناسبة لمكافحة الفقر.

٢-تفعيل نظام الضمان الاجتماعي، وإن كانت دولتنا العراق قد وضعت مؤسسة حكومية لهذا الأمر، ولكن المعوقات كثيرة، والمبلغ الذي تقدمه الدولة للفرد لا يكفي لسد حاجة الفرد، فلا بُدَّ من إعادة هيكلية لطريقة العمل.

٣- عمل دراسات حول الحلول الاستراتيجية التي وضعها الإمام علي عليه السلام، ومحاولة تطبيقها على مجتمعنا اليوم.

٤- عمل المزيد من الدورات والندوات العلمية وورش العمل لدراسة فكر الإمام علي عليه السلام في مكافحة الفقر.

٥- دعم الدولة لمشاريع الشباب الصغيرة التي تمنحهم مصدر رزق يكفيهم لسد حاجاتهم المعيشية، وعدم اعتمادهم على وظائف الدولة.

الهوامش

١ مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٦.
٢ ينظر: لسان العرب، ٥/ ٦٥.
٣ ينظر: المصباح المنير، ٢/ ٤٧٩؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ١٧٣٣.
٤ إحياء علوم الدين، ٤/ ٤٢٥.
٥ ينظر: المنطلقات الفكرية، ص١٣١.
٦ الموسوعة السياسية، ٢/ ٤٠٨.
٧ ينظر: الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، ص٢٠.
٨ التحرير والتنوير، ٢٤/ ٢٦.
٩ تفسير ابن باديس، ص١٠١.
١٠ مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٣.
١١ ينظر: لسان العرب، ٥/ ٦٠.
١٢ ينظر: فقر الشُّعوب، ص١٠-١٥.
١٣ ينظر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٨٩.
١٤ ينظر: أسمى المطالب، ١/ ٢٩.
١٥ ينظر: موسوعة الإمام علي، ص٤٧- ٦٠.
١٦ ينظر: المصدر السابق، ص٦١.
١٧ البداية والنهاية، ٤/ ٦١- ٦٢.
١٨ ينظر: أسد الغابة، ٤/ ١٠٢.
١٩ أسد الغابة، ٤/ ١٠٢.
٢٠ الكافي، ٧/ ٤٢٤.
٢١ سنوضح عهده عليه السلام لمالك الأشتر في أثناء هذا البحث في ما يخص مكافحة الفقر.
٢٢ وهذا يظهر من خلال الاحاديث التي وردت في تقسيم الغنائم وجمع الزكاة والصدقات وتقسيمها على مستحقيها.
٢٣ نهج البلاغة، ص٥٥٥.
٢٤ استراتيجية مكافحة الفقر، ص٢٩- ٣٢.
٢٥ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٨٤- ٨٥.
٢٦ نهج البلاغة، ص٦٢٣.
٢٧ ينظر: المصدر السابق، ص٢٥١.

٢٨ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٨٦- ٨٧.
٢٩ رواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الحكرة والجلب، رقم الحديث (٢١٥٣) ٢/ ٧٢٨.
٣٠ نهج البلاغة، ص٥٨٤.
٣١ سورة البقرة، من الآية: ٢٧٦.
٣٢ وسائل الشيعة، ١٧/ ٣٨١؛ الكافي، ٥/ ١٥٠.
٣٣ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٩٩- ١٠٠.
٣٤ بحار الأنوار، ١٠٣/ ١١٧.
٣٥ سورة الأعراف، من الآية: ٣١.
٣٦ سورة الإسراء، من الآية: ٢٩.
٣٧ رواه ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت، ما أخطأك سرف أو مخيلة، رقم الحديث (٣٦٠٥) ٢/ ١١٩٢.
٣٨ غرر الحكم، ص٣٥٩.
٣٩ نهج البلاغة، ص٦٣٣.
٤٠ سورة المطففين، الآيتان: ١ - ٢.
٤١ سورة الأعراف، من الآية: ٨٥.
٤٢ رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث (٤٠١٩) ٢/ ١٣٣٢.
٤٣ وسائل الشيعة، ١٧/ ٣٨٥.
٤٤ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص١٠٩.
٤٥ ينظر: المصدر السابق، ص١٠١- ١١١.
٤٦ نهج البلاغة، ص٥٨١.
٤٧ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٨٧- ٨٨.
٤٨ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٣٧.
٤٩ بحار الأنوار، ٤١/ ١٠٥.
٥٠ موسوعة الإمام علي بن ابي طالب ﷺ، ٤/ ٢٢١.
٥١ بحار الأنوار، ٤١/ ١٠٥؛ موسوعة الإمام علي بن ابي طالب g، ٤/ ٢٢١.
٥٢ نهج البلاغة، ص٥٨١.
٥٣ وسائل الشيعة، ١٥/ ٦٦.
٥٤ نهج البلاغة، ص٥٨٤؛ موسوعة الامام علي بن ابي طالب g، ٤/ ٢٠٤- ٢٠٥.
٥٥ سورة المائدة، من الآية: ٢.

٥٦ سورة البلد، الآيات: ١٤ - ١٦.
٥٧ رواه الطبراني في الكبير، رقم الحديث (٧٥١) ١/ ٢٥٩.
٥٨ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث (٢٥٨٦) ٤/ ١٩٩٩.
٥٩ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٥١.
٦٠ نهج البلاغة، ص٥٨٢.
٦١ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٥٦.
٦٢ نهج البلاغة، ص٥٨٥.
٦٣ ينظر: استراتيجية مكافحة الفقر، ص٤٩- ٥٠.
٦٤ ينظر: فقه الاقتصاد الاسلامي، ص٢٠٤.
٦٥ ينظر: السياسة المالية والتنمية الاقتصادية، ص٨٧٠.
٦٦ الفقيه والمتفقه، ١/ ١٨٢.
٦٧ نهج البلاغة، ص٥٨٤.
٦٨ المصدر السابق، ص٢٢٦.
٦٩ المصدر السابق، ص٥٣٤
٧٠ المصدر السابق، ص١١٠
٧١ المصدر السابق، ص٦٤٧.
٧٢ سورة الحديد، الآية: ١٨.
٧٣ رواه الطبراني في المعجم الصغير، رقم الحديث (٣٣٧٨) ١/ ٢٠٦.
٧٤ نهج البلاغة، ص٦٥٨.
٧٥ المصدر السابق، ص٧١٨.
٧٦ رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب النكاح، باب ما يجوز من اللعب في النكاح والطلاق، رقم الحديث (١٠٢٤٧) ٦/ ١٣٤.
٧٧ نهج البلاغة، ص٦١٧.
٧٨ المصدر السابق، ص٢٤٤.
٧٩ مروج الذهب، ٢/ ٣٥٣.
٨٠ نهج البلاغة، ص٦٨.
٨١ الاموال، ص٣٤٥.
٨٢ المصدر السابق، ص٣٤٥.

٨٣ الجار: منطقة قرب المدينة نسبة إلى ميناء الجار، وتقع على ساحل القلزم بينها وبين المدينة مسيرة يوم وليلة. ينظر: معجم البلدان، ٢/ ٩٢.
٨٤ ينظر: المصدر السابق، ص٢١٣.
٨٥ نسب قريش، ص١٥٤.
٨٦ ينظر: الخراج، ص١٥٠.
٨٧ الاموال، ص٥٥.
٨٨ نهج البلاغة، ص٥٨١، ٥٨٣.
٨٩ ينظر: الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص١٠١.
٩٠ ينظر: المصدر نفسه.
٩١ سورة الحديد، الآيتان: ٢٣- ٢٤.
٩٢ سورة الإسراء، من الآية: ٢٩.
٩٣ المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٢٦٨.
٩٤ ينظر: مروج الذهب، ١/ ٣٧٢.
٩٥ ينظر: المصدر السابق، ١/ ٣٥٣.
٩٦ ينظر: الأموال، ص٧٤.
٩٧ ينظر: المذهب الاقتصادي في الإسلام، ص١٥٩.
٩٨ ينظر: مروج الذهب، ٢/ ٣٥٣.
٩٩ سورة الحشر، من الآية: ٧.
١٠٠ ينظر: منهج الاسلام في تحقيق التنمية، ص ١٤٠.
١٠١ نهج البلاغة، ص٥٩٢.
١٠٢ المصدر السابق، ص٥٧٠، ٥٨٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) دار المعرفة، د.ط (بيروت/ د.ت).
* استراتيجية مكافحة الفقر في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي، دار الأمين- بيروت، ط١ (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط١ (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
* أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، مكتبة الصحابة- الإمارات، د.ط (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
* أصول الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، دار الكتب الإسلامية- طهران، ط٣ (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
* الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق، منصور ابراهيم التركي، المكتب المصري الحديث- القاهرة، ط١ (د.ت).
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار "عليهم السلام"، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء-بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
* البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١ (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
* تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (المعروف بـ التحرير والتنوير) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ) الدار التونسية- تونس، د.ط (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
* تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت:١٣٥٩هـ) تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
* الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢ (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
* الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت:١٨٢هـ) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر، د.ط (د.ت).
* الروض الداني (المعجم الصغير) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن

مطير الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: محمد شكور محمود، دار عمار- بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
* سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط (د.ت).
* السياسة المالية والتنمية الاقتصادية، الدكتور السيد عطية عبد الواحد عطية، دار النهضة العربية- مصر، د.ط (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).
* السياسة من واقع الإسلام، آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي، دار العلوم-بيروت،ط٣(١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
* غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد الآمدي (ت: ٥١٠هـ) دار الهادي، ط١ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
* فقر الشُّعوب، حمدي عبد العظيم، مطبعة العمرانيَّة- القاهرة، د.ط (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
* فقه الاقتصاد الإسلامي، يوسف كمال محمد (ت:١٤٢٥هـ) دار القلم- بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
* الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل الغرازي، دار ابن الجوزي- السعودية، ط٢ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
* الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، الدكتور فتحي حسن ملكاوي، طبع بدعم من وزارة الثقافة- الاردن، ط١ (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م).
* كتاب الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر- بيروت، د.ط (د.ت).
* لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) دار صادر- بيروت، ط٣ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
* المذهب الاقتصادي في الإسلام، محمد شوقي الفنجري، الهيئة العامة للكتاب- القاهرة، ط١ (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
* مروج الذهب، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت:٣٤٦هـ) دار الأندلس- بيروت، ط١ (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).
* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت، د.ط (د.ت).
* معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) دار صادر- بيروت، ط٢ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
* معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) عالم الكتب، ط١ (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

* المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، أويس كريم محمد، مجمع البحوث الإسلامية- ايران، د.ط (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
* معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
* المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، دكتور محمد العريبي، دار الفكر- بيروت، ط١ (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
* منهج الإسلام في تحقيق التنمية، يوسف ابراهيم، مطابع الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية- جدة، د.ط (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
* موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، باقر شريف القرشي، دار الهدى، ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
* موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد محمدي الريشهري (ت: ١٤٤٣هـ) تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، ط٢ (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
* الموسوعة السياسية، الدكتور عبد الوهاب الكيالي (ت:١٤٠١هـ) تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار الهدى- بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
* نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري (ت: ٢٣٦هـ) تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف- القاهرة، ط٣ (د.ت).
* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ) دار احياء التراث العربي- بيروت، ط٥ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

المبادئ العامة للرعاية الاجتماعية في تراث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - رسالة العهد الدولي أنموذجاً-

د. علي فرحان عبدالله الفكيكي

وزارة التجارة / الشركة العامة لتجارة السيارات والمكائن

ملخص البحث

إن عهد الإمام عليه السلام إلى مالك نسيج وحده لم يسبق إلى مثله سابق ولم يلحق غباره لا حق وقد تعلم منه الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة وهو حقيق بمثله ان يقتنى في خزائن الملوك. قال الفاضل ابن ابي الحديد ص-28ج2 ان الاليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويعنى به ويقضي بقضاياه واحكامه هو عهد الإمام علي عليه السلام إلى الأشتر. وقد رواه الثقات من العلماء المتقدمين عن السيد الرضي ومنهم الشيخ الجليل صاحب كتاب تحف العقول المتوفي سنة 333هـ، وقد ذكر بعض اهل العصر ان عهد الأشتر و عهد طاهر بن الحسين لابنه عبدالله يجريان في سبيل واحد اسلوباً وغرضاً وروحاً، لكن الأديب المتبصر يرى الفرق واضحاً وجلياً وكيف تقاس الثريا بالثرى والشهب بالحصا ونحن لا نستبعد أن أكثر كتاب العهود كانوا يقرؤون عهود أمير المؤمنين ويجعلونها قدوة.(1).

ويُعدّ عهد الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه حين ولاّه على مصر، من أهمّ الوثائق السياسيّة الإنسانيّة على مرّ التاريخ، إذ لم تحظَ وثيقة على مرّ العصور، بمثل ما حظيت به هذه الوثيقة من الاهتمام والدرس. حتّى بلغ الأمر بالأمم المتّحدة أنْ عدّته من أهمّ الوثائق في التراث الإنساني قاطبةً، ومصدراً مهمّاً من مصادر حقوق الإنسان.

وهو أيضاً أول نص تاريخي يختص ينظم إدارة الدولة ويرشد الحاكم والرعية إلى حقوقهم و واجباتهم، وهو فريد من نوعه في أبوابه وما يتضمنه من مفردات سبقت ما توصلت إليه علوم الإدارة والعمل الوظيفي والعلاقات والرأي العام ويتضمن ملامح اجتماعية واضحة في وصف طبقات المجتمع ودورها في حركة الدولة.(2).

Abstract

The covenant of Imam Ali (peace be upon him) to Malik is a unique fabric, it was unlike anything else that had ever existed. People learned from him etiquette, issues and political rulings, and it is certain that one like him should be acquired in the treasuries of kings. Al-Fadil Ibn Abi Al-Hadi, p. 28 - Part 2, said that it is appropriate for the book that Muawiyah looked at, admired, cared about, and decided on its issues and rulings, to be the covenant of Imam Ali (peace be upon him) to Al-Ashtar. It was narrated by trustworthy scholars of the past on the authority of Al-Sayyid Al-Radhi, including the venerable Sheikh, the author of the book Tuhf Al-Uqul, who died in the year 333 AH. Some of the people of the era mentioned that the era of Al-Ashtar and the era of Tahir bin Al-Hussein to his son Abdullah proceeded for the same path in style, purpose and spirit, but the insightful writer sees the difference clearly.

One of the most significant political documents in human history is the covenant of Imam Ali (peace be upon him) to Malik al-Ashtar (may Allah be pleased with him) when he appointed him ruler of Egypt. No other document from history has attracted as much attention and analysis as this one. The importance of this covenant was deemed by the United Nations to be among the greatest in human history and a key foundation for human rights.

Besides, it is the first historical literature that focuses on state administration systems and outlines the rights and obligations of the ruler and people. It is distinct in that it describes the classes of society and their roles in the country with distinct social characteristics and has chapters and words that predate what the sciences of administration, career work, relations, and public opinion had attained. and describes the social classes and their place in the country using distinct social chaaracteristics.

المبحث الأول

الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي

المقدمة:

مما لاشك فيه أن موضوع الرعاية الاجتماعية من الموضوعات المهمة التي تحظى بالاهتمام المتزايد من كافة شرائح المجتمع ومؤسساته، إذ تتسابق جميع مؤسسات المجتمع المدني والدولي في توفير خدمات الرعاية الاجتماعية، وتتنافس في احتلال مركز الصدارة في تقديم تلك الخدمات، والملاحظ أن اهتمام بالرعاية الاجتماعية نابع في الأساس من الإيمان بقيمة الإنسان وأهميته في المجتمع، وضرورة تقديم العون له ومساندته في مختلف مراحله العمرية. وتُعدّ برامج الرعاية الاجتماعية التي تقدمها كل من المؤسسات الحكومية والمنظمات الأهلية، مكسبا كبيرا في حياة البشرية، بلحاظ ما بلغته من التنظيم والتنوع والمرجعية العلمية المعتمدة في رسمها وتطبيقها. إذ حدثت تطورات كبيرة نقلت مفهوم الرعاية الاجتماعية وواقعها من أروقة أماكن العبادة وبيوت المحسنين والمتصدقين إلى مؤسسات تحفظ كرامة الفرد وتشرعه بأن ما يتقاضاه أو ما يتلقاه من حماية ورعاية، ليس منة ولا صدقة من أحد، بل هو حق له بِعَدّه مواطنا يعيش على هذه الأرض أو إنساناً شريكاً فيها.[٣]

التعريف اللغوي للرعاية الاجتماعية :

يشير المفهوم اللغوي للرعاية الاجتماعية كما جاء في لسان العرب إلى أنه مشتق من (رعي) (راع)، وأن الراعي مصدر(رعي) الكلأ ونموه، ويقال رعي الأمير رعيته أي ساسها، وتدبر شؤونها، ورعي الأمر أي حفظه. ويقال (رعي عهده) أي حفظه، أو أن الحاكم راع لقومه أي يقوم بتدبير أمور رعيته المسؤول عنهم. فالرعي مصدر رعي الكلأ ونحوه يرعى رعية، والراعي

يرعى الماشية أي يحوطها ويحفظها، والماشية ترعى أي ترتع وتأكل الرعي .[٤]

أما كلمة الاجتماعية فأصلها جمع، قال ابن فارس: جمع: الجيم والميم والعين: أصل وأحد يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعا.

مفهوم الرعاية الاجتماعية:

هي نوع من أنواع الدعم المقدم للمواطنين من الحكومة، ويتم عن طريقه تقديم الرفاهية للأفراد من أي دخل، كما هو التعامل مع الضمان الاجتماعي، ويعرف أيضًا في معظم الأوقات باسم شبكة الضمان الاجتماعي، فالرعاية الاجتماعية هي عبارة عن نظام سياسي تقوم الدولة فيه بتحمل المسؤولية تجاه صحة المجتمع والتعليم، ويقوم نظام الضمان الاجتماعي في أي دولة بتوفير رفاهية الخدمة الاجتماعية، مثل الرعاية الطبية الشاملة، والتأمين ضد البطالة للموظفين، وتقديم المساعدة المالية، وتوفير التعلم للجميع، وتوفير الإسكان العام المدعوم والرواتب التقاعدية.[٥]

تعريف الرعاية الاجتماعية في الاصطلاح :

هناك عدة تعريفات وردت في مجال الرعاية الاجتماعية، ومن ابرز تلك التعريفات:

١- هي نسق من الخدمات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية مصمم من أجل تقديم المساعدة للأفراد والجماعات حتى يحصلوا على مستويات من الحياة مرضية، وأيضاً مساعدتهم على تكوين علاقات سليمة، وعلى تقوية أو تنمية قدراتهم بما يحقق نوعا من التناغم بين الأفراد والأسر والجماعات والمجتمعات.

٢-هي مجموعة من الخدمات والبرامج التي تقدمها الدولة نحو فئات معينة من الأفراد والجماعات ممن يحتاجون إلى ضروريات الحياة الأساسية أو يحتاجون إلى الحماية سواء كانوا أفرادا أو أسرة، وخاصة من يشكل سلوكهم تهديداً لرفاهية المجتمع .

٣-هي تنظيم يهدف إلى مساعدة الإنسان على مقابلة احتياجاته الذاتية والاجتماعية، ويقوم هذا التنظيم على أساس تقديم الرعاية عن طريق الهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية .

أهمية الرعاية الاجتماعية:

الهدف الأساسي من الرعاية الاجتماعية هو ضمان أن يتمكن الأشخاص في المجتمع من تلبية جميع الاحتياجات الإنسانية الأساسية التي يحتاجون لها مثل الغذاء والمسكن، وتحاول الرعاية الاجتماعية توفير الحد الأقل من الرفاهية، وفي الأغلب تكون إمّا مجانية، أو على شكل دعم لبعض السلع والخدمات الاجتماعية، مثل الرعاية الصحية والتعلم والتدريب المهني. ومن أهداف الرعاية الاجتماعية الأخرى ما يلي[٦]:

١- حماية التماسك الاجتماعي، وتحقيق الاندماج الاجتماعي.

٢- تعزيز تكافؤ الفرص لكافة المواطنين للتخلص من الفقر والبطالة.

٣- الحفاظ على حق كل شخص في مستوى معيشي مناسب.

٤- إيجاد فرصة التدريب المهني للأشخاص المستفيدين من المساعدة العامة للدخول إلى أسواق العمل.

٥- تقديم الدعم للأسر؛ حتى يتمكن الأفراد من أداء دورهم بشكل فعّال.

٦- القيام بدعم الأسر والأشخاص الذين لديهم مشكلات اجتماعية.

٧- توفير الحماية والاهتمام بالأطفال وغيرهم من الفئات الضعيفة من المجتمع.

٨- توعية المنظمات غير الحكومية والسلطات المحلية لتقديم خدمات اجتماعية جيدة على المستوى المحلي.

معايير الرعاية الاجتماعية:

تتمثل معايير الرعاية الاجتماعية في ما يلي[٧]:

١- يتم تحديد الأهمية بناءً على الظروف المتعلقة بالوضع المالي للفرد.

٢- نسبة ارتباط المستوى المعيشي للفرد بالحد الأدنى من المستويات المقبولة داخل بلد معين.

تشمل الرعاية الاجتماعية الظروف المحيطة بالفرد بحسب حجم الأسرة، أو مستوى الدخل الحالي، أو الإعاقة.

لماذا الرعاية الاجتماعية:

تؤدي نظم الرعاية الاجتماعية أدوارا مهمة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل كل مجتمع، وتتجلى هذه الأدوار فيما يلي[٨]:

١- اقتصادياً: توفير مصدر دخل لأفراد المجتمع عند فقدان دخلهم الأصلي بصورة مؤقتة أو دائمة، وتأمين الطلب الإجمالي من التأثر بفقدان بعض الأفراد لدخلهم، بالإضافة إلى تحفيز الادخار القومي والقدرة على تمويل الاستثمار.

٢- اجتماعياً:توفير شبكة أمان لأفراد المجتمع ومساعدتهم على مواجهة الأخطار المحدقة بهم، وضمان حياة كريمة لكافة المواطنين.

٣- سياسياً: تحقيق السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي، والقدرة على العيش المشترك في جو يغلب عليه التماسك، مع تعزيز الإحساس للانتماء للمجتمع لدى الأفراد.

الضمان الاجتماعي وفق المنهج الإسلامي:

إن الغاية من الضمان الاجتماعي الذي شرعه الإسلام هي مسؤولية الدولة عن ضمان العيش والراحة للمواطنين، وقد تقدمت كثير من مظاهره ونشير إلى بعضها الآخر [٩]:

١- قيام الدولة بتسديد الإعواز لمن لا تكفيهم مؤنتهم فإنهم يأخذون بقية نفقتهم وما يحتاجون إليه من بيت المال، والدولة مسؤولة عن تسديد ذلك.

٢- إن الطبقة الفقيرة إذا استدانت لوجه مشروع كالدين للزواج أو لشراء المسكن أو لبنائه أو غير ذلك من الجهات المشروعة وعجزت عن وفائه فعلى الدولة القيام بوفائه ودفعه وقد وردت في الحديث الشريف"من توفي فترك دينا فعلي قضاؤه". ويقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله، فإن غلب عليه فليستدن على الله ورسوله ما يقوت به عياله فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه فإن لم يقضه - أي الإمام - كان عليه وزره إن الله عز وجل يقول:" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين إلى قوله تعالى: والغارمين " وهذا فقير مسكين مغرم .

٣-وقال الإمام علي بن موسى عليه السلام: الغرم إذا تدين أو استدان في حق أجل سنة فإن اتسع وإلا قضى عنه الإمام من بيت المال. وقال الإمام الصادق عليه السلام :(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مؤمن أو مسلم ترك دينا ولم يكن في فساد ولا إسراف فعلى الإمام أن يقضيه فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك إن الله تبارك وتعالى يقول: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية " فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام فإن حبسه فإثمه عليه. إلى غير ذلك من الأخبار التي تلزم الدولة بتسديد ديون الفقراء إذا عجزوا عن وفائها.

٤- ويجب على الدولة أن تقوم بالإنفاق على العاجز عن العمل لمرض أو شيخوخة أو عمى إذا لم يكن لهم مال ولا ولد ينفق عليهم، وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن عبد العزيز جعل لكل أعمى قائدا، ولكل مقعد خادما، وفرض للزمني رزقا مخصوصا حتى قيل إن الزمين أحب إلى أهله من الصحيح.

٥-إن الدولة التي تتبنى الإسلام يجب عليها أن تقدم جميع المبرات والمعونات للضعفاء والمحرومين، وقد أعلن ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك.

المبحث الثاني

المبادئ العامة للرعاية الاجتماعية في رسالة العهد الدولي

الرسالة العهد: رسالة أو عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر رضي الله عنه الذي أرسله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه عندما ولاه الحكم في مصر. فهو عهد في كيفية إدارة الدولة وسياسة الحكومة ومراعاة حقوق الشعب وفيه نظريات الإسلام في الحاكم والحكومة ومناهج الدين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والحرب والإدارة والأُمور العبادية والقضائية.[١٠]

ويهدف لتأسيس نظام إداري وحقوقي على الصعيد الإسلامي يبدأ من الراعي نفسه. "وقد وصف الشريف الرضي عهد الأشتر بأنه أطول عهد كتبه أمير المؤمنين عليه السلام لأحد من عماله على بلد من بلدان الخلافة الإسلامية. وربما يكون من الأسباب التي حملت الإمام عليه السلام على كتابة هذا العهد بهذه الصورة من البسط والتفصيل أن مصر عريقة في التنظيم المجتمعي والحضارة منذ عشرات القرون، وان تقاليدها في السياسة والإدارة عريقة القدم، وان مجتمعها الأصلي مجتمع مكتمل التكوين في عاداته وتقاليده وفئاته الاجتماعية. وقد ظهر وعي الإمام عليه السلام لهذه الحقيقة في أثناء هذا العهد نفسه وذلك في قوله: ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ".[١١].

وقد اعتمدت الرسالة أو العهد في الأمم المتحدة كونها من أوائل الرسائل الحقوقية التي تحدد الحقوق الواجبات بين الدولة والشعب؛ هذا العهد وصل

إلى الأمين العام للأُمم المتحدة وقد قال للأمم المتحدة: إنّ هذه العبارة من العهد يجب أن تعلّق على كلّ المؤسسات الحقوقية في العالم، والعبارة هي: "**وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق.**[١٢]

علما أن مركز أمير المؤمنين عليه السلام التابع للعتبة العلوية المقدسة انتهى في نهاية العام 2016 من ترجمة كتاب شرح العهد الدولي للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه إلى اللغات: الفرنسية، السويدية، الأردية و الفارسية.[١٣]

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

بعد البسملة، التي هي فاتحة كلّ شيء في حياة أمير المؤمنين، الذي عاش عمره لله وبالله، يوجّه أمير المؤمنين عهده إلى مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه واليه الثاني لما ولاه مصر وأعمالها بعدما قتل زبانيّة معاوية بن أبي سفيان الوالي الأوّل محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه، وهو في طريقه إليها، ومثّلوا بجثّته.

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهد إليه، حين ولاه مصر [١٤]:

١-جِبْايَةَ خَرَاجِهَا

٢- وَجِهَادَ عَدُوِّهَا

٣-اسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

الوصية الأولى: السياسات المالية والضرائبية من واجبات الراعي:

جباية الخراج: أي جمع الضرائب المفروضة على الناس كي تستطيع الحكومة القيام بما أوكل إليها من مهام، وقد لخّص الإمام عليه السلام المهام التي يجب على الراعي أن يقدمها للرعية مقابل الضرائب التي تتلقاها حكومته ونذكر ما يتعلق ببحثنا:

-**استصلاح أهلها**: إنّ من أهمّ واجبات الراعي، إصلاح أمر النّاس، وقد أطلق الإمام عليه السلام العبارة على عمومها، لتشمل التوعية، والتعليم، والتأهيل، والتمكين، وكل ما من شأنه رفع سويّة الرعيّة في البلاد. هي عناصر أساسيّة لمجتمع ثابت الأركان، راسخ في الانتماء، فالمجتمع الواعي عصي على الفتن، والمجتمع المتعلم مجتمع متنور يخدم ذاته بذاته، والمجتمع المتأهل والمتمكن مجتمع منتج يطوّع إمكانياته في سبيل نهضة الكل ورفاهيته. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد.[١٥]

الوصية الثانية:- لزوم حب الراعي للرعية:

يوصي أمير المؤمنين عليه السلام:((**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ** (يبدر منهم - يسبق)،**مِنْهُمُ الزَّلَلُ**(الخطأ)، **وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَاءِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُم**)) (أي أن الله أعطاك ولايتهم، وأمرك أن تكفيهم حاجاتهم- طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم).

عليك يا مالك أن تشعر بالرّحمة على الرعيّة، وأن تحبّهم وتتلطّف بهم تلطّف الأب على بنيه، فلا تستأسد عليهم تريد الفتك بهم، فالناس من رعيتك صنفان، إما أخوك في الدين والتوحيد، ومن ثَمَّ فلا يجوز لك أن

تظلمه، وإما نظير ومساوٍ لك في الخلق، والنتيجة نفسها، ففي الحالين أنت ممنوع من أن تظلم أخاك أو شخصاً مساوياً لك في الخلقة أمام الله، والناس بطبعهم خطّاؤون، فلا تتصيّد أخطاءَهم واعف عنهم ما استطعت، إن تطمح أن يعفو الله عنك، واستشعر دائماً أن الله فوقك يرقبك فيم ولاك به أتراك تُحسن الحكم أم تخفق فيه فيأخذك إليه وعندها ترى عجائب فعل الله فيك.

الوصية الثالثة: الإنصاف بالرعية:

يتابع أمير المؤمنين عليه السلام وصيّته لعامله على مصر، فيقول عليه السلام: ((**أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله، كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض**(أبطل حجّته ونفاها)، **حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع**(حتّى يكفّ عن هذا)،**ويتوب. وليس شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد**)).

أنصف يا مالك ربّك بإنصافك لعباده ومن ضمنهم نفسك، فلا تكن مطيّة لخاصّة أهلك ومن تحبّ على حساب رعيّتك، ولا تفضّلهم على بقية الخلق، فإن لم تفعل ذلك لإ أنت خصم لله، ومن خاصمه الله أبطل ادعاءاته، وأهلك حرثه ونسله، وأعلن الحرب عليه حتّى يكفّ عن المفسدة، وليس هناك شيء في الدنيا يسرّع زوال ملكك، ويأتيك بغضب الله أكثر من إفشاء الظلم بين عباده، فالله بالمرصاد للظالمين.

يتابع أمير المؤمنين عليه السلام في المنحى نفسه:((**وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف**(يُذهب)، **برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف**(الإلحاح بالسؤال)، **وأقل شكرا**

عند الاعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة. وإنما عماد الدين وجماع(الجمع)، المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك(الميل)، لهم وميلك معهم)).

اجعل يا مالك شعارك الوسطيّة في الحق، والشمول بالعدل، فإن ذلك يرضي عليك الرعيّة، فإن غضبت منك خواص أهلك لعدم تمييزهم من البقيّة، فإنّ غضب العامّة عليك لا يمكن أن يغفره شيء من رضى الخاصّة، والعكس صحيح، فإنّ أهلك وخواصك لا يرضيهم شيء مهما فعلت لهم، وهم أقلّ الناس شكراً لك مع ذلك، وأبطأهم في نجدتك، بينما عدّتك وعونك في الملمات العامّة، فليكن استماعك لهم دائماً.

يتابع أمير المؤمنين عليه السلام:((**وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ.**))

يامالك، إنّ أكثر ما يريحك في إدارة البلاد هو إشاعة العدل، فذلك يورثك محبّة الرّعية، فالمحبة انعكاس لسلامة النيّة، ولا تؤمن نصاحهم إلا بمقدار ما يحيطونك من مودّة، وعدم تكلّفهم بالانخراط ضمن سياسة الدولة، وعدم ترقّبهم لانتهاء عهدك، لذلك حقق لهم آمالهم، وأثنِ عليهم، وعدّد انجازاتهم، وشجّع شجاعهم، وحَفّز المتقاعس، واعلم أن لكل منهم عمله، فإياك أن تحمّل أحداً وزر غيره، ولا تترك أحداً قبل أن يتمّ مهمّته، وإيّاك أن تقلل مهام الأشراف، وتعظم مهام الفقراء.

الوصية الرابعة: سياسة الراعي مع الطبقة الفقيرة وذوي الاحتياجات الخاصة من الرعية:

انتقل أمير المؤمنين سلام الله عليه إلى فقراء الرعية وذوي الاحتياجات الخاصة، فقال [١٦]:

((ثُـمَّ اللهَ، اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى(شدة الفقر)، وَالزَّمْنَى(المصاب بالعاهة)، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً(فقير مستكين- السائل)، وَمُعْتَرّاً (سائل للناس)، وَاحْفَظْ للهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ (جعله أمانة في عنقك- طلب منك حفظه)، مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ (مواسم- الثمرات)، صَوَافِي (ارض الغنيمة- الغنائم)،الْإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرَ(تنعّم زائد- طغيان بالنعمة)، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهَ(عديم القيمة- الحقير)، لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ. فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ(أي لا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم)، عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ (تتكبر عليهم- أماله إعجاباً وكبرا)، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ (تكره العين النظر إليه- تكره إن تنظر إليه احتقاراً)، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأُولئِكَ ثِقَتَكَ (الأشخاص الذين تثق بهم- أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم)، مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ (القاصرين- المتقدمون فيه)، مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ)).[١٧].

أما الطبقة السابعة فهي طبقة العمال من الشعب وأهل البؤس هي البؤس كالنعمى للنعيم، والزمني أولو الزمان. والقانع: السائل، و المعتر: الذي يعرض لك ولا يسألك، وهما من ألفاظ الكتاب العزيز﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ ﴾.[١٨].

وأمره أن يعطيهم من بيت مال المسلمين؛ لأنهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [١٩]. وأن يعطيهم من غلات صوافي الإسلام- وهي الأرضون التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب - وكانت صافية لرسول صلى الله عليه وآله، فلما قبض صارت لفقراء المسلمين، ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام. ثم قال له:" فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى"؛ أي كل فقراء المسلمين سواء في سهامهم، ليس فيها أقصى وأدنى؛ أي لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد من خاصتك على من هو بعيد ليس له سبب إليك، ولا علقة بينه وبينك، ويمكن أن يريد به: لا تصرف غلات ما كان من الصوافي في بعض البلاد إلى مساكين ذلك البلد خاصة، فإن حق البعيد عن ذلك البلد فيها كمثل حق المقيم في ذلك البلد، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت سماه بيت القصص، يلقى الناس فيه رقاعهم.[٢٠][٢١]

وليس في تأريخ الإسلام وغيره مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في اهتمامه بالفقراء، فقد شاركهم في جشوبة العيش وخشونة اللباس، فهو أبو الفقراء، وصديق المحرومين وملاذ البائسين، أرأيتم هذا العطف والحنان على الفقراء والضعفاء، فقد احتضنهم الإمام وجعلهم من أهم مسؤولياته وواجباته. إن رعاية الفقراء والبر بهم والإحسان إليهم عند الإمام جزء من رسالة الإسلام التي أكدت على محو الفقر وإزالة شبحه، ونشر السعة والرخاء بين المسلمين. فقد أوصى الإمام عليه السلام وهذا نص حديثه في عهده: يا مالك، اتّق الله في الطبقات الفقرة، من الفقراء والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والعاهات، ففيهم نزل قول الله "وأطعموا القانع و المعترّ (سورة الحج الآية 36)، فاحفظ حقّ الله فيهم وأمانته التي وضعها في عنقك، فاجعل لهم نصيباً من دخل بيت المال،

ونصيباً من الغنائم في كلّ غزوة للجيش، البعيد منهم والقريب، ويجب أن تراعي حق الجميع، فلا يشغلك عنهم تنعّمك فيما أنت فيه من جاه وسلطة، فإنّه ليس لك عذر في إغفال أمورهم بحجّة أنّك منهمك في الأمور العظيمة، فلا يخرجون من دائرة اهتمامك، ولا تتكبر عليهم، وتفقّد أمور من لا أحد يصل إليه منهم ممن لا تحتمل العين رؤيته بسبب عاهة وقبح، وتحتقره الناس لشكله أو لمرضه، ففرغ لهؤلاء أكثر رجال حكمك ثقةً وتواضعاً وخشية لله، وأوصه ألا يغفل عنهم ويبلغك بأمورهم، ثم تقرّب إلى الله بهم، فهؤلاء بهم حاجة للإنصاف أكثر من غيرهم، وأبرئ ذمّتك أمام الله في أمرهم بإيصال حقوقهم إليهم، وتكفّل الأيتام والقُصّر والضعفاء، الذين لا يستطيعون حتّى أن يسألوا الناس حاجاتهم، صحيح أنّ ذلك ثقيل على الولاة، ولكن قد يخفف الله عنك إذا أنت قصدت في خدمة هؤلاء وجهه.(٢٢)

الوصية الخامسة:- سياسة الاتصال الدائم والمباشر بين الراعي والرعية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ** (المتظلمين تتفرغ لهم للنظر في مظالمهم) **مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَواضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ**(يأمنون جنودك- لا يتعرض لهم جنودك)، **وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ** (حرّاسك- من يحرس الحاكم وشرطتك- طائفة من اعوان الحاكم وحدة شرطة)، **وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ** (دون تأتأة وارتباك- غير خائف) **فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ**(أي في مواطن كثيرة) :" **لَنْ تُقَدَّسَ**(لا يطهر الله امة) **أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ**". **ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ**(العنف ضد الرفق)، **مِنْهُمْ وَالْعِيَّ** (العجز عن النطق أو التعبير)، **وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ**(ابعد عنهم ضيق الصدر- ضيق الصدر بسوء الخلق)، **وَالْأَنَفَ** (الاستنكاف

والاستكبار)، **يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بَذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ**(يحتضنك الله برحمته)، **وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً**(سهلا لا تخشنه باستكثاره والمن به)، **وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ** (اذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر- إذا لم تعطِ صاحب الحاجة فاعتذر).[٢٣] واجعل لذوي الحاجات والمطالب قسمًا من وقتك تخصصه لمراجعاتهم، وأبعد عنهم شرطتك وحرّاسك حتّى يأخذوا راحتهم بالكلام، فوصيّة رسول الله أن نأخذ بحق الضعيف من القويّ، واحتمل منهم ثقل الكلام والشكوى، وأبعد عنهم الضيق وما يشتكون منه، يتكفلك الله برحمته، ويوجب لك ثوابه. فأعط الحقوق بامتنان وهناءة، وإذا لم تعطِ صاحب الحاجة فاعتذر منه. ثم عليك مهام أخرى، كإجابة المحافظين على الأمصار التابعة لك بما لا يستطيع كتّابك إعطاء قرار به، ويحتاج لقرار مباشر منك، من الأمور التي تصعب على معاونيك، ولا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد، ولا تنسَ مواقيت اللقاء مع الله، ولكن اعلم أنّك ما دمت تؤدّي مهامك بنية التقرّب إلى الله فإنّك تُعد في صلاة، فأعط الله كلّ وقتك تسلم، مهما بلغ بك التعب والإرهاق، وإذا وقفت في النّاس إماماً للصلاة، فلا تطيل صلاتك ولا تختصرها، فإنّ في النّاس المريض وصاحب العلّة، ولقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وآله أن نصلّيَ صلاة أضعف النّاس، وأن نكون رحماء بالنّاس.

كان أمير المؤمنين سلام الله عليه يأخذ بحق الضعيف من القوي وبحق المظلوم من الظالم، وكذلك عهد إلى ولاته مثل ذلك، وقد أمر عليه السلام في عهده بتنحية الشرطة والجنود حتى يتكلم ذو الحاجة غير متعتع ولا خائف، وهذا منتهى العدل الذي أسسه رائد الحضارة والعدالة في الإسلام.

الوصية السادسة: البرنامج اليومي للراعي:

ثُـمَّ أُمُـورٌ مِـنْ أُمُـورِكَ لابُـدَّ لَـكَ مِـنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَـا إِجَابَـةُ عُمَّالِـكَ بِـمَا يَعْيَا(يعجز- لا يستطيعون الإفتاء فيه) **عَنْـهُ كُتَّابُـكَ، وَمِنْهَـا إِصْـدَارُ حَاجَـاتِ النَّاسِ يَوْمَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ**(حرج يحرج- من باب تعب: ضاق. والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهارا للجبروت)، **وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ**(أعظمها- اجعلها كثيرة طويلة) **تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.**

ويضيف الفكيكي إن جودة القيادة هي: كل ما يقدمه الراعي من خدمات وأعمال ترضي وتلبي طموحات وتطلعات الرعية، الحالية والمستقبلية.[٢٤]

الخاتمة:

تفضل الأديب الناثر الفصيح والشاعر البليغ الأستاذ السيد عبد الرسول الخطيب، خطيب الكاظمية بهذه الأبيات العامرة يؤرخ طبعة الراعي والرعية للمرحوم العلامة الأديب توفيق علي الفكيكي [٢٥]:

قد تاه راعي الامر والرعية ... بما اتوا من نظم وضعيه
إن الهدى والعدل فيما أتى ... به نظام الله للبريه
وجاءنا الإسلام عن أحمد ... في نظم عادلة عليه
قد احتواها عهد من قد سما ... بالمثل العالية القدسيه
أبو الحسين المرتضى من له ... من أحمد من بعده الوصيه
عهد إلى الأشتر أملاه كي ... يحكم بالعدل وبالسويه
وخلف (التوفيق) في رفقه ... مبينا آثاره السنيه
العبقري الفذ في شرحه ... أبان عن علم وعبقريه
هذا نظام العدل بين الورى ... تسعد فيه الكرة الأرضيه
فصله في عهده حيدر ... وهذه أسراره جليه
حكم الهدى (ارخ) لفي عهده ... كي يرشد الراعي والرعيه

اشتملت هذه الوصية على جميع صنوف الرحمة وأنواع البر والإحسان بالضعفاء ولم نعهد أن هناك مذهبا من المذاهب أو دينا من الأديان قد أمر بمثل هذا العطف والحنان على الفقراء والبائسين " إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض الوسائل التي شرعها الإسلام لمكافحة الفقر وإزالة شبحه البغيض من المجتمع أما استيفاء البحث في ذلك، وبيان أصالة الاقتصاد الإسلامي، وعدم صلاحية الأنظمة الاقتصادية الحديثة من الرأسمالية والشيوعية إلى إصلاح الحياة العامة، وعدم استطاعتها على نشر

الاستقرار والرفاهية في شعوب الأرض؛ فإن البحث عن ذلك كله يستدعي المجلدات الضخمة وقد تناول الموضوع بالبحث والتحليل جماعة من أفذاذ الفكر الإسلامي فأوفوا الموضوع حقه".[٢٦]

الهوامش

١ – كاشف الغطاء، هادي: نهج البلاغة عهد علي ﷺ لمالك الاشتر، شارح العهد، مقدمة كتاب الراعي والرعية للمرحوم العلامة توفيق الفكيكي، الطبعة الأولى، مطبعة المعراج، الناشر دار الغدير. ١٤٢٩. ص١٥

٢ – الحيدري، صالح محمد: مقدمة كراس الندوة الفكرية الأولى عن عهد الإمام علي ﷺ إلى مالك الاشتر– عدالة الحاكم والإدارة، دار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، العراق. ٢٠٠٩.

٣ – حميد، الهاشمي، مختص بعلم الاجتماع–www.al–hashimi.blog.com تاريخ الزيارة:١١/ ١٠/ ٢٠٢٣

٤– ابن منظور: لسان العرب :محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) .

٥–britannica ،"Social welfare program"، ١٣/ ١/ ٢٠٢٢، Retrieved ٢٨/ ٣/ ٢٠٢٢. Edited.

٦–investopedia ،"social Welfare System"، ١٣/ ١/ ٢٠٢٢، Retrieved ٢٨/ ٣/ ٢٠٢٢. Edited.

٧–نفس المصدر السابق.

٨–https: / /www.aljazeera.net /encyclopedia/ ٢٠١٥/ ٨/ ٢٥/ ٪D٨٪A٧٪D٨٪B١٪D٨٪٨٤٪D٩٪D٨٪٨A٪D٨٪D٩٪A٧٪D٨٪B٩٪D٨

تاريخ الزيارة ١١/ ١٠/ ٢٠٢٣

٩ – القرشي، باقر شريف: النظام السياسي في الإسلام، من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية، ط٢، دار التعارف للمطبوعات بيروت - لبنان. ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م. ص٢٦٦–٢٧٠.

١٠ – الفكيكي، علي فرحان عبدالله: مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني– منهج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ انموذجاً ممثلاً برسالته لمالك الاشتر، حين ولاه مصر، سلسلة دراسات في عهد الامام علي ع لمالك الاشتر رض، وحدة دراسات العلوم الادارية، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق.٢٠١٧.

١١ – شمس الدين، محمد مهدي: عهد الاشتر، الطبعة الثانية، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان. ٢٠٠٠. ص٣٩

١٢– الشيخ محمّد السند، بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ٣٦٥

١٣ – الفكيكي، علي فرحان عبدالله: الإجراءات الوقائية لتحجيم الفساد الإداري والمالي وفق المنهج الإسلامي– رسالة العهد انموذجاً، وقائع وبحوث المؤتمر العلمي الثاني لإحياء تراث أمير المؤمنين عليه السلام– البعد الإداري وقواعد الحكم الرشيد في تراث الإمام علي عليه السلام، مركز المرايا للدراسات والإعلام، النجف الاشرف، العراق. ٢٠٢٢.ص٢٤٤.

١٤ – نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا الجزء الثالث الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.١٤١٢. ص٨٢.

١٥ – الريشهري، محمد: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٤، ط٢، مصادر سيرة النبي والائمة، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة : السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، دار الحديث العلمية الثقافية مركز للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران ١٤٢٥. ص.١٨٨ .

١٦ – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٧، مصادر الحديث السنية ـ القسم العام، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثانية (١٩٦٥ م– ١٣٨٧ هـ)جميع الحقوق محفوظة منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم – إيران ١٤٠٤هـ ق ص٨٦–٨٧.

١٧ – جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة: عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر (رحمه الله): الطبعة الأولى، الإصدار الثالث من إصدارات مركز دراسات الكوفة. دار الجامعة للطباعة والنشر والترجمة، العراق. ٢٠١١. ص٣٠–٣١

١٨ – سورة الحج: الآية ٣٦.

١٩ – سورة الأنفال: الآية ٤١.

٢٠ – ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق ص.٨٧

٢١ – الفكيكي، توفيق علي: الراعي والرعية، الطبعة الأولى مطبعة معراج، الناشر دار الغدير. العراق.١٤٢٩. ص٣٣٨

٢٢ – شرح عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر: مؤسسة الامام علي بن ابي طالب للدراسات والتوثيق:
٦٧٥٩٧=http: / /www.imamali-ali.com /?page=article&id

٢٣ – ديوان الوقف الشيعي - جامعة بغداد: الندوة الفكرية الأولى عن عهد الإمام علي ﷺ إلى مالك الاشتر – عدالة الحاكم والإدارة، دار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، العراق. ٢٠٠٩. ص٢٢

٢٤ – الفكيكي، علي فرحان عبدالله: جودة القيادة في فكر الامام علي ﷺ، العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين ﷺ لمالك الاشتر٠ انموذجاً. مجلة المبين– مؤسسة نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد: ١٦ السنة السابعة،٢٠٢٢. كربلاء، العراق. ص١٢٣.

٢٥ – الفكيكي، توفيق: الراعي والرعية، مصدر سابق، ص٤٣٨.

٢٦ – القرشي، باقر شريف: النظام السياسي في الإسلام، من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية، ط٢، دار التعارف للمطبوعات بيروت - لبنان. ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م. ص٢٧٠

المصادر

القرآن الكريم.

الاحاديث النبوية الشريفة.

نهج البلاغة.

اولاً: المصادر العربية:

* ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١٧، مصادر الحديث السنية ـ القسم العام، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البأبي الحلبي وشركاه. الطبعة الثانية (١٩٦٥ م- ١٣٨٧ هـ) جميع الحقوق محفوظة منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران ١٤٠٤هـ ق.
* ابن منظور: لسان العرب :محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) .
* جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة: عهد الإمام علي ﷺ لمالك الأشتر (رحمه الله): الطبعة الأولى، الإصدار الثالث من إصدارات مركز دراسات الكوفة. دار الجامعة للطباعة والنشر والترجمة، العراق. ٢٠١١.
* الحيدري، صالح محمد: مقدمة كراس الندوة الفكرية الأولى عن عهد الإمام علي ﷺ إلى مالك الأشتر- عدالة الحاكم والإدارة، دار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، العراق. ٢٠٠٩.
* ديوان الوقف الشيعي – جامعة بغداد: كراس الندوة الفكرية الأولى عن عهد الإمام علي ﷺ إلى مالك الأشتر- عدالة الحاكم والإدارة، دار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، العراق. ٢٠٠٩.
* الريشهري، محمد: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٤، ط٢، مصادر سيرة النبي والائمة، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة : السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، دار الحديث العلمية الثقافية مركز للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران ١٤٢٥.
* شمس الدين، محمد مهدي: عهد الأشتر، الطبعة الثانية، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان. ٢٠٠٠.
* الشيخ محمّد السند، بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ٣٦٥.
* الفكيكي، توفيق علي: الراعي والرعية، الطبعة الأولى مطبعة معراج، الناشر دار الغدير. العراق.١٤٢٩.
* الفكيكي، علي فرحان عبدالله: الإجراءات الوقائية لتحجيم الفساد الإداري والمالي وفق المنهج الإسلامي- رسالة العهد انموذجاً، وقائع وبحوث المؤتمر العلمي

الثاني لإحياء تراث أمير المؤمنين عليه السلام- البعد الإداري وقواعد الحكم الرشيد في تراث الإمام علي عليه السلام، مركز المرايا للدراسات والإعلام، النجف الاشرف، العراق. ٢٠٢٢.

* الفكيكي، علي فرحان عبدالله: جودة القيادة في فكر الامام علي عليه السلام، العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه انموذجاً. مجلة المبين- مؤسسة نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد: ١٦ السنة السابعة،٢٠٢٢. كربلاء، العراق.
* الفكيكي، علي فرحان عبدالله: مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني- منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انموذجاً ممثلاً برسالته لمالك الأشتر رضي الله عنه حين ولاه مصر، سلسلة دراسات في عهد الإمام علي ع لمالك الأشتر رض، وحدة دراسات العلوم الادارية، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، العراق.٢٠١٧.
* القرشي، باقر شريف: النظام السياسي في الإسلام، من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية، ط٢، دار التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م.
* القرشي، باقر شريف: النظام السياسي في الإسلام، من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية، ط٢، دار التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م.
* كاشف الغطاء، هادي: نهج البلاغة عهد علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه شارح العهد، مقدمة كتاب الراعي والرعية للمرحوم العلامة توفيق الفكيكي، الطبعة الأولى، مطبعة المعراج، الناشر دار الغدير. ١٤٢٩.
* نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا الجزء الثالث الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان. ١٤١٢.

ثانياً:- المصادر الأجنبية:

* Social welfare program"، britannica، 13/1/2022, Retrieved 28/3/2022. Edited.
* social Welfare System", investopedia, 13/1/2022, Retrieved 28/3/2022. Edited.
* social Welfare System", investopedia, 13/1/2022, Retrieved 28/3/2022. Edited.

ثالثاً:- المصادر الالكترونية:

* حميد، الهاشمي، مختص بعلم الاجتماع
* www.al-hashimi.blog.com تاريخ الزيارة:١١/ ١٠/ ٢٠٢٣
* L,https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/8/25/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B9%D8%A7%D9%8A%D8
* موقع الجزيرة.
* لمالك عليه السلام شرح عهد الإمام علي الأشتر: مؤسسة الإمام علي بن أبي طالب للدراسات والتوثيق:
* http://www.imama-li-ali.com/?page=article&id=67597

السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر

م.م. أحمد جليل موسى البهادلي

جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

ملخص البحث

اختص هذا البحث بدراسة السياسة الاقتصادية في خلافة الإمام علي عليه السلام، حيث ركزنا على أهم الخطوات الاقتصادية التي اتبعها عليه السلام لغرض إصلاح المنظومة الاقتصادية بعد تدهورها في عهد الحكومات السابقة، فجاء البحث في محورين الأول / ركزنا فيه على مفهوم السياسة الاقتصادية، وكذلك التغيرات في النظام الاقتصادي بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله، وأبرز الخطوات الإصلاحية الاقتصادية التي أمر بتطبيقها الإمام علي عليه السلام كالمساواة بين الناس بالعطاء، واسترجاع الأموال والأراضي العامة، وتطوير الصناعة والتجارة، ومراقبة الأسواق ومنع التلاعب في السلع، أما الثاني / فتناول أثر السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام في تحقيق العدل بين فئات المجتمع كافة ومكافحة الفقر.

Abstract

This research is specialized in studying economic policy during the caliphate of Imam Ali (peace be upon him), as it focused on the most important economic steps that he (peace be upon him) followed for the purpose of reforming the economic system after its deterioration during the era of previous governments. The research came in two axes: the first tackles the concept of economic policy as well as the changes in the economic system after the martyrdom of the Prophet (may His prayers and peace be upon him and his family), and the most prominent economic reform steps that Imam Ali (peace be upon him) ordered to be implemented, such as equality between people in giving, recovering money and public lands, developing industry and trade, monitoring markets and preventing manipulation of goods, The second deals with the impact of the economic policy of Imam Ali (peace be upon him) in achieving justice among all segments of society and combating poverty.

المقدمة

أرسى الله عز وجل أسس النظام الاقتصادي في الإسلام وفق مبدأ العدالة والمساواة، وعليه يعد النظام الاقتصادي الإسلامي نظاماً إنسانيا يهدف لتحقيق الحياة الكريمة للإنسان سواء من الناحية المادية أو المعنوية .

لقد خص الله عز وجل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمناقب عديدة شملت شتى المجالات، وحوى عليه السلام على المعارف كلها وعلم من الأسرار الإلهية مالا يعلمه أحد، فهو خير البرايا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عبر الإمام الحسن عليه السلام عن ذلك في يوم استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فقال : ((والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة، ولا يدركه الآخرون)) [1].

وفي هذا البحث نخصص الحديث عن جانب من الجوانب الفكرية للإمام علي، وهو السياسة الاقتصادية التي اتبعها عليه السلام بعد توليه الخلافة، فجاء البحث ليسلط الضوء على الإجراءات الاقتصادية التي قام بها الإمام لإعادة النظام الاقتصادي الإسلامي إلى سابق عهده بعد أن تعرض هذا النظام إلى انهيار في جميع مفاصلة في عهد الحكومات السابقة، لقد بدأ الإمام علي ومنذ الوهلة الأولى من تسلمه الخلافة العمل على إعادة هيكلة النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية وفق المبادئ التي أرساها الإسلام أي العمل بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، لغرض إعادة التوازن داخل المجتمع الإسلامي والقضاء على الفساد الذي فتك بأركان الدولة الإسلامية، وقد قسمنا البحث على محورين : جاء الأول ليسلط الضوء على السياسة الاقتصادية عند الإمام علي عليه السلام والخطوات التي اتخذها لإصلاح النظام الاقتصادية بعد توليه الخلافة والمتمثلة بالمساواة في العطاء بين الناس و استرجاع الأموال والأراضي العامة المغتصبة بغير وجه حق، و العمل على تطوير الصناعة و التجارة، فضلاً عن مراقبة الأسواق ومنع

التلاعب في السلع، أما الثاني فأختص بأثر السياسة الاقتصادية للإمام علي ﷺ في تحقيق العدل بين فئات المجتمع كافة ومكافحة الفقر .

المحور الأول / السياسة الاقتصادية في فكر الإمام علي ﷺ

مفهوم السياسة الاقتصادية :-

((هي الإجراءات العملية التي تتخذها الدولة للتأثير في النشاط الاقتصادي، وقيل هي : محاولات صائغ السياسة للتأثير على حركة، واتجاه الكليات الاقتصادية، بهدف تحسين الأداء الاقتصادي)) [٢]

أما مفهوم السياسة الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي فهي ((سياسة شرعية تتعلق بالشؤون الاقتصادية وتستهدف تحقيق الأهداف والمقاصد الشرعية)) [٣] وقيل : هي ((مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التي تحكم النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن والسنة النبوية، والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، ويعالج الاقتصاد الإسلامي مشاكل المجتمع وفق المنظور الإسلامي للحياة)) [٤]

وبناءً على ما تقدم فإن التعريف الإسلامي للسياسة الاقتصادية يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية فيكون النظام الاقتصادي بذلك نظاماً متكاملاً محكماً تكون الشريعة أساس عمله، أما المفهوم العام للسياسة الاقتصادية الذي يعتمد على القوانين الوضعية والتي تهدف إلى تحقيق النمو الاقتصادي بكافة الوسائل المباحة وغير المباحة، ولا يبالي إن تركزت الثروات في يد فئة معينة داخل المجتمع، لذا فهو مختلف تماماً، وقد ساد هذا النظام في الدولة الإسلامية بعد استشهاد النبي ﷺ، إذ ابتعد النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية عن القرآن والسنة النبوية كما سنبين، وسيطرت فئة من أصحاب النفوذ على مقدرات الدولة ومنعت الفئات الضعيفة من ابسط حقوقهم، وعليه يمتاز النظام الاقتصادي الإسلامي الحقيقي عن السياسات الأخرى بأمرين:-

الأول : أنه سياسة ثابتة لاعتماده على الأصول الاقتصادية المستمدة من الشريعة.

ثانيا: يتمتع بالمرونة والتطور لأنه يطبق الأصول الاقتصادية المرتكزة على قواعد كلية تتفق مع ظروف كل مجتمع (٥).

قبل البدء بالحديث عن السياسة الاقتصادية عند الإمام علي عليه السلام وأهم الخطوات المتخذة في هذا الجانب لا بد أن نبين ولو بشكل مختصر الوضع الاقتصادي للدولة الإسلامية قبل خلافة أمير المؤمنين ليتسنى لنا إدراك وفهم الخطوات الإصلاحية التي اتخذت.

لقد واجه المجتمع الإسلاميّ بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله العديد من التحديات، كان أبرزها تلك الناتجة عن سوء إدارة الدولة المالية، وظهر ذلكَ واضحاً في عهد عمر بن الخطاب الذي انتهج سياسة التفضيل في توزيع العطاء بين الناس، فأسفرت هذه السياسة عن تأسيس الطبقية في المجتمع الإسلامي، وفي الحقيقة كان عمر يهدف إلى تطبيق هذه السياسة في عهد إبي بكر حيث احتج على سياسة التسوية بقوله : ((أتسوي بين من هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال له إبي بكر : إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله وإنما الدنيا دار بلاغ للركب، فقال عمر : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله كمن قاتل معه)) (٦)، وبعد أن طبق ما ارتآه في عهده أحس بخطورة هذا العمل الذي أقدم على فعله والذي يعد انتهاكاً واضحاً للمبادئ الإسلامية فأراد العدول عن ذلك في أخر أيامه، فقال : ((إني تألفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض وإن عشتُ هذه السنة فلم أفضل أحمر على أسود ولا عربياً على عجمي وصنعت كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، وإبي بكر)) (٧)، وهذا يعد اعتراف صريح بمخالفته لرسول الله، ولما تولى عثمان بن عفان كانت سياسته الاقتصادية امتداداً لسياسة عمر بن

الخطاب بل أنها كانت أكثر فساداً إذ أثرى بنو أمية ثراءاً فاحشاً، رغم تحذير الإمام علي عليه السلام.

السؤال هنا ما هو موقف الإمام علي عليه السلام قبل تولي الخلافة من السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية ؟

لقد كان الإمام علي عليه السلام شديد الحرص على أموال المسلمين ويعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية رغم محاولات السلطة الغاصبة إبعادة عن أداء هذا الدور ولكنهم عندما تضيق بهم السبيل يلجؤون إليه، فقد روي أن عمر بن الخطاب لما قدم إليه أموال كثيرة سأل عن الطريقة المثلى لتوزيعه فأشار أمير المؤمنين قائلا : ((قسم كل سنة ما اجتمع معك من المال ولا تمسك منه شيئاً)) [٨]، وروي أن قوماً من أصحاب عمر بن الخطاب قد أشاروا إليه في أيامه بأخذ حلي الكعبة لغرض تجهيز جيوش المسلمين فيكون ذلك أعظم الأجر وما تصنع الكعبة بالحلي، فهم عمر أن يفعل ذلك، لولا تدخل الإمام علي عليه السلام في هذه المسألة فسأله عمر عن ذلك، فقال عليه السلام : ((إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة : أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقره الله ورسوله، فقال له عمر : لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله)) [٩]، وفي الحقيقة ما أشبه اليوم بالأمس ففي وقتنا الحاضر يظهر لنا بين الحين والأخر بعض السذج من أتباع الفكر العمري وينتقدون المشاهد المقدسة في النجف الأشرف، وفي كربلاء المقدسة وغيرها من الأماكن والمشاهد المقدسة ويقولون لماذا هذا البناء وكل هذا الذهب في هذه الأماكن وهل الأئمة يحتاجون لذلك؟ فيكون جوبنا لهم كجواب أمير المؤمنين لسيدهم الذي دلت الرواية على جهله بالأصول الشرعية، والمبادئ الاقتصادية.

وكذلك كان للإمام دور في حفظ المال العام عندما ظهر الاختلاف حول مصير الأراضي التي فتحت في العراق والشام في عهد عمر بن الخطاب هل تبقى عند أصحابها أو تقسم كغنائم على المقاتلين، فقال أمير المؤمنين : ((إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ولكن تقرها في أيديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا)) [١٠]، وبذلك حرص الإمام على حماية المال العام، فلو وزعت هذه الأراضي على الأفراد لتعرضت للخراب لعدم قدرتهم على إدارتها، فضلاً عن انشغالهم في الحروب، أما استثمارها عن طريق تركها في يد أهلها الذين هم أخبر بحالها وحال زراعتها سيحقق مورداً مالياً ثابتاً للدولة وتكون هذه الأموال ليس فقط للجيل الحالي إنما للأجيال في المستقبل .

وبناءً على ذلك يتضح لنا أن السياسة الاقتصادية في عهد عمر كانت سياسة غير مستقرة ولولا وجود الإمام علي عليه السلام لكانت هناك قرارات اقتصادية تعرض الدولة لأزمات ومشاكل اقتصادية ليس بالسهل معالجتها، لكن الغريب أن بعض الباحثين يحاول إخفاء هذه الدور للإمام وإظهار عمر بن الخطاب بشكل المفكر الاقتصادي الذي جاء بالقوانين، وعمل على استقرار سياسة الدولة المالية متناسياً مبدأ المفاضلة الذي استحدثه، وكذلك مخالفته للنصوص والروايات التي تؤكد إخفاقه في هذا الجانب، فقد ذكر أحد الباحثين المحدثين [١١] وتحت عنوان الفكر الاقتصادي عند الخليفة عمر بن الخطاب الروايات التي ذكرناها أعلاه، لكن عمل على إخفاء أي دور للإمام علي عليه السلام في ذلك بل إنه ذكر قضايا عن مراقبة الأسواق، وتحقيق العدل والمساواة ما يثير الريبة هل هذا عهد عمر بن الخطاب الذي جاء بالتمييز بين الناس أو خلافة الإمام علي عليه السلام الذي أصلح ما أفسده القوم ؟

أما في عهد عثمان بن عفان فقد كان الإمام علي ﷺ ناقماً بشدة من السياسة المالية، فقد كان عثمان يعطي الأموال والعقارات إلى أقربائه من بني أمية، وكذلك أمر بتعيين بعض من أقاربه غير المؤهلين في المناصب العليا للدولة، استغلوا هذه المناصب لغرض المنافع الشخصية، ولم تنفع تحذيراتأمير المؤمنين لعثمان من هذه السياسة وما يترتب عليها من آثار على المدى القريب والبعيد، وقد ذكر ﷺ في خطبته الشقشقية سوء الإدارة المالية في عهد عثمان فقال : ((... إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن أنتكث فتلهُ وأجهز عليه عمله ...)) [١٢]، وفي خطبة ثانية له ﷺ أكد على استرجاع جميع الأموال التي وهبها عثمان لآل بيته وأقربائه فقال: ((والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)) [١٣] .

من خلال ما تقدم يتضح لنا دور أمير المؤمنين في حفظ الأموال العامة للدولة الإسلامية بغض النظر عن الظروف التي كانت تحيط به، حيث كان شديد الحرص على تحقيق المساواة بين فئات المجتمع، ومنع انتشار الفساد المالي خاصة في عهد عثمان، فضلاً عن ذلك يمكن أن نستدل على رفض الإمام للسياسة الاقتصادية في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان من خلال الخطوات التي اتخذها لمعالجة النظام الاقتصادي والذي كان من البداية رافضاً لها إلا أنه لم يستطع تغيير الواقع حتى تولي الخلافة في سنة (٣٥هـ) كما سنرى.

واستناداً إلى ما سبق يمكن أن نتصور الواقع الاقتصادي للدولة الإسلامية في الفترة التي تولى فيها الإمام علي ﷺ الخلافة، فالفساد كان بأوج صوره، فضلاً عن إعادة القيم الجاهلية إلى الواجهة فسادت القبلية والحزبية في المجتمع، وكذلك انتشر الفقر بين الناس بسبب التمييز بالعطاء، لذا اتخذ

أمير المؤمنين جملة من الإجراءات التي تهدف إلى تأسيس برنامج اقتصادي متكامل أراد من خلاله أن تنفق الأموال لغرض تطوير الحياة العامة من خلال رفع المستوى المعيشي للفرد ومحاربة الفساد الذي فتك بالدولة الإسلامية [١٤]

أهم الإجراءات التي اتخذها الإمام علي عليه السلام لمعالجة الوضع الاقتصادي .

أولا / المساواة في العطاء :-

كانت الفلسفة الاقتصادية الإسلامية كما تقدم ذكره قائمة على أساس المساواة بين الناس ولا فرق بين عربي وأعجمي، وقد بين الله عز وجل ذلك في مواطن كثيرة في كتابه الحكيم كقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [١٥]، وبعد أن تطورت الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وآله كان مبدأ المساواة هو أساس عملية توزيع الأموال بين الناس فكل ما يأتي من مال يوزع بالعدل والمساواة، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يؤكد ذلك فقال: ((الناس سواسية كأسنان المشط)) [١٦] .

ولم يتغير هذا النظام في عهد أبي بكر وسار على ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله [١٧]، ولكن الحال تغير كما أسلفنا في عهد عمر بن الخطاب الذي اجتهد برأيه وقرر أن لا يكون الناس كأسنان المشط، فوضع قانوناً ميز من خلاله بين الناس في العطاء وقال: ((لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله كمن قاتل معه)) وشمل هذا القانون عدة شروط منها، القرابة من النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك السبق في الإسلام فمثلاً من شهد بدراً أعطاهم خمسة آلاف خمسة آلاف، ومن لم يشهد بدراً أعطاهم أربعة آلاف أربعة آلاف [١٨]، وقد علق الدكتور رحيم علي على ذلك بقوله : ((... فلما استمر العطاء بهذه الصيغة واتسعت موارد الدولة بدأت الفوارق المالية التي انقلبت إلى فوارق اجتماعية تظهر بين أفراد

المجتمع الإسلامي الذي بني على الإخوة والتعاضد والتراحم، وعندما أحس عمر بخطورة خطوته هذه وأثرها السلبي في المجتمع قرر أن يتراجع عنها، ولكن القدر لم يمهله كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر)) [١٩]، وقد روي في بعض المصادر أن الإمام علياً عليه السلام كان من المؤيدين لسياسة عمر في العطاء حتى أنه عليه السلام أشار على عمر أن يبدأ بنفسه، حيث روي أن الإمام علياً عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف [٢٠] قالا لعمر أن يبدأ بنفسه لما وضع الديوان فقال لهما: ((لا بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الأقرب فالأقرب)) [٢١]، إن ما ذكر أعلاه من تأييد الإمام لسياسة عمر بالعطاء لا يمكن القول به، وذلك لعدة اعتبارات منها، أولا/ وجود تضارب في الروايات ففي رواية أن من أشار على عمر بأن يبدأ بنفسه هو عبد الرحمن بن عوف وليس الإمام علي عليه السلام [٢٢]، وفي رواية أخرى ذكر أن بني عدي هم من طلبوا من عمر أن يبدأ بنفسه ثم آل بني عدي معللين ذلك لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه رفض ذلك [٢٣]، وعليه فإن ذكر اسم الإمام علي عليه السلام في هذا الأمر ما هو إلا محاولة من البعض لإعطاء الصفة الشرعية لقرار عمر، ثانياً/ ليس من المنطق أن يكون للإمام علي عليه السلام رأي يشجع على المفاضلة بين الناس لما في ذلك من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمر بالمساواة وبالتالي مخالفة المنهج الإسلامي، كما إن الإمام علياً عليه السلام كان قد أشار على عمر في مواطن عدة بضرورة التسوية والعدل بين الناس كما تقدم ذكره، فضلاً عن ذلك كان أول قرار أمر بتطبيقه بعد توليه الخلافة عليه السلام هو إلغاء مبدأ المفاضلة بين الناس كما سنبين .

وعلى أية حال كان من المؤمل على الحكومة التي جاءت بعد حكم عمر بن الخطاب أن تقوم بدورها الفاعل من أجل معالجة الوضع الاقتصادي المتهالك الذي نتج عن سياسة التفضيل التي اتبعها عمر، إلا أن ذلك لم يحدث واستمر عثمان بن عفان في سياسة العطاء وزاد على ذلك فاتسعت الفوارق بين الأغنياء والفقراء وبين العرب والموالي الذين دخلوا في الإسلام حتى أنهم حرموا من العطاء بشكل مطلق على الرغم من أن أعداد الموالي أصبحت كبيرة جدا، لقد زادت الفلسفة الاقتصادية الجائرة التي انتهجها عثمان من تفاقم الوضع في جميع مفاصل الدولة الإسلامية وأصبح الناس يعانون من التمييز وشاع الفقر، والظلم بين الرعية، فنتج عن ذلك قيام الثورة ضده فكانت حياته ثمنا لها [٢٤].

أيقنت الأمة الإسلامية أن السبب في كل هذه المعاناة هو عدم وجود قيادة حكيمة يمكنها أن تدير سدة الحكم فكل من تصدى لهذه المسؤولية أثبت فشله وعدم قدرته مما خلق وضعاً مرتبكاً في جميع مؤسسات الدولة، لذا سارع الناس إلى الإمام علي عليه السلام لمبايعته بالخلافة بعد قتل عثمان بن عفان، وبالفعل عمد الإمام ومنذ الوهلة الأولى إلى وضع حلول لإعادة الدولة الإسلامية إلى المسار الصحيح، وخاصة في الجانب الاقتصادي الذي بين خطورته في خطبته حال تسلمه الخلافة، فقال عليه السلام: ((وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً، والشر فيه إلا إقبالاً ... أضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقراً ...)) [٢٥]، وعليه كانت الدولة بحاجة إلى قرار حاسم وشجاع، وهو العدول عن سياسة المفاضلة والعودة إلى نظام المساواة الذي يضمن من خلاله سياسة تحقق العدل بين الناس، وفي حقيقة الأمر يعد

هـذه القـرار مـن أخطـر القـرارات التـي اتخذهـا الإمـام عـلي ﷺ لأنـه يمثـل ضرب مصالـح كبـار الفاسـدين في الدولـة فـكان قـراراً ثوريـاً عانـى منـه الإمـام وأهـل بيتـه ﷺ وأتباعهـم حتـى وقتنـا الحـاضر كـما سـنبين.

لقـد أوضـح الإمـام عـلي ﷺ في الأيـام الأولى لخلافتـه السياسـة الاقتصاديـة التـي سـوف يتبعهـا والتـي تهـدف إلى المسـاواة والعـدل بـين النـاس، فخطـب قائـلا : ((... ألا لا يقولـن رجـال منكـم غـداً قـد غمرتهـم الدنيـا فاتخـذوا العقـار وفجـروا الأنهـار وركبـوا الخيـول الفارهـة واتخـذوا الوصائـف الروقـة، فصـار ذلـك عليهـم عـارا وشـنارا، إذا مـا منعتهـم مـا كانـوا يخوضـون فيـه وأصرتهـم إلى حقوقهـم التـي يعلمـون فينقمـون ذلـك ويسـتنكرون ويقولـون : حرمنـا بـن أبي طالـب وظلمنـا حقوقنـا، ألا وأيـما رجـلٍ مـن المهاجريـن والأنصـار مـن أصحـاب رسـول الله ﷺ يـرى أن الفضـل لـه عـلى مـن سـواه لصحبتـه، فـإن الفضـل النـير غـداً عنـد الله، وثوابـه وأجـره عـلى الله، وأيـما رجـل اسـتجاب لله والرسـول فصـدق ملتنـا ودخـل ديننـا، واسـتقبل قبلتنـا، فقـد اسـتوجب حقـوق الإسـلام وحـدوده، فأنتـم عبـاد الله، والمـال مـال الله، يقسـم بينكـم بالسـوية، لا فضـل فيـه لأحـد عـلى أحـد...)) [٢٦]، لقـد بـين الإمـام عـلي ﷺ في هـذه الخطبـة عـدة أمـور منهـا:

أولا / أن السياسـة الاقتصاديـة المتبعـة في الدولـة الإسـلامية قائمـة عـلى أسـاس المفاضلـة والتفرقـة بـين النـاس.

ثانيـا/ سـيطرة أصحـاب النفـوذ في الدولـة مـن ولاة وأمـراء عـلى مقـدرات النـاس ممـا خلـق بيئـة اجتماعيـة غـير متوازنـة يشـاع فيهـا الفقـر والظلـم والجـور.

ثالثاً / بين ﷺ الظلم الذي وقع على الناس في عهد عثمان بن عفان الذي أعطى العقارات والأموال إلى أقربائه وترك عامة الناس تصارع الفقر والحرمان.

رابعـاً / أخـبر النـاس بوجـود ثـورة اقتصاديـة تهـدف لإعـادة العمـل بالشريعـة

الإسلامية القائمة على العدالة والمساواة بين فئات المجتمع. وبالفعل طبق الإمام علي عليه السلام سياسة المساواة فأصدر أوامر إلى ولاته بضرورة تقسيم المال بالعدل والمساواة، حيث كتب إلى حذيفة بن اليمان [٢٧] واليه على المدائن يأمره بأن يقسم الخراج بين أهله بالعدل والمساواة [٢٨]، وكذلك أمر عبيد الله بن أبي رافع [٢٩] كاتبه وخازن بيت المال بأن يبدأ بالمهاجرين ويعطي كل رجل منهم ثلاثة دنانير ثم الأنصار بنفس المقدار [٣٠]، وعلى هذا الأساس ليس هناك فضل لصحابي من المهاجرين أو من الأنصار في العطاء

وفي رواية عن أبي الأسود الدؤلي [٣١] قال : ((لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم فلما رأى كثرة ما فيه قال غري غيري، مرارا ... قال اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمدا بالحق ما نقص درهما ولا زاد درهما، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم)) [٣٢] .

ولدت سياسة الإمام علي عليه السلام الاقتصادية التي انتهجها أعداء كثيرين، خاصة ممن يسمون بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وغيرهم، ولما عاتبه طلحة والزبير في ذلك فأجابهم بحديث طويل نذكر منه : ((... وأما القسم والأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ...)) [٣٣]، لم تنفع محاولات الإمام علي عليه السلام في إقناع طلحة والزبير في مسألة العطاء وفق المساواة، فنتج عن ذلك خروجهم من المدينة وإعلان التمرد والحرب على الخليفة بمساعدة السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله تحت ستار الطلب بثأر عثمان [٣٤] .

لقد حاول بعض الصحابة التدخل لتهدئة الأوضاع من خلال مخاطبة الإمام علي ﷺ بالعدول عن سياسة المساواة ولو إلى حين حتى تهدأ الأمور إلا أن أمير المؤمنين كان يرد بقوله : ((أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير [٣٥]، وما أم نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)) [٣٦] .

من خلال ما تقدم يتضح لنا إصرار الإمام علي ﷺ على تطبيق فلسفته الاقتصادية والقائمة على مبدأ العدل والمساواة بين الناس على الرغم من علمه بخطورة هذه الخطوة .

ثانيا/ استرجاع الأموال والأراضي العامة المغتصبة بغير وجه حق .

تعد مسألة استرجاع الأموال والأراضي التي منحت في عهد الحكومات السابقة وخاصة في عهد عثمان بن عفان من أهم الخطوات التي اتخذها الإمام علي ﷺ فبالرغم من تطبيق نظام المساواة إلا أن الوضع الاقتصادي كان يحتاج لقرار آخر لا يقل أهمية عن سابقهِ، لذا قرر الإمام إعادة هذه الأموال إلى بيت مال المسلمين، ذكر بن أعثم: ((ثم أمر علي ﷺ عنه بكل مال وسلاح في دار عثمان بن عفان .. ونجائب أخذها من مال الصدقة، فقبضت وجعلت في بيت مال المسلمين وما كان سوى ذلك جعله علي ﷺ ميراثاً بين أهله وولده، وجمع علي ﷺ ما كان في بيت المال وفرقه في المهاجرين والأنصار وأصاب كل رجل ثلاثة دنانير)) [٣٧] .

لقد كان أمير المؤمنين عازما على دك حصون الفساد، والاحتكار، وكل من نهب الأرزاق، وأخذ العقار، وبشكل خاص الذين استغلوا نفوذهم في الدولة للسيطرة على الأموال والأراضي، لذا أمر الإمام بشكل صريح وواضح باسترجاعها إلى بيت المال، فقال: ((ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء،

ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق)) [٣٨] .

وعلق جورج جرداق على ذلك، بقوله : ((قد يعدل بعض الولاة وأصحاب السلطان فلا يثيبون على غير جهد، ولا يبذرون مال الشعب بإرادة متقرب أو قريب، أو بإشارة صديق أو حبيب، أما أن يعود والٍ إلى من أيسروا في عسر الشعب، في أيام لم تكن أيامه فيحاسبهم، فيستعيد منهم ما ليس لهم، فتلك دلالة صريحة على عمق نظرته إلى الأمور ...)) [٣٩]، وبطبيعة الحال مثل استرداد الأراضي والأموال جزءاً من الحركة الإصلاحية التي استهدفت من جانب الإمام علي عليه السلام مجمل نهج عثمان بن عفان على الصعيد الاقتصادي .

ثالثاً/ العمل على تطوير الصناعة والتجارة .

على الرغم من أن الصناعة في الدولة الإسلامية لم تكن متطورة ومزدهرة كما هو حال التجارة، ويمكن القول إنها كانت في بدايتها، وهذا لا يعني عدم وجود صناعة عندهم بل كانت محدودة .

كان الإمام علي عليه السلام ينظر إلى الصناعة كركن أساسي في عملية التنمية الاقتصادية على الرغم من بدائيتها في عهده، وما يؤكد ذلك كلامه لعامله على مصر : ((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً)) [٤٠]، ولأهمية الصناعة في فكر الإمام فقد تكلم عنها في سياق كلامه عن الطبقات الاجتماعية وأهمية بعضها لبعض في بناء وتقدم الدولة، فيقول عليه السلام : ((... ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ...)) [٤١]، وقد علق أحد الباحثين المحدثين عن عناية للإمام علي عليه السلام بالصناعة، فقال : ((فالصناعة على الرغم من بدائيتها في عهده، إلا أنها لقيت

منه هذه العناية ؛ نظراً لما لمحه بفكره الثاقب من الدور المهم الذي تقوم به والمتمثل في : أن الصناع يبلغون من الرفق الشيء وصناعته درجة لا يبلغها غيرهم، وهذا راجع إلى تخصصهم بالطبع، ... ومن أجل هذا وتحقيقاً لهذه المنافع للمجتمع يجب على الدولة أن تهتم بشئونهم وتعتني بأحوالهم ؛ لذلك سلك الإمام في أهل الصناعات مع التجار دعوته إلى تنظيم التجارة)) (٤٢) .

فضلاً عن ما تقدم كان أمير المؤمنين يحث على تعلم الصنائع والمهن، فقد ورد عنه عليه السلام : ((أن الله عز وجل يحب المحترف الأمين)) (٤٣)، وكذلك كان الإمام ينصح الصناع بجودة العمل وعدم السرعة في إنجازه لأن ذلك يؤثر على نوع السلع، فقال عليه السلام : ((لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل، إنما يسألون عن جودة صنعته)) (٤٤) .

واستخلاصاً لما سبق تتضح نظرة الإمام علي عليه السلام للصناعة والتي سبق بها غيره، إذ دعا إلى مبدأ التخصص في الصناعات، وهذا الأمر يؤدي إلى إتقان الصناعة وتطويرها .

ولما كانت التجارة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالصناعة، وكذلك تعد أمراً أساسياً في كل نهضة اقتصادية أولاها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اهتماماً خاصاً، وبطبيعة الحال لا تكون هناك تنمية اقتصادية دون الاهتمام بالتجارة والتاجر على وجه الخصوص، لذا أكد صلى الله عليه وآله في وصيته لعاملة على مصر على هذه المفهوم، فقال : ((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً

للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه من غير إسراف)) [٤٥]، وضح الإمام عليه السلام من خلال هذه الوصية لعاملة عدة أمور منها، الاهتمام بالتجار وبطريقة عملهم لأن ذلك يجلب المنفعة للدولة، كما بين أن بعض التجار يعملون على احتكار السلع، والتحكم بعملية البيع والشراء وفق ما يحقق مصالحهم على حساب العامة، فلا بد من التصدي لهم، وأخيراً يؤكد أمير المؤمنين أن العقاب المتخذ بحق التجار غير الملتزمين يكون دون إسراف .

لقد نتج عن اهتمام الإمام علي عليه السلام بالصناعة والتجارة تطوراً ملحوظاً في عمل هاتين المؤسستين، فانعكس ذلك على النشاط الاقتصادي للدولة بشكل عام وتحقق من خلاله الرفاهية الاقتصادية للمواطن بشكل خاص .

رابعاً / مراقبة الأسواق ومنع التلاعب في السلع .

للأسواق أهمية في الفلسفة الاقتصادية الإسلامية، لأنها موضع أرزاق الناس، ومن خلالها تجري المعاملات التجارية وكل ما يتعلق بها من تفاصيل البيع والشراء، لذا نجد الشريعة الإسلامية تؤكد على ضرورة مراقبة هذه الأسواق ومنع الغش فيها، وفي خلاف ذلك تتحول الأسواق إلى مركز للفساد الاقتصادي .

لقد أولى الإمام علي عليه السلام أهمية كبيرة لمسألة مراقبة الأسواق حتى أنه يقوم بنفسه بعملية المراقبة وتنظيم العمل في أسواق الكوفة، ويرفض أن يقوم أحد غيره بهذا الأمر، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : ((كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ... فيقف على أهل كل سوق فينادي: يا معشر التجار اتقوا الله

عز وجل فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم وارعوا إليه بقلوبهم وسمعوا بآذانهم فيقول عليه السلام : قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، و تجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا بالكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس)) [٤٦] .

وقد وصف لنا الإمام الحسين عليه السلام كيف كان يخرج الإمام علي عليه السلام ليراقب الأسواق في الكوفة بشكل مفصل، حيث روي عنه عليه السلام : ((أن علياً عليه السلام ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بالكوفة فأتى سوقاً سوقاً، فأتى طارق اللحامين وقال بأعلى صوته : يا معشر القصابين لا تنخعوا ولا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهق وإيّاكم والنفخ في اللحم للبيع ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك، ثمّ أتى التمارين فقال: أظهروا من رديّ بيعكم ما تظهرون من جيده، ثمّ أتى السمّاكين فقال : لا تبيعوا إلاّ طيّباً، وإيّاكم وما طفا، ثمّ أتى الكناسة فإذا فيها نوع التجارة، من نخاس وقيل نحاس، ومن مائع، ومن قمّاط، ومن بائع أبل وقيل إبر، ومن صيرفي،ومن حنّاط، ومن بزّاز، فنادى بأعلى صوته : إن أسواقكم هذه يحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة، وكفوا عن الحلف؛ فإن الله عز وجل لا يقدس من حلف باسمه كاذباً)) [٤٧] .

إن إصرار الإمام عليه السلام على الخروج بنفسه إلى الأسواق ومراقبة مختلف أصناف الباعة لم يأت من فراغ، إذ حتم الظرف الاقتصادي للمجتمع الإسلامي الذي انتشر فيه الفساد بسبب قلة وعي الحكومات السابقة لعهده عليه السلام على الإمام أن يخرج بنفسه ليدرك الباعة أهمية ما يقومون به من عمل .

فضلاً عن ما تقدم فقد كان أمير المؤمنين يرسل إلى عماله بضرورة وضع أناس ثقات لمراقبة الأسواق وعندما يلاحظ وجود تلاعب من قبل المسؤول على الأسواق يأمر بمعاقبته، وهذا ما نلمسه عندما أمر بسجن بن هرمة [٤٨] الذي كان على سوق الأهواز فخان، فكتب الإمام علي عليه السلام إلى قاضيه على الأهواز : ((إذا قرأت كتابي هذا، فنح بن هرمة عن السوق، وأوقفه للناس، واسجنه، وناد عليه ... واكتب إلي بما فعلت في السوق ومن اخترت بعد الخائن، واقطع عن الخائن رزقه)) [٤٩] .

وبذلك يتضح دور الإمام علي عليه السلام في حماية أسواق المسلمين من بعض ضعفاء النفوس من المسؤولين على الأسواق فبن هرمة وحد من الفاسدين الذين يعتقدون أنهم قادرون على سرقة المال العام دون عقاب والظاهر أنهم كانوا معتادين على هذا الأمر لعدم وجود رقابة حقيقية فيما سبق، لكن أمير المؤمنين أمر وبشكل فوري بإيداعه السجن وأن يجلد في الأسواق، وأن يحرم من عمله بشكل نهائي.

المحور الثاني / أثر السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام في تحقيق العدل بين فئات المجتمع كافة ومكافحة الفقر

لقد كان من الطبيعي بعد الإجراءات التي اتخذها الإمام علي عليه السلام لتحسين الواقع الاقتصادي للدولة الإسلامية كما تقدم، أن يتحسن المستوى المعيشي للفقراء داخل المجتمع، خاصة بعد تطبيق العمل بمبدأ المساواة بين الناس بالعطاء الذي كان كفيلاً بمعالجة مسألة الفقر بشكل كبير، فقد كان لهذه المساواة أثر على فقراء القوم فقد روي أن الإمام علياً عليه السلام أعطى سهل بن حنيف ثلاثة دنانير وأعطى لغلامه مثلها [٥٠] .

لم يكتفِ أمير المؤمنين بالمعالجات الاقتصادية فقط لمكافحة الفقر، بل كان يحث المؤمنين على تقديم المساعدات للفقراء، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله : ((إن لأهل الدين علامات يعرفون بها : صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء ...)) [٥١]، وكذلك خاطب الإمام علي عليه السلام الأغنياء بضرورة مساعدة الفقراء، من خلال إعطاء الحقوق الشرعية من أموالهم إلى الفقراء، فقال عليه السلام : ((إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني)) [٥٢] .

كما أكد الإمام علي عليه السلام على ولاته بضرورة الاعتناء بطبقة الضعفاء وتقديم المساعدات لهم وإزالة شبح الفقر منهم، ونشر الرخاء بينهم، ويظهر ذلك واضحاً في عهده لواليه على مصر، فيقول له : ((ثمّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً ...)) [٥٣]، وبذلك حمل الإمام علي عليه السلام الدولة مسؤولية تقديم الرعاية المادية لمختلف فئات المجتمع .

وفي مجال مكافحة الفقر عمد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مشاركة الفقراء جشوبة عيشهم، فقد كان يلبس الخشن، ويأكل الطعام القليل والمتواضع، حيث اختار عليه السلام أن يعيش الفقر بمحض أرادته ليكون خير سند لهذه الطبقة وهذه هي صفات الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فالإمام أبي الفقراء واليتامى، وقد ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ما يؤكد ذلك حيث قال : ((والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعة، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعا ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس

خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل ...)) [٥٤]، وقد بين العيساوي السبب في حياة الزهد التي عاشها الإمام علي عليه السلام بقوله : ((إن الإمام عليّاً عليه السلام يرى من الزهد أمراً خاصاً بأئمة الحق وهو واجب مفروض من الله تعالى عليهم لكي يشعروا بآلام الفقراء واحتياجاتهم، أي أن ولي الأمر عليه أن يعيش حياة الفقراء، وبذلك صرح عليه السلام قائلاً : ((إن الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقراء بفقري ولا يطغى الغني غناه)) [٥٥]، فالهدف الأول هو حمل الإمام عليه السلام على الشعور بآلام الفقراء كما أسلفنا، أما الهدف الثاني فهو لكي يقتدي الفقراء بفقر الإمام عليه السلام)) [٥٦].

من خلال ما تقدم يتضح لنا دور الدولة في خلافة الإمام علي عليه السلام في تحقيق العدل الاجتماعي ومكافحة الفقر، فتحسين الوضع الاقتصادي للدولة، وتقديم المساعدات الاجتماعية لهذه الطبقة، فضلاً عن حث الناس وخاصة الأغنياء على تقديم الدعم لهذه الفئة، كل ذلك عمل على تحقيق العدل الاجتماعي ومكافحة الفقر.

ومن الخطوات المهمة التي ركز عليها أمير المؤمنين في مكافحة الفقر هي حث الفقراء على العمل وعدم الكسل والعجز والاعتماد على الآخرين، فقد ورد عنه عليه السلام قوله : ((إن الأشياء لما ازدوجت، ازدوج الكسل والعجز، فنتج منهما الفقر)) [٥٧]، وكذلك سوء التدبير من الأسباب التي تورث الفقر فالإنسان في كثير من الأحيان يترك أمر معيشته دون تدبير وتقدير، لذا بين عليه السلام هذا الأمر بقوله : ((ترك التقدير في المعيشة يورث الفقر)) [٥٨].

فضلاً عن ما تقدم فقد ركز أمير المؤمنين في مجال مكافحة الفقر على العمل، أي تشجيع الفقراء على العمل وكسب قوتهم من كد أيديهم، فكان هو

ﷺ أنموذج العامل الكادح، وروي عنه ما يؤكد على هذا المفهوم فقال:((... فعليكم بالجد والاجتهاد، وإذا صليتم الصبح وانصرفتم، فبكروا في طلب الرزق، واطلبوا الحلال فإن الله سيرزقكم ويعينكم عليه)) (٥٩).

الخاتمة

وفي الختام نتوجه لحمد الله الذي بحمده تدوم النعم والصلاة والسلام على رسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد

في ختام بحثنا الموسوم بـ (السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام وأثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر) نكون قد توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها ..

١- تدهور الوضع الاقتصادي للدولة الإسلامية بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله والذي كان نتيجة حتمية بعد أن تصدى لخلافة الدولة من لا يفقه شيئاً سواء في الجانب السياسي أم الجانب الاقتصادي.

٢- دور الإمام علي عليه السلام في حفظ المال العام من الضياع بسبب قرارات الحكومة في عهد عمر بن الخطاب، وكذلك في عهد عثمان بن عفان خاصة في مسألة الأراضي التي فتحت في العراق والشام.

٣- كانت السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع مراعاة تطور العصر في خلافته، وأن محور هذه السياسة هو الإنسان والحفاظ على كرامته وحقوقه وفق مبدأ العدل والمساواة.

٤- كانت أولى الخطوات الثورية الإصلاحية في السياسة الاقتصادية التي أمر بها أمير المؤمنين بعد تولي الخلافة هي المساواة بين الناس بالعطاء فلا فضل لأحد على أحد فالمال مال الله والناس عباد الله.

٥- ثم تتابعت الخطوات الإصلاحية والتي تهدف لإعادة العمل بنهج الرسول صلى الله عليه وآله كاسترجاع الأموال والأراضي العامة لبيت مال المسلمين.

٦- وكذلك كانت للإمام علي عليه السلام بصمته الواضحة في تطوير الصناعة والتجارة، وكان ذلك واضحاً في عهده إلى واليه على مصر، فضلاً عن مراقبة الأسواق ومنع التلاعب في السلع .

٧- وقد ترتب على السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام تحقيق العدل الاجتماعي في الدولة الإسلامية، ومكافحة الفقر من خلال تقديم الرعاية الاجتماعية للضعفاء وتشجيعهم على العمل وكسب قوتهم من كد أيديهم .

كان نهج أمير المؤمنين عليه السلام في مختلف المجالات نهجاً ثورياً جذرياً لتتغير الواقع الفاسد، والعودة إلى نهج الإسلام المحمدي الأصيل، وتخليص الناس من الظلم والجور الذي وقع عليهم عندما تصدى للحكم من ليس أهلاً له .

الهوامش

١.المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط-٢، قم المقدسة / ١٩٨٤ .)، ج٢، ص٤١٤

٢.صياح، رحيم علي : السياسة الاقتصادية والمالية للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، (مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، بابل / ٢٠١٩)، العدد ٤٣، ص ١٤٧٩

٣.حميد، جواد كاظم : علم الاقتصاد عند الإمام علي ((عليه السلام)) (ط-١، البصرة / ٢٠٠٩)، ص ٢١

٤.عبده، محمد إسماعيل : الاقتصاد في ضوء الإسلام (تقديم : رشا محمود، ط٢، الجيزة / ٢٠١٨)، ص ٥ .

٥.للمزيد ينظر التسخيري، محمد علي : دروس في الاقتصاد (ط١ / ١٩٨٣)،ج١، ص ١٩٥-٢٢١ ؛ جواد كاظم حميد: علم الاقتصاد عند الإمام علي ((عليه السلام))،ص ٢١

٦.الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ط-٢، مكة المكرمة / ١٩٦٦)، ص ٢٠٢ .

٧.اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٥٤ .

٨.بن سعد : الطبقات الكبرى (تحقيق: محمد عبد القادر عطا،ط-١،بيروت/ ١٩٩٠)، ج٣،ص٢٢٤ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٢٠٠ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، ط-٢، قم المقدسة / ١٩٦٧)، ج ١٢، ص ٩٤ ؛ جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء (تحقيق : لجنة من الأدباء، مكة المكرمة)، ص ١٥٩؛ المتقي الهندي : كنز العمال (تحقيق : بكري حياني/ صفوة السقا، بيروت / ١٩٨٩)،ج٤،ص٥٦٥ .

٩.الزمخشري : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (تحقيق : مهنا،عبد الأمير، ط-١، بيروت / ١٩٩٢)، ج٤، ص٤٤٠ ؛ قطب الدين الراوندي : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (تحقيق : السيد عبد اللطيف الكوهكمري، قم المقدسة / ١٩٨٦)، ج٣،ص٣٧٠ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ١٥٨ ؛ الطهراني، محمد الصادقي : علي والحاكمون (إيران / ١٩٦٩)، ص ٢٤١ .

١٠.اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (بيروت)، ج٢، ص ١٥١-١٥٢ .

١١.عويضة، عدنان : بواكير الفكر الاقتصادي الإسلامي منذ فجر الإسلام (مجلة اتيبي كلية العلوم الإسلامية، أنقرة / ٢٠٢١) رقم الدورية ٥٦١٦-٢٧٥٧، ص١٢٩ .

١٢.المفيد : الإرشاد (تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، ط٢، بيروت / ١٩٩٣)، ج١، ص ٢٨٨ ؛ قطب الدين الراوندي : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،ج١، ص ٢٠١ ؛ الطبرسي : الاحتجاج (تحقيق : محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف / ١٩٦٦)، ج١، ص

٢٨٧ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١، ص ١٩٧

١٣. بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١، ص ٢٦٩ .

١٤. للمزيد حول رؤية الإمام علي ﷺ للمال ينظر، العيساوي، علاء كامل صالح : النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ﷺ (ط-١، النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥)، ص ٣٤٩ -٤٧٨ .

١٥. سورة الحجرات، الآية ١٣ .

١٦. بن عبد البر : بهجة المجالس وأنس المجالس (تحقيق : محمد مرسي الخولي، ط-٢، بيروت / ١٩٨١)، ج٢،ص٢٢٦ .

١٧. أبي يوسف : الخراج (بيروت / ١٩٧٩)، ص ٤٢ .

١٨. للمزيد حول مفاضلة عمر بن الخطاب بالعطاء ينظر . أبي يوسف : الخراج، ص ٤٢-٤٣

١٩. السياسة الاقتصادية والمالية للإمام علي بن أبي طالب ﷺ، ص ١٤٨٢ .

٢٠. أبي محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث القرشي الزهري، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وقيل كان من أوائل الذين أسلموا وهاجر إلى الحبشة ثم رجع وبعدها إلى المدينة، كان عبد الرحمن من أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وهو من رواة حديث العشرة المبشرين بالجنة الذي ليس له أساس من الصحة، ويعتبر من رؤساء المنافقين الذين وقفوا بالضد من الإمام علي ﷺ وجهد وسعه يوم الشورى في صرف الخلافة عن أمير المؤمنين ﷺ مات سنة (٣٢هـ) وقيل (٣٣ هـ) بالمدينة بن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت / د : ت)، ج ٣، ص ٣١٤ ؛ بن حجر العسقلاني : الإصابة (تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط-١، بيروت/ ١٩٩٥ م)، ج٤،ص٢٩٠ ؛ الكركي: رسائل الكركي (تحقيق: محمد الحسون، ط-١،قم المقدسة / ١٩٩١)، ج٢، ص٢٢٨

٢١. الطبري : تاريخ الرسل والملوك (تحقيق : نخبة من العلماء الأجلاء، بيروت)، ج٣، ص١٠٩ ؛ بن الأثير : الكامل في التاريخ (بيروت / ١٩٦٥)، ج٢، ص٥٠٢

٢٢. الماوردي : الأحكام السلطانية، ص ٢٠١ .

٢٣. البلاذري : فتوح البلدان (تحقيق : صلاح الدين المنجد، القاهرة، د : ت)، ج٣،ص ٥٤٩ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك،ج ٣،ص ٢٧٨ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة،ج١٢،ص ٩٥ ؛ علاء كامل صالح العيساوي : النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ﷺ، ص ٤٤٨ .

٢٤. للمزيد حول عهد عثمان بن عفان ينظر . الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣٠٥

-٤٢٦ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة، د : ت)، ج ١٩، ص ٤٨٥

٢٥.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٨، ص ٢٤٤ ؛ المجلسي : بحار الأنوار (ط -٢، بيروت/ ١٩٨٣ م)، ج ٣٤،ص ٨٩

٢٦.بن عقدة الكوفي : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام (تحقيق: حرز الدين، عبد الرزاق محمد حسين، ط-١، قم المقدسة / ٢٠٠٤)، ص ٩١ ؛ الطوسي : الأمالي (تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط-١ قم المقدسة/ ١٩٩٤ م)، ص ٧٢٩ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٧، ص ٣٧

٢٧.أبي عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي من خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أعيان المهاجرين، شهد أغلب المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل أن رسول الله أخبره بأسماء المنافقين في المدينة، وكان والي عمر على المدائن، ويعد حذيفة من خلص أصحاب أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وبقي على المدائن في خلافته، مات سنة (٣٦هـ) . بن حبان : تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (تحقيق : بوران الضناوي، ط – ١، بيروت، / ١٩٨٨م)، ص ٧٣ ؛ الطوسي : رجال الطوسي (تحقيق : جواد القيومي الاصفهاني، ط-١،قم المقدسة/ ١٩٩٥ م)، ص٦٠ ؛ الأردبيلي: جامع الرواة (قم المقدسة/ ١٩٨٣ م)، ج١،ص١٩٦ ؛ العاملي، علي الكوراني : سيرة أمير المؤمنين عليه السلام (ط-١، قم المقدسة / ٢٠١٨)، ج٢، ص٢٨

٢٨.المجلسي : بحار الأنوار، ج٢٨، ص ٨٨

٢٩.أبي إبراهيم عبيد الله بن أبي رافع التابعي من أعلام القرن الأول الهجري، كان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خيار الشيعة لأزم أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه حروبه، ونظرا لمكانته وعلمه أصبح صاحب بيت المال في الكوفة وكاتب الإمام عليه السلام، مات قبل سنة (١٠٠هـ) حسب أغلب المصادر . ينظر العجلي : معرفة الثقات (ط-١، المدينة المنورة / ١٩٨٥)، ج٢، ص١١٠ ؛ بن حبان : الثقات (تحت مراقبه : محمد عبدِ المعيد خان، ط-١، الهند/ ١٩٧٣ م)، ج٥،ص ٦٨ ؛ التستري، محمد تقي : قاموس الرجال (تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، ط- ٢، قم المشرفة/ ١٩٩٠م)، ج٧، ص ٥٦

٣٠.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٧، ص ٣٧-٣٨ ؛ المرعشي : شرح إحقاق الحق (تحقيق : محمود المرعشي، ط-١، قم المقدسة / ١٩٩٧)، ج ٣٢،ص ١٩٨ .

٣١.أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان (وقيل بن عثمان) بن جندل الدؤلي الكناني،كان ثقة في حديثه وشاعراً شيعاً، قيل هو واضع علم النحو بعد أن رسم له الإمام علي عليه السلام شيئاً من أصوله فكتب فيه أبي الأسود، وذكر أنه شهد صفين مع الإمام، سكن

البصرة في عهد عمر وولي إمارتها في خلافة الإمام علي ﷺ، مات في البصرة سنة (٦٩ هـ) . ينظر . بن سعد : الطبقات الكبرى، ج٧، ص٦٩ ؛ بن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٦٩ ؛ الزركلي، خير الدين : الأعلام (ط-٥، بيروت/ ١٩٨٠ م)، ج ٣، ص ٢٣٦

٣٢.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤٩

٣٣.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٧، ص ٤٢ ؛ المجلسي : بحار الأنوار، ج٣٢، ص ٢٢

٣٤.للمزيد حول واقعة الجمل ينظر. المفيد : الجمل (قم المقدسة / د : ت)، جميع الصفحات

٣٥.سمر سمير : يعني الدهر أي ما أقام الدهر وما بقي، ولا أطور به ما سمر سمير أي لا أقربه الدهر كله . ينظر . بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١١٠ ؛ بن منظور : لسان العرب(قم المقدسة/ ١٩٨٥ م)، ج ٤، ص ٥٠٨

٣٦.الكليني : الكافي (تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط -٣، طهران / ١٩٥٧ م)، ج٤، ص ٣١ ؛ بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٠٩ .

٣٧.الفتوح (تحقيق : علي شيري، ط-١، بيروت/ ١٩٩١ م)، ج٢، ص٤٣٧

٣٨.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٦٩

٣٩.الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (ط-١، بيروت / ٢٠١٠)، ج١، ص١٦٤-١٦٥

٤٠.قطب الدين الراوندي : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج٣، ١٨٨ ؛ بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٧، ٨٣

٤١.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٥٠

٤٢.إبراهيم، أحمد أسعد محمود : السياسة الاقتصادية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك / ١٩٩٧)، ص ٨٤

٤٣.الكليني: الكافي، ج٥، ص١١٣؛ الصدوق : الخصال (صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري، قم المقدسة/ ١٩٨٣ م)، ص ٦٢١ .

٤٤.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص ٢٦٧ الريشهري، محمد : ميزان الحكمة (ط-١، قم المقدسة/ ١٩٩٦ م)، ج٦، ص٣٦٣ .

٤٥.بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج١٧، ٨٣ .

٤٦.الكليني : الكافي، ج٥، ص ١٥١ ؛ الطوسي : تهذيب الأحكام (حققه وعلق عليه : حسن الموسوي الخرسان، طهران/ ١٩٤٥ م)، ج٧، ص ٦ .

٤٧.القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام (تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي، القاهرة

/ ١٩٦٣ م)، ج٢، ص٥٣٨ ؛ البروجردي : جامع أحاديث الشيعة (قم المقدسة/ ١٩٧٩ م)، ج ١٧، ص ٤٥٤-٤٥٥ ؛ الريشهري، محمد : موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ (تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، محمد كاظم الطباطبائي، محمود الطباطبائي، ط-٢، قم المقدسة/ ٢٠٠٥)، ج٤، ص١٧٦-١٧٧

٤٨. هو علي بن هرمة لم نعثر له على ترجمة .

٤٩. القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام، ج٢، ص٥٣٢ ؛ البروجردي : جامع أحاديث الشيعة، ج٢٥، ص ٢٥٧ .

٥٠. بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٣٨ ؛ علاء كامل صالح العيساوي : النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ﷺ، ص ٤٥٣

٥١. الكليني : الكافي، ج٢، ص٢٣٩ ؛ المجلسي : بحار الأنوار، ج ٦٤، ص٢٨٩

٥٢. بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٤٠

٥٣. بن شعبة الحراني : تحف العقول عن آل الرسول (ﷺ) (تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط-٢، قم المقدسة / ١٩٨٤)، ص ١٥٢ ؛ بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص ٦٨ ؛ القرشي، باقر شريف : العمل وحقوق العامل في الإسلام (ط-٢، النجف الأشرف / د : ت)، ص ٢٩٨-٣٠٠

٥٤. الصدوق : الأمالي (تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط-١، قم المقدسة / ١٩٩٧ م)، ص ٣٥٦ ؛ المجلسي : بحار الأنوار، ج٤١، ص ١٠٤

٥٥. الكليني : الكافي، ج١، ص ٤١٠

٥٦. النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي ﷺ، ص٣٦٢-٣٦٣

٥٧. الكليني : الكافي، ج٥، ص ٨٦

٥٨. المجلسي : بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٤٧

٥٩. الكليني : الكافي، ج٥، ص٧٩ ؛ الحر العاملي : وسائل الشيعة (تحقيق وتعليق : محمد الرازي وأبي الحسن الشعراوي، بيروت / د : ت)، ج١٢، ص ١٢

المصادر والمراجع

* بن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م):-
* أسد الغابة في معرفة الصحابة (دار الكتاب العربي، بيروت / د : ت)
* الكامل في التاريخ (دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م)
* الأردبيلي، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ / ١٦٩٢م) :-
* جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد (مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م) .
* بن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) :-
* الفتوح (تحقيق : علي شيري، ط-١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١ م)
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) :-
* فتوح البلدان (تحقيق : صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د : ت)
* بن حبان، محمد بن أحمد (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) :-
* تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (تحقيق : بوران الضناوي، ط – ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)
* الثقات (تحت مراقبه : محمد عبد المعيد خان، ط-١، مؤسسة الكتب الثقافية، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م)
* بن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :-
* الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط-١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م)
* بن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :-
* شرح نهج البلاغة (تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، ط -١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩ م)
* الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٣٩م) :-
* (تحقيق وتعليق : محمد الرازي وأبي الحسن الشعراوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت / د : ت)
* قطب الدين الراوندي، أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م):-
* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم المقدسة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م)
* الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م):-

* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (تحقيق: مهنا، عبد الأمير، ط-١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت / ١٩٩٢)
* بن سعد، محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) :-
* الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت / د : ت)
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) :-
* تاريخ الخلفاء (تحقيق : لجنة من الأدباء، دار التعاون مكة المكرمة/ د : ت)
* بن شعبة الحراني، أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين (ت القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) :-
* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ (تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط-٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة من المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م)
* الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م) :-
* الأمالي (تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط-١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م) .
* الخصال (صححه وعلق عليه : علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م) .
* الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) :-
* الاحتجاج (تعليقات وملاحظات : محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦ م)
* الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) :-
* تاريخ الأمم والملوك (راجعه وصححه وضبطه : نخبة من العلماء الأجلاء، ط-٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م)
* الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) :-
* الأبياب المعروف بـ (رجال الطوسي) (تحقيق : جواد القيومي الإصفهاني، ط-١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة من المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م)
* الأمالي (تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، ط-١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م)
* تهذيب الأحكام (حققه وعلق عليه : حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥ م)
* بن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :-

* بهجة المجالس وأنس المجالس (تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط-٢،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ / ١٩٨١)
* بن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م).
* فضائل أمير المؤمنين ﷺ (تحقيق: حرز الدين، عبد الرزاق محمد حسين، ط-١،دليل ما – إيران، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)
* الكركي، المحقق علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م)
* رسائل الكركي (تحقيق: محمد الحسون، ط-١، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة،١٤٠٩هـ/ ١٩٩١ م)
* الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) :-
* الكافي (تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط -٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٥٧ م) .
* الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٩م) :-
* الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ط-٢، دار التعاون للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
* المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م) :-
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (ضبطه : بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ م)
* المجلسي، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) :-
* بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار(ط -٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م) .
* المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) :-
* مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق : يوسف أسعد داغر، ط-٢، دار الهجرة، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م) .
* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العبكري البغدادي(ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) :-
* الإرشاد (تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث، ط-٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م)
* الجمل(مكتبة الداوري،قم المقدسة/ د:ت)
* بن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٤٠٨ م) :-
* لسان العرب (أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) .
* النعمان، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد المغربي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) :-
* دعائم الإسلام (تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣ م)

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)
* الأرب في فنون الأدب (المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د : ت)
* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ٨٩٧م) :-
* تاريخ اليعقوبي(دار صادر،بيروت/ د:ت)
* أبي يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ/ ٨٠٠م) :-
* الخراج (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م)
* المراجع الثانوية /
* البروجردي، السيد محمد حسين (ت ١٣٨٣هـ/ ١٩٧٤م) :-
* جامع أحاديث الشيعة (المطبعة العلمية، قم المقدسة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م) .
* التستري، محمد تقي :-
* قاموس الرجال (تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي، ط- ٢، مؤسسة النشر الإسلامية مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)
* التسخيري، محمد علي .
* دروس في الاقتصاد (ط١، منظمة الإعلام الإسلامية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣)
* جرداق، جورج :-
* الإمام علي صوت العدالة الإنسانية (ط-١، مطبوعات دار الأندلس، بيروت،١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م)
* حميد، جواد كاظم :-
* علم الاقتصاد عند الإمام علي (عليه السلام) (ط-١، البصرة ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩ م)
* الريشهري، محمد :-
* موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ (تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، محمد كاظم الطباطبائي، محمود الطباطبائي، ط-٢،دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)
* ميزان الحكمة (ط-١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ١٤١٦هـ /١٩٩٦ م)
* الزركلي، خير الدين :-
* الأعلام (ط-٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م)
* الطهراني، محمد الصادقي :-
* علي والحاكمون (جامعة علوم القرآن، إيران ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)
* العاملي، الشيخ علي الكوراني :-
* سيرة أمير المؤمنين عليه السلام (ط-١، قم المقدسة / ٢٠١٨)
* عبده، محمد إسماعيل :-
* الاقتصاد في ضوء الإسلام (تقديم : رشا محمود، ط٢،، وكالة الصحافة العربية، الجيزة،١٤٣٩/ ٢٠١٨)
* العيساوي، علاء كامل صالح :-
* النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي عليه السلام (ط-١، التميمي للطباعة والنشر،

النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥).
* القرشي، الشيخ آية الله العظمى باقر شريف (قدس)
* العمل وحقوق العامل في الإسلام(ط-٢، مطبعة الآداب، النجف الأشرف/ د : ت)
* المرعشي، نور الله الحسيني :-
* شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة / د : ت)
* **الرسائل والاطاريح**
* * **إبراهيم، أحمد أسعد محمود** :-
* السياسة الاقتصادية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

البحوث المنشورة
* صياح، رحيم علي :-
* السياسة الاقتصادية والمالية للإمام علي بن أبي طالب ﷺ، (مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، بابل، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩ م)
* عويضة، عدنان :-
* بواكير الفكر الاقتصادي الإسلامي منذ فجر الإسلام (مجلة اتيبي كلية العلوم الإسلامية، أنقرة، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م)

الفقر والثراء في الثقافة والاقتصاد:

دراسة تحليلية لألفاظ أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير بين اللغة العربية وعلوم الإدارة

م.م. احمد نصر الله

م.م. حيدر علي فليح

مركز كربلاء للدراسات والبحوث / العتبة الحسينية المقدسة

ملخص البحث

البحث يستكشف العلاقة بين مفاهيم الفقر والثراء في اللغة العربية وكيف يمكن ربطها بمجال علوم الإدارة. يؤكد البحث أن اللغة والثقافة ليستا مجرد عوامل ثانوية في مجال الإدارة، بل تشكل جزءًا أساسيًا من كيفية فهم وتطبيق العوامل الاقتصادية والاجتماعية، ويستعرض البحث مفاهيم مثل "أهل الحاجة" و"اليتيم" و"الغني" و"الفقير" في اللغة العربية وكيف تتجلى في علوم الإدارة.

والبحث يظهر التفاعل المعقد بين هذه المفاهيم في اللغة وكيف يمكن تطبيقها في سياقات إدارية متنوعة. يركز على كيفية أن تلك المفاهيم تؤثر في الاتجاهات والقيم داخل المؤسسات والمجتمعات. ويتوضح كيف يمكن أن يؤدي فهم هذه التفاعلات إلى استراتيجيات إدارية أكثر فعالية واستدامة.

والبحث يشير إلى أهمية النهج المتعدد التخصصات في دراسة علوم الإدارة، وكيف يمكن ربط اللغة والثقافة بمجال الإدارة لتحسين الفهم للديناميات الاقتصادية والاجتماعية. يختم البحث بإشارة إلى أن هذه النتائج ليست محصورة في الثقافة العربية فقط، بل يمكن تطبيقها على مستوى عالمي، ويشدد على أهمية هذا النهج في تطوير استراتيجيات إدارية أكثر تأثيرًا ونجاحًا.

Abstract

The research explores the relationship between the concepts of poverty and affluence in the Arabic and how it can be linked to the field of management sciences. The research confirms that language and culture are not just secondary factors in the field of management, but rather form an essential part of how to understand and apply economic and social factor, to management sciences.

The research shows the complex interplay between these concepts in language and how they can be applied to diverse administrative contexts. It also focuses on how these concepts influence attitudes and values within institutions and societies and shows how understanding these interactions can lead to more effective and sustainable management strategies.

The research points to the importance of an interdisciplinary approach to the study of management sciences, and how language and culture can be linked to the field of management to improve understanding of economic and social dynamics. The research concludes by pointing out that these results are not confined to Arab culture only, but can be applied to a global level, and stresses the importance of this approach in developing more effective and successful management strategies.

المقدمة

في عالم يتسم بالتعقيد والتنوع الثقافي، تصبح اللغة والإدارة مكونين حاسمين في فهم وتوجيه السلوك الإنساني والتنظيمي، واللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل؛ بل هي أيضًا عبارة عن نظام رمزي يحمل معاني ثقافية واجتماعية واقتصادية، وعلى الجانب الآخر، تعتبر علوم الإدارة دراسة لكيفية تنظيم وتوجيه الموارد البشرية والمادية لتحقيق الأهداف.

ويهدف هذا البحث إلى استكشاف وفهم العلاقة بين مفاهيم الفقر والثراء في اللغة العربية وكيفية تطبيقها وتفسيرها في علوم الإدارة، وبتحليل ألفاظ مثل "أهل الحاجة" و"اليتيم" و"الغني" و"الفقير"، يسعى البحث إلى ربط النظريات اللغوية مع الممارسات الإدارية وكشف الديناميات المعقدة التي تتشابك فيها هذه المفاهيم.

والبحث مقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول يتعامل مع تحليل مفاهيم الفقر والثراء في علوم الإدارة، والثاني يركز على مقارنة هذه المفاهيم بين اللغة العربية وعلوم الإدارة.

ومن خلال دراسة تفصيلية وتحليل نقدي، يهدف هذا البحث إلى توفير فهم أعمق للتفاعلات بين اللغة والإدارة وكيف يمكن لهذه التفاعلات أن تسهم في تطوير الممارسات الإدارية والاستراتيجية. يأتي هذا في إطار متزايد من الاهتمام بالثقافة واللغة كعوامل مؤثرة في عالم الأعمال والإدارة، ويسعى البحث إلى المساهمة في هذا المجال من خلال منظور فريد يربط بين التراث اللغوي العربي وعلوم الإدارة الحديثة.

المبحث الأول: "الفقر والثراء في الثقافة العربية: تحليل لألفاظ أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير"

في هذا القسم، يتم تقديم الألفاظ المختارة وأهميتها، مع استكشاف المعاني والاستخدام في اللغة العربية. كذلك، يتم تحليل كيف يتم فهم هذه الألفاظ ضمن الثقافة العربية.

وهنا، يتم التركيز على فهم الفقر والثراء كمفاهيم ثقافية ضمن الثقافة العربية وتأثيرها على القيم والمعتقدات، ويتم تحليل كيف تعكس هذه الألفاظ التصورات حول الفقر والثراء، مع تلخيص للنتائج والتوصيات الناتجة عن تحليل هذه الألفاظ ضمن السياق الثقافي.

وتسلسل هذا المبحث يسمح بتقديم فهم معمق للألفاظ ودورها في تكوين وتعبير الثقافة العربية حول مفاهيم الفقر والثراء، وسوف نشرحهم أكثر من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تحليل لغوي للألفاظ

أولا) تعريف وشرح الألفاظ:

نتناول في هذا الجزء التحليل اللغوي والثقافي للألفاظ المرتبطة بمفاهيم "أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير" ضمن اللغة العربية، وذلك على النحو الآتي:

١-**أهل الحاجة**: هذه العبارة تُستخدم للإشارة إلى الأشخاص الذين يعانون من حاجة ملحة إلى الدعم المادي أو الاجتماعي، ويمكن أن تشمل هذه الفئة الفقراء والمحتاجين إلى المساعدة.

٢-**اليتيم**: يشير هذا المصطلح إلى الطفل الذي فقد أحد والديه أو كليهما، ويحمل معاني إنسانية واجتماعية تعبر عن حاجة هذه الفئة من الأفراد إلى الرعاية والدعم.

٣-**الغني**: تُستخدم هذه الكلمة لوصف الشخص الذي يمتلك ثروة مادية

وموارد كافية لتلبية احتياجاته وأكثر. يمكن أن يكون للغنى تأثيرات اجتماعية وثقافية على نمط حياة الأفراد.

٤-**الفقير**: يُعبّر عن الشخص الذي يعاني من نقص في الموارد المالية والاقتصادية، ويمكن أن تترتب على الفقر تحديات اقتصادية واجتماعية.[١]

وهذه الألفاظ تحمل دلالات ثقافية واجتماعية عميقة تعكس واقع المجتمع وتصوراته بشأن مفاهيم الفقر والثراء، وكيفية التعاطي مع أفراده المختلفين، ويمكن أن يتجلى التحليل اللغوي والثقافي لهذه الألفاظ من خلال دراسة جذورها واشتقاقاتها، ومن خلال رصد كيفية استخدامها في الخطاب اليومي والأدب والإعلام، وتوضح هذه الألفاظ تصوُّرات المجتمع حول العدالة الاجتماعية وتوزيع الموارد، وتعكس تفاصيل معقدة من الثقافة العربية ومجموعة قيمها.

وإن فهم تفصيلات هذه الألفاظ لغويًا يمهد الطريق لنا نحو فهم أكثر عمقًا للتأثير الثقافي والاجتماعي لهذه المفاهيم، فالألفاظ ليست مجرد أحرف ومعانٍ، بل هي أدوات تعبر عن مفاهيم أكبر وأكثر تعقيدًا تمثل قيمًا وعواطف واقعية، ومن خلال هذا التحليل اللغوي الشامل، نتطلع إلى رصد الأبعاد المختلفة لهذه الألفاظ وكيف يمكن أن تساهم في بناء تصوراتنا حول الفقر والثراء.

ومن خلال توفير تفسير دقيق للجذور والمعاني المختلفة، نتوقع أن يساهم هذا الجزء في تهيئة الأرضية لفهم أعمق وأكثر توسعًا لكيفية استخدام هذه الألفاظ في سياقات مختلفة وما تحمله من رموز ومعانٍ مختلفة.

ثانيا) التحليل اللغوي والثقافي:

التحليل اللغوي والثقافي للألفاظ المذكورة يسهم في فهم أعمق للطريقة التي تتفاعل بها هذه الألفاظ مع اللغة والثقافة العربية، ويتضمن هذا التحليل فحص جوانب متعددة تشمل:

١-الدلالات اللغوية والمعاني المتعددة:

من خلال التحليل اللغوي، نقوم بفحص الدلالات الأساسية لهذه الألفاظ والمعاني المتعددة التي يمكن أن تحملها في سياقات مختلفة، ويشمل ذلك النظر في الجذور والأصول اللغوية لهذه الألفاظ وكيف تشكلت معانيها عبر التاريخ.

٢-الاستخدامات اليومية والأدبية:

نقوم بمراجعة كيفية استخدام هذه الألفاظ في الخطاب اليومي بين الأفراد وفي مختلف السياقات الاجتماعية، وكما ننظر في كيفية تضمينها في الأدب والشعر، حيث قد تتعزز بدلالات إضافية ورمزية تعكس تصوُّرات أعمق.

٣-التأثيرات الثقافية والاجتماعية:

يساهم التحليل الثقافي في فهم كيف تعبر هذه الألفاظ عن قيم ومفاهيم محددة في المجتمع العربي. نستكشف كيف ترتبط هذه الكلمات بالتصوُّرات الاجتماعية حول الفقر والثراء وكيف يمكن أن تكون مرآة لأولويات وتوجهات المجتمع.

٤-الرموز والتشكيلات الثقافية:

نتناول الرموز والرمزية المرتبطة بكل كلمة، وكيف يمكن لهذه الرموز أن تنقل رسائل ثقافية معينة. نبحث أيضًا في التشكيلات اللغوية التي قد تظهر عبر مشتقات هذه الألفاظ وكيف يمكن أن تختلف تلك التشكيلات في مختلف المناطق والأوقات.[٢]

من خلال التحليل اللغوي والثقافي، نتمكن من فهم عمق كيفية تكوين هذه الألفاظ لغويًا وكيف تعكس تصوُّرات المجتمع حول الفقر والثراء، ويمكن لهذا التحليل أن يكشف عن أبعاد معقدة من الثقافة العربية وكيفية تأثير اللغة على تشكيل مفاهيمنا وتصوُّراتنا.

المطلب الثاني: الفقر والثراء في الثقافة العربية

أولا) تحليل العلاقة بين الفقر والثراء والثقافة العربية:

الفقر والثراء ليسا مجرد مفاهيم اقتصادية، بل هما عوالم تعبّر عنها اللغة وتتجسد فيها الثقافة، ويُعبر في اللغة العربية عن هذه المفاهيم من خلال مجموعة متنوعة من الألفاظ والتعابير، التي تَعكس النظرة الشعبية والتصورات الجماعية حول الفقر والثراء.[٣]

وفي لغتنا العربية، توجد كلمات تعبر عن الفقر والثراء بشكل مباشر، مثل "الفقير" و"الغني"، ولكن هذه الكلمات لا تقتصر على معناها الحرفي فقط، وإنما تحمل معاني إضافية تعبر عن الاجتماع والقيم والتفكير الثقافي.

ومن خلال الأدب والفن، تتجسد مفاهيم الفقر والثراء بشكل ملموس، ويستخدم الكتّاب والشعراء والفنانون اللغة والصور البصرية لتصوير حياة الفقراء والأثرياء، وللتعبير عن التباين بين الطبقات الاجتماعية والوضع الاقتصادي.

وإن تصوير الفقر والثراء في الأدب والفن يسهم في تعميق التفاهم حول هذه المفاهيم ويشجع على التأمل في آثارهما على المجتمع والفرد، ويمكن أن يكون هذا التصوير مصدرًا للتحفيز للتغيير الاجتماعي وتعزيز الوعي بأهمية مشاركة المجتمع في تحسين ظروف الفقراء وتحقيق التوازن في التوزيع العادل للثروات.

وهـذه العلاقـة المتشـعبة بـين الفقـر والثـراء والثقافـة العربيـة تكـوّن جـزءًا لا يتجـزأ مـن تكويـن الهويـة العربيـة، وتعكـس تنـوع الخلفيـات والمعتقـدات والقيـم التـي تشـكل ثقافتنـا.(٤).

ثانيا) العوامل التاريخية والاجتماعية:

العوامل التاريخية والاجتماعية لها تأثير كبير على تشكيل مفاهيم الفقر والثراء في الثقافة العربية، وتطورات التاريخ والأحداث السياسية شكلت مصادر تأثير رئيسية في فهمنا لهذه المفاهيم، على مر العصور، شهدت المنطقة العربية تغيرات جذرية في البنية الاجتماعية والسياسية، مما أثر على تصوُّر الناس للفقر والثراء.

ومـن خـلال التاريـخ، شـهدت المجتمعـات العربيـة فـترات تـوازن اقتصـادي واجتماعـي وأخـرى متلاطمـة بالفقـر والثـراء، وتأثـرت هـذه الفـترات بالغـزوات والهجـرات والصراعـات السياسـية، وقـد ترتـب عـلى ذلـك تغـيرات في تقاسـم الثـروات وتوزيعهـا، وكان لهـذه التغـيرات أثـرٌ كبـيرٌ عـلى الوعـي الجماعـي والتصـوّر الثقـافي للفقـراء والأثريـاء.

وعـلى مـر العصـور، شـهدت الأمـم العربيـة مراحـل تنميـة اقتصاديـة وتحسـن في معايشـة الفقـراء، إلى جانـب فـترات اقتصاديـة ركوديـة تزيـد مـن تفاقـم الفقـر، وتغـيرت التكنولوجيـا والهجـرة والتجـارة الدوليـة، وكل هـذه العوامـل أثـرت عـلى مفاهيـم الفقـر والثـراء وكيفيـة التعامـل معهـا.

وبالنظـر إلى هـذه العوامـل التاريخيـة والاجتماعيـة، نجـد أن مفهـوم الفقـر والثـراء قـد تطـور مـع مـرور الزمـن، ولقـد تشـكلت هـذه المفاهيـم اسـتنادًا إلى السـياقات التاريخيـة المختلفـة، وعكسـت تحـولات المجتمـع وتطـوره، وإن فهـم هـذه العلاقـة بـين التاريـخ والفقـر والثـراء يسـاعد في تحديـد كيفيـة تأثـير هـذه المفاهيـم في الثقافـة العربيـة وكيـف يمكـن أن تكـون محـركات للتغيـير والتطـور المسـتدام.

ثالثا) التمثيل الثقافي والفني:

الأعمال الفنية والأدبية تعتبر مرآة للمجتمع ونافذة تطل على تجارب الإنسان في مختلف الظروف والأوقات، من خلال تمثيل مفاهيم الفقر والثراء، تستطيع الأعمال الفنية أن تعبّر عن قصص الناس وتجاربهم بشكل يشد الانتباه ويُحرك العواطف والتفكير.(٥)

وتصوّر الشخصيات والقصص الفقر والثراء من زوايا متعددة، ويمكن أن تكون الشخصيات الفقيرة رموزًا للصمود والتحدي، حيث يروي الفن قصص نجاحهم وقوتهم في مواجهة الصعوبات، من ناحية أخرى، تمثل الشخصيات الثرية فرص التحسن الاقتصادي وقدرتهم على تغيير واقعهم وواقع الآخرين.

الأدب والفن يتيحان أيضًا منصة لتوجيه رسائل وتحفيز التفكير النقدي حول قضايا الفقر والثراء، ويمكن للكتّاب والفنانين تمثيل تفاصيل حياة الفقراء والأثرياء بطرق تسلط الضوء على العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

والتمثيل الثقافي والفني يشجع على التفكير النقدي والتحليل، ويساهم في نقاش المجتمع حول قضايا مهمة. من خلال الأعمال الفنية والأدبية، يمكن للفن أن يُحفِّز الوعي بأهمية العمل من أجل تحسين الظروف ومكافحة الفقر، وكذلك تعزيز التفكير حول الوسائل التي يمكن أن تسهم في تحقيق التنمية المستدامة والتوازن الاجتماعي.

رابعا) تأثير المفاهيم على السلوك والقيم:

مفاهيم الفقر والثراء تعكس وتشكل نظرة الأفراد للحياة وتأثيرها على سلوكياتهم، وتُشكّل هذه المفاهيم لديهم إدراكًا للفرص والتحديات وتحديد أولوياتهم.

خامسا) تشكيل الأنماط السلوكية:

مفهوم الفقر والثراء يمكن أن يشكل أنماطاً سلوكية مختلفة بين الأفراد،

والأشخاص الذين نشؤوا في بيئات مظلمة أو يواجهون ظروفاً اقتصادية صعبة قد يتبنون أساليب حياة تعكس التحديات التي يواجهونها، وبالمقابل، قد يؤدي التركيز على التحقيق المادي إلى اعتماد سلوكيات قد تكون متعلقة بالاستهلاك المفرط.

بإجمال، فهم العلاقة بين الفقر والثراء والثقافة العربية يمكن أن يكون له تأثيرات عميقة على كيفية فهم ومعالجة مشكلات المجتمع وتحفيز التقدم، ويوفر لنا إطارًا للعمل ويشكل جسرًا بين اللغة والثقافة والواقع الاجتماعي والاقتصادي، مما يساهم في بناء مستقبل أكثر عدالة وازدهارًا.

المبحث الثاني: "الفقر والثراء في علوم الإدارة: تحليل لألفاظ أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير بين اللغة العربية وعلوم الإدارة"

سنستعرض في هذا المبحث العلاقة بين الفقر والثراء وكيف تتجسد هذه المفاهيم في علوم الإدارة، مع التركيز على الألفاظ "أهل الحاجة، اليتيم، الغني، والفقير" في اللغة العربية، وذلك على النحو الآتي:

١. أهل الحاجة:

في علوم الإدارة، يمكن رؤية "أهل الحاجة" كمصطلح يعبر عن الأفراد أو الجماعات التي تحتاج إلى دعم أو مساعدة خاصة، وقد يكون هذا مرتبطًا بالفقر أو الحاجة إلى تطوير مهارات معينة. في سياق الأعمال، قد يتم تطبيقه على مجموعات محددة تحتاج إلى تمويل أو تدريب أو دعم آخر.

٢. اليتيم:

هذا المصطلح يمكن أن يكون له دلالة رمزية في علوم الإدارة، حيث يمكن أن يشير إلى المشروعات أو الأفكار التي تم تجاهلها أو تركها بدون دعم، و"مشروع يتيم" قد يكون مشروعًا يفتقر إلى الرعاية والدعم الذي يحتاجه للنجاح.[٦]

٣. الغني:

في سياق الإدارة، يمكن فهم "الغني" على أنه وفرة الموارد أو القدرة على الوصول إلى أصول مالية وبشرية وغيرها، وقد يشير أيضًا إلى الثروة في المعرفة أو التجربة، حيث يمكن للمؤسسة أن تكون "غنية" بالخبرات والمعرفة.

٤. الفقير:

ومن ناحية الإدارة، يمكن أن يشير "الفقير" إلى نقص الموارد أو القدرة المحدودة على الوصول إلى الأصول الضرورية، وقد يكون لها أيضًا معنى ضمني يرتبط بفقر القرارات أو الإدارة، حيث يمكن أن تكون العمليات أو القرارات "فقيرة" في جودتها أو فعاليتها.

ويمكن لهذه الألفاظ أن تكشف عن علاقات معقدة بين الفقر والثراء وعلوم الإدارة في اللغة العربية. يمكنها توضيح كيف تُفهم وتُستخدم هذه المفاهيم في مجال الأعمال والإدارة، وتحديد التحديات والفرص التي يمكن أن تواجهها المؤسسات في مختلف مراحل نموها وتطورها. تحليل هذه الألفاظ يمكن أن يقدم رؤى ثاقبة حول كيفية تكامل اللغة والثقافة والإدارة، ويوفر فهمًا أعمق للقضايا والحلول المحتملة في هذا المجال، وسوف نوضحه أكثر من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الفقر والثراء في علوم الإدارة

أولا) الفقر في علوم الإدارة:

١. **نقص الموارد:** الفقر في سياق الإدارة يشير إلى حالة نقص الموارد الضرورية التي تمكن المؤسسة من تحقيق أهدافها ومبادراتها بشكل فعّال، وهذا النقص يمكن أن يكون متعدد الأوجه، حيث يمكن أن يتضمن نقص الموارد المالية والبشرية والمادية والتكنولوجية والمعرفية، و يُعَدُّ هذا

النقص تحديًا رئيسيًا يُواجِهُهُ القادة والمدراء في عملية اتخاذ القرارات وتنفيذ الاستراتيجيات.[٧]

ومن الناحية المالية، يمكن أن يعاني الفقر منظمةً من نقص الأموال اللازمة لتمويل مشروعاتها وأنشطتها، وهذا الأمر قد يؤثر سلبًا على القدرة على تطوير منتجات جديدة، أو توسيع العمليات، أو تحسين البنية التحتية.

ومن جهة أخرى، قد يكون هناك نقص في الموارد البشرية، مما يعني نقصًا في العمالة الماهرة، وهذا يمكن أن يترجم إلى ضغط على الفرق العاملة المتبقية، وتقليل من مرونة المنظمة في التعامل مع التحديات المتغيرة.

والنقص في الموارد التكنولوجية والمعرفية يمكن أن يؤثر على القدرة على الاستفادة من التقنيات الحديثة والابتكارات، وإذا لم تكن المؤسسة قادرة على تطبيق أحدث الأدوات والتقنيات، فإنها قد تفقد تنافسيتها وقدرتها على تلبية احتياجات العملاء.

ويتطلب التعامل مع الفقر في سياق الإدارة اتخاذ قرارات استراتيجية محسوبة وتحديد أولويات واضحة، ويمكن أن يتضمن ذلك تقديم تدابير لتوفير المزيد من الموارد المالية أو البشرية، وتحسين استخدام التكنولوجيا، وتطوير خطط لتنمية الموارد المعرفية، وتجدر الإشارة إلى أن التحديات المالية والموارد قد تكون فرصًا لاكتشاف طرق جديدة للابتكار وتحقيق الكفاءة.

٢. اتخاذ القرارات الفقيرة:

اتخاذ القرارات الفقيرة يشير إلى عملية اتخاذ قرارات دون وجود تحليل كاف أو تقدير دقيق للوضع والتحديات المحيطة، ويُمكِن أن يكون لهذا النوع من القرارات تأثير سلبي كبير على النتائج والأداء العام للمنظمة، وهذا ينبع من عدم القدرة على التنبؤ بالتأثيرات المحتملة للقرارات أو عدم فهم الصورة الكاملة للمشكلة.

وتحدث القرارات الفقيرة عادة عندما يكون هناك ضغط زمني كبير أو عندما يتعين اتخاذ قرار سريع دون مراعاة تحليل عميق للوضع، في هذه الحالات، قد يكون القرار مستندًا إلى تجربة سابقة أو اعتمادًا على الحدس، دون تقييم دقيق للبيانات والمعلومات المتاحة.(٨)

والقرارات الفقيرة قد تؤدي إلى تكرار أخطاء مماثلة أو إلى إهدار الموارد والجهود في اتجاهات غير منتجة. إذا لم يتم التحليل الجيد للمعلومات والبيانات المتاحة، فإن القرارات قد تكون مبنية على افتراضات خاطئة أو غير دقيقة، مما يزيد من احتمالية حدوث تحولات غير متوقعة في النتائج.

ومن الجوانب الأخرى، يمكن أن يؤدي اتخاذ القرارات الفقيرة إلى تقويض الثقة في القيادة والإدارة، وإذا لم يشعر أفراد المنظمة بأن القرارات تستند إلى تقديرات واضحة وتحليل دقيق، فقد يتطور الشعور بعدم الاستقرار وعدم الثقة.

ولتفادي هذه القرارات الفقيرة، يجب على القادة والمدراء أن يتخذوا الوقت اللازم لتجميع وتحليل المعلومات والبيانات المتاحة قبل اتخاذ أي قرار، ويجب أن يكون هناك توجه استراتيجي ورؤية مستقبلية للتأكد من أن القرارات تتناسب مع أهداف المنظمة ورؤيتها.

٣. فقر المعرفة والمهارات:

فقر المعرفة والمهارات يعكس عدم وجود المعرفة والخبرات الضرورية للتعامل مع التحديات والمتطلبات في بيئة العمل، وهذا النوع من الفقر يمكن أن يكون له تأثير كبير على فعالية الإدارة والأداء العام للمنظمة.

وعندما يفتقر القادة والمديرون إلى المعرفة والمهارات المطلوبة لفهم التغييرات في السوق أو في البيئة الخارجية، قد يفتقرون إلى القدرة على اتخاذ قرارات استراتيجية تساهم في تحقيق أهداف المنظمة، وفقدان المعرفة يمكن

أن يقود إلى تضاؤل القدرة على التنبؤ بالاتجاهات المستقبلية والاستجابة لها بشكل فعّال.

وبالإضافة إلى ذلك، فقدان المهارات اللازمة قد يعني تعثر تنفيذ الأعمال بكفاءة، فمثلاً، إذا كان الموظفون والفرق غير قادرين على استخدام التكنولوجيا الحديثة أو تنفيذ العمليات بشكل صحيح، فقد تنشأ مشاكل في الإنتاجية وجودة العمل.

ويمكن لفقدان المعرفة والمهارات أن يؤدي أيضًا إلى فقدان الثقة بين العاملين في المنظمة والقيادة، وإذا لم يشعروا بأن القادة لديهم القدرة على توجيه المنظمة نحو النجاح من خلال الاستفادة الأمثل من المعرفة والمهارات المتاحة، فقد يتطور الاحتياطي والشكوك حول القيادة.(٩)

وللتغلب على هذا النوع من الفقر، يجب على المنظمات الاستثمار في تطوير وتعزيز المعرفة والمهارات لدى فرق العمل، ويمكن ذلك من خلال تقديم التدريب وورش العمل، وتشجيع التعلم المستمر وتبادل المعرفة بين الأفراد، وتعزيز القدرات وتطوير المهارات يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحقيق نجاح المنظمة وتحقيق أهدافها.

ثانيا) الثراء في علوم الإدارة:

١. وفرة الموارد:

الثراء يمكن أن يعكس وفرة الموارد مثل التمويل، والمواهب، والتكنولوجيا، التي تتيح للمنظمة تحقيق أهدافها بفعالية.

٢. الثراء في المعرفة والخبرة:

الثراء في المعرفة والخبرة يمثل عاملًا حيويًا في نجاح المنظمات وتحقيقها لأهدافها بشكل مستدام. عندما تتمتع المنظمة بفريق قوي من الخبراء

والمحترفين، يمكنها تحقيق مزايا تنافسية مهمة والتأثير بشكل إيجابي على سير عملها، وهذه بعض النقاط التوضيحية:

أ-التفوق في التخصصات: المحترفون والخبراء ذوو الخلفيات والمهارات المتميزة يمكنهم تقديم رؤى عميقة وتحليلات دقيقة في مجالاتهم، وهذا التفوق يساعد المنظمة على اتخاذ قرارات أفضل مدعومة بالمعرفة والبيانات.

ب-الابتكار والتطوير: المعرفة والخبرة تمكن الفريق من تطوير منتجات وخدمات جديدة ومبتكرة. هذا يساعد المنظمة على الاستجابة لتحديات السوق وتلبية احتياجات العملاء بشكل أفضل.

ج-القيادة والتوجيه: خبراء المجال يمكنهم تقديم التوجيه والقيادة اللازمين للمنظمة، وإذا كان لديهم تجربة طويلة ومعرفة عميقة، يمكنهم تحديد الاتجاهات الاستراتيجية والخطط لتحقيق النجاح.

د-حل المشكلات المعقدة: المشاكل التي تواجه المنظمات غالبًا ما تكون معقدة وتحتاج إلى تحليل عميق ومهارات خاصة للتعامل معها، والخبراء يمكنهم تحليل المشكلات بشكل شامل واقتراح حلول فعالة.

هـ-تبادل المعرفة: وجود فريق ذي معرفة وخبرة يشجع على تبادل المعرفة داخل المنظمة، وهذا التفاعل يساهم في زيادة مستوى الكفاءة والابتكار داخل الفريق.

و-بناء السمعة والثقة: عندما يتمتع فريق المنظمة بسمعة قوية في المجال، يمكنها بناء ثقة العملاء والشركاء والمستثمرين، وذلك يسهم في تحقيق نجاح مستدام وزيادة القيمة المضافة.

٣. الثراء الثقافي:

يمكن لثروة الثقافة والتنوع داخل المنظمة أن تعزز الإبداع والابتكار، وتسهم في تحقيق بيئة عمل أكثر انسجامًا وفعالية.[١٠]

وفهم الفقر والثراء في علوم الإدارة يتطلب التركيز على مجموعة من العوامل التي تشمل الموارد، واتخاذ القرارات، والمعرفة، والثقافة. يمكن لهذه المفاهيم أن توفر رؤية مفصلة للتحديات والفرص التي يمكن أن تواجهها المنظمة، وكيف يمكن للإدارة التأثير بشكل مباشر على النجاح أو الفشل، وتحليل هذه الجوانب يمكن أن يسهم في بناء استراتيجيات أكثر فعالية وإدارة أكثر كفاءة وفعالية.

والثراء الثقافي يعتبر عاملاً حاسمًا في تحقيق النجاح والابتكار في عالم الإدارة والأعمال. عندما تتميز المنظمة بتنوع ثقافي، تنعكس هذه التنوعات في الأفكار والرؤى المتنوعة التي يقدمها أعضاء الفريق. يتيح للمنظمة فرصًا لتفجير الإبداع وتطوير حلول جديدة، وكما يمكن أن يسهم التعاون بين الثقافات المختلفة في تحسين عمليات اتخاذ القرارات وتحقيق التوازن بين مختلف النقاط.

الثراء الثقافي أيضًا يعزز الانسجام والتواصل داخل المنظمة، وعندما يتفاعل الأفراد من خلفيات متنوعة، يتم تبادل المعرفة والخبرات، ويمكنهم التعلم من بعضهم البعض، وهذا يؤدي إلى تطوير بيئة عمل تشجع على التعاون وتعزز من التفاهم بين الأفراد.

بالإضافة إلى ذلك، الثراء الثقافي يعمل على تعزيز قدرات المنظمة التنظيمية، فمن خلال توظيف مجموعة متنوعة من الكفاءات والمهارات، تصبح المنظمة أكثر قدرة على التكيف مع التحديات المتغيرة. وبالآتي، يمكنها تحسين أدائها وزيادة فعاليتها.[١١]

ولا يقتصر الثراء الثقافي فقط على الميزة التنظيمية، بل يمتد لجذب المواهب والاحتفاظ بها، والمنظمات التي تتبنى بيئة متنوعة ومشجعة تكون أكثر قدرة على جذب الموظفين الموهوبين والمتميزين، ويجد الأفراد أنفسهم محاطين ببيئة تقدم فرصًا للتطوير والنمو، مما يزيد من رغبتهم في البقاء طويلًا في المنظمة.

والثراء الثقافي يلعب دورًا في تعزيز العلاقات الدولية والتسويق الدولي. فمع فهم المنظمة للثقافات المختلفة، يمكنها بناء علاقات جيدة مع الشركاء الدوليين والعملاء، وهذا يساعد في توسيع نطاق العمل وتحقيق نجاح أعمال عالمية.

والثراء الثقافي يشكل محورًا أساسيًا للنجاح في الإدارة والأعمال. يعزز من الإبداع والابتكار، ويحسن عمليات اتخاذ القرارات، ويعزز التنظيم والأداء، ويجذب ويحتفظ بالمواهب، ويعزز العلاقات الدولية، بالآتي، يجب على المنظمات أن تدرك القيمة الكبيرة للثراء الثقافي وأن تسعى لتعزيزه وتعميقه داخل هياكلها.

المطلب الثاني: مقارنة بين اللغة العربية وعلوم الإدارة

المقارنة بين اللغة العربية وعلوم الإدارة تظهر عدة جوانب مثيرة للاهتمام، و لنقم بتحليل بعض هذه الجوانب:

١ .الألفاظ والمفاهيم:

أ. أهل الحاجة:

في اللغة العربية، يُشير مصطلح "أهل الحاجة" إلى الأفراد الذين يعانون من احتياجات خاصة يحتاجون إلى مساعدة أو دعم، وفي سياق علوم الإدارة، يمكن أن يرتبط هذا المفهوم بتحديد الأفراد داخل المنظمة الذين يحتاجون إلى التدريب أو التطوير لتحسين قدراتهم ومهاراتهم، ويُمكن للإدارة أن تركز على تلبية احتياجاتهم من خلال برامج تدريبية مُخصصة أو استراتيجيات تطوير شخصي لتمكينهم من أداء أفضل في البيئة المهنية.[١٢]

ب. اليتيم:

في اللغة العربية، يُشير مصطلح "اليتيم" إلى الطفل الذي فقد واحدًا أو كلا الوالدين، وفي سياق إدارة الأعمال، يُمكن تفسير هذا المصطلح بصورة مجازية للإشارة إلى المشروعات أو الأفكار التي تفتقر إلى الدعم والإشراف، و"مشروع

يتيم" يمكن أن يعبر عن مشروع يجد صعوبة في الحصول على توجيه أو اهتمام من قبل الإدارة أو المشرفين، وقد يكون هذا نتيجة لعدم تخصيص الموارد الكافية أو عدم وجود استراتيجية واضحة للنجاح المشروع.

ج. الغني:

في اللغة العربية، يُشير مصطلح "الغني" إلى الشخص الذي يمتلك ثروة مادية، وفي سياق علوم الإدارة، يمكن أن يُفهم هذا المصطلح بشكل موسع ليشمل الثروة في الموارد المادية والبشرية والتكنولوجيا والمعرفة، والثروة في إدارة الأعمال تمثل ميزة تنافسية تُمكّن المنظمة من الاستفادة من فرص النمو والتوسع وتحقيق أهدافها بفعالية، ويُمكن أن يعزز الاستثمار الجيد للموارد والقدرة على استغلالها بشكل كبير من قبل المنظمة.

د. الفقير:

في اللغة العربية، يعني شخصًا يفتقر إلى الموارد المادية، في الإدارة، قد يشير إلى نقص في الموارد أو التمويل.

٢. استخدام اللغة في الاتصال:

في كل من اللغة العربية وعلوم الإدارة، يلعب الاتصال دورًا حاسمًا، في اللغة العربية، تساهم الألفاظ والتعابير في توصيل المعاني، في علوم الإدارة، يساعد الاتصال الفعّال في تنظيم العمل والتعاون بين فرق العمل.

واللغة تعد وسيلة رئيسية للتواصل بين الأفراد وبين مكونات المنظمة. في اللغة العربية وعلوم الإدارة على حد سواء، الاتصال يلعب دورًا حيويًا في تحقيق التفاهم وتبادل المعلومات، وفي اللغة العربية، الألفاظ والتعابير تحمل الدلالات الثقافية والاجتماعية، وهي تستخدم لتوجيه الرسائل ونقل المعاني بشكل دقيق، في سياق علوم الإدارة، الاتصال الفعّال يساهم

في تحقيق التنسيق بين مختلف أعضاء الفرق والإدارة، ويُمكن للاتصال الواضح والفعّال أن يسهم في توجيه الجهود نحو أهداف المنظمة وتحقيق التنسيق بين الأقسام المختلفة.

وباستخدام اللغة بشكل فعّال، يمكن للمنظمة تجنب البلبلة والالتباسات التي قد تنشأ نتيجة لسوء التفاهم، ومن خلال استخدام الألفاظ المناسبة والتعابير المفهومة، يمكن للإدارة والفرق داخل المنظمة أن يعملوا بشكل أكثر فعالية وتناغمًا. اللغة تسهم في بناء جسور التواصل بين الأفراد، وتشجيع التفاهم المتبادل، وبالآتي تحقيق أهداف المنظمة بنجاح.

٣. التأثير الثقافي:

تحمل كلمات مثل "أهل الحاجة" و"اليتيم" و"الغني" و"الفقير" في اللغة العربية ثقلًا ثقافيًا، وفي الإدارة، تؤثر هذه المفاهيم على القيم والتوجهات داخل المنظمة.

ومقارنة اللغة العربية مع علوم الإدارة تكشف عن تفاعل مثير بين الألفاظ والمفاهيم وكيف يمكن أن يتم تطبيقها في سياقات مختلفة، ويمكن استخدام هذا الفهم لتعزيز الاتصال والتفكير الاستراتيجي داخل المنظمات والمجتمع بأسره.[١٣]

وتظهر الكلمات والمفاهيم في اللغة العربية مثل "أهل الحاجة" و"اليتيم" و"الغني" و"الفقير" ثقلاً ثقافياً عميقاً، حيث تحمل معاني وقيماً متجذرة في الثقافة والتاريخ، ومن خلال هذه المفاهيم، يمكن للثقافة أن تشكل رؤية مشتركة للمجتمع حول الحاجات والتحديات والأهداف.

وفي مجال علوم الإدارة، تعكس هذه المفاهيم القيم والتوجهات داخل المنظمة. فهي تؤثر في الاختيارات الإدارية واتخاذ القرارات والتفكير الاستراتيجي. تكشف

مقارنة اللغة العربية مع علوم الإدارة عن تفاعل مثير بين الألفاظ والمفاهيم، وكيفية تطبيقها في سياقات متنوعة، ويحمل هذا الفهم الثقافي إمكانية استخدامه في تعزيز الاتصال داخل المنظمات، وتعزيز التفاهم بين أفراد الفرق المختلفة، وتوجيه التفكير الاستراتيجي نحو تحقيق أهداف المنظمة بشكل أكثر فعالية.

ومن خلال التفاعل بين اللغة وعلوم الإدارة، يمكن تحقيق تكامل بين الجوانب اللغوية والثقافية والإدارية، وهذا التفاعل يفتح الباب أمام فهم أعمق وأشمل لتأثير الثقافة على الممارسات الإدارية وكيفية تحقيق النجاح المستدام في بيئات العمل المتنوعة.(١٤)

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكننا الوصول إلى عدة استنتاجات وتوصيات هامة تتعلق بربط مفاهيم الفقر والثراء في اللغة العربية مع علوم الإدارة.

تظهر نتائج البحث أن اللغة والثقافة ليست مجرد عوامل ثانوية في عالم الإدارة، بل هي جزء لا يتجزأ من كيفية فهمنا وتفسيرنا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية، وألفاظ مثل "أهل الحاجة" و"اليتيم" و"الغني" و"الفقير" ليست مجرد كلمات، بل تحمل معانيَ عميقة تنعكس في تصوير الناس لأنفسهم وللعالم من حولهم.

والتحليل المقارن بين اللغة العربية وعلوم الإدارة يكشف عن طبقات معقدة من التفاعل والتأثير المتبادل. يوفر ذلك فرصًا للباحثين وصانعي القرار لفهم كيف يمكن للمفاهيم الثقافية أن تؤثر في استراتيجيات الإدارة وتنفيذها.(١٥)

ومن المهم أن ندرك أن هذه النتائج ليست محصورة في الثقافة العربية فقط، بل يمكن تطبيقها على مجموعة متنوعة من الثقافات واللغات، ويمكن للفهم العميق للتفاعلات بين اللغة والإدارة أن يقود إلى استراتيجيات إدارية أكثر فعالية ومستدامة.

في الختام، يؤكد هذا البحث على أهمية النهج المتعدد التخصصات في دراسة علوم الإدارة والأعمال. بربط اللغة والثقافة بالممارسات والنظريات الإدارية، نفتح الباب لفهم أعمق وأغنى للديناميات التي تشكل عالمنا الاقتصادي والاجتماعي، وهذا الفهم يمكن أن يؤدي بدوره إلى تحسينات في كيفية تنظيم وإدارة المؤسسات على نطاق عالمي.

الهوامش

١- الجريتلي، ٢٠١٤، ص٤٧

٢-مكاوي، ٢٠١١، ص٣٠

٣-بن زهير، ٢٠١٠، ص١٠

٤-القرضاوي، ١٩٩٧، ص١٥

٥-الحمداني، ٢٠١٩، ص٣٨

٦-الفهداوي، ٢٠١٥، ص٤٥

٧-الخولي، ٢٠٠٣، ص٣٤

٨- م.ن.، ص٣٨

٩-الحواص، ٢٠١٦، ص٢٣

١٠- العزاوي، ٢٠١١، ص٤٩

١١-النجار، ٢٠٠٢، ص٥٤

١٢- السميط، ٢٠٠٧، ص٢٥

١٣- عبد الله، ٢٠١٩، ص٢٤

١٤- الطيب، ٢٠٠٥، ص٢٣

١٥- عبد العاطي، ١٩٩٩٨، ص٧٦

المراجع والمصادر

* الخولي، أحمد بن محمد، أسس الإدارة في الثقافة العربية. الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٣
* الطيب، محمد بن علي، تأثير الثقافة العربية على ممارسات الإدارة الحديثة. مجلة العلوم الإدارية، العدد ٢، ٢٠٠٥
* بن زهير، أحمد بن عبد الله.الفقر والتنمية في الوطن العربي. دار الفكر.
* القرضاوي، يوسف بن عبد الله، فقه الزكاة ومشكلات الفقر في العالم الإسلامي. دار الشروق، ١٩٩٧
* النجار، صلاح بن محمد، الإدارة والثقافة: تحديات العولمة والتطوير. دار النهضة العربية، ٢٠٠٢
* عبد العاطي، حسن بن محمد، الفقر والإغناء في الاقتصاد الإسلامي. مكتبة وهبة، ١٩٩٨
* السميط، عبد الرحمن بن عبد الله، الثقافة الإدارية في المؤسسات العربية: دراسة تحليلية. دار المعرفة، ٢٠٠٧
* الحواص، محمد بن عبد الرحمن، لغة الإدارة وعلومها بين الأصالة والمعاصرة. دار الفجر الجديد، ٢٠١٦
* مكاوي، راشد بن حسين، التحديات الاجتماعية والاقتصادية للفقر في الدول العربية. دار الكتاب الجديد، ٢٠١١
* العزاوي، علي، "الثقافة والاقتصاد: التفاعلات والأبعاد". مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٥، ٢٠١١
* عبد الله، حيدر عباس، "أثر الثقافة التنظيمية على تحقيق الرضا الوظيفي: دراسة ميدانية في شركات القطاع العام في العراق". مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٥٨، ٢٠١٩
* الحمداني، بشار كريم، والعلوي، صباح محمد.. "دور الفقر في تفاقم الجريمة: دراسة تحليلية للوضع الأمني في محافظة بابل". مجلة دراسات في القانون والاقتصاد، العدد ١، ٢٠١٩
* الجريتلي، صباح عبد الله، "أثر الفقر على الإدارة الصحية". مجلة الكوفة للقانون والعلوم السياسية، العدد ٤، ٢٠١٤
* الفهداوي، محمد حيدر، "أثر الثقافة التنظيمية في الأداء التنظيمي: دراسة استطلاعية لآراء العاملين في وزارة النفط العراقية". مجلة الإدارة والتنمية البشرية، العدد ١٨، ٢٠١٥

التكافل الاجتماعي في تراث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية

م.م. باسم عبد الزهرة جمعة

مديرية تربية محافظة البصرة / قسم تربية القرنة

ملخص البحث

لقد تناول بحثنا هذا التكافل الاجتماعي في تراث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية، فإن للتكافل دوراً اجتماعياً وروحياً يرتبط بمقاصد الدين ويتناغم مع غاياته، لذلك اعتنى أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المبدأ بل جعله جزءاً أصيلاً من منهجه لتحقيق الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي أراد الشارع الإسلامي المقدس تطبيقها لتسود الألفة والمحبة بين الناس من خلال التعاون فيما بينهم.

Abstract

The current paper deals with a kind of social solidarity in the legacy of the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib, peace be upon him, and its role in achieving social justice. Solidarity has a social and spiritual role that is linked to the purposes of religion and is in harmony with its goals. Therefore, the Commander of the Faithful, peace be upon him, took care of this principle and even made it an integral part of his approach to achieving welfare. The economic, social, and moral principles that the holy Islamic legislator wanted to implement have been issued to let familiarity and love prevail among people through collaboration and genuine relationship.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونشكره ونستعين به في السراء والضراء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

يُعد التكافل الاجتماعي مبدأ من المبادئ الأساسية التي أكد عليها ديننا الإسلامي الحنيف، وقد سعى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جاهداً في سبيل تحقيق ذلك التكافل بين أبناء المجتمع الواحد بغض النظر عن الدين والمذهب، فقد اقتضت خطة البحث إلى تقسيم الدراسة على مقدمة وخمسة مباحث، تناول المبحث الأول مفهوم التكافل لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فقد أشار إلى التكافل في القرآن الكريم وكتب التفسير، وتناول المبحث الثالث التكافل في السيرة النبوية، فيما تناول المبحث الرابع أنواع التكافل، أما المبحث الخامس فقد اختص بدراسة التكافل في نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن ثم الخاتمة.

يمثل التكافل الاجتماعي ظاهرة حضارية راقية الغاية منها توثيق العلاقات والصلة والألفة والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد، وكذلك توفير سبل الرعاية والضمان الاجتماعي الذي أكد عليه الشارع الإسلامي المقدس والذي من أهم مبادئه هو تحقيق العدل والمساواة وتقديم أرقى صور التعاون والمساعدة والإحسان لجميع فئات المجتمع، كل تلك الأمور مثلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال مراعاته لمبدأ التكافل وتطبيقه من خلال منهاجه الذي ورثه عن النبي محمد صلى الله عليه وآله، ولأهمية التكافل الاجتماعي في حياة الشعوب فقد تم تقسيم البحث إلى الأمور الآتية :-

أولاً : تعريف التكافل :-

التكافل لغة : مأخوذ من الفعل كفل فيقال : كفل إنساناً أي تولى إعالته والإنفاق عليه، والكافل هو الضامن والعائل والقائم بأمر اليتيم المربي له أي كفله وضمنه، ويقال : كفلت المرأة الرجل أي تكفلت مؤنته، ويقال أكفلته المال أي ضمنته إياه[1] .

التكافل اصطلاحاً : هو كفالة أفراد المجتمع الواحد بعضهم لبعض ويتمثل ذلك بالمساعدة والمسؤولية المتبادلة والتعاون والقيام بأمر الشخص المحتاج وإعالته ومساعدته وذلك لأن الإسلام ينظر إلى المجتمع على أنه كيان إنساني متواصل ومتراحم، وإنَّ الإنسان يجب أن يحيا حياةً كريمةً تليق بإنسانيته وتتسق مع كرامته، فلا يجوز في الإسلام أن يبقى الفرد يعاني ويقاسي الجوع والألم والحرمان فقد جاء عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2]، أي أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وصف المسلمين بأنهم جسد واحد في التواد والتراحم والتعاطف ومن الضروري أن يساعد بعضهم البعض الآخر لتحقيق التكافل المنشود[3]، ويذكر الدكتور العيداني[4] أنَّ مصطلح التكافل الاجتماعي لم يكن معروفاً في العصور الإسلامية أو قبلها إذ لم يرد استخدام أو تداول هذا المصطلح في المصادر التأريخية منها والأدبية وإن كان معناه اللغوي متداولاً ومعروفاً ضمن لفظة التكافل بشكل عام دون تحديد ذلك بالتكافل الاجتماعي .

ثانياً : التكافل في القرآن الكريم وكتب التفسير :-

لقد وردت لفظة التكافل في القرآن الكريم بشكلها الصريح أو بألفاظ أخرى تدل عليها وتتطابق معها في المعنى، وقد جاءت في آيات عدة نذكر منها مايأتي حسب الترتيب القرآني :-

١- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[٥]، وهنا الكفالة خاصة بالسيدة مريم العذراء ﷺ، وتأتي بمعنى الإعانة والضمان، وقيل ضمها إليه والتزم بكفالتها ورعايتها وجعلها معه في بيته أو معه في محرابه[٦] .

٢- ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[٧]، هنا الكفالة تأتي بمعنى الضمان أي تكفل مؤنتها وتربيتها[٨] .

٣- ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾[٩]، والكفل هنا يأتي بمعنى النصيب أو الكفيل[١٠] .

٤- ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١١]، هنا يأتي الكفيل بمعنى الرقيب والشاهد لأن الكفيل يراقب حال المكفول ويراعيه[١٢] .

٥- ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾[١٣]، وهنا الكفالة تأتي بمعنى الضمان والإرضاع أي يضمنه ويرضعه ويربيه ويحفظه لكم[١٤] .

٦- ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾[١٥]، قيل إن ذا الكفل هو رجلٌ تكفل من بعض الناس إما من نبي وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال[١٦].

٧- ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[١٧]،أي أدلكم على أهل بيت يربونه ويرضعونه ولا يقصرون في تربيته[١٨] .

٨- ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[١٩]، وهنا اكفلنيها تأتي بمعنى ضمها إلى نعاجي أو أجعلني كفيلاً بها أو ضامناً لأمرها[٢٠] .

٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢١]، وهنا الكفل قيل أنه المركب الذي يهيء كالسرج للبعير، وهو ردف العجز، ومنه الكفاية بالنفس، وقيل هو المقتدر والحفيظ والحسيب والمجازي، وقيل الكفل هو النصيب[٢٢] .

خلاصة ما تقدم فإن كلمة تكافل جاءت في القرآن الكريم بآيات متعددة وبألفاظ ومعانٍ مختلفة منها الإعانة والضمان والكفالة والرعاية والتربية والنصيب والرقيب والشاهد والحسيب والحفيظ والكفاية والقدرة والإرضاع .

ثالثاً : التكافل في السيرة النبوية :-

إن من أكرم القيم الإنسانية التي أكد عليها وأوجبها الشارع الإسلامي المقدس هي رعاية الإنسان لأخيه الإنسان وبره له واحترامه ورحمته به، ومسارعته إلى نجدته واسعافه عند الحاجة والفاقة، والترفع عن ظلمه وإهانته، وحث على التعاون فيما بينهم فقد جاء قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢٣]، والتعاون هنا هو التكافل والتضامن في تحقيق أمر ما، وهذه الآية توجب التكافل، وهذا ما توارد عليه الأنبياء عليهم السلام عامة ونبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله خاصة إذ يقول : ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٢٤]، ويعد التكافل الاجتماعي من أنبل تلك المكارم وأرفعها شأناً، ولأن الدين الإسلامي هو آخر الديانات التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لهداية العباد واسعادهم فكان لزاماً أن يحتوي على المبادئ والنصوص التي من خلالها يتكون مجتمع متكافل في مختلف العصور وتعدد الشعوب، تلك المبادئ التي تتكفل بسد الحاجات التشريعية لكل أمة من الأمم لتحقيق الهدف المنشود فأعلن عن أهم الحقوق التي يجب توفرها للفرد لحفظه وحفظ كرامته[٢٥]، ولأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله

هو صاحب التشريع الأول والمترجم والمطبق حرفياً لما أراده الله سبحانه وتعالى فقد اشتملت أقواله على الحث على التكافل الاجتماعي لتحقيق ما أراده الله سبحانه وتعالى، ومنها ما يأتي :-

١- ((أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار إلى السبابة والوسطى وقرن بينهما قليلا))[٢٦]، لقد قرن النبي ﷺ كافل اليتيم بنفسه وهذا حث منه ﷺ على رعاية الأيتام وحفظهم من الضياع تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي أوجبه الشارع الإسلامي المقدس .

٢- ((الراب[٢٧] كافل))[٢٨]، وهنا يتحقق التكافل الاجتماعي من خلال رعاية زوج الأم لابن زوجته إذا كان لديها ابن وذلك لحفظه من الضياع وتربيته تربية صحيحة وهذا ما أراده الشارع الإسلامي المقدس .

٣- ((المرأة إن قتلت عمداً لا تقتل حتى تضع ما في بطنها إن كانت حاملاً، وحتى تكفل ولدها))[٢٩]، وهنا يتحقق التكافل الاجتماعي برعاية الولد بعد ولادته وحفظه من الضياع وتربيته .

٤- ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))[٣٠]، لقد أكد النبي ﷺ هنا على ضرورة تكافل المجتمع ومسؤولية أفراده على التعاون فيما بينهم .

٥- ((إنَّ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٣١]، وفي هذا الحديث تأكيد من النبي ﷺ على التكافل الاجتماعي ومساعدة أفراد المجتمع بعضهم لبعض وتعاطفهم والتراحم فيما بينهم وشبه المؤمنين بالجسد الواحد .

٦- ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٣٢]، لقد مثَّل النبي ﷺ في حديثه هذا أسمى وأنبل قواعد التكافل الاجتماعي وأرقاها حيث أكد على ضرورة أن يحب الإنسان المؤمن لأخيه المؤمن كما يحب لنفسه من

خير وسعادة وسمو ورفعة .

رابعاً : أنواع التكافل :-

للتكافل الاجتماعي في الإسلام أنواع متعددة ومتنوعة نذكر منها ما يأتي :-

١- الأدبي : وهو شعور الفرد بالحب والعطف وحسن المعاملة تجاه ابناء مجتمعه، وضرورة التعاون في السراء والضراء، وبهذا دعوة من الشارع الإسلامي المقدس إلى بناء مجتمع صالح على أساس التعاون والمحبة بين أفراد ذلك المجتمع[٣٣] .

٢- الأخلاقي : هو صيانة الأخلاق العامة التي أكد عليها الشارع الإسلامي المقدس وذلك لحفظ المجتمع من الفوضى والفساد والانحلال، وعلى الجميع إنكار المنكرات الخلقية التي حث الإسلام على ضرورة الابتعاد عنها وتجنبها لما فيها من إساءة للجميع، وقد حث النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[٣٤]، لذلك فإن المجتمع مكلف بإزالة المنكر ورفع الظلم[٣٥] .

٣- العلمي : وهو من الحقوق التي أوجبها الإسلام على الإنسان المتعلم بضرورة تعليمه للإنسان الجاهل، كما على الجاهل أن يتعلم من المتعلم، وعلى الإنسان العالم أن لا يكتم علمه وإنما يعلمه للناس تطبيقاً لقول النبي محمد صلى الله عليه وآله : ((من كتم علماً ألجمه الله بلجام[٣٦] من نار يوم القيامة))[٣٧]، أي أن لا يضن العالم بعلمه على الناس وأن لا يكتم ما أدركه من أسرار الشريعة والكون[٣٨] .

٤- المعاشي : وهو إلزام المسلمين أفراداً وجماعات برعاية أحوال الفقراء والمحتاجين والمعدمين والمرضى وذوي الحاجات، وان لم تتمكن الدولة من تحقيق ذلك فعليها

أن تفرض على القادرين والميسورين القيام بذلك ولكن دون قيود[٣٩] .

٥- العبادي : وهو المحافظة على الشعائر والطاعات التي تسمى بفروض الكفاية في العبادات كصلاة الجنائز، فإذا مات إنسان وجب تكفينه والصلاة عليه ودفنه فإذا لم يقم بذلك المجتمع يكون مأثوماً، وأيضاً في أداء الإذان للصلوات اليومية الواجبة، وفي إقامة صلاة الجماعة والجمعة[٤٠] .

٦- الاقتصادي : هو حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير، ومنع سوء استعمال الاقتصاد الوطني من خلال الاحتكار والتلاعب بالأسعار والغش في المعاملات، فكان من واجب الدولة الضرب بيد من حديد على أيدي المحتكرين وأن تصادر البضائع المحتكرة وتوزعها على الشعب بأسعار معتدلة وربح معقول، كما أوجب على الدولة منع المجانين والمعتوهين والسفهاء والمبذرين من التصرف بأموالهم حتى يعقلوا أو يعودوا إلى الرشد كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾[٤١]، أي أنه عناية من الدين الإسلامي باقتصاد الأمة[٤٢].

٧- السياسي : وهو أن يكون لكل مواطن حقه السياسي في المراقبة والنصح لأولياء الأمور لأن ولي الأمر هو المسؤول عن مستقبل الأمة، ويجب إنكار الفساد والانحراف في الأمة تطبيقا لقول النبي ﷺ : ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ...))[٤٣]، فالمجتمع كله متكافل في تأييد السياسة الرشيدة، وانكار الفساد والانحراف فيها[٤٤].

٨- الحضاري : هو إقامة كل عمل ديني أو دنيوي أو سياسي أو اقتصادي أو زراعي أو تجاري علمي أو أدبي يفيد المجتمع كما جاء عن النبي ﷺ قوله: ((الخلق كلهم

عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله))[٤٥]، لذلك فإن العمل النافع للمجتمع محبوب عند الله تعالى لأنه يؤدي إلى تطور الحضارة الإنسانية نحو الأفضل[٤٦].

٩- الجنائي : هو اقامة الحد والقصاص عند ارتكاب الجرائم الاجتماعية لان ذلك يؤدي إلى صيانة حياة الفرد وماله وحرماته، أي انه إذا وقعت جريمة في المجتمع فعلى الجميع التعاون في الاقتصاص من فاعلها[٤٧] .

١٠- الدفاعي أو العسكري : هو مشاركة أفراد المجتمع الواحد بالدفاع عن سلامة بلدهم من الأعداء الغازين، وعليه النفير إذا أغار عدو على أي ناحية من نواحي البلاد بحيث تصبح الأمة في حالة استنفار وفي ذلك جاء قوله تعالى ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤٨]، ولا يعفى من ذلك إلا المريض والأعمى والأعرج أو لديه عذر آخر من الأعذار المقبولة[٤٩] .

أعتقد بل أجزم أن خير مثال على هذا النوع من التكافل هو قيام الشعب العراقي بالامتثال لأمر مرجعيتهم العليا بالدفاع عن بلدنا العراق عندما تعرض لأعتى هجمة شرسة عدوانية تمثلت بالفئة الضالة الباغية المسماة بـــــ (داعش) فقد هبَّ جميع ابناء الشعب العراقي دون استثناء للدفاع عن سلامة بلدهم وأمنه وسيادته وحرماته ووقفوا بوجه هذه الهجمة الإمبريالية العدوانية وتمكنوا بتكاتفهم ووقوفهم صفاً واحداً من طردهم والانتصار عليهم ودحرهم .

خامساً : التكافل في نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :-

تُعد المشاكل الاجتماعية من أهم الأمور التي واجهت الإنسانية منذ أقدم العصور، فكان من أهم مهام الأنبياء والأوصياء والمصلحين على اختلاف أزمانهم هي الدعوة إلى انصاف البائسين والفقراء ورفع الظلم الاجتماعي عنهم[٥٠]، ولما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله

ووصيه وربيبه والمطبق الأول بعد النبي لما أراده الشارع الإسلامي المقدس ومترجماً لما أقره النبي ﷺ فكان من الطبيعي أن يقوم بتلك المهمة لإيجاد توازن بين ابناء المجتمع الإسلامي الواحد وقد ظهر واضحاً وجلياً تضامن أمير المؤمنين عليه السلام مع المساكين والأيتام والأسارى في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٥١]، فقد روى الخاص والعام أنَّ هذه الآيات من سورة الإنسان نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجارية لهم تسمى فضة، وذلك عندما مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدهما رسول الله ﷺ ووجوه العرب فقالوا : ((يا أبا الحسن لو نذرت لولديك نذرا))، فنذر الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام وفضة صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله تعالى وليس عندهم شيء، فاستقرض الإمام علي عليه السلام ثلاثة أصوع من الشعير، فطحنت السيدة الزهراء عليها السلام صاعاً واختبزته ولما أتموا صلاة المغرب قربته اليهم فأتاهم مسكين يدعو وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، وتكرر الأمر في اليوم الثاني فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلما كان اليوم الثالث تكرر الأمر نفسه وإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلما كان اليوم الرابع ذهب الإمام علي ومعه الحسن والحسين عليهم السلام إلى النبي ﷺ وبهما ضعف فبكى النبي ﷺ فنزل جبرائيل عليه السلام بسورة الإنسان[٥٢]، لقد مثَّل أمير المؤمنين عليه السلام أروع صور التكافل الاجتماعي مع ابناء مجتمعه امتثالاً وتطبيقاً للشريعة الإسلامية السمحاء .

إن من أهم الأمور التي اهتم بها أمير المؤمنين عليه السلام هو رعايته للأيتام وشمولهم بالعطاء بعد وفاة آبائهم، كما أنه كتب إلى ولاة الأمصار يحثهم على كفالة اليتامى، فقد كتب إلى والي مصر مالك الأشتر : ((وتعهد أهل اليتم))[٥٣]، كما روي عنه عليه السلام أنه كان يجمع الأيتام حوله ويطعمهم العسل، كما أنه عليه السلام كتب إلى زياد بن أبيه والي البصرة يوصيه بالاهتمام بالرعية، ومساعدة المحتاجين، والاهتمام باليتامى[٥٤]، ومن جملة وصاياه عليه السلام بالأيتام قوله : ((الله الله في الأيتام، فلا يضيعوا في حضرتكم فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار))[٥٥] .

كما اهتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بكفالة الأرامل[٥٦] تطبيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي وقد ظهر ذلك جلياً بالكتب التي كان يرسلها إلى عماله على الأمصار فقد أرسل إلى زياد بن أبيه مذكراً إياه بحقوق الأرامل في بيت مال المسلمين وكفالة الدولة لهنَّ بقوله عليه السلام : ((أفتطمع وأنت متمرغ[٥٧] في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين))[٥٨] .

كما كان للإمام علي عليه السلام اهتمامٌ واضحٌ بالأشخاص العزاب[٥٩]، فكان عليه السلام يهبهم الأموال وذلك للمشاركة في تحمل نفقات الزواج، فكان يعطي الأعزب مبلغاً من المال ليستعين به على زواجه، كما أنه وهب جارية كانت تعمل في خدمته لأحد العزاب ليتزوجها وتكفل نفقات ذلك الزواج، و حثَّ عليه السلام عماله على الأمصار ومنهم واليه على البصرة عبد الله بن عباس على الاهتمام بذلك فقام ابن عباس بتقديم المعونات لأحد المسلمين ليستعين بها على تسديد نفقات زواجه إذ منحه ستة بدور[٦٠] من الدراهم، وطلب من قراء البصرة الذين كانوا بصحبته أن يتكفلوا بأنفسهم مسألة تجهيز العروس والإشراف

على كل متطلبات الزواج[٦١] .

كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يهتم اهتماما خاصاً بالأسر المتعففة من خلال دعوته مولاه قنبر فيحمل في الليل دقيقاً وتمراً ويقوم بإيصاله إلى الأسر والبيوت المتعففة التي يعرفها، وكان يقوم بذلك ليلاً وليس نهاراً حرصاً منه عليه السلام على سرية تقديم الصدقات امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وآله : ((صدقة السر تطفئ غضب الرب))[٦٢] .

وظهرت في زمن الإمام علي عليه السلام مؤسسة السجناء وهي واحدة من مؤسسات الرعاية الاجتماعية حيث ظهرت أولى خدمات الرعاية الاجتماعية للمسجونين بشكل منظم والتي تعد تطبيقاً لمبادئ الإسلام تجاه تلك الفئة من الناس ومحاولة إنارة الطريق إمامهم ليهتدوا إلى الطريق القويم، فقد جعل الإمام علي عليه السلام للدولة دوراً كبيراً وبارزاً في سبيل تحقيق ذلك والحث عليه وتكفل بمسؤولية رعاية السجناء ولا سيما السجناء الذين ينتمون إلى الأسر الفقيرة، فقام عليه السلام بتقسيم السجناء إلى فئتين، الأولى فئة السجناء الميسورين وقد أصبحت مسؤولية الإنفاق عليهم وإعالتهم تقع على عاتق ذويهم الذين يقومون بتوفير الحاجات الضرورية من طعام وكسوة وفراش وخدمات صحية ونفقات علاجية ويومية لهم، إما الفئة الثانية فهي فئة السجناء الفقراء الذين ينتمون إلى أسر فقيرة غير قادرة على توفير ما يحتاجه السجين فأصبح أمر كفالتهم مرهوناً بالدولة التي تتولى توفير جميع احتياجاتهم من طعام وكسوة، وأُسس ديوان خاص بهم حيث تخرج إليهم الأعطيات الثابتة[٦٣] .

وشهد عصر الإمام علي عليه السلام اهتماما بالأشخاص المصابين بالعجز، فقد كان له عليه السلام موقفٌ عظيمٌ مع رجل ضرير من أهل الذمة حيث أمر عليه السلام بإسقاط الجزية عنه وأجرى له العطاء من بيت المال وقال : ((استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال))[٦٤] .

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى عامله على مصر مالك الأشتر عدَّ المرضى والزمنى[٦٥] ضمن الطبقة الضعيفة والمسحوقة ووصفهم بالطبقى السفلى وأوصاه بالعناية بهم بقوله عليه السلام : ((الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعاً[٦٦] ومعتراً[٦٧]، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت المال، وقسما من غلات الإسلام في كل بلدة، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنه شاغل))[٦٨]، ومن الطبيعي والمؤكد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد وجه هذه الوصايا لكل عماله على الأمصار من جهة، وأنه عليه السلام يقوم بنفسه برعاية المرضى والزمني والاهتمام بهم وتوفير حاجاتهم من جهة أخرى، أي أنهم كان لهم نصيب من بيت مال المسلمين تطبيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي .

إما كبار السن فيذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يرعاهم بنفسه حتى أنه عليه السلام كان إذا لقي شيخاً مسناً كهلاً حمل عنه حاجاته، كما يذكر أنه كان شديد الشفقة على المسنين فقد كان له موقف مع أهل الذمة من كبار السن حيث جعل أمر الإنفاق عليهم من بيت مال المسلمين بعد أن رأى شيخاً كبيراً يطرق الأبواب لسؤال الحاجة، وأنه عليه السلام شمل رعاية المسنين وإعالتهم في وصاياه إلى عماله على الأمصار ومنهم مالك الأشتر عامله على مصر حيث أرسل إليه قائلاً : ((تعهد أهل اليتم، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية ...))[٦٩] .

ومن الأمور الأخرى التي اهتم بها أمير المؤمنين عليه السلام هو مراقبته للأسواق، ومراقبة التجار والباعة الذين يتلاعبون بمصائر الناس واحتياجاتهم وطعامهم حيث قام عليه السلام بتوجيه النصح والتحذير وذلك لمنعهم من الاحتكار، فكان عليه السلام يقوم بنفسه بمراقبة الأسواق والباعة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما أنه عليه السلام كان يحث عماله على الأمصار لمنع الاحتكار والتنكيل بمرتكبيه، فقد جاء عنه عليه السلام أنه قال : ((فامنع من الاحتكار فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن بيعك بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف الفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه بغير إسراف ...))[٧٠].

وكان للمظلومين نصيب في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فقد اتصف بنصرته للمظلومين والنظر في مظالمهم بغض النظر عن دينهم فقد عهد إلى مالك الأشتر قوله عليه السلام : ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك في هوىً من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته ممن أقام على ظلم فإن الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد ...))[٧١]، كما كتب إلى واليه على مصر محمد بن أبي بكر قوله : ((أأمرك بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، واللين مع المسلم والغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة وبالإنصاف للمظلوم، والشدة على الظالم ...))[٧٢] .

واهتم الإمام علي عليه السلام اهتماما خاصاً بالفقراء والمحتاجين ومن المواقف التي تُذكر عنه عليه السلام في وقوفه معهم أنه قام ببيع بستان وهبه له النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة باثني عشر ألف درهم ووزع أمواله على الفقراء والمحتاجين الذين يفدون إليه بقصد تحقيق ذلك التكافل فيمنحهم ما يطلبونه من أموال

أو كسوة، وقام عليه السلام بتسديد دين أحد الأعراب، كما جاء عنه عليه السلام أنه كان يمر بالأسواق ويحث أصحاب المهن والأثرياء على إطعام الفقراء والمساكين فقد روي أنه مرَّ بأصحاب التمر فقال لهم : ((يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يربو كسبكم))، وكان عليه السلام يمشي في الأسواق فيرشد الضال ويعين الضعيف، كما حث أولاده على فعل الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمساكين بقوله : ((ارحموا اليتيم، وأطعموا المسكين، وأشبعوا الجائع، وأكنفوا[٧٣] الضائع ...)) [٧٤]، وقد اتخذ عليه السلام داراً في الكوفة لتوزيع الأطعمة والأكسية على المحتاجين وكان يذهب برفقة مولاه قنبر إلى تلك الدار فيستخرج منها تمراً ودقيقاً وشيئاً من الشحم والأرز والخبز ويحمله على كتفه لتوزيعه على الأسر الفقيرة[٧٥] .

لقد اتبع أمير المؤمنين عليه السلام ضوابط قانونية في توزيع الثروة لضمان تحقيق التوزيع العادل بين الرعية وقد تبين ذلك جلياً عندما قال لابن عباس واليه على البصرة : ((إما بعد، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وخنت المسلمين، وأخربت إمانتك، بلغني أنك حررت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع الي حسابك، واعلم أن حساب الله أشد من حساب الناس والسلام))[٧٦]، وماكان من قول الإمام لابن عباس إلّا دليل على محاسبته ولاته ومراقبتهم في توزيع الأموال على الرعية لتحقيق مضمون التكافل الاجتماعي دون تمييز أو فرق بينهم، بغض النظر عما إذا كان ما نُقل للإمام عن ابن عباس صحيحاً أم غير صحيح.

إما في مجال العلم والتكافل العلمي فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام منبراً للعلم والعلماء لأنه باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال عنه : ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))[٧٧]، وقد بلغ اهتمامه عليه السلام بالعلم والتعلم فكان يقوم بتعليم الناس ويفقههم علوم القرآن والسنة النبوية وأهم الأحكام المنبثقة عنها[٧٨] .

الخاتمة

لقد أفضت نتيجة البحث إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها بالشكل الآتي:

١- يمثل التكافل الاجتماعي ظاهرة حضارية راقية تؤدي إلى توثيق العلاقات والصلة بين أفراد المجتمع الواحد إذ طبق بالشكل الصحيح .

٢- جاءت كلمة التكافل في القرآن الكريم بآيات عدة وألفاظ ومعان مختلفة منها الإعانة والضمان والكفالة والرعاية والتربية والنصيب والرقيب والشاهد والحسيب والحفيظ والإرضاع والكفاية والقدرة .

٣- يُعد التكافل الاجتماعي من أنبل الصفات والمكارم التي أكد عليها الشارع الإسلامي متمثلاً بالنبي الأكرم محمد ﷺ، ومن ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك لتكوين مجتمع متكافل تسوده الألفة والمحبة والوئام من جهة، ولخلق التوازن بين أفراد ذلك المجتمع من جهة أخرى .

٤- من أهم الطبقات والأمور التي اهتم بها أمير المؤمنين عليه السلام لتحقيق ذلك التكافل الذي ينشده الشارع الإسلامي المقدس هم الأيتام والأرامل والعزاب والأسر المتعففة والسجناء والأشخاص المصابون بالعجز والمرضى والزمنى وكبار السن والمظلومون، كما قام عليه السلام بمراقبة الأسواق والتجار والباعة، كما اهتم عليه السلام اهتماما خاصاً بالفقراء والمحتاجين والأسرى، وشمل اهتمامه عليه السلام الثروة وتوزيعها بشكل عادل بين ابناء المجتمع، كما كان للعلم نصيب في ذلك التكافل .

٥- تطبيق أمير المؤمنين عليه السلام لمبدأ التكافل الاجتماعي بشكل كامل من خلال مراعاته لمبدأ المساواة بين الناس وتقديم أرقى صور التعاون والإحسان للجميع دون تمييز بينهم .

الهوامش

(١) الفراهيدي، العين٥/ ٣٧٣، الجوهري، الصحاح٥/ ١٨١٠، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٨٧ .

(٢) أحمد بن حنبل، المسند٤/ ٢٧٠، المتقي الهندي، كنز العمال١/ ١٤٩ .

(٣) محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء/ ١٤٢ .

(٤) التكافل الاجتماعي/ ١٩ .

(٥) سورة آل عمران / ٣٧ .

(٦) الطبري، جامع البيان٣/ ٢٧، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن٤/ ١٠ .

(٧) سورة آل عمران/ ٤٤ .

(٨) الطبرسي، تفسير مجمع البيان٢/ ٢٨٢، القطب الرواندي، فقه القرآن٢/ ١٢٤ .

(٩) سورة النساء / ٨٥ .

(١٠) الفيض الكاشاني، التفسير الأصفي١/ ٢٢٦، الحويزي، تفسير نور اليقلين١/ ٥٢٤ .

(١١) سورة النحل / ٩١ .

(١٢) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع٢/ ٣٤٤ .

(١٣) سورة طه / ٤٠ .

(١٤) الطبري، جامع البيان١٦/ ٢٠٤، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل٢/ ٣٢٩ .

(١٥) سورة الأنبياء / ٨٥ .

(١٦) الطبري، جامع البيان١٧/ ٩٧ .

(١٧) سورة القصص / ١٢ .

(١٨) الفيض الكاشاني، التفسير الآصفي٢/ ٩٢٢ .

(١٩) سورة ص / ٢٣ .

(٢٠) القمي، تفسير القمي٢/ ٢٣١، القطب الراوندي، فقه القرآن٢/ ١٠ .

(٢١) سورة الحديد / ٢٨ .

(٢٢) الطوسي، التبيان٣/ ٢٧٧، الفيض الكاشاني، التفسير الأصفي٢/ ١٢٧١ .

(٢٣) سورة المائدة / ٢ .

(٢٤) المتقي الهندي، كنز العمال/ ٤٢ .

(٢٥) السباعي، التكافل الاجتماعي٣٤، ٦٠ .

(٢٦) احمد بن حنبل، المسند٥/ ٣٣٣، أبو داود، سنن أبي داود٢/ ٥٠٨ .

(٢٧) هو زوج أم اليتيم الذي يتكفل تربيته مع أمه وإعالته والقيام بأموره والاهتمام به، الفراهيدي، العين٨/ ٢٥٧، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٤/ ١٩٢ .

(٢٨) الزمخشري، الفائق٣/ ١٦٥، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٢/ ١٨١ .

(٢٩) ابن ماجة، سنن ابن ماجة٢/ ٨٩٩، الطبراني، المعجم الكبير٧/ ٢٨٠، المتقي الهندي، كنز العمال١٥/ ٥ .

(٣٠) أحمد بن حنبل، المسند٤/ ٤٠٤، البخاري، صحيح البخاري١/ ١٢٣، الترمذي، سنن الترمذي٣/ ٢١٨ .

(٣١) أحمد بن حنبل، المسند٤/ ٢٧٠، مسلم النيابوري، صحيح مسلم٨/ ٢٠ .

(٣٢) أحمد بن حنبل، المسند٣/ ٢٠٦، البخاري، صحيح البخاري١/ ٩، الترمذي، سنن الترمذي٤/ ٧٦، النسائي، سنن النسائي٨/ ١١٥ .

(٣٣) النبهان، الاتجاه الاجتماعي/ ٣٢٦، السباعي، التكافل الاجتماعي١٨٨، العيداني، التكافل الاجتماعي/ ٢٣ .

(٣٤) أحمد بن حنبل، المسند٣/ ٢٠، مسلم النيسابوري، صحيح مسلم١/ ٥٠، أبو داود، سنن أبي داود١/ ٢٥٤ .

(٣٥) السباعي، التكافل الاجتماعي١٩١-١٩٢، العيداني، التكافل الاجتماعي٢٣ .

(٣٦) هو نوع من سمات الإبل يكون في الخدين إلى صفقتي العنق، الفراهيدي، العين٦/ ١٨٣ .

(٣٧) المتقي الهندي، كنز العمال١٠/ ٢١٧ .

(٣٨) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١٨٨-١٨٩ .

(٣٩) العيداني، التكافل الاجتماعي/ ٢٤ .

(٤٠) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١٩٣ .

(٤١) سورة النساء/ ٥ .

(٤٢) السباعي، التكافل الاجتماعي١٩٢-١٩٣ .

(٤٣) أحمد بن حنبل، المسند٢/ ٥٤، البخاري، صحيح البخاري١/ ٢١٥ .

(٤٤) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١٨٩ .

(٤٥) الطبراني، المعجم الكبير١٠/ ٨٦ .

(٤٦) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١٩٣-١٩٤ .

(٤٧) العيداني، التكافل الاجتماعي/ ٢٦ .

(٤٨) سورة التوبة / ٤١ .

(٤٩) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١٩٠-١٩١ .
(٥٠) السباعي، التكافل الاجتماعي/ ١١ .
(٥١) سورة الإنسان٥-١٠ .
(٥٢) الطبرسي، تفسير مجمع البيان١٠/ ٢٠٦-٢٠٩، الحويزي، تفسير نور الثقلين٥/ ٤٦٩ .
(٥٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة١٧/ ٨٦ .
(٥٤) البلاذري، أنساب الأشراف٢/ ١٦٤، الزمخشري، ربيع الأبرار٢/ ١٤٠ .
(٥٥) البياتي، آداب الضيافة/ ٤٩ .
(٥٦) هي المرأة المحتاجة والمسكينة، ويقال للمرأة التي ليس لها زوج أرملة، الفيروز آبادي، القاموس المحيط٣/ ٣٨٧ .
(٥٧) هو التقلب في النعيم على اختلافها، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٤/ ٣٢٠ .
(٥٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة١٦/ ١٩٧ .
(٥٩) هي تسمية تطلق على الرجل والمرأة البعيدين عن النكاح، أي الرجل الذي ليس له زوجة، والمرأة التي ليس لها زوج، فيقال للرجل أعزب، ويقال للمرأة عزباء، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٣/ ٣٢٧ .
(٦٠) هو كيس يوضع فيه ألف أو عشرة آلاف من الدراهم، ابن منظور، لسان العرب٤/ ٤٩ .
(٦١) العيداني، التكافل الاجتماعي/ ٧٨ .
(٦٢) الطبراني، المعجم الأوسط١/ ٢٨٩، السيوطي، الجامع الصغير١/ ٣٥٠، المتقي الهندي، كنز العمال٦/ ٣٥٣، العيداني، التكافل الاجتماعي/ ٨٦ .
(٦٣) العيداني، التكافل الاجتماعي/ ١٠١ .
(٦٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة١٥/ ٦٦ .
(٦٥) هم أصحاب العاهات، ابن منظور، لسان العرب١٣/ ١٩٩ .
(٦٦) السائل الراضي بالقليل، الفراهيدي، العين١/ ١٧٠ .
(٦٧) المتعرض للسؤال من غير طلب، الفراهيدي، العين١/ ١٧٠ .
(٦٨) المجلسي، بحار الأنوار٣٣/ ٦٠٧ .
(٦٩) الطوسي، تهذيب الأحكام٦/ ٢٩٣، الحر العاملي، وسائل الشيعة١٥/ ٦٦، الميرزا النوري، مستدرك الوسائل١٣/ ١٦٨ .
(٧٠) المجلسي، بحار الأنوار٣٣/ ٦٠٧ .
(٧١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة١٧/ ٣٤، محسن الأمين، أعيان الشيعة١/ ٥٤٦ .

(٧٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة٦/ ٦٥، المجلسي، بحار الأنوار٣٣/ ٥٤٠، السباعي، التكافل الاجتماعي٣٣٣-٣٣٤ .

(٧٣) هو الحفظ والرعاية، أي احفظوا الضائع وارعوه، الفراهيدي، العين٥/ ٣٨١، الجوهري، الصحاح٤/ ١٤٢٤ .

(٧٤) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح٤/ ٢٨٠، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق٤٢/ ٤٨٦، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب٣/ ٢٩٣، المجلسي، بحار الأنوار٤٠/ ٤١،٣٣٢/ ٤٤ .

(٧٥) الحلي، كشف اليقين/ ١١٥ .

(٧٦) البلاذري، أنساب الأشراف/ ١٧٠، محسن الأمين، أعيان الشيعة١/ ٥٨٣ .

(٧٧) الطبراني، المعجم الكبير١١/ ٥٥، الحاكم النيسابوري، المستدرك٣/ ١٣٦، ابن عبد البر، الاستيعاب٣/ ١١٠٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة٧/ ٢١٩ .

(٧٨) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل٢/ ٤١٧ .

المصادر والمراجع :

المصادر :

القرآن الكريم .

* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩ م).٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، بلا ط، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم، بلا ت) .
* البخاري، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م) .
* صحيح البخاري، بلا تح، بلا ط، دار الفكر، (بيروت ١٩٨١ م) .
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م) .٤- أنساب الأشراف، تح : محمد باقر المحمودي، ط : ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ١٩٧٤ م).
* الترمذي،أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٣ م).
* سنن الترمذي، تح : عبد الرحمن محمد عثمان، ط : الثانية، دار الفكر للطباعة، (بيروت ١٩٨٣ م) .
* الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣ م) .
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح : أحمد عبد الغفور عطار، ط:١، دار العلم للملايين، (القاهرة، ١٩٥٦م) .
* ابن أبي حاتم،أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي(ت٣٢٧ هـ/ ٩٣٨ م) .
* تفسير القرآن العظيم، تح : أسعد محمد، بلا ط، دار الفكر، (بيروت،٢٠٠٣م). (القاهرة، ١٩٥٦م).
* ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) .
* شرح نهج البلاغة، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم، ط : الأولى، دار إحياء الكتب العربية، (بلا مكا، ١٩٥٩م) .
* الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ / ١٦٩٢م) .
* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، بلا تح، ط:٢، مؤسسة آل البيت، (قم، ١٩٩٣م) .
* ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).
* المسند، بلا تح، بلا ط، دار صادر، (بيروت، بلا ت) .
* الحويزي، عبد علي بن جمعة (ت١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) .
* تفسير نور الثقلين، تح : هاشم الرسولي المحلاتي، بلا ط، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم، بلا ت) .
* أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .
* سنن أبي داود، تح : سعيد محمد اللحام،

ط : ١، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٩٩٠م) .
* الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٨٣هـ / ١١٨٧م) .
* الفائق في غريب الحديث، تح : إبراهيم شمس الدين، ط : ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٦م) .
* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
* ١٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بلا تح، بلا ط، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٩٨١م) .
* ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م).
* ١٥- مناقب آل أبي طالب، تح : لجنة من الأساتذة، بلا ط، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٥٦م) .
* الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي(ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) .
* المعجم الأوسط، تح : أبو المعاذ طارق بن عوض و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، بلا ط، دار الحرمين للطباعة والنشر،(بلا مكا،١٩٩٥م).
* المعجم الكبير، تح : حمدي عبد المجيد السلفي، ط : الثانية،(بلا مكا، بلا ت) .
* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين(ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).
* مجمع البيان في تفسير القرآن، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط: ١،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت، ١٩٩٥م).
* تفسير جوامع الجامع، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ط:١، (قم، ١٩٩٩م).
* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م).
* جامع البيان عن تأويل القرآن، تح : صدقي جميل العطار، بلا ط، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩٥م) .
* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧ م) .
* التبيان في تفسير القرآن، تح : أحمد حبيب قصير العاملي، ط : ١، دار أحياء التراث العربي، (بلا مكا، بلا ت) .
* تهذيب الأحكام، بلا تح، بلا ط، بلا مكا، بلا ت .
* ابن أعثم، محمد أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م) .
* كتاب الفتوح، بلا تح، بلا ط، بلا مكا، بلا ت .
* ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).
* تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الإماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح :علي شيري،بلا ط،دار الفكر للطباعة،(بيروت، ١٩٩٥م).
* ابن فارس،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

* معجم مقاييس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون، بلا ط، مكتب الإعلام الإسلامي، (بلا مكا، ١٩٨٤م) .
* الفراهيدي،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ/ ٧٩١).
* العين، تح : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، ط : الثانية، مؤسسة دار الهجرة، (إيران، ١٩٨٩م).
* الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م).
* القاموس المحيط، تح : نصر الهوريني، بلا ط، بلا مكا، بلا ت .
* الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت١٠٩١هـ / ١٦٠٨م) .
* الأصفى في تفسير القرآن، تح : محمد حسين درايتي و محمد رضا نعمتي، ط: ١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، (بلا مكا، ١٩٩٩م) .
* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧١م).
* الجامع لأحكام القرآن، بلا تح، ط: الثانية، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٥م) .
* قطب الدين الراوندي، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).
* فقه القرآن، تح: أحمد الحسيني، ط:٢، مطبعة الولاية، (قم، ١٩٨٤م).
* القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) .
* تفسير القمي، تح : السيد طيب الموسوي الجزائري، ط : ٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، (إيران، ١٩٨٤م).
* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م). ٣٢- سنن ابن ماجة، تح : محمود فؤاد عبد الباقي، بلا ط، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت، بلا ت) .
* المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح : بكري حياني، بلا ط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م) .
* المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ / ١٧٠٠م).
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بلا تح، ط : الثانية، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٩٨٣م) .
* مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج .
* الجامع الصحيح، بلا تح، بلا ط، دار الفكر،(بيروت، بلا ت) .
* مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) .
* تفسير مقاتل بن سليمان، تح : أحمد فريد، ط : ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م) .

المراجع :

* البياتي، جعفر .
* ٤٠- آداب الضيافة، ط:١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٩٧م) .
* السباعي، مصطفى .
* ٤١- التكافل الاجتماعي في الإسلام، بلا ط، دار ابن حزم، (بيروت، ٢٠١٠م).
* العيداني، مؤيد إبراهيم محمد .
* ٤٢- التكافل الاجتماعي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط:١، مركز الكتاب الأكاديمي، (عمان، ٢٠٢٢م).
* قلعجي، محمد رواس .
* معجم لغة الفقهاء، ط:١، دار النفائس، (الرياض، ١٩٨٥م) .
* محسن الأمين .
* أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، بلا ت).
* النبهان، محمد فاروق .
* الاتجاه الاجتماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي، بلا ط، دار الفكر للطباعة، (بيروت،١٩٧٠م).
* ابن منظور،أبو الفضل محمد جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
* لسان العرب، بلا تح، بلا ط، (قم،١٩٨٤م) .
* الميرزا النوري .
* ٣٨- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت، بلا ت) .
* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م).
* السنن الكبرى، تح : د. عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، ط : الأولى، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩١م) .

آليات محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية

التي اتبعها الإمام علي عليه السلام

م.م. حنين عباس سالم

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ.

ملخص البحث

تعد مشكلة الفقر من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات البشرية فهي مشكلة ذات أبعاد متعددة إذ تمثل خطراً مباشراً على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، بل وحتى الاستقرار الأمني ؛ لأن الفقر يولد بيئة تنشأ فيها مختلف انواع الأنحراف والجريمة فهو من أشد آلافات الاجتماعية التي تصيب المجتمعات مما جعلها تنال اهتماماً واسعاً من قبل الاقتصاديين ورجال السياسة والمؤسسات الدولية والمحلية .

وقد ظهرت العديد من المذاهب والنظريات والفلسفات التي حاولت وضع الحلول والمعالجات لظاهرة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية ، والدين الإسلامي باعتبارة منهج حياة متكاملاً فقد وضع الحلول والمعالجات للقضاء على ظاهرة الفقر ، لذلك سندرس في هذا البحث أهم الآليات التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية باعتبار ان منهج الإمام مستمد من وحي القرآن والسنة النبوية الشريفة إذ حرص الإمام علي (عليه السلام) وسعى جاهداً لتبني كافة الإجراءات اللازمة لمواجهة الفقر والنهوض بالمستوى المعيشي الذي يعد اول اهداف التنمية الاقتصادية لذلك سيتناول البحث ((آليات محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام)) في المطلب الأول نبذة عن الاوضاع الاقتصادية في الدولة الإسلامية واثرها في تفاقم مشكلة الفقر بينما يدرس في المطلب الثاني (مشكلة الفقر وتحليل أبعادها) واثارها السلبية على مجمل جوانب الحياة ، ويبين المطلب الثالث (أهم آليات محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام)) .

Abstract

The problem of poverty is one of the biggest challenges that confront human societies, as it is a problem with multiple dimensions, as it represents a direct threat to social and economic stability, and even to security and peaceful coexistence, because poverty generates an environment in which various types of delinquency and crime arise. Because of this, it is given a lot of consideration when discussing political and local policies from an economic perspective, together with evolving many doctrines, theories and philosophies in an attempt to vehemently develop solutions and treatments for the phenomenon of poverty and achieve economic development,

Thus, the Islamic religion will constitute an integrated way of life with such developed solutions and treatments whose main task is to eliminate the phenomenon of poverty, so we will study in this research the most important mechanisms that Imam Ali, peace be upon him, followed in eradicating poverty and accomplishing economic development, considering that the Imam's approach is derived from the inspiration of the Qur'an and the noble Prophet's Sunnah, as Imam Ali, peace be upon him, was keen on adopting all necessary measures to confront poverty and raise the standard of living, which is the first goal of economic development.

Therefore, the research will address the mechanisms for fighting poverty and achieving economic development that he followed. Imam Ali, peace be upon him) . In the first section , there is an overview of the economic conditions in the Islamic State and its impact on exacerbating the problem of poverty, while the second tackles the problem of poverty in an analysis of its dimensions and negative effects on all aspects of life, and the third shows (the most important mechanisms for combating poverty and producing economic development and progress that Imam Ali, peace be upon him .

المقدمة

« الحَمْدُ لله الَّذي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ وَلاِ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ »[1] والصلاة على « مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لأنفاذ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذُرِهِ »[2] وأهل بيته « دَعَائِمُ اَلإِسْلام وَ وَلاَئِجُ اَلاِعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ اَلْحَقُّ إِلىَ نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ اَلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُوا اَلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ اَلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ »[3].

تعد مشكلة الفقر من أهم وأكبر المشاكل والتحديات التي تواجه المجتمعات البشرية ، بل ان الدين الإسلامي عد مشكلة الفقر بلاء ومصيبة يجب التعوذ منها إذ قال رسول الله ﷺ : ((اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر))[4] ، هنا نجد ان الرسول الأكرم ﷺ يذكر الفقر بعد قضية الكفر مباشرةً وهذا يدل على عظيم خطر هذه المشكلة على المجتمعات البشرية حتى قرنها رسول الله بالكفر ، فالفقر يمثل ظاهرة خطيرة متعددة الأبعاد تؤدي تداعياتها السلبية إلى استفحال المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لذلك فقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً استثنائياً بمشكلة الفقر ومحاربتها وايجاد الحلول لمعالجة التبعات السلبية لهذه المشكلة إذ ارسى العديد من المنطلقات النظرية والتطبيقات العملية لبناء نظام اقتصادي تتوفر فيه كل وسائل السعادة والرخاء وازدهار المجتمعات البشرية .

وبما ان الإمام عليّاً عليه السلام كان اعلم الناس بعد رسول الله ﷺ في تطبيق المناهج والأسس والمبادىء التي جاء بها الدين الإسلامي في مختلف مجالات االحياة إذ قال رسول الله الأكرم : ((أعلمكم علي بن أبي طالب عليه السلام))[5] فقد احتوى تراثه الفكري على العديد من المفاهيم النظرية والاليات والإجراءات العملية التي سعى من خلالها جاهداً لمحاربة مشكلة الفقر والقضاء عليها والنهوض

بالمستوى المعيشي وتحقيق التنمية الاقتصادية التي لو طبقت في الوقت الحاضر لاستطعنا من خلالها النهوض بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

لذلك فإن البحث يكتسب أهميته من خطورة ظاهرة الفقر وضرورة الحد منها والقضاء عليها ، ونجاح الاليات التي اتبعها الإمام علي والمستمدة من المنهج القرآني والسنة النبوية الشريفة في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية إذ اكدت العديد من الروايات على الرفاهية والازدهار الاقتصادي الذي شهده عهد الإمام علي عليه السلام .

لذلك فقد قسم البحث على ثلاثة مطالب :

-المطلب الأول (نبذة عن الواقع الاقتصادي قبل تولي الإمام علي عليه السلام) الحكم.

-المطلب الثاني (مشكلة الفقر وتحليل أبعادها) .

-المطلب الثالث (أهم آليات تحقيق التنمية الاقتصادية ومحاربة الفقر التي اتبعها الإمام علي عليه السلام) .

***المطلب الأول : نبذة عن الواقع الاقتصادي قبل تولي الإمام علي عليه السلام الحكم**

لقد كانت الاوضاع المالية والاقتصادية في الدولة الإسلامية قبل تولي الإمام علي عليه السلام الحكم سبباً في تفاقم مشكلة الفقر إذ تميزت بالفساد المالي والإداري والاقتصادي الذي انعكس على الواقع الاجتماعي مما ادى إلى ظهور التفاوت الطبقي في المجتمع حيث تكدس الثراء والأموال في فئات معينة وبقاء الأموال دُولةً بين الأغنياء وظهرت طبقة فقيرة لا تجد قوت يومها وذلك بسبب السياسة المالية والإدارية التي اتبعها الحكام في الدولة الإسلامية إذ خالف الحاكم عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) سياسة الرسول المالية في توزيع العطاء إذ ((لما كان عمر بن الخطاب وجاءت الفتوح فضل وقال : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله كمن قاتل معه ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين

والأنصار ممن شهد بدراً خمسة الآف خمسة الآف ومن لم يشهد بدراً اربعة الآف أربعة الآف وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر دون ذلك أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق)) [٦] ، فتراكمت الثروات لدى بعض فئات المجتمع وظهر تفاوت بين المسلمين في المكانة الاجتماعية. وعند تولي عثمان بن عفإن الحكم (٢٣-٣٥هـ) زاد تدهور الأوضاع المالية والإدارية وانعكاساتها على الأوضاع الاقتصادية إذ قام عثمان بتولية الولاة الفاسدين على الاقاليم الإسلامية من امثال الوليد بن عقبة ابن أبي معيط[٧] على الكوفة، وعبد الله بن أبي سرح [٨] على ولاية مصر وعبد الله بن عامر بن كريز[٩] على ولاية البصرة [١٠] فسيطر هولاء الولاة الفاسدون على مقدرات الناس وأموالهم .

كذلك اعتبر عثمان ابن عفإن بيت مال المسلمين إلى ملكية خاصة له ولبني أمية وولأهم الولايات وأقطعهم القطائع ، فتذكر الروايات انه حين فتح افريقيا سنة (٢٧هـ) اعطى خمس غنائمها إلى مروان بن الحكم [١١] وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم ، وأعاد الحكم بن أبي العاص ، بعد أن كان رسول الله ﷺ ، قد سيره ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وأقطع الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم سوقاً بالمدينة يعرف بـ (مهروز) كان رسول الله ﷺ تصدق به على فقراء المسلمين وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية . وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب ، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين . وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال [١٢] .

بالإضافة إلى هذا الفساد الإداري والمالي اتبع عثمان ابن عفإن مجموعة من الإجراءات الاقتصادية التي ادت إلى زيادة الفقر وتكدس الثروات في أيدي الأغنياء ومنها اقطاع الاراضي لبعض الصحابة فكان قد أقطع الأراضي كلاً من عبد الله ابن مسعود والخباب بن الأرث وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام واسامه ابن زيد وغيرهم [١٣] ونقل الفيىء إلى الناس حيث اقاموا من بلاد العرب إذ روي ان عثمان بن عفان ((جمع أهل المدينة فقال يا أهل المدينة إن الناس يتمخضون بالفتنة وإني والله لأتخلصن لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم ان رأيتم ذلك فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه فيقيم معه في بلاده فقام أولئك وقالوا كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين فقال نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز)) [١٤]، لكن هذا الإجراء الذي اقدم عليه عثمان بن عفان لم ينتفع منه سوى اصحاب الملكيات الضخمة الذين اشتروه من اصحاب الملكيات الصغيرة وبالسعر الذي يقررونه كذلك قام بإجراء اقتصادي اخر إذ سمح لكبار الاغنياء في المدينة بالخروج واعطأهم الحرية في ممارسة التجارة بطرائق مختلفة بعد ان فتح الباب لهم بانواع التجارة والمضاربة في اسهم المقاتلين وعلى نطاق كل بلاد العرب والبلاد المفتوحة فادت هذه السياسات الاقتصادية غير المدروسة إلى نمو الملكيات الضخمة وخلق الطبقية في المجتمع المسلم إذ أصبح المجتمع طيقتين طبقة الاغنياء المترفين إلى جانب طبقة الرقيق التي تعيش حياة البؤس والشقاء اي ان المجتمع صار شقين أغنياء حصتهم الثراء والطغيان والحكم وهم الاقلية وطبقة فقراء نصيبهم الحرمان وتحمل الجور وهم الاكثرية [١٥] .

كما ان عثمان بن عفان لم يستطع الموازنة بين سياسات الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية إذ اهتم بجانب على حساب جانب آخر

إذ أهمل الاهتمام بالطبقات الفقيرة في المجتمع بل انه تجاوز على حقوقهم في الأموال إذ ((أنه أعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها ، وذلك مما لا يحل في الدين)) [١٦] إذ ان هذه الأموال حق فئات معينة حددها القرآن الكريم إذ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٧]

ومن خلال هذه النصوص يتضح لنا ان السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي تبنتها السلطة الحاكمة أدت إلى انتشار الفساد المالي والإداري والاقتصادي وبالتالي انتشار الفقر بين أكثر فئات المجتمع الإسلامي فكان لابُدَّ من محاربة هذه الأوضاع المنحرفة واتخاذ كافة المعالجات والإجراءات من أجل النهوض بواقع المجتمع وانقاذه من آفة الفقر .

***المطلب الثاني (مشكلة الفقر وتحليل أبعادها) .**

الفقر مشكلة اقتصادية واجتماعية تعاني منها جميع المجتمعات البشرية فهي تمثل ظاهرة خطيرة لها انعكاساتها على الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والامني لأن الفقر يولد بيئة تنشأ فيها مختلف اشكال الأنحراف والجريمة التي تنخر في خلايا المجتمع فتؤثر بشكل سلبي على الافراد والاسر والمجتمعات ، لذلك فقد نالت هذه المشكلة اهتماماً كبيراً من قبل الاقتصاديين ورجال السياسة والعلماء والمؤسسات الدولية والمحلية ، ووضع لها العديد من التعريفات إذ عرَّفَهُ ابن قدامة ((الحاجة هي الفقر والغنى ضدها ، فمن كان محتاجا فهو فقير)) [١٨] وعرف أيضاً ((هو عدم القدرة للوصول إلى الحد الأدنى من الاحتياجات المهمة المادية كالطعام والسكن والملبس ووسائل التعليم والصحة... وحاجات غير مادية مثل حق المشاركة والحرية الإنسانية والعدالة الاجتماعية. ويعرف أيضا بعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى

المعيشة)) [١٩]، ويعرف الفقر لدى علماء الاجتماع: ((أنه مستوى معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية والمتصلة بالاحترام الذاتي لفرد أو مجموعة من الأفراد، وخط الفقر هو الحالة التي يكون فيها الفرد عاجزا عن الوفاء بتوفير متطلبات الغذاء والملبس المأوى الضروري لنفسه)) [٢٠].

ومن هذه النصوص يظهر لنا ان جميع تعريفات مشكلة الفقر تدور حول وجود ظروف معيشية لفئات اجتماعية تتسم بالحرمان وعدم القدرة على تحقيق الحد الادنى من المستوى المعيشي .

كما ان الفقر لا يقتصر على الجانب المادي فقط ، فالفقر له العديد من الصور والصنوف التي ذكرها الإمام علي عليه السلام ومنها:

١-الفقر الديني : وهو الفقر الحقيقي لأنه يورث صاحبه النار إذ قال الإمام علي عليه السلام : ((الفقر الموت الأكبر)) [٢١] وقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ((الفقر الموت الأحمر . فقيل : الفقر من الدنانير والدرأهم ؟ قال : لا ولكن من الدين)) [٢٢].

٢- الفقر العلمي : وهو من انواع ومعاني الفقر التي ذكرها الإمام علي عليه السلام إذ قال : ((لا غنى كالعقل . ولا فقر كالجهل)) [٢٣]، كذلك قال فيما أوصى به ابنه الحسن عليه السلام : ((يا بني ، لا فقر أشد من الجهل ، ولا عدم أعدم من العقل)) [٢٤].

٣-فقر النفس : إذ اشار الإمام علي عليه السلام هذا الفقر النفسي والروحي بقوله : ((شر الفقر فقر النفس))[٢٥] وقوله : ((أكبر البلاء فقر النفس)) [٢٦].

٤- كما ان هناك صور ومعان اخرى للفقر تعكسها أحاديث الإمام علي عليه السلام إذ اشار إلى الفقر في الوعي والرشد الفكري بقولة : ((وأكبر الفقر الحمق)) [٢٧] ، والفقر والحرمان من الحماية الاجتماعية والسياسية بقوله: ((وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر[٢٨] عز يفتقر إليكم)) [٢٩] وهذا الفقر يعم الفقر الفردي

وفقر الدولة والمجتمعات ايضا ، كذلك قال عليه السلام : ((أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة)) [٣٠] ، فالفقر ليس عدم تملك الأموال والثروات، بل هو الحرمان من الاستفادة منها واستثمارها لرفع حوائج الإنسان المادية منها والمعنوية، السياسية منها والاجتماعية العلمية منها والفكرية والثقافية، الأساسية منها والجمالية والكمالية... فمن يملك المليارات لكنه لا يستثمرها في الدفاع عن حقوقه وحقوق أمته فهو (فقير) ، بل هو (أفقر الناس).. والدولة التي تملك مئات المليارات لكنها لا تصرفها في مؤسسات البنية التحتية وتقوية المؤسسات الدستورية فهي فقيرة أيضاً [٣١] .

ويعد الفقر الاقتصادي أو المادي من أخطر أنواع الفقر ولا سيما إذا ما اقترن بالفقر الديني والاخلاقي لأن الإنسان الفقير إذا لم يكن له وازع ديني وأخلاق تمنعه من الأنحراف والجريمة سيدفعه الفقر إلى ارتكاب مختلف أشكال الاعتداءات من سرقة وقتل والاعتداء على الآخرين دون ان يتقيد بدين أو أخلاق .

أما من ناحية أبعاد الفقر وانعكاساته على مناحي الحياة فالفقر مشكلة معقدة متداخلة في كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وحتى الصحة والصحة النفسية للفرد، فهو يؤثر بكل هذه الجوانب ويتأثر بها ، وتتمثل أبعاد ثاثيره على جوانب الحياة بما ياتي:

***فمن الأبعاد الاجتماعية لمشكلة الفقر** ظهور الأنحرافات الكبيرة على مستوى سلوك الافراد وأخلاقهم إذ ان الفقر يؤدي إلى ظهور سلوكيات وعادات تخالف التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية في المجتمع ، حيث ان الفقر يؤدي بالإنسان في بعض الاحيان بان يجيز لنفسه كل الامور التي تمكنه من الحصول على لقمة العيش والتي قد تكون مخالفة لما امر الله تعالى إذ يقول أمير المؤمنين المؤمنين الإمام علي عليه السلام : ((العسر يفسد الأخلاق)) [٣٢] ، وقوله عليه السلام : ((العسر يشين

الأخلاق ويوحش الرفاق))[٣٣] ، اي ان ما ينتج عن الفقر من أفكار وأعمال تعد اسوأ من الفقر نفسه إذ تؤدي إلى الإخلال بالأمن المجتمعي .

*ان الفقر قد يؤثر على علاقات الافراد الأجتماعية ببعضعم البعض لأنه يؤدي إلى الخذلان من الاصدقاء والاقارب في بعض الاحيان إذ قال أمير المؤمنين المؤمنين : ((الحرمان خذلأن)) [٣٤] ، كما يؤدي إلى مذلة النفس فالإنسان الفقير يصبح ذليل عند بعض الناس ولاسيما اصحاب الموازين المادية إذ قال أمير المؤمنين المؤمنين : ((إن الفقر مذلة للنفس)) [٣٥] .

***كذلك من الأنعكاسات السلبية للفقر على الجانب العلمي** انتشار الجهل والأمية بين ابناء المجتمع إذ ان الفقير لا يلقي بالاً للتعلم بسبب الأنشغال بلقمة العيش وسد احتياجاته وبسبب عدم توفر الإمكانيات المادية لتحمل أعباء التعليم فيترتب على ذلك قيام مجتمع ينتشر فيه الجهل والأمية وما يترتب على ذلك من آثار سلبية على الجانب الأجتماعي والعلمي إذ يقول الإمام علي عليه السلام : ((الفقر ينسي)) [٣٦] ، وقوله عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية : ((يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل ، داعية للمقت)) [٣٧] .

***ومن الأبعاد الدينية لمشكلة الفقر** يؤثر الفقر بشكل سلبي على الجانب الديني لدى الأفراد إذ قد يحمل الفقر الأفراد على الخيانة والكذب والقعود عن نصرة الحق حيث قال أمير المؤمنين المؤمنين عليه السلام : ((الفقر منقصة للدين)) [٣٨] ، وقال الإمام جعفر الصادق : ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب في مروءته ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يكرر القول في دعائه : اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف والعفاف ، وإنما كان الفقر رقة ومنقصة في الدين لأن النفس إذا احتاجت تعرضت لما لا يجوز ،

ودخلت مداخل الشر والسوء ، وإذا أحرزت قوتها سكنت واطمأنت ، ومن هنا كان السعي للرزق ديناً ، والتدبير عقلاً [٣٩] .

***كذلك للفقر آثار على الصحة والصحة النفسية للأفراد** إذ قال أمير المؤمنين المؤمنين عليه السلام : ((إن الفقر مذهلة للنفس ، مدهشة للعقل ، جالب للهموم)) [٤٠] ، ((إن افتقر قنط ووهن)) [٤١] ، وقال: ((ثلاث هن المحرقات الموبقات : فقر بعد غنى ، وذل بعد عز ، وفقد الأحبة)) [٤٢] ، إذ يعاني الفقير من الضغوطات المعيشية والنفسية وصراع مرير مع الحياة مما يجلب له الغم والحزن وقد تصل به إلى حالة من اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى والتاثير على صحته النفسية والتي قد تدفعه إلى ارتكاب الجرائم بحق نفسه كالأنتحار او بحق غيره كالقتل .

*كذلك من انعكاسات **الفقر أنه يخرس الفطن عن حجته** إذ قال أمير المؤمنين المؤمنين: ((الفقر يخرس الفطن عن حجته)) [٤٣] ، لأن الفقر يصغّر صاحبه فى نفسه فيتصاغر اليه نفسه ، فلا يقدم على القول ، وان كان صدقا وحقّا ، لجبنه ومخافته ان يردّ عليه ، ويستخفّ به ، فيؤثر السّكوت على الكلام عند اظهار الحجّة ، وان كان حسن الكلام ، فيصير من هذا الوجه كالأخرس عن الحجّة والبرهان [٤٤] .

***الفقر ينتج عظائم الأمور** : فإذا تمكن من الفرد أو المجتمع أو الدولة وقع منهم عظائم الأمور التي لا يحصل إلا بسبب الفقر على المستوى السياسي أو الأجتماعي أو الديني وكم من دولة لم تتنبه وإذا بها بين عشية وضحاها قد سقطت وبادت بسبب الفقر [٤٥] قالَ أمير المؤمنين المؤمنين : ((ضرورة الفقر تبعث على قبيح الأمر)) [٤٦] .

▪أهم آليات تحقيق التنمية الاقتصادية ومحاربة الفقر التي اتبعها الإمام علي عليه السلام

اثبتت النصوص التاريخية اعلاه ان مشكلة الفقر ظاهرة أجتماعية واقتصادية

لها أبعادها السلبية على كل مناحي الحياة ، مما تطلب مواجهة هذه المشكلة وايجاد الحلول المناسبة لتفادي المجتمع خطراً يهدد الامن المجتمعي والاستقرار الاقتصادي والسياسي وان تتكاتف الجهود لمعالجتها لذلك فقد عملت مشاريع التنمية الاقتصادية على مر التاريخ على القضاء على هذه المشكلة ، من خلال اتخاذ كافة الإجراءات والمعالجات النظرية والتطبيقة التي من شأنها محاربتها.

لذلك عندما تولى الإمام علي ﷺ حكم الدولة الإسلأمية (٣٥-٤٠هـ) عمل على تطبيق برنامجه الاصلاحي الذي شمل كافة جوانب الدولة السياسية والاقتصادية والأجتماعية والإدارية والعسكرية وعلى جميع المستويات ، وبما ان الفقر والعوز وعدم القدرة على تلبية متطلبات الحياة الاساسية يعد من أهم المشاكل التي تجسد فيها غياب العدالة الأجتماعية ووعدم الإنصاق والاقصاء والتهميش الذي كان يعاني منه أكثر فئات المجتمع ، فقد أولى ﷺ هذه المشكلة اهتمأما واسعاً ، ووضع لها برنامجاً اصلاحياً يتضمن كافة الاليات والتطبيقات الكفيلة بالقضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية والنهوض بالمستوى المعيشي للمجتمع .

لذلك فقد قام برنامج الإمام علي ﷺ في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية على مجموعة من الآليات والخطوات والتي من شأنها تحقيق التنمية الاقتصادية وقد تمثلت بما يأتي :

أولاً : الجهاز الإداري التنفيذي الكفء

ان تنفيذ اي برنامج او ايجاد حل لمشكلة ما يتطلب ايجاد جهاز إداري وتنفيدي يشرف على تطبيقه على ارض الواقع ، لذلك فإن أول خطوة قام بها الإمام علي ﷺ في برنامج تحقيق التنمية الاقتصادية هي ايجاد جهاز إداري تنفيذي يتمتع أفراده بالمؤهلات والقدرات التي تجعلهم قادرين على تحقيق التنمية الاقتصادية

لما لهؤلاء المسؤولين من اثر في تحقيق عملية التنمية واصلاح احوال الرعية إذ قال بهذا الشأن ((وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بصلاح من يستعينون به على أمورهم ، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم)) [٤٧] ، لذلك كان الإمام عليه السلام حريصاً على اختيار الولاة ممن عرف بالقدرة على القيام بالاصلاح وقد اكدت بعض المصادر على ذلك ((... ولا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات ...)) [٤٨] و ((ممن عرفوا بالصلاح)) [٤٩] .

وحتى يكون الإمام قادراً على ايجاد مثل هذه الجهاز الإداري الذي يتمتع بالمؤهلات التي تمكنه من القيام بعملية التنمية الاقتصادية فإنه وضع مجموعة من الاليات التي تمكنه من ذلك وياتي في مقدمتها :

أ/ **وضع معايير وضوابط موضوعية غاية في الدقة عند اختياره للمسؤولين في جهازه الإداري** ليمارسوا مهامهم ومسؤولياتهم التنفيذية بشفافية عالية ومن هذه المعايير والضوابط ما اشار اليها الإمام علي عليه السلام في كتاب تعيين مالك بن الاشتر والياً على مصر إذ كتب له ((أنظر في أمور عمالك الذين تستعملهم فليكن استعمالك إيأهم اختيارا ، ولا يكن محاباة ولا إيثارا ، فإن الأثرة بالاعمال والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس . وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بصلاح من يستعينون به على أمورهم ، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم ، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والفقه والعلم والسياسة ، والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع ، فإنهم أكرم أخلاقا وأشد لأنفسهم صونا وإصلاحا ، وأقل في المطامع إسرافا ، وأحسن في عواقب الأمور نظرا من غيرهم)) [٥٠] ، ومن خطبة له عليه السلام في صفات الوالي ((وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام

وإمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجأهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة)) [٥١] .

ويمكن من خلال هذين النصين التعرف على المعايير والضوابط التي حددها الإمام علي ﷺ عنده اختياره المسؤولين في الجهاز الإداري والتنفيدي :

١-بين ان اختيار المسؤولين يجب ان لا يكون محاباة أو ايثاراً لأن في ذلك إدخال الضرر على الناس لما يسببه هذا الاختيار من تكوين جهاز إداري فاسد غير قادر على القيام بالمهام التي اوكلت إليه لعدم قدرته وكفاءته .

٢-وضع مجموعة من الصفات الأخلاقية التي لابد ان يتمتع بها المسؤولون في الجهاز الإداري كـ (الدين ، الورع ، الفقه ، الأمانة) لما لهذه الأخلاق من أهمية في أبعاد اصحابها عن الشبهات والفساد إذ تكون الأخلاق حاجراً رادعاً مانعاً من لأنحراف والأنحطاط والاضرار بالمصالح العامة واستغلال المناصب بما يخدم المصالح الشخصية وما يترتب عليها من تدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار الفقر والعوز .

٣-أن يتمتع المسؤولون في الجهاز الإداري بالخبرة الإدارية والمعرفة السياسية لأن الدولة بحاجة إلى من يمتلكون الخبرة لإدارة الولايات، لأن الجهاز الإداري سيقع تحت ادارته مجموعة من الناس، فيحتاج إلى معرفة بالامور السياسية ومعرفة بالامور المالية والاقتصادية حتى يستطيع توفير الاستقرار للمنطقة التي يديرها وتحقيق التنمية الاقتصادية [٥٢] .

٤- ان لا يكون مسؤولو الجهاز الإداري ممن كان يتصف بالبخل والجهل او الجافي الحائف والمرتشي والمعطل للسنة لأن مسؤول الجهاز الإداري لو كان

بخيلاً لكان شرها على المال والحياة الدنيا ، يطلبها من كل سبيل ، ويمنع الحق عن أهله ، وإنْ كان جاهلاً أضلهم بجهله عن طريق الحق والصواب . وهذا الشرط تفرضه البديهة وتتفق عليه البشرية جمعاء ، ومن حكم الإمام : لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً، ولو كان فظاً تجافى الناس عنه ، وهم في أشد الحاجة إلى عدله مع العلم بأن مهمته تفرض عليه التواضع ولين الجانب ، والصبر لذوي الحاجات والاستماع لشكوى المظلومين . ولو كان (حائفاً) أي الجائر (للدُّوَل) بضم الدال ، وهو المال المتدأول به ، والجور في المال ان يكتسبه على حساب الآخرين ، ويحبسه عن المستحقين (فيتخذ قوما دون قوم) أي يؤثر المبطل على المحق ، والقوي على الضعيف ، ولو كان مرتشياً في الحكم فيذهب بالحقوق إلى غير أهلها ، ولو كان معطلاً للسنة) أي قول الرسول وفعله وتقريره (فيهلك الأمة) بجهله وخيانته ، وعلى الإجمال فإن البخيل لا يركن اليه ، والجاهل لا يسترشد به ، والفظ تنفر منه الطباع ، والجائر يبخس الناس أشياءهم ، والمرتشي مزور محتال ، وبتعطيل الأحكام والقوانين تسود الفوضى ، ويختل النظام [٥٣] مما يؤدي إلى انتشار الفقر والظلم الأجتماعي لذلك حذر الإمام عليه السلام من تولية رقاب الناس لمن كان يتصف بهذه الصفات وان توكل إليه أي مهام إدارية وتنفيذية .

ان هذه المعايير التي حددها الإمام علي عليه السلام عند اختيار المسؤولين في الجهاز الإداري كفيلة بضمان بناء جهاز إداري يتمتع بالكفاءات والقدرات قادر على القيام بما اوكل إليه من اعمال بكل شفافية ومرونه عالية محققاً التنمية الاقتصادية .

ب / فرض نظام رقابي على الجهاز الإداري لم يكتف الإمام بوضع معايير لاختيار المسؤولين في الجهاز الإداري والتنفيذي وانما عمل أيضا على أيجاد نظام رقابي متكامل يدقق عمل المسؤولين ومحاسبتهم للتأكد من مدى التزام الجهاز الإداري بالأنظمة والقوانين والبرامج وتنفيذها دون الأنحراف إذ جاء في احد كتبه إلى عامله مصقلة بن هبيرة [٥٤] ، وبلغه أنه يفرق ويهب أموال اردشير خرة [٥٥] ، وكان عليها : ((أما بعد ، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدقه أنك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقسم الجوز ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لافتش عن ذلك تفتيشا شافيا ، فإن وجدته حقا لتجدن بنفسك علي هوانا، فلا تكونن من الخاسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)) [٥٦] .

ومن الوسائل هذا النظام الرقابي في مراقبة عمل الجهاز الإداري ارسال التقارير عن طريق العيون إذ جاء في احد كتب الإمام علي ﷺ إلى احد عماله ((ثم تفقد أعمالهم ، وإبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعية . وتحفظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهدا ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة)) [٥٧] .

وأيضاً من الوسائل الأخرى التي اعتمد عليها النظام الرقابي ارسال المفتشين ومن ذلك ما أمر به الإمام علي ﷺ عامله كعب بن مالك [٥٨] ((أما بعد ، فاستخلف على عملك ، وآخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم... ، واعمل بطاعة الله فيما

ولاك منها ، واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به ، فاصنع خيرا صنع الله بنا وبك خيرا ، وأعلمني الصدق فيما صنعت ، والسلام)) (٥٩) .

كذلك من الوسائل التي اعتمدها عليه السلام جعل أفراد المجتمع مراقبين على عمل الجهاز الإداري وتقييمه إذ جاء في خطبة له ((معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فاعلموا أني أعزله عنكم)) (٦٠) .

تساعد هذه المعايير الموضوعية والنظام الرقابي على الجهاز الإداري على أيجاد جهاز إداري تنفيذي كفء قادر على القيام بعملية التنمية الاقتصادية والنهوض بالمستوى المعيشي وبالتالي القضاء على مشكلة الفقر .

ثانياً / اتباع منهج مالي يهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية

يعتبر راس المال عنصراً اساسياً وله دور استراتيجي موثراً في عملية التنمية الاقتصادية إذ لا يمكن ان تكون هناك تنمية اقتصادية بدون راس مال يستخدم في تنفيذ مشاريع التنمية الاقتصادية لذلك عمل الإمام علي عليه السلام على اتباع منهج مالي يهدف إلى استثمار وتنمية رأس المال بما يساعد على القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية لذلك فقد قا منهجه المالي على مجموعة من الاليات منها :

أ / **التوزيع العادل للثروات** ان عدم المساواة في توزيع الثروات يعد من الاسباب الرئيسية إلى ظهور وانتشار مشكلة الفقر لأن تكدس الثراء بيد فئات قليلة من المجتمع يحول دون ان يؤدي المال وظيفته في تحقيق التنمية الاقتصادية والنهوض بالمستوى المعيشي للمجتمع لذلك فإن أول عمل قام به الإمام في ما يخص الجانب المالي هو المساواة في العطاء إذ قال في خطبة توليه الحكم ((فإنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء ، وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين

أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلا حضر، إذا كان مسلماً حراً)) [٦١].

فهذه السياسة المالية أدت إلى توزيع الأموال بين جميع طبقات المجتمع وبذلك توفرت السيولة المالية عند جميع أفراد المجتمع بما يمكنهم من استخدامها للنهوض بواقعهم المعيشي والاقتصادي والقيام بالاستثمار مما يساعد على القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية، بدلاً من تكديس الأموال بيد طبقة محدودة تستخدمه في الترف والاثراء والاكتناز على حساب الفقراء والمحرومين.

ب/ **تنشيط حركة راس المال**: كلما تحركت رؤوس الأموال أكثر، شهد الاقتصاد نشاطاً وحيوية أكثر، وتوفرت السيولة بيد الناس، وجرت التعاملات بسهولة أكثر، وانخفض التضخم، أما الاكتناز فهو يجمدها ويمنع الثروة من الحركة أولاً، ويقلل أو يبطئ من دورات رأس المال ثانياً، ولذلك حاربه الإسلام بشدة. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٦٢]، بينما نجد في المنهج الاقتصادي للإمام علي عليه السلام انه كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين [٦٣] أي انه كان يوزع الأموال على عامة الناس ومنهم الفقراء، مما يحد من نسبة الفقر بشكل كبير في المجتمع أولاً، ثم يزيد من سرعة حركة رأس المال في عجلة الاقتصاد، إضافة إلى تأثيره الايجابي الآخر على وضع الدولة والناس، إذ أن إعطاء الأموال كلها للناس يوفر لهم فرصاً أكبر لاستثمار الأرض بالبناء والزراعة والرعي وتشييد المصانع وإحياء المعادن وسائر الثروات مما يعني مردوداً مالياً أكبر للناس [٦٤].

ثالثاً/ وضع برامج واستراتيجيات للنهوض بالنشاط الاقتصادي اعتمد منهج الإمام علي عليه السلام في التنمية الاقتصادية على وضع برامج استراتيجية تستند إلى تحسين الجانب الاقتصادي بواسطة توفير وسائل الإنتاج الخاصة بالتنمية الزراعية والصناعية والتجارية كتوفير الأراضي والمعامل والاسواق وتهيئة الفرص والاعداد للعمل بمختلف انواعه إذ شجع على التجارة والزراعة وحث على تعلم الحرف والصناعات .

إذ وضع برامج استراتيجية لتنمية النشاط الزراعي لما له من اثر في تحقيق التنمية المستدامة ففي البعد الاقتصادي يساهم النشاط الزراعي في زيادة راس المال الذي يعد عنصر اساسي في تحقيق التنمية الاقتصادية وكذلك في البعد الأجتماعي يساهم في توفير الغذاء وفرص العمل والقضاء على الفقر بالإضافة إلى الاثار البيئية لنشاط الزراعي لذلك ارتكزت كافة برامج الإمام علي عليه السلام التنموية على اتخاذ الإجراءات التي من شأنها زيادة الإنتاج الزراعي إذ ما جاء في كتابه إلى مالك ابن الاشتر ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة آخرب البلاد وأهلك العباد)) [٦٥] ، كذلك ما ورد في كتابه إلى عامله قرطبة بن كعب يحثه على حفر الأنهار لينتفع منها في الزراعة ((أما بعد فإن قوماً من أهل عملك أتوني فذكروا أن لهم نهرا قد عفا ودرس ، وأنهم إن حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على كل خراجهم وزاد فيء المسلمين قبلهم)) [٦٦] .

فهذه النصوص تبين اهتمام الإمام علي بالزراعة واحياء الأنهار بل انه كان يوصي عماله وأمراء الاجناد بالاهتمام بالفلاحين إذ روي عن الإمام محمد بن محمد الباقر ((أن عليا عليه السلام كان يكتب إلى أمراء الأجناد : أنشدكم الله في فلاحي الأرض أن يظلموا قبلكم)) [٦٧] .

كما شجع على احياء الارضي الصالحة للزراعة من أجل زيادة الإنتاج الزراعي ان هذا الاهتمام من قبل الإمام علي عليه السلام استثمار الأراضي الزراعية واحياء الأنهار والاهتمام بالفلاحين هدف إلى زيادة الإنتاج الزراعي وتحقيق التنمية .

كذلك وضع برامج للتنمية الصناعية والتجارية إذ أمر العاملين في جهازه الإداري على حمأية التجار و أهل الصناعات ((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها . فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك)) [٦٨] .

ففي هذه النصوص حث الإمام جهازه الإداري على الاهتمام بالتجار والصناع ورعاية مصالحهم لما لهم من دور في عملية الاستيراد والتصدير فهم الذين يقومون بجلب السلع والخدمات والمواد الأولية التي يحتاجها المجتمع كما يقومون بتصدير الإنتاج ولولاهم لتكدست السلع وقل الحافز على الاستثمار والإنتاج .

كذلك وضع الضوابط والقوانين التي تنظم عمل التجار وأهل الصناعات من أجل زيادة جودة وكفاءة العمل بما يحقق التنمية الاقتصادية ((واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا ، واحتكارا للمنافع ، وتحكما في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة . فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه ، وليكن البيع بيعا سمحا ، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . فمن قارف حكرة بعد نهيك أياه فنكل به ، وعاقب في غير إسراف)) [٦٩] .

كذلك من إجراءات الإمام علي ﷺ من أجل تحقيق التنمية التجارية والصناعية العمل على زيادة الاستثمار في التجارة والصناعة عن طريق توفير كافة التسهيلات للمستثمرين من خلال اعفاء الاسواق من الضرائب مما يشجع المستثمرين على زيادة العمل في التجارة والصناعة وكذلك يساهم في أيجاد فرص عمل للفقراء عن طريق تحمل بعض تكاليف الاستثمار إذ قال أمير المؤمنين المؤمنين ﷺ : ((قال أمير المؤمنين المؤمنين ﷺ : سوق المسلمين كمسجدهم فمن سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل ، قال : وكان لا يأخذ على بيوت السوق)) (٧٠) .

ولأهمية الاسواق في عملية التنمية الاقتصادية كونها المنفذ لعملية عرض السلع والخدمات وعملية التبادل التجاري عمل الإمام ﷺ على فرض الرقابة على الاسواق لمنع الاستغلال والاحتكار والغش في الكيل والموازين لذلك كان يقوم بنفسه بعملية فرض الرقابة على الاسواق فقد روي عن ممن رأوه ((قال رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول أوفوا الكيل والميزان ...)) (٧١) ، كذلك كان ﷺ ((يمشي في الأسواق وحده وهو ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٢))) (٧٣) .

كذلك من آليات الإمام علي ﷺ في دعم عملية التنمية الاقتصادية تشريع قوانين ضريبية تخدم عملية التنمية والاستثمار إذ ان هذه القوانين تعد عاملاً رئيسياً في زيادة او انخفاض عملية التنمية إذ يقول الإمام ﷺ : ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة آخرب البلاد وأهلك العباد)) (٧٤) .

وهـذا النـص يؤكـد النظـرة الاقتصاديـة الشـاملة لـدى الإمـام عـلي ﷺ لأن الاصرار عـلى جمـع الضرائـب دون الاهتـمام بعمليـة التنميـة والاسـتثمار يـؤدي بالمـدى القصـير إلى زيـادة الأمـوال ولكـن عـلى المـدى الطويـل تتراجـع الضرائـب وتـضر بعمليـة الإنتـاج والاسـتثمار وخـراب البـلاد وهـلاك العبـاد .

كما ان الاهتمام بالضرائب على حساب الاستثمار والتنمية دون اخذ الاعتبار بظروف المكلفين بدفعها والظروف المحيطة بعملية الإنتاج وعدم تقديم الخدمات للمجتمع يؤدي إلى حدوث الاضطرابات في البلاد والثورات إذ ورد في كتاب الإمام علي ﷺ إلى زياد بن أبيه نهاه فيه عن التمادي في جمع الضرائب لأن ذلك يؤدي إلى الاضرار بالمستوى المعيشي لأفراد المجتمع من جهة وإلى حدوث الاضطرابات والتمردات من جهة آخرى حيث قال ((لزياد بن أبيه، وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف)) [٧٥]، والمراد بالجلاء هجرة أهل البلاد عنها فرارا من البغي والجور، والمعنى لا تظلم أحدا من الرعية ، لأن الظلم يدعو المواطنين إلى الثورة أو ترك البلاد، وبالثورة تسفك الدماء ، وبالهجرة تخرب البلاد [٧٦] .

لذلـك وضـع الإمـام قوانـين ضريبيـة تؤكـد عـلى المرونـة في اسـتحصال الضرائـب ومراعـاة ظـروف المكلفـين بدفعهـا ومراعـاة الظـروف المحيطـة بالأنتـاح – إذ قـد يتعـرض الإنتـاج الزراعـي مثـلا إلى الافـات الزراعيـة او القحـط او غيرهـا مـن الامـور التـي تؤثـر عـلى الإنتـاج وبالتـالي عـدم القـدرة عـلى دفـع الضرائـب – إذ قـال : ((فـإن شـكوا ثقـلا أو علَّـة أو انقطـاع شرب أو بالَّـة أو إحالـة أرض اغتمرهـا غـرق أو أجحـف بهـا عطـش خفّفـت عنهـم بـما ترجـو أن يصلـح بـه أمرهـم . ولا يثقلـنّ عليـك شيء خفّفـت بـه المئونـة عنهـم)) [٧٧] .

ولقد كانت هذه الاليات كفيلة بالقضاء على الفقر وتحقيق الازدهار الاقتصادي في عهد الإمام علي عليه السلام إذ زادت الوفرة المالية في عهده إذ وزع العطاء خلال عام واحد فقط اربع مرات ((أن عليا أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات ثم أتاه مال من أصبهان فقال اغدوا إلى العطاء الرابع إني لست لكم بخازن)) [٧٨] بل وصل الأمر حد الرفاهية الاقتصادية إذ نقل عنه عليه السلام ((ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً ، إن أدنأهم منزلةً ليأكل من البر ، ويجلس في الظل ، ويشرب من ماء الفرات)) [٧٩] .

الخاتمة :

١-تعد مشكلة الفقر من أكبر التحديات التي واجهت المجتمعات البشرية وذلك بسبب أبعاده الخطيرة على مختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والأجتماعية والامنية ، وباعتبار الدين الإسلامي منهج حياة متكامل لتحقيق رفاهية وسعادة البشرية فقد ارسى العديد من النظريات والتطبيقات التي سعى من خلالها إلى محاربة مشكلة الفقر والقضاء عليها وتحقيق الرفاهية البشرية .

٢-ان الإمام عليّاً عليه السلام كونه المطبق لمبادئ وقواعد الدين الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقد تميز بفكر اقتصادي فذ إذ عمل على تطبيق المبادئ والأسس التي اوجدها الإسلام من أجل محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية ، كما وضع العديد من الآليات الاقتصادية التي نجح من خلالها في تحقيق التنمية الاقتصادية.

٣-من الامور التي تبين ما تمتع به الإمام علي عليه السلام من فكر اقتصادي فذ هو بيانه لخطر مشكلة الفقر واثرها على المجتمع و انعكاساته على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والأجتماعية ، وأن معنى الفقر لا يقتصر على المعنى المادي وإنما له صور وأصناف معنوية كالفقر الديني والأخلاقي والعلمي والتي يمكن ان تكون اخطر من الفقر المادي .

٤-وضع الإمام علي عليه السلام العديد من الآليات الاقتصادية التي نحج من خلالها في محاربة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية والتي شملت الجهاز الإداري من خلال وضع العديد من الضوابط والمعايير لاختيار الموظفين بالإضافة إلى أيجاد نظام رقابي صارم لمراقبة عمل المسؤولين في الجهاز الإداري ومنع أي فساد إداري يخل بالجانب الاقتصادي .

٥-كون الأموال تمثل عنصراً اساسياً واستراتيجياً في عملية التنمية الاقتصادية عنل الإمام علي عليه السلام على وضع نظام مالي قائم على توزيع الثروات على كل فئات المجتمع بصورة عادلة مما ساهم بتوفير عنصر أساسي عند أكثر فئات المجتمع للقيام بالمشاريع الاقتصادية والنهوض بالمستوى المعيشي وزيادة نشاط حركة رأس المال وبالتالي القضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية .

٦-عمل الإمام علي عليه السلام على وضع العديد من البرامج الاقتصادية لتنمية النشاطات الاقتصادية الزراعية والتجارية والصناعية من خلال وضع القوانين والمبادئ التي تنظم هذه النشاطات وتوفير كافة التسهيلات للمشتغلين فيها من خلال توفير الأراضي الزراعية وأيجاد الاسواق لتصريف المنتجات ووضع القوانين التي تحكم وتنظم النشاط التجاري والصناعي مما ساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية .

الهوامش :

الإمام عليه السلام ، نهج البلاغة ، ١/ ١٤ .

٢ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦/ ٢٤١ .

٣ الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، ٣/ ٢٠٥٧ .

٤ احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ٥ / ٣٦ .

٥ الشريف الرضي ، خصائص الائمة ، ص ٨٤ .

٦ ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤٢ .

٧ الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وهو أخو عثمان بن عفان لامه، أسلم يوم الفتح فتح مكة ، نزل فيه قوله عز وجل ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه مصدقاً إلى بنى المصطلق فعاد وأخبر عنهم انهم ارتدوا ومنعوا الصدقة ، ولاه عثمان بن عفان الكوفة ثم عزله وبقي في المدينة ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة وقيل شهد صفين مع معاوية وقيل لم يشهدها ولكنه كان يحرض معاوية بكتبه وشعره وقد أقام بالرقة إلى أن توفى بها . ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ٦/ ٢٤ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٥/ ٩٠-٩١ .

٨ عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث العامري وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش بمكة فقال لهم انى كنت أصرف محمداً فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ولو وجد تحت أستار الكعبة ففر عبد الله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له توفى بعسقلان وقيل بإفريقية سنة ست وثلاثين وقيل سنة سبع وثلاثين . ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣/ ١٧٣ .

٩عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب ، ابن خال عثمان بن عفان ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولاه عثمان البصرة فلم يزل بها حتى قدم عليه طلحة والزبير وعائشة ، ثم انتقل الى الشام الى معاوية فولاه البصرة ثلاث سنين ومات بن عامر قبل معاوية بسنة . ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ٥/ ٤٩ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب، ٣/ ٩٣١ .

١٠ خليفة ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١١٤-١١٦ .

١١ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢/ ١٦٦ .

١٢ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،١/ ١٩٨- ١٩٩ .

١٣ البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢/ ٣٣٥ .

١٤ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣/ ٣٣٣ .
١٥ رياض عبد الحسين راضي ، معارضة ابي ذر : الاسباب والدوافع ، الاهداف والنتائج، ٢١-٢٢.
١٦ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣/ ٤٠ .
١٧ سورة التوبة / الاية ٦٠ .
١٨ المغني ، ٢/ ٥٢٤ .
١٩ الشيرازي ، استراتيجية مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الامام علي ﷺ ، ص ١٣ .
٢٠ عبد الرحمن سيف سردار ، اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل ، ص ١٥ .
٢١ الامام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٤/ ٤١ .
٢٢ الصدوق ، معاني الاخبار ، ص٢٥٩ .
٢٣ الامام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٤/ ١٤ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٢/ ٤٠ .
٢٤ الطوسي ، الامالي ، ص ١٤٦ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ١/ ٨٨ .
٢٥ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٢٩٥ .
٢٦ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ١/ ٣١٠ .
٢٧ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٤/ ١١ .
٢٨ الزوافر : جمع زافرة ، وهي من البناء ركنه ، ومن الرجل عشيرته .مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١/ ٢٢٥.
٢٩ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ١/ ٨٣ .
٣٠ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ١٢٥ .
٣١ ينظر : الشيرازي ، استراتيجية مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الإمام علي ﷺ ، ص ١٨ - ٢١.
٣٢ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٣٠ .
٣٣ نفس المصدر السابق، ص ٤٩ .
٣٤ نفس المصدر السابق، ص ٣٧ .
٣٥ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ٣/ ٢٤٤١ .
٣٦ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٣٦ .
٣٧ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٤/ ٧٦ .
٣٨ نفس المصدر السابق، ٤/ ٧٦ .
٣٩ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٣/ ٣٢١ .

٤٠ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ١٤٩ .
٤١ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٨/ ٣٥٦ .
٤٢ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٢١٢ .
٤٣ المجلسي ، بحار الانوار ، ٦٩ / ٤٦ .
٤٤ البيهقي ، معارج نهج البلاغة ، ص٤٠٠ .
٤٥ حسين الروضي العبد الله ، حل مشكلة الفقر في نظر اهل البيت ﷺ، ص ٨٧ .
٤٦ الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٣٠٩
٤٧ النعمان المغربي ، دعائم الاسلام ، ١/ ٣٦١ .
٤٨ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣/ ١١١١ .
٤٩ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢/ ١٢٤ .
٥٠ النعمان المغربي ، دعائم الاسلام ، ١/ ٣٦١ .
٥١ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٨/ ٢٦٣ .
٥٢ الشرهاني ، التغير في السياسة المالية للدولة الاسلامية في خلافة الإمام علي ﷺ ، ص ٢٦٧ .
٥٣ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢/ ٢٧١ .
٥٤ صقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني ، من بكر بن وائل : قائد ، من الولاة . كان من رجال علي بن أبي طالب ، وأقامه علي عاملا له في بعض كور الأهواز ، ثم تحول الى معاوية ، توفي سنة خمسين للهجرة . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٥٨ / ٢٦٩ .
٥٥ اردشير خره : هو اسم مركب معناه بهاء أردشير ، وأردشير ملك من ملوك الفرس، وهي من أجل كور فارس ، ومنها مدينة شيراز وجور رسمها نمرود بن كنعان ثم عمرها بعده سيراف بن فارس ، وأكثرها ممتد على البحر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١/ ١٤٦.
٥٦ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢/ ٢٠١ -٢٠٢ .
٥٧ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٧ / ٦٩ .
٥٨ كعب بن مالك بن أبي كعب بن الخزرج الأنصاري السلمي المدني شهد العقبة من الثلاثة الذين ، فتاب الله عليهم ، توفي سنة خمسون للهجرة . ابن حبان ، الثقات ، ٣/ ٣٥٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢/ ٥٢٣-٤٣٠.
٥٩ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢/ ٢٠٥ .

٦٠ المفيد ، الجمل ، ص ٢٢٤ .
٦١ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧/ ٣٧ .
٦٢ سورة التوبة / لاية ٣٤ .
٦٣ الكوفي ، مناقب أمير المؤمنين ﷺ ، ص ٧٩ .
٦٤ ينظر : الشيرازي ، استراتيجيات مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الإمام علي ﷺ ، ص ٥٧-٥٩.
٦٥ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٣ / ٩٦ .
٦٦ البلاذري ، انساب الاشراف ، ٢/ ١٦٢ .
٦٧ المجلسي ، بحار الانوار ، ٩٧ / ٣٣ .
٦٨ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٣ / ١٠٠ .
٦٩ نفس المصدر السابق.
٧٠ الكليني ، الكافي ، ٢/ ٦٦٢ .
٧١ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣/ ٢٨ .
٧٢ سورة القصص / الاية ٢٨ .
٧٣ المجلسي ، بحار الانوار ، ٤١/ ٥٤ .
٧٤ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٣ / ٩٦ .
٧٥ نفس المصدر السابق/ ١٠٩ .
٧٦ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٤ / ٤٨٤ .
٧٧ الإمام علي ﷺ ، نهج البلاغة ، ٣/ ٩٧ .
٧٨ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٢ / ٤٧٧ .
٧٩ ابن شهراشوب ، مناقي ال ابي طالب ، ١/ ٣٦٨ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي (بيروت – د . ت).
* أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م). مسند أحمد ، دار صادر (بيروت- د . ت).
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). انساب الاشراف، تحقيق: محمود الفردوس العظم، دار اليقظة العربية (دمشق- ١٩٩٧م) .
* ــــــــــــــــــــــ، فتوح البلدان، تحقيق : صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة – ١٩٥٦م).
* البيهقي، ابو الحسن علي بن زيد(٥٦٥هـ/ ١١٩٦م) .معارج نهج البلاغة، تحقيق : محمد تقي دانش، ط١، مطبعة بصمن، (قم – ١٤٠٩هـ) .
* ابن حبان، محمد بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).الثقات،دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن- ١٩٧٣م) .
* ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية الكبرى (مصر- ١٩٥٩م) .
* الحر العاملي ،محمد بن الحسن،(١١٠٤هـ / ١٦٩٢م) ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق:مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث، مطبعة مهر،(قم -١٤١٤هـ) .
* حسين الروضي العبد الله ، حل مشكلة الفقر في نظر اهل البيت ﷺ ، ط١ ، مؤسسة الراضي لأحياء التراث، (قم – ٢٠١٥م).
* خليفة بن خياط، أبو عمرو العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت- ١٩٩٣م) .
* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٩٣م).
* رياض عبدالحسين راضي، معارضة ابي ذر : الاسباب والدوافع ، الاهداف والنتائج .
* الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، ط١، الناشر : دار الحكمة ، (قم – ١٤١٦هـ).
* ابن سعد، أبو عبد الله محمد البصري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى،دار صادر ،(بيروت – د.ت).
* الشرهاني ، حسين علي ، التغير في السياسة المالية للدولة الاسلامية في خلافة الإمام علي ﷺ ، ط١ ، الناشر : مطبقة تموز (٢٠١٣) .

* الشريف الرضي ، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ / ١٠٥٠م) ، خصائص الأئمة(عليهم السلام) ، تحقيق: محمد هادي الاميني ، مجمع البحوث الاسلامية ، (مشهد – ١٤٠٦هـ) .
* ابن شهرآشوب، أبو عبدالله محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) ، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف، المطبعة الحيدرية (النجف- ١٩٥٦م) .
* الشيرازي ، مرتضى الحسيني ، استراتيجية مكافحة الفقر في منهج وتعاليم الإمام علي عليه السلام ، ط١ ، الناشر : دار الامين ، (بيروت – ٢٠١٢م) .
* الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) ، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي (قم- ١٣٧٩هـ) .
* الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، راجعه وصححه وضبطه: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت-١٩٨٣م) .
* الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ، الامالي، تحقيق: مؤسسة البعثة (قم- ١٤١٤هـ).
* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله الأندلسي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة دار الجيل (بيروت- ١٤١٢هـ).
* عبد الرحمن سيف سردار ، اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل ، ط١ ، دار الراية للنشر والتوزيع ، (عمان – ٢٠١٥ م) .
* ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر (بيروت- ١٩٩٥م).
* علي بن ابي طالب ، الإمام امير المؤمنين (ت٤٠هـ/ ٦٦٠م). نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح،ط٢،انوار الهدى،قم،١٤٢٧هـ.
* القاضي النعمان المغربي، ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م). دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام من أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف (القاهرة- ١٩٦٣م) .
* ابن قدامة ، ابو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م) . المغني ، دار الكتاب العربي، (بيروت - د. ت) .
* الكليني ،ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ،(٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) ، الكافي ، تحقيق: علي اكبر غفاري ،دار الكتاب العربي،(طهران -١٣٦٥ش).

* الكوفي، محمد بن سليمان (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م). مناقب الإمام أمير المؤمنين ﷺ ، تحقيق: محمد باقر المحمودي، نشر مجمع احياء الثقافة الاسلامية، مطبعة النهضة (قم- ١٤١٢هـ) .
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م) . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء (بيروت- ١٩٨٣م) .
* مغنية ، محمد جواد . في ظلال نهج البلاغة، ط١ ، الناشر انتشارات كلمة الحق ، (د.م – ١٤٢٧هـ) .
* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) ، الجمل ، الناشر مكتبة الداوري ، (قم – د. ت) .
* الواسطي ، علي بن محمد بن شاكر (ت ق ٦ / ق ١٢م) ، عيون المواعظ والحكم، تحقيق : حسين الحسني البيرجندي ، ط١ ، المطبعة دار الحديث ، (ايران – د. ت) .
* ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). معجم البلدان، دار احياء التراث العربي (بيروت-١٩٧٩م) .
* اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م). تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت- ١٩٦٠م) .
* ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١٨٣هـ _) ، كتاب الخراج ، دار المعرفة ، (بيروت – ١٣٩٩هـ) .

السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام وأَثرها في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفقر بين التنظير والتطبيق

السيد نبأ محسن حسين الحمامي

العتبة العلوية المقدسة

ملخص البحث

على امتداد شريط التاريخ الإنساني كان للجانب الاقتصادي أهمية عظمى، ودور بارز في حياة الفرد والمجتمع؛ فهو الأساس الذي تُبنى عليه النشاطات البشرية المختلفة، وقد كان للحضارات الإنسانية جهود نظرية وعلمية ترمي إلى توزيع الثروات بصورة عادلة، وتسعى إلى إبعاد شبح الفقر عن الطبقات الضعيفة، إلا أنها لم توفق كثيرا في هذا المجال وحتى وقتنا الراهن، لاسيما وأنّ كثيراً من سكان المعمورة يعيشون في ضنك من العيش وبؤس في الحياة، على الرغم من بلوغ العلوم والتقنيات مستوى كبيراً من التطور في زماننا.

وكان للسيرة العلوية المجسدة لرُوح التَّشريع الإلهي الأصيل، والمُلائمة لمُتطلَّبات العقل والفطرةِ السَّليمين المنهجُ القويم في رسم سياساتها الاقتصادية، ومكافحة الفقر، نظريةً وتطبيقاً؛ فهي ترمي إلى جعل طبقات المجتمع – على اختلافه – في سعة من العيش، ونأي عن الفقر، بما أثرى به النظريات الاقتصادية من أقوال، وحكمة إجراءات اتخذها بهذا الصدد؛ لتتوزع بين سياسات ذات آثار قريبة الأمد، وأخرى بعيدة الأمد، وهذه السياسة الاقتصادية ذات البعد النظري والإجرائي سلط البحث عليها الضوء في مبحثين، كانا لب هذه الدراسة ومحورها

Abstract

Throughout human history, the economic aspect has great importance and a prominent role in the life of the individual and society. It is the basis on which various human activities are built. Human civilizations have had theoretical and scientific efforts aimed at distributing wealth fairly and seeking to banish the specter of poverty from the weak classes, but they have not succeeded much in this field until the present time, especially since many of the world's inhabitants live in hardship and misery in life, despite the fact that science and technology have reached a great level of development in our time. Alalawi method embodied the spirit of authentic divine legislation, and was compatible with the requirements of the reason and common sense, had the right approach in mapping up its economic policies and combating poverty, both in theory and in practice.

It aims to make the classes of society - regardless of its differences - able to live comfortably and away from poverty, with the words that it has enriched economic theories and the wisdom of the measures it has taken in this regard and have them distributed between policies with short-term effects and others with long-term effects, and this economic policy with a theoretical and procedural dimension was highlighted by the research in two sections, which were the core and focus of this study.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى وصيِّه مولى الموحِّدين، وعلى آلهما الطيبين الطاهرين..

وبعدُ: فلا يخالج الشكُّ أحداً فيما للجانب الاقتصادي من أهمية عظمى، ودور بارز في حياة الفرد والمجتمع؛ فهو المرتكز الذي تُبنى عليه النشاطات البشرية المختلفة، والقوام الذي تستند عليه لديمومتها وبقائها، فقد دأبت المجتمعات البشرية منذ تواجدها على الأرض - وفي وتيرة تصاعدية - على التماس ما ينفخ فيها روح القوة والمنعة، وما يتّجه بها نحو وسائل العيش الرغيد والحياة الآمنة، من خلال تأمين الجانب الاقتصادي في حياتها، وسد نقائصها وتلبية احتياجاتها، بما يسهم في رقي جنس البشر وتكامله، إلا أنّ تلك الأمنيات غالباً ما كانت تواجِه مصاعبَ وتحدِّياتٍ ومعوقاتٍ تحول دون تحقُّقها على أرض الواقع لأسباب بعضها طبيعي، والآخر من نتاج السياسات غير العادلة التي ينتهجها أصحاب المطامع والنفوذ، سيما إذا اتخذت أنماطاً عامة، وسياسات مبرمجة، على الرغم من كثرة الموارد وسعتها وتنوُّعها.

ومن المفارقات العجيبة أنْ تفيض الأرض وأجواؤها ومياهها بالخيرات والبركات، وتبلغ الحضارة الإنسانية أوجها في مجال العلوم، والتقنيات المتطورة في نواحي الحياة كافة، وفي الوقت نفسه يعيش أكثر البشر في ضنك من العيش وبؤس في الحياة، مما نجم عن ذلك اتِّساع مشكلات الحياة، وأضحت تموجات وانعكاسات الأزمات الاقتصادية ذات طابع كارثي في كثير من صورها ومصاديقها، بل إنّ السياسات الخارجية لدول الهيمنة الاستكبارية والتسلط العالمي ابتنت على أسسٍ غرضُها استعمال العامل الاقتصادي وسيلةً وأداةً للضغط على الأمم والشعوب؛ لنهب خيراتها والسيطرة على قراراتها المصيرية.

وعلى امتداد مسيرة التاريخ الإنساني، وما مرّ به من تجارب، واكتسب من خبرات علميّة وعمليّة، وتفنَّن في وضَعِ الدساتير، وتقنين القوانين من أجل القضاء على الفقر والعوز والاحتياج، فإنه – بالرغم من ذلك كله – لم يتمكّن من وضع الحلول الناجعة والسياسات الناجحة لحل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع الإنساني، بل لم يزده تطوّره ومدنيَّته إلا تراجُعاً في مجال مكافحة الفقر العالمي، ولم تزدَدِ المشكلات الاقتصادية التي تعصف بدول العالم – غنية كانت أم فقيرة – إلا تمدُّداً وتعقيداً.

إنَّ الواقعَ الذي تفرضُهُ المشكلات والصعوبات التي أصابت الإنسانية في جانبها الاقتصادي ليسَ منشؤها الوحيد هو الجانب التَّطبيقي في توزيع الثروات واستثمار الموارد، وغير ذلك من أوجه النشاطات الاقتصادية التطبيقية، بل إن الجانب التنظيري في وضع السياسات الاقتصادية يمثل القسم الأكبر الذي يضطلع بحل المشكلات الاقتصادية العالمية والمحلية، وقد أضحى الشعور بالحاجة إلى نصٍّ يرتقي عن الأخطاء البشرية ويلبّي طموح الإنسانية في تزايد، وباتَ يفرض حتميَّته على ساحة الواقع، والحلول العلميّة والعمليّة للواقع الاقتصادي المتزلزل المضطرب ترنو إلى تنظير يستمدّ أساسه من الخالق جلَّ وعلا العالِم بحقائق الأشياء وخفايا الأمور، من خلال متابعة السيرة القولية والفعلية لحججه على خلقه، وأكملهم عقلاً، وأرجحهم رأياً، تلك السيرة العطرة التي تنبثق عنها سياسات ومعالجات جديَّة تسعى نحو تحسين الواقع الاقتصادي والمعاشي للشعوب، وتقدِّمُ حلولاً مُثلى في المجال الاقتصادي على الصعيد الفردي والاجتماعي.

إنَّ فطرة الإنسان وتجربتَه التاريخية على امتداد العصور دعته إلى الاقتداء الفطري بالـمَثَل الأعلى، والتأسي بالأُسوة الحسنة من أبناء نوعه؛ لأنه يجد فيه المجسد الأكمل للمبادئ العُليا، والقيم الإنسانية المثلى، والحريص على تطبيقها ورعايتها كلَّ الحرص في سلوكه وأقواله وأفعاله بكلِّ حياد وموضوعية، بما يعكس حقيقة الإنسان الكامل قولاً وفعلاً، ومن ثَـمَّ فإنَّ الحُلول التّي تقترُحها هذه الدّراسة تكمُنُ وراءَ اعتماد السيرة العَلوية المُستندة إلى رُوح التَّشريع الإلهي الأصيل، والمُلائم لمُتطلَّبات العقل والفطرةِ السَّليمين، والمُجرّدة من كلِّ النَزعات الشَخصيَّة والمُيول النفسيَّة، وهي وليدةُ الحاجة الواقعيّة للإنسان في حياته وواقعه المعاشي، وليس للنفس بعد الاستقراء الحثيث لما أبداه أمير المؤمنين عليه السلام من درر حكمه وكلامه، ووافر علمه، وجميل سيرته، إلّا أن تطمئنّ بها، وليس للعقل إلّا أن يُذعن بما صرّح به عليه السلام من مصادر إحاطته بالعلوم واستيعابها لما يقع تحت الإدراك المتعارف لدى البشر، فيقول عليه السلام عن سعة علمه وغريبه: ((**بل اندمجتُ على مكنونِ علمٍ لو بحتُ به لاضطربتم اضطرابَ الأرشية في الطَّويّ البعيدة**))[1].

وقد تميّز جانبان من جوانب السياسة الاقتصادية العلوية في حكمه الشريف، اقتضى واقع حال الأمة في تلك الحقبة سلوكهما، ومن ثَـمَّ انتظما مبحثين في هذه الدراسة، وهما:

المبحث الأول: السياسة الاقتصادية العلوية ذات الآثار قريبة الأمد.

المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية العلوية ذات الآثار بعيدة الأمد.

المبحث الأول

السياسة الاقتصادية العلوية ذات الآثار قريبة الأمد

اتخذ هذا النحو من السياسة الاقتصادية العلوية عدَّة أجراء، نذكر منها:

أولاً- مراقبة التجار وحركة الأموال

اهتم الإمام علي عليه السلام بتفعيل جانب المراقبة على التجار؛ لمنع الاحتكار والاستغلال والتلاعب بمصالح الناس وقُوتِهم، مما يلحق ضرراً كبيراً على الصعيد الاقتصادي من الناحية الفردية والاجتماعية، ومن ناحية الدولة ومكانتها وسمعتها، فيوصي عليه السلام عمّاله وولاته بمتابعة الحالات التي تتمّ فيها المعاملات والصفقات التجارية؛ بما يعزز تأسيسها على المسامحة، والعدل في الأسعار بما يرضي الطَّرفينِ المتعاقِدَين، ويوصيهم كذلك بإنزال العقوبة المناسبة بالمحتكرين من غير إسراف في العقوبة، بل بما يمنعهم ويردعهم عن الاستغلال والاحتكار، بعد أن يستوفي جهده في نصحهم وإرشادهم، وتحذيرهم من عواقب الاستغلال والاحتكار. جاء في عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر: ((**واعلم ـ مع ذلك ـ أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة ، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين: في البائع والمبتاع**))[٢].

ودأب عليه السلام، خلال مدة حكمه، على مراقبة الولاة، ومتابعة سياساتهم، وتشدَّد في محاسبتهم على أيّ تهاون وتقصير في التصرف في الأموال العامة، فكان أول عمل قام به أمير المؤمنين عليه السلام - بعد أنْ بايعه الناس على الخلافة - أن عَزل وُلاة عثمان، الذين أثْرَوا زمن عثمان؛ بما كان يقتطعه لهم من أراضٍ من غير ردّ، ويحثو لهم من الأموال من غير عدّ، وأعاد عليه السلام الأموال التي اختص بها عثمان نفسَه وقومَه ، وساوى في العطاء.

فمن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ((**وإنّي أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدّن عليك شدّة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر، والسلام**))[٣].

ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خُرّة ((**بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلتَه فقد أسخطتَ إلهك، وأغضبتَ إمامَك: أنّك تقسم فيء المسلمين - الذي حازته رماحُهم وخيولُهم، وأريقت عليه دماؤهم - فيمن اعتامك من أعراب قومك، فو الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ بك عليّ هواناً، ولتخفنّ عندي ميزاناً، فلا تستهنْ بحقّ ربّك، ولا تصلح دنياك بمحْقِ دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً. ألا وإن حقّ مَنْ قِبَلك وقِبَلِنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه، ويصدرون عنه**))[٤].

ثانياً- الرفق في جباية الضرائب

كان للموارد المالية التي يدرّها الخراج والزكاة والجزية وما شاكل ذلك من الضرائب المالية الإسلامية، أهميةٌ اقتصادية وسياسية واجتماعية كبيرة في دولة أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهي تمثِّل الرافد الأكبر، والشريان الأبهر، الذي يرفد الدولة الإسلامية بمقوِّمات بقائها وفاعليتها وتأثيرها، وقد اكتسبت أهميةً إضافية بتوسّع مهام الدولة ومسؤولياتها الأمنيّة، حين كانت تحيط بالدولة العلوية أخطار التهديدات والحروب التي سعّرها الناكثون والقاسطون والمارقون، فضلاً عن التهديدات الخارجية لدولة الرومان المتاخمة للبلاد الإسلامية، مما يتطلّب معه مزيدًا من الجند وتجهيزاتهم، وما يحتاجون من الإمدادات والموارد المختلفة اللازمة لمهامهم. إلا أنّ تلك الحاجة الضرورية

للموارد التي تُجبى على أنّها ضرائب، قيَّدها الإمام عليؑ بالحسِّ الإنساني الإسلامي في التعامل مع من يؤدي الضرائب الشرعية؛ فكانؑ كثير التأكيد والوصية لجُباة تلكم الضرائب بالتزام الآداب الإسلامية التي تعطي لكرامة الإنسان القيمة العليا، مُشعرًا إياهم بأهمية الموقع الذي نُصبوا فيه، فهم ((**خزّان الرّعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة**))[٥].

وقد برزت لتلك السلوكيات الإنسانية التي كان يرفد بها أمير المؤمنينؑ عمّاله في جباية الضرائب، مظاهر مختلفة، نذكر منها:

١- تحكيم الحالة الاقتصاديّة لَمن تعلَّقت ذمته بالضرائب الشرعية، على قانون الجباية، فيوصيؑ الجباة بأن يساووا بين الناس في الضرائب، وألا يجبوا منها إلا ما تستلزمه المصلحة العامة، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار ما يمرّ به الناس من فقر أو شدة أو ظروف قاهرة، ويكون حاكماً على قانون الجباية. فكانؑ يأمر بعدم أخذ مال الخراج من أهله إن لم يتمكنوا من دفعه إذا تعرضت الأرض إلى عطش بسبب شحة المطر وانقطاع المياه، أو إلى آثار الفيضان والآفات الزراعية، ويأمر الناس أنفسهم بألا يدفعوا ضريبة إلا عن رضا، فإن لم يرضوا عنها أُعيد النظر فيها، فإن لم يرضوا بعد ذلك تُركوا وشأنهم.

وحين يقوم موظفو الجباية بعملهم في جباية الصدقات والخراج، كانت وصايا الإمامؑ عندهم حاضرةً لهم في التخفيف عن كاهل أهلها بما يصلحهم؛ كي يُوجِدَ الدافعَ الذاتي في أنفسهم لتأدية هذا المال، ولهذا الإجراء الرسمي من الإمامؑ في مراعاة ظروف الناس واللطف بهم، آثار إنسانية ظهرتْ – ولا ريب – في نفوس الناس، فكانت دافعًا قويًّا لهم على معاودة الإنتاج بجدٍّ وإخلاص، وخيرَ عون للبلاد أيام الأزمات. يقولؑ في وصيته لموظف الجباية ((**فإن شَكَوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة ، أو إحالة**

أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطشٌ ، خفّفتَ عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلنَّ عليك شيءٌ خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم ، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم))[٦]

٢- توفير كل ما يحتاج إليه الناس في عمارة الأرض وإنتاج المحاصيل، وما يستدعي ذلك من اهتمام بالبنى التحتية للبلاد، وإصلاح الأرض، فإنَّ توفير هذه الأمور الضرورية - فضّلا عما فيها من إشاعة الطمأنينة في نفوس الناس، وزرع التجاوب مع القرارات الحكومية - تؤصل في نفوسهم الاستعداد للبذل والمعونة عند حدوث أزمة أو ظرف استثنائي يمر به البلد. يقول عليه السلام ((**وتفقَّد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لما سواهم، ولا صلاح من سواهم إلا بهم؛ لأنَّ الناس كلهم عيال على الخراج وأهله . وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنَّ ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً**))[٧]

٣- تأكيده عليه السلام على تحلّي موظفي الجباية بالأخلاق الإسلامية العالية، والتأدُّب مع الناس في الأخذ والعطاء وسائر التصرفات، والابتعاد عن سوء التصرُّف والتعسُّف في معاملة الناس وإلجائهم إلى ما لا يجوز وما لا يصح، مهما كان انتماؤهم أو عقيدتهم .

قال عليه السلام: ((**ولا تبيعنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ، ولا تضربنَّ أحداً سوطاً لمكان درهم ، ولا تمسنَّ مال أحد من الناس، مصلٍّ ولا معاهد**))[٨].

بل تعدّت فضيلة الرفق واللين عند الإمامؑ إلى إلزام الجباة بالرفق بالحيوانات المستحقة لفريضة الصدقة، فكانؑ يقول: ((**ولا تنَفِّرَنَّ بهيمة ولا تُفزِعنَّها، ولا تسوأنَّ صاحبها فيها**))[9]. ويؤكد الوصية عليه بأن ((**لا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يفرّق بينهما ولا يَمْصرنَّ لبَنها**[10] **فيضَّر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً، ولْيعدِل بينهنَّ في ذلك، و ليوردهنَّ كلَّ ماءٍ يمرُّ به ولا يعدل بهنَّ عن نبت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريُّحٌ وتغبَّق، وليرفق بهنَّ جهده**))[11]. وكان الإمام علي ؑ على علم بما يتولَّد في نفوس الناس من نفور وتحسَّسٍ تجاه بعض التصرّفات التي قد تصدر من جباة الضرائب، حين يستشعر الاستعلاءَ على الناس بموجب موقعه في الدولة، فيدخل عليهم من دون سابق استئذان، أو يتفرّد بإخراج المستحقات الضريبية من دون مشاورة لصاحب المال، مما يثير غضب الناس ونفورهم، وعدم تجاوبهم النفسي والفعلي في إخراج ما عليهم من المستحقات المالية الشرعية، فكان في توصيات الإمام ؑ للجباة أدب عال يرسم طريقة التعامل الحضارية بينهم وبين الناس، بما يحفظ كرامة الإنسان وقيمتَه العليا التي ميّزه الله بها على سائر مخلوقاته، وليست هذه التوصيات إلّا جزءاً من المنظومة الأخلاقية التي يتّسم بها التشريع الإسلامي القائمة على أساس تقوى الله.

يقولؑ لأحد الجباة: ((**انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعَنَّ مسلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقّ الله في ماله، فإذا قَدِمْتَ على الحي فانزلْ بمائهم من غير أن تخالط أبياتَهم ، ثم امضِ إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلِّم عليهم ، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول : عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته؛ لآخذ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقٍّ فتؤدّوه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه ، وإن أنعم لك**

منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه ... فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه، فإنَّ أكثره له، فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك، فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلِّط عليه فيه، و لا عنف به))[١٢].

وتتعدّى الآداب العلوية في جباية الأموال الضريبية الحدودَ الدينية، لتشمل بإنسانيتها كل الديانات، فينهى عليه السلام الجباة من استعمال القوة في الأخذ، وإذا تعيّن المال الضريبي في دابة يحتاج إليها الناس في شؤون حياتهم، فإنّ ذلك بنفسه يعدُّ مُسوِّغًا لسقوط ذلك الحق الضريبي عنهم؛ فإن الواجب المالي الشرعي الذي يكون مورداً للإخراج إنما هو الفائض والزائد عن الحاجة، يقول عليه السلام **((إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو))**[١٣].

ويلفت الإمام عليه السلام انتباه الجُباة إلى إنّ ما يصيب البلاد من الخراب وعوامل الزوال ليس سببه التهاون في جمع الموارد المالية والمستحقات الضريبية التي تسدّ احتياجات الدولة المختلفة، بل إنّ الأمر بالعكس من ذلك، **((وإنما يؤتى خرابُ الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعِبر))**[١٤].

ثالثاً: المنع من الاحتكار والتلاعب بقوت الشعب

حين يصل الأمرُ ببعض النفوس الضعيفة من التجار إلى منع الناس من السلع الضرورية في احتياجاتهم اليومية، لغرض رفع الفائدة الماديّة، ويستبدّ بأمواله إلى حدّ تتلكؤ فيه نشاطات الحياة المختلفة، وتنغلق على الناس فيه سبل العيش الكريم، نجد الإمام عليًّا عليه السلام يقف الموقف الحازم من هذه الظاهرة المضرّة بالحالة الاقتصادية للمجتمع، خصوصا الطبقة الضعيفة منهم، ويقف عليه السلام موقف الندِّ من أصحاب الأموال الذين يحتكرون

بضائعهم التي يحتاجها المجتمع احتياجًا ماسًّا ، فيجبرهم على عَرْضِ سلعهم في السوق، من دون أن يتدخل بالتسعيرة، إلا إذا كانت تؤدي إلى الإجحاف وظلم الطبقة المحتاجة، فيُصار إلى السعر السائد، كلّ ذلك حرصاً منه عليه السلام على بقاء الاستقرار في المجتمع، وتقديم المصلحة النوعية على المصلحة الشخصية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: ((**فامنع من الاحتكار؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكّل به، وعاقب في غير إسراف**))[١٥].

وتجد في هذا المقطع من عهد الإمام عليه السلام لعامله، توجيهًا له بأن لا تكون هناك هوادةٌ في سياسته وتعامله مع المحتكرين، حتى تصل الإجراءات الرادعة عن الاحتكار إلى العقوبة، ولكن العادلة غير المتجاوزة للحد، وذلك بعد أن ينهاه عن الاحتكار، ويوجّه إليه التنبيه والتحذير، فيكون في ذلك إعذار للحاكم، وعدم اتّهام له بالتسلُّط على رقاب الناس، ولكي يعطي الوقت الكافي للمحتكر أن يتصرف بأمواله برضاه من دون إجبار. وكان عليه السلام لا يتهاون في معاقبة من يبتزّ الناسَ من ولاته، أو يأخذ أموالهم بغير حقّ، فإنّ ذلك من الجرائم الكبيرة التي يجب أن يُقتصّ من صاحبها، فيأمر الإمام عليه السلام ولاته إن ابتزوا أموال الناس بغير الحق بإرجاع الأموال مباشرة إلى ملّاكها، فلا مجال لمخالفة القوانين ذات الطابع العام النافع للمجتمع، ولا هوادة في تطبيقها على الجميع، وللعقوبة موضع على كل من ينتهك هذه القوانين حتى لو كان أعزَّ الناس إليه.

فمن جملة رسائله إلى أحد عمّاله على الأمصار ـــ عندما سمع أنه أخذ شيئاً من بيت المال بغير حقّ ـــ قال: ((**فاتّق الله واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنّك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك، ولأضربنّك بسيفي**

الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار، ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلتَ ما كانت لهما عندي هوادةٌ، ولا ظَفَرا منّي بإرادة حتى آخذ الحقّ منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما. وأقسم بالله ربّ العالمين ما يسّرني أنّ ما أخذت من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي، فضح رويداً، فكأنّك قد بلغت المدى، ودُفنت تحت الثرى، وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى المضيِّع الرجعة، ولات حين مناص))[١٦].

فنرى من خلال النص المتقدم أنَّ الإمام عليه السلام يمازج بين التحذير من تعجيل العقاب الدنيوي، والوعيد بالعقاب الأخروي، فيركّز على ما يقتضيه العقاب الدنيوي من الاقتصاص مِن المتعدي على أموال الناس، ويذكّره بما يترتّب على عمله هذا في الآخرة، بأن يكون من أصحاب الحسرة والندامة يوم القيامة، ويتمنّى في ذلك المحلّ أنه لم يتعدّ على مال أحد من الناس، ولكن هيهات الرجوع عن ذلك الموقف، فإن وقت العمل قد انتهى، ولم يبق وقت إلا للحساب.

المبحث الثاني

السياسة الاقتصادية ذات الآثار بعيدة الأمد

وذلك من خلال إجراءات وسياسات اقتصادية استراتيجية، نذكر منها:

أولاً: العدالة في توزيع الثروات

يشكّل الجانب المالي العمود الفقري والركيزة الأساس للنمو الاقتصادي للدول، وازدهارها، وتقدُّم شعوبها، وحصانتها من التبعية للآخر، واستقلال قرارها، ونفوذ إرادتها، كما أنّ نوع علاقة الدولة ومؤسساتها مع المجتمع الذي يعيش في كنف أنظمتها، هو الذي يعطي الطابع العام لتلك الدولة. وقد سعى الإمام في أيام خلافته السياسية إلى أن يعيش المجتمع في واقع من العدالة والتوازن، تُبسط فيه الرفاهية على الجميع، ولا تقف فيه الاقطاعية أو

الرأسمالية موقف التسلّط على رقاب الناس، حتى لا يوجد فيه فقير أو محروم.

وقد ضرب الإمام ؑ أروع أمثلة الإبداع والرقي في ربط النظام الاقتصادي بواقع الحياة، وذلك من خلال سياسته الاقتصادية الإنسانية التي انتهجت مبادئ الإسلام، ففي الوقت الذي نرى فيه الإمام ؑ يقول للدنيا بما تحمل من زخارف وزينة: ((**هيهات غُرّي غيري، لا حاجة لي فيكِ، قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشُكِ قصير، وخطركِ يسير، وأملك حقير. آه من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبُعْدِ السفر، وعظيم المورد**))[١٧]، نجده – في الوقت نفسه – يدعو المجتمع إلى العمل وكسب الرزق، وعدم الاستسلام إلى الفقر والفاقة، فيقول ؑ: ((**المال والبنون حرثُ الدنيا، والعمل الصالح حرثُ الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام**))[١٨].

ويفسّر ؑ لأصحابه المعنى الصحيح للزهد، البعيد كلّ البعد عن مرتكزات بعضهم، ممن فهِمَ الزهد بأنه إفقار النفس والابتعاد عن الدنيا، وترك كل ما هو جميل فيها، فيقول ـ وهو سيّد زهّاد العالم ـ: ((**أيّها الناس: الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والورع عن المحارم**))[١٩].

فليس من سياسة الإمام ؑ المالية حثٌّ على الإعراض عن الأموال، أو ركونٌ إلى الفقر والفاقة، أو محاولةُ ترك متع الدنيا ومباهجها، وإنما لخّص الزهد بثلاثة مضامين:

الأول: أن لا يكون الإنسان طويل الأمل في الحياة، ويكون متوقّعاً لمجيء الموت في أية ساعة، فلا تكون الدنيا همّه الوحيد، فيترك ما يقرِّبه إلى الله تعالى.

الثاني: أن يشكر الله على النِّعم التي وهبها إياه، فإنّ ذلك يزيد من الارتباط بالله تعالى؛ لأنّ جميع النعم التي تحيط بالإنسان هي من الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾[٢٠]، فيدفعُه فيضُ النِّعم إلى شكر المُنعِم شكراً قوليًّا، وشكراً عمليًّا بأداء الحقوق إلى أهلها.

الثالث: أن ينأى الإنسان بنفسه عما حرّم الله تعالى، وما يُبعده عن ساحة القدس الإلهي؛ فإنّ هذه الذنوب تجعل بين الإنسان وربّه حاجزاً يحجزه عن تلقي الألطاف الإلهية، والرحمة الربّانية.

ويتبيّن بما تقدَّم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن ليس من الزهد ما يقوم به بعضهم من إرغام النفس على ترك المباحات التي وهبها الله تعالى لخلقه وجعلها تحت قدرته وتصرُّفه لتقوم به حياتُه، وينعم بها بعيداً عن ارتكاب الذنوب.

وكان من سياسته عليه السلام الاقتصادية أن يصل بالحالة الاقتصادية للمجتمع إلى موضع الاكتفاء وعدم الحاجة، وترفيه النفس بمتع الحياة المباحة، والتوسيع على الأهل والأسرة، فكان عليه السلام يوجّه اللوم لمن يتخذ من الابتعاد عن الدنيا وملذّاتها المشروعة طريقاً له في حياته، ويعلِّل طريقته في الزهد الشديد والانقطاع عن مباهج الدنيا، بمواساة الفقراء؛ فإنّ الحاكم ينبغي له أن يعيش عند حدّ المستوى الأدنى لفقراء شعبه؛ ليشعر بهم، ويتأسّوا به، فيصبرون على ما أصابهم من ضيق الحال.

فقد قال لعاصم بن زياد، بعد أن تخلّى عن الدنيا، وترك تحصيل الرزق له ولعياله، ((**يا عُديّ نفسك، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمتَ أهلَك وولدَك، أترى اللهَ أحلَّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين، ها أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك؟ قال: ويحك، إني لست كأنت، إنّ الله فرض على أئمة المسلمين أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس؛ كي لا يتبيّغ الفقير بفقره**))[٢١].

وقد حرص الإمام عليعليه السلام على نهج سياسة مالية متوازنة بعدم تكديس الثروات في جانب الأغنياء، وتقليل الفجوة الاقتصادية والاجتماعية بينهم وبين الفقراء، من دون إجحاف بصاحب الثروة والمال، عن طريق تطبيق القوانين الإسلامية في مجالات كسب المال ومجالات صرفه؛ كي لا يتعرض المجتمع بجميع فئاته ومستوياته إلى أي حرمان أو ضيق في حياته المعاشية، تشهد بذلك له جميع الموارد التي ذكرها المؤرخون وكتّاب السير في سيرة الإمام علي عليه السلام العملية، وسنته القولية. فقد أكدعليه السلام على تطبيق العدالة في العطاء، وتوزيع الثروة والموارد المالية توزيعاً عادلاً على الجميع، فليس لأحد على أحد فضلٌ أو امتياز في هذا الجانب، وإنما الجميع على حدٍّ سواء، ولا فضل للمهاجرين على الأنصار، ولا لأسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه على غيرهم، ولا للعربي على غيره.

وقد وفدت إليه سيدة قرشية من الحجاز طالبةً منه الزيادة في عطائها، وقد التقتْ قبل أن تصل اليه بعجوز فارسية كانت مقيمةً في الكوفة، فسألتها عن عطائها، فإذا به يساوي عطاء القرشيّة، فأمسكت بها وجاءت بها إليه، وقد رفعت عقيرتها قائلة: ((هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الأمة الفارسية ؟ ! !)).

فرمقها الإمام بطرفه، ثُم تناول قبضة من التراب، وجعل ينظر اليه ويقلِّبه بيده وهو يقول: ((**لم يكن بعض هذا الترب أفضل من بعض**))، وتلا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[٢٢][٢٣].

وحين ضاق أصحاب المطامع الدنيوية بعدله، وتسويته في العطاء، وإلغائه للطبقية، تباطؤوا عن نصرته، ووضعوا العراقيل في طريق دولته، وتسللوا هاربين من عدله، وجعلوا يثيرون الشغب وينا صرون العدو، ولم يمنعه ذلك كلُّه من المضي قُدماً في سياسته العادلة في العطاء، بل في كل الحقوق والواجبات.

وأبدى بعض أصحاب الإمام ﷺ نصيحته في استبقاء أصحاب النفوذ من الولاة والعمال ممن كان منصوبًا مـمَّن سبقه، وإرجاء التسوية بالعطاء، حتى يستقيمَ له أمرُ الحكم، وتقوى شوكة الملك، لكنه ﷺ جابهم بردّه المبدئي المجسد لنظرة الشريعة المقدسة، التي تمنع من جعل الحرام مقدِّمةً للحلال، وكيف يمكن للخير أن يؤتى من طريق الشر!؟ فقال ((**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْه، والله لَا أَطُورُ بِه مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ**))[٢٤].

ثانياً: تفعيل الضمان الاجتماعي.

وهو حق إنساني أصيل في القانون الإسلامي، يُضمن به حق كل فرد من أفراد المجتمع بالحصول على ما يقوّم حياته، ويسدُّ احتياجاته الضرورية، ويبعده عن مسألة الناس، ويحفظ كرامته عن كل ما يمسّها.

وقد فرض الله تعالى على المجتمع الإسلامي ضمان معيشة أفراده بتكفُّل وتعاهد الأغنياء للفقراء ورعايتهم، بما شرع من العبادات المالية الواجبة والمستحبة، من الزكاة والخمس والكفارات والنذور والعطاءات وغيرها. وهذه المسؤولية لا تفرض على المجتمع أو الدولة ضمان الفرد في حدود حاجته الحياتية فحسب، بل تفرض عليهم ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة التي يحياها أفراد المجتمع الإسلامي.

والكفاية من المفاهيم المرنة ، التي يتّسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع يُسرًا ورخاء، وعلى هذا الأساس، وجب على الدولة أن تُشبعَ الحاجات الأساسية للفرد ، من مأكلٍ ومسكن وملبس، وغيرها من الأمور الضرورية، التي قد تختلف باختلاف الزمان والمكان وظروف الحياة ومستوى المعيشة في المجتمعات، ويتجلى هذا الأمر في سيرة وكلام أمير المؤمنين ﷺ في محاور عدة، أهمها:

١ - تأكيد الإمام ؑ على مبدأ الضمان الاجتماعي للطبقات المحتاجة في رسائله وكتبه إلى عمّاله، وأنّ للفقراء حقًّا في أموال الأغنياء. يقولؑ((**إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتِّعَ به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك**))[٢٥].

وتعدّت مظاهر الرحمة الإلهيّة في المبدأ الإنساني للعطاء والضمان الاجتماعي عند الإمام ؑ الحدودَ والآثار المادية في الجانب الإنساني، لتشمل الجوانب المعنوية والروحية، فنجده ؑ يوبِّخ أحد عمّاله على ما يتمتّع به من مظاهر الرفاهية والنعيم في الوقت الذي يرجو فيه الثواب والأجر من الله تعالى، تاركاً مسؤولياته وراء ظهره تجاه مواطنيه في تكفُّل الضعفاء والمحتاجين، قائلا: ((**وتطمعُ - وأنت متمرِّغٌ في النعيم تمنعُه الضعيفَ والأرملةَ - أن يوجبَ لك ثواب المتصدقين**))[٢٦]

وفي كتابهؑإلى واليه على مصر، ملامح واضحة لخارطة الطريق التي ينبغي على المسؤول الحكومي سلوكها؛ لتحقيق الضمان الاجتماعي لشعبه، فيوصي عامله الأشتر في عهده له قائلا: ((**ثم اللهَ اللهَ في الطبقةِ السُّفلى من الذين لا حيلةَ لهم مِن المساكين والمحتاجين وأهلِ البؤس والزمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً واحتفظ لله ما استحفظك من حقِّه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلّات صوافي الإسلام في كل بلد؛ فإنّ للأقصى منهم مثلَ الذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيتَ حقَّه... وتفقّد أمور من لا يصلُ إليك منهم، ممّن تقتحمه العيون وتحقِّرُه الرجال، ففرِّغ لأولئك ثقتَك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليكَ أمورَهم ، ثم اعمَلْ فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرعية أحوجُ إلى الإنصافِ مِن غيرِهم، وكلٌّ فأعذر إلى الله في تأدية حقه اليه، وتعهَّد أهل اليتم، وذوي الرقة في السنِّ ممَّن لا حيلة لهُ ولا ينصبُ للمسألةِ نفسَه**)) [٢٧].

وفي هذا الكتاب نجد أنّ الإمام عليًّا عليه السلام: يشددّ على الوالي الاهتمام بطبقات الفقراء والمحتاجين في المجتمع، فيحدِّد له طبقات الناس المستحقين للعناية أكثر من غيرهم، خصوصاً من لا يتعرّض منهم بالمسألة إلى المخلوقين، أو مَن يمنعُه مرضُه من التصدي للمطالبة بحقه، فيوصيه بالسعي بنفسه للوصول إليهم، فإنّ منهم من لا يُظهر فقرَه؛ لعزةٍ في نفسه، ومنهم مَن يمنعُه الحياءُ، ومنهم من يصدُّه المرض عن عرض حاله على المسؤولين.

يحدِّد عليه السلام له الموارد الاقتصادية التي يعتمدُها في رفدِ هذه الطبقة بما يضمنُ لهم حياةً كريمةً، لا يشعرون معها بالنقص، والاختلاف عن بقية أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه.

يشِّخص عليه السلام له مواصفات موظَّفي الدولة المسؤولين عن هذه المهمة، بأن يكونوا من أهل الصلاح والأمانة، ويطالبه بأن يرفعوا له تقارير تفصيلية عن منجزات أعمالهم، وجردًا لمصروفاتهم، ويلزم الوالي أن يتابع بنفسه استيفاء حقوق الناس، بأن يعقد مجلساً عاماً يستقبل فيه أصحاب الشكاوى والمظالم وذوي الحاجات، دون أن يحجبه عنهم حراسة أو شرطة، فيتحدَّثون إليه دون تعتعةٍ أو تلكُّؤ أو تخوّف، ويستمعُ إلى شكاواهُم وظلاماتِهم وحاجاتهم، فيحقِّقُ فيها، ويستجيب للمحقِّ منهما، ويرفع عن كل مظلوم ما وقع عليه من ظلم، مستنيراً بقولِ النبيِّ صلى الله عليه وآله: ((**لَنْ تُقدَّسَ أمَّةٌ لا يُؤخَذُ للضَّعيفِ فيها حقُّه مِن القويِّ غيرَ مُتَعْتَعٍ**))[٢٨].

٢- الحث على العمل والإنتاج لغير أصحاب العذر .

في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام غير واحد من موارد التشجيع على العمل والكسب لسدّ احتياجات الإنسان ومن يعوله، ما دام يملك القوّة للكسب والعمل، ونزَّهه عن أن يعيش عالةً على غيره، ويتخلّى عن مسؤولياته الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادي، وأن يميل إلى العزوف عن الدنيا، ويلتمس جانب الرهبنة

والإعراض عن جميع النعم والمباهج، فإن ذلك يؤدي إلى تكوّن طبقة عاطلة عن العمل، تُثقِلُ كاهل المجتمع والدولة في تكفّله ومن يعوله، وتُلقي بظلالها على الحالة الاقتصادية للدولة؛ إذ تُشكّل تلك الحالة ثغرة وضعفاً في الدولة، وتؤدي إلى إثقالها بالديون وتجعلُها خاضعة لظروف تسلب إرادتها، مما يعكس ضرراً بليغاً على المجتمع من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والفكرية والثقافية أيضاً. فحينما رأى الإمام عليه السلام عاصم بن زياد مترهبّاً قد تخلى عن الدنيا، وترك الإنفاق على عياله قال له: ((**يا عُديّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث ، أما رحمتَ أهلك وولدك ، أَترى الله أحلَّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ؟**))[٢٩]

ولّما مرّ الإمام عليه السلام على شيخ مكفوف، وهو يسأل الناس رزقاً، سأل الإمام عليه السلام عن السبب الذي حداه على الاستجداء، مع ما يوفِّره الإمام عليه السلام لجميع رعيته من العطاء، وحين علمعليه السلام أنه نصراني، قال: ((**تستعملوه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال**))[٣٠].

وتشير هذه الحادثة إلى ما يُعدّ سبقًا تاريخياً في قوانين الضمان الاجتماعي المعمول بها في الدول الغربية الآن، إذ لم يميّز عليه السلام بين المسلم وغيره بدولة الإسلام في معاملة الجميع بوصفهم مواطنين يستحقون على الدولة ما يكفل معيشتهم ويصلح شأنهم، وتسجل لنا هذه القضية التاريخية أوَّلَ راتب تقاعدي كفلته الدولة الإسلامية التي يحكمها أمير المؤمنينعليه السلام.

الهوامش

١ نهج البلاغة: ١/ ٤١.
٢ م.ن.: ٣/ ١٠٠.
٣م.ن.: ٣/ ١٩.
٤ م.ن.: ٣/ ٦٨.
٥ م.ن.: ٣/ ٨٠.
٦ م.ن.:٣/ ٩٧.
٧ م.ن:٣/ ٩٦.
٨ نهج البلاغة:٣/ ٨١.
٩ م.ن:٣/ ٢٤.
١٠ أي: لا يبالغ في حلبها حتى لا يبقى شيء في ضرعها. ينظر: ابن السكيت، ترتيب إصلاح المنطق: ص٣٥٤.
١١ تهذيب الأحكام: ٤/ ٩٧.
١٢ الكافي: ٣/ ٥٣٦.
١٣ م.ن: ٣/ ٥٤٠.
١٤ نهج البلاغة: ٣/ ٩٧.
١٥ م.ن: ٣/ ١٠٠.
١٦ نهج البلاغة: ٣/ ٦٧.
١٧ م.ن.: ٤/ ١٧.
١٨ م.ن: ١/ ٦١.
١٩ م.ن: ١/ ١٣٠.
٢٠ سورة النحل/ ٥٣.
٢١ نهج البلاغة: ٢/ ١٨٧.
٢٢ سورة الحجرات: ١٣.
٢٣ ينظر: السنن الكبرى للبيهقي: ٦/ ٣٤٩.
٢٤ نهج البلاغة: ٢/ ٧.
٢٥ م.ن.: ٤/ ٧٨.
٢٦ م.ن.: ٣/ ٢٠.
٢٧ م.ن.: ٣/ ١٠١.

٢٨ م.ن.: ٣/ ١٠٢.
٢٩ نهج البلاغة: ٢/ ١٨٧.
٣٠ تهذيب الأحكام: ٦/ ٢٩٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، ط١، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار الذخائر – قم/ ١٤١٢هـ.
* ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازي(ت: ٢٤٤هـ)، ط١، تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، مط: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٢هـ، مجمع البحوث الإسلامية – مشهد – ايران.
* تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، ط:٣، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران/ ١٣٦٤ ش.
* السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨ هـ): الناشر : دار الفكر.

انعكاسات فلسفة العدالة الاجتماعية على الفقراء

في حكم الإمام علي عليه السلام

الشيخ حسين محسن علي التميمي

مركز الدراسات والمراجعة العلمية / العتبة العباسية المقدسة.

ملخص البحث

في هذا البحث، تمت دراسة فلسفة العدالة الاجتماعية في حكم الإمام علي عليه السلام وتأثيرها على الفقراء، تم استعراض السياسات والإجراءات التي اتخذها الإمام علي لتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الرعاية للفقراء، وهذه الدراسة غايتها تعزيز الوعي بأهمية العدالة الاجتماعية وتحسين الظروف المعيشية للفقراء في المجتمع، وقد خلصت الدراسة إلى أن حكم الإمام علي كان مرتبطًا بمبادئ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي، حيث تم تبني سياسات توزيع الثروة العادلة وتحسين البنية التحتية وتوفير الخدمات الأساسية للفقراء، كما تم تطبيق مبدأ محاسبة الظالمين وتوفير العدالة للفقراء في حكم الإمام عليه السلام. ويساهم هذا البحث في فهم واستيعاب فلسفة العدالة الاجتماعية وتحفيز التحرك نحو تحقيق المساواة والتنمية الشاملة في المجتمع.

Abstract

This study examined Imam Ali's (peace be upon him) social justice philosophy and how it positively affected the underprivileged in their course of living. We reviewed Imam Ali's (peace be upon him) policies and practices for achieving social justice and helping the underprivileged as far as possible. This study aims to improve the living conditions of the impoverished in society and raise awareness of the significance of social justice. The study came to the conclusion that because policies were implemented to distribute wealth fairly, upgrade infrastructure, and give the impoverished access to basic services, Imam Ali's (peace be upon him) rule was associated with the ideas of social justice and social solidarity. The idea of bringing the impoverished to justice and holding oppressors accountable for the miserable conditions that they have been undergoing at that time being.

بيان البحث:

يبين هذا البحث - بالدراسة والتحليل- فلسفة العدالة الاجتماعية التي تنبع من حكم الإمام أبي الحسنين عليه السلام وكيف تأثر بها الفقراء. ويتم استعراض السياسات والإجراءات التي اتخذتها حكومة الإمام لتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الرعاية للفقراء.

أهداف البحث:

١- يساهم البحث في فهم واستيعاب الفلسفة الاجتماعية في حكم إمام الحق عليه السلام وتعزيز الوعي بأهمية العدالة الاجتماعية.

٢- يعزز البحث فهم أهمية توزيع الثروة وتحسين الظروف المعيشية للفقراء في المجتمع.

٣- يسلط البحث الضوء على النظام الاقتصادي والاجتماعي العادل الذي أرساه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويوضح تأثيره على حياة الفقراء وإدماجهم في المجتمع.

بعض نتائج البحث:

١. ان الإمام أرواحنا له الفداء أسس عدة قواعد لإنقاذ المحتاجين وإنصافهم مستوحاة من سيرة الأمير عليه السلام.

- لا يمكن سلب أو إخفاء أي حق للمظلوم.
- إعطاء مفهوم واسع للعدالة لذلك تأثر بها القاصي والداني في العالم.

٢. رؤية الإمام علي في مكافحة الفقر:

- كان إمام المتقين عليه السلام يجاهد من أجل إقامة العدالة الاجتماعية وحق الفرد في الحصول على متطلبات الحياة الأساسية.
- وضع الإمام أمير المؤمنين أنظمة توزيع عادلة للثروة والموارد في المجتمع الإسلامي.

- قام بتأسيس مشاريع خيرية هي بمثابة (صناديق خيرية) لدعم الفقراء وتلبية احتياجاتهم الأساسية.
- تم تبني سياسات وإجراءات لمساعدة الفقراء وتحسين ظروفهم.
- العدالة الاجتماعية وحمأية حقوق الفقراء تعد من الأولويات في هذه الحكومة.
- كان حكم إمام الأولياء عليه السلام يعتبر الفقراء جزءاً لا يتجزأ من المجتمع وكان يسعى لتحسين حياتهم وتوفير فرص لهم.

٣. الإجراءات المتخذة للقضاء على الفقر:

- تشجيع العمل والاستثمار لتوفير فرص عمل ودخل مستدام للأفراد.
- توفير التعليم والتدريب المهني للفقراء لتمكينهم من الحصول على فرص عمل أفضل وزيادة دخلهم.
- إقامة مشاريع تنموية وإنشاء مصانع ومشاريع صغيرة تعزز الاقتصاد المحلي وتوفر فرص عمل للمجتمع.

٤. الدور الاجتماعي للإمام حجة الأبرار عليه السلام في القضاء على الفقر:

- كان الإمام سلام الله عليه يشجع الأغنياء والأثرياء على التبرع ودعم الفقراء والمحتاجين.
- كان يحث على التعاون والتضامن الاجتماعي لتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع.
- اهتم الإمام قائد الغر المحجلين عليه السلام بمتابعة المجتمع عن كثب بمن فيه من طبقات الفقراء والمحتاجين ومن لم يتمكن من مواصلة كسبه ومن العوائل التي فقدت ذويها.
- حكومة إمام المتقين عليه السلام لم تتكرر طوال الحقبة الزمنية بين دويلات العالم، وهناك من شهد بأنها أعدل دولة أقيمت بين أمصار الدول، لذلك كتب المفكرون والفلاسفة وشهدوا بذلك.

- المتتبع لدولة الإمام قسيم الجنة والنار عليه السلام وسيرته المباركة حازت على حلول بكثرة وعلاجات جمة وطرق من أجل الحق العام.

المقدِّمة

إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يتمتع بمكانة فريدة في الفكر الإنساني وهو الأوحد بين جميع الشخصيات الإسلامية، التي تعلمت والهمت من النبي محمد صلى الله عليه وآله، فهو يعد من المراكز العظيمة النابعة والملهمة للمفكرين والفلاسفة في تاريخ الإسلام، حيث كانت الأجيال محظوظة بما حصلت منه من الحكمة والفلسفة، وبلغت شخصيته الفكرية مراتب عالية غير منتهية المدى.

لقد نظر إمام الامة عليه السلام في الحياة والكون بعين الاستكشاف والتأمل العميق الإلهي، وتجلى ذلك في العديد من أقواله وخطبه ورسائله التي تتسم بالحكمة والمعرفة، وكان يتطرق إلى مواضيع في الحق متنوعة مثل الشخصية الإنسانية، والعدالة، والحقوق، والمسؤولية الاجتماعية.

إن فلسفة إمام المتقين عليه السلام تعكس قيمًا أساسية مثل العدالة والصبر والتواضع، وتحث على البحث عن الحكمة والعلم، هو قدوة في تعامله مع الناس بالعدل والإنصاف، وكذلك في تفانيه في خدمة الفقراء والمحتاجين.

لذلك نجد في وقتنا المعاصر لا يمكن مطالعة أي كتاب متعلق في الإنسانية أو حقوق مسلوبة أو غير ذلك.. الا وكان مصدرها الخفي أو المعلن عنه هو شخص واخ رسول الله عليهما الصلاة والسلام.

وكثيرًا ما تستخدم مفاهيم وأفكار مرتبطة به في الكتب والمؤلفات التاريخية والفلسفية، ومن الواضح أن هذا يعكس تأثيره العميق على المفكرين والعلماء على مر العصور.

إن الإمام ابا الفقراء عليه السلام يُعتبر حاكماً دليلاً وقدوةً للإنسانية بأكملها، ومكانة فكرية وروحية تبقى لا تضاهى.

قدم الإمام عليه السلام عدة تأسيسات ذهبية للعالم في عصره الذي اتسم بكل رحمة

ورأفة للأمة، فبدلاً من ان الحكومات ان تتكيف بمخطط الإمام عليه السلام الإنساني الا ان عقولهم رفضت ونفوسهم رفضت وابت الا نفوسهم حصراً، وفي عصرنا الحالي عقول البعض ترفض كل تحديثات وتطورات الخطط التي قدمها الإمام عليه السلام للإنسانية، ومشروع الإمام الانساني الاصلاحي تعرض للرفض وظل معطلاً في وقتنا الحاضر، وبالتالي يجب علينا إعادة تقدير العقلي وتعزيز مفهوم حديث متكافئ، بما يتناسب مع المستجدات العلمية والبحثية في الوقت الحالي.

وفي هذا البحث نحاول ان نفتح أفقاً من آفاق مولانا سيد الموحدين عليه السلام لعلنا نجدد انعكاسات فلسفة العدالة الاجتماعية التي أسسها من انفاس رسول الله صلى الله عليه وآله الذي علمه ألف باب من العلم راجين من الله تعالى القبول.

حيث يطرح بدأية المبحث الأول: المطلب الأول: تطبيق الإمام علي عليه السلام للعدالة القرآنية، وفي المطلب الثاني: التعامل الرسالي للإمام عليه السلام في القضاء على افة الفقر، وأما عند المبحث الثاني: فالمطلب الأول: الروأيات الشريفة للإمام عليه السلام تجسد في كيفية التعامل مع الطبقة الفقيرة، ويأتي في المطلب الثاني: وضع حلول للطبقة الفقيرة من خلال تأسيسات الإمام عليه السلام مع المجتمع.

- بيان موضوع البحث:

يبين هذا البحث دراسة الواقع المعيشي للفقراء في حكومة الإمام علي عليه السلام، وتحديد الأسس التي أسست عليها سياسة الرحمة والعدالة الاجتماعية في تلك الفترة، يعد هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة، حيث يمكن استخلاص العديد من الدروس والمبادئ التي يمكن تطبيقها في الواقع المعاصر، وخاصة فيما يتعلق بتحسين ظروف الفقراء وتوفير العدالة الاجتماعية.

ـ أهمية البحث:

يهدف هذا البحث إلى فهم فلسفة الواقع المعيشي للفقراء خلال فترة حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي كان يعتبر رمزًا للعدالة والمساواة في الإسلام، كذلك استكشاف هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة لأنه يساهم في توضيح السياسات والممارسات الاجتماعية والاقتصادية التي اتبعها إمام الامة عليه السلام لمعالجة قضأيا الفقر وتحسين ظروف المعيشة للأفراد الفقراء في فترة حكومته.

ـ أهداف البحث:

١. دراسة سياسات وبرامج الإمام عليه السلام التي كانت تستهدف الفقراء وتحسين معيشتهم.

٢. تحليل الإجراءات والتدابير التي اتخذها الإمام ابن عم الرسول عليه السلام للحد من الفقر وتوفير الرعاية الاجتماعية للفقراء.

٣. تقييم تأثير سياسات الإمام عليه السلام على الوضع المعيشي للفقراء ومدى نجاحها في تحسين ظروفهم.

ـ منهج البحث:

سيتم استخدام منهج تاريخي لتحليل البيانات والمصادر المتوفرة حول فترة حكم الإمام عليه السلام. وستتضمن المصادر المستخدمة السير الذاتية والكتب التاريخية والروأيات والمصادر الدينية ذات الصلة.

ـ أسئلة البحث:

. ما هي سياسات الإمام سلام الله عليه التي تعاملت مع قضية الفقر والعدالة الاجتماعية؟

٢. ما هي الإجراءات التي اتخذها الإمام أبو الحسنين عليه السلام للحد من الفقر وتحسين ظروف المعيشة للفقراء؟

٣. ما هي البرامج الاجتماعية والاقتصادية التي وضعها الإمام المرتضى عليه السلام لتوفير الرعاية والدعم للفقراء؟

٤. ما هو تأثير سياسات الإمام الوصي عليه السلام على الوضع المعيشي للفقراء؟ هل تم تحقيق تحسن في ظروفهم المعيشية؟

السؤال الأصلي:

يعتبر البحث في الواقع المعيشي للفقراء في حكومة الإمام يعسوب الدين عليه السلام موضوعًا مهمًا، ولكنه ليس موضوعًا شائعًا في الدراسات الحديثة، ومع ذلك، يمكن الاستفادة من الدراسات المتعلقة بتلك الفترة التاريخية والمصادر التي تناقش سياسات الإمام عليه السلام فيما يتعلق بالفقراء والعدالة الاجتماعية.

الأسئلة الفرعية:

١. كيف تم تعريف الفقراء في حكومة الإمام علي عليه السلام؟

٢. ما هي السياسات المتبعة لتخفيف حدة الفقر في ذلك الوقت؟

٣. ما هي الإجراءات التي اتخذت لتوفير العدالة الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية المختلفة؟

٤. هل كانت هناك برامج تحفيزية للفقراء لتحسين أوضاعهم المعيشية؟

٥. ما هي الدروس التي يمكن استخلاصها من سياسة الرحمة والعدالة في حكومة الإمام أمير النحل عليه السلام وتطبيقها في الواقع المعاصر؟

السابقة الدراسية للبحث:

تاريخيًا يعتبر الإمام علي بن أبي طالب واحدًا من الشخصيات المهمة في عصر الإسلام، وقد واجه تحديات كبيرة أثناء حكمه، وهناك العديد من الكتب والمصادر التاريخية التي تتناول حياة الإمام علي وسياساته ومساعيه لمعالجة قضايا الفقر والعدالة الاجتماعية، ويتم الاستعانة بهذه المصادر

لدراسة السابقة الدراسية للبحث والتعمق في فهم الواقع المعيشي للفقراء في حكومة الإمام ﷺ.

ومن بين هذه المصادر كتاب "نهج البلاغة" الذي يحتوي على خطب وحكم ورسائل الإمام ﷺ ويمكن أن يكون مصدرًا قيمًا لفهم سياساته وأفكاره حول العدالة الاجتماعية.

هذا ومن المهم أيضًا أن يتم النظر في السياق الاجتماعي والاقتصادي العام للمجتمع في تلك الفترة، وذلك لفهم العوامل التي تؤثر على وضع الفقراء وكيفية تأثير سياسات الإمام ﷺ عليهم.

يجب أن يتم مراجعة الدراسات والأبحاث الأكاديمية السابقة المتعلقة بحياة الإمام ﷺ وتأثيره على الواقع المعيشي للفقراء، هذا سيساعد في استيعاب النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسات السابقة وتوجيه البحث الحالي نحو مسائل لم تُدرس بعد أو تحتاج إلى مزيد من التحقيق والتحليل.

يمكن تحقيق إضافة قيمة من خلال دراسة الواقع المعيشي للفقراء في الحكومة الإمام علي ﷺ وتحليل سياسته وتدابيره لمعالجة الفقر وتحسين ظروف المعيشة، وستساهم النتائج والاستنتاجات المستخلصة في إلقاء الضوء على أهمية العدالة الاجتماعية والمساواة في الإسلام وقدرته على تحقيق تحسينات في حياة الفقراء.

- فرضيات البحث:

١. **فرضية التحسين في ظروف المعيشة**: تتأثر ظروف المعيشة للفقراء بشكل أيجابي نتيجة لتنفيذ فلسفة العدالة الاجتماعية في حكم الإمام ﷺ، حيث يتم توفير الدعم والمساعدة اللازمة لتحسين حياة الفقراء.

٢. **فرضية تعزيز الكرامة الإنسانية**: يؤدي تطبيق فلسفة العدالة الاجتماعية

للإمام أبو السبطين عليه السلام إلى تعزيز الكرامة الإنسانية للفقراء، من خلال توفير الفرص العادلة وضمان حقوقهم الأساسية.

٣. **فرضية التأثير النفسي الايجابي**: يعتقد أن تحقيق العدالة الاجتماعية للفقراء في حكم الإمام زوج البتول عليها السلام يمكن أن يؤدي إلى تعزيز الثقة بالنفس والانتماء الاجتماعي بين الفقراء، وبالتالي تعزيز رفاهيتهم الشخصية والاجتماعية.

ـ الدراسات السابقة: أشارت الدراسة السابقة إلى أن الإمام عليه السلام قدم العدل للفقراء من خلال تطبيق مبدأ محاسبة الظالمين ومحاربة الاستبداد والظلم الاجتماعي.

تناولت دراسات أخرى التأثير النفسي لهذه الفلسفة على الفقراء، حيث توجد دلائل على أن تحقيق العدالة الاجتماعية يمكن أن يؤدي إلى زيادة الثقة والكرامة لدى الفقراء وتعزيز أيجابية الهوية الاجتماعية.

على الرغم من أن الأبحاث السابقة قد أظهرت تأثيرًا أيجابيًا لفلسفة العدالة الاجتماعية في حكم الإمام خير البرية عليه السلام على الفقراء، إلا أنها لا تزال تعتبر ناشئة وتحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث لتوسيع الفهم والتأكد من النتائج وتطبيقها بشكل تام.

ـ خطة البحث:

١. المقدمة:

- توضيح أهمية البحث وأهدافه.
- تعريف المفاهيم الأساسية المرتبطة بالواقع المعيشي للفقراء ومفهوم الرحمة والعدالة.
- توضيح السياق التاريخي والاجتماعي لحكومة الإمام علي عليه السلام.

٢. تحديد مفهوم الفقر وتصنيف الفقراء:

- دراسة مفهوم الفقر في حكومة الإمام علي.

- تحليل تصنيف الفقراء وتحديد الفئات المعنية.

٣. السياسات المتبعة لتخفيف حدة الفقر:

- دراسة السياسات والإصلاحات التي اتخذت في حكومة الإمام علي عليه السلام لتحسين أوضاع الفقراء.
- تحليل الإجراءات المتبعة لتوفير الدعم المادي والمعيشي للفقراء.

٤. العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص:

- دراسة الجهود المبذولة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية في حكومة الإمام.
- تحليل السياسات التي تم تنفيذها لتوفير فرص متسأوية للفقراء والطبقات الأخرى.

٥. البرامج التحفيزية للفقراء:

- دراسة البرامج التحفيزية التي تم تنفيذها لتحسين أوضاع الفقراء في حكومة الإمام عليه السلام.
- تحليل فعالية هذه البرامج وتأثيرها على الواقع المعيشي للفقراء.

٦. الدروس المستفادة والتطبيقات الحديثة:

- استنتاج الدروس والمبادئ التي يمكن استخلاصها من سياسة الرحمة والعدالة في حكومة الإمام علي عليه السلام.
- تطبيق هذه الدروس في الواقع المعاصر لتحسين ظروف الفقراء وتوفير العدالة الاجتماعية.

٧. الاستنتاج:

- تلخيص النتائج الرئيسية للبحث.
- تقييم أهمية الرحمة والعدالة في تحسين الواقع المعيشي للفقراء.

- توجيهات للبحوث المستقبلية والتطوير العملي في هذا المجال.

٨. المراجع:

- قائمة بالمصادر المرجعية التي تم استخدامها في البحث.

تمهيد:

تطلق كلمة "عدالة" في اللغة على عدة معانٍ مختلفة، وذلك حسب السياق الذي يُستخدم فيه. ومفهوم العدالة له وزنٌ فلسفي للغأية يشمل عدة توجهات وتفسيرات، ومن المهم التعرف على معنى العدالة في الفلسفة لفهم التحولات والتطورات والتناقضات التي ظهرت فيها.

من الطرق الفلسفية لتعريف العدالة، نجد مسعى بعض الفلاسفة لتحقيق توازن مثالي في المشروع الإنساني، مثل أفلاطون وأرسطو والإسكندرية، يرون أن العدالة تأتي عندما يصبح كل فرد في المجتمع مكملًا للآخر، وعندما يتمتع الجميع بحقوقهم وواجباتهم معًا.

من جهة أخرى هناك مدارس فلسفية أخرى تربط العدالة بتوزيع الموارد وفقًا لاحتياجات الناس أو جدارة كل فرد، يرون أن تحقيق العدالة يتطلب توزيع الموارد والفرص بطريقة تكافؤية، بحيث يحصل الجميع على فرص متسأوية للنمو والتطور.

ومن الناحية الاجتماعية والسياسية، ينظر البعض إلى العدالة كأساس لتوزيع القوة والسيطرة في المجتمع. يرون أن العدالة تتطلب توزيع القوة وفقًا لقوانين ومعايير محددة، بحيث يتمتع الجميع بالحقوق والفرص بمسأواة.

هذه بعض التعاريف المختلفة للعدالة في الفلسفة، وتظهر التناقضات والاختلافات التي قد تنشأ حول هذا المفهوم. يمكن أن تتعدد النظريات والتجارب بشكل واسع عن العدالة، ومن المهم أن ندرسها ونفهمها للوصول إلى فهم أعمق لتلك القضية المعقدة.

ففي اللغة العربية، يعتبر التعريف من أساس اللغة، حيث يتم استخدام الكلمات لتعبر عن المفاهيم والأشياء المختلفة. التعريف في اللغة العربية يهدف إلى توضيح معنى كلمة أو مصطلح محدد بطريقة واضحة ومحددة.

وفيما يتعلق بتعريف العدالة في اللغة العربية، يمكن أن نُعرِّف العدالة بأنها "إعطاء كل ذي حق حقه وتوزيع الحقوق والواجبات بعدل ومسأواة"، تهدف العدالة في اللغة العربية إلى إقامة العدل والمساواة بين الأفراد وتحقيق حقوق الجميع.

يمكن أن نجد أيضًا تعاريف أخرى للعدالة في اللغة العربية تركز على تحقيق التوازن والتناغم في المجتمع، والتعاطف والتسامح بين الناس، وتقديم الحقوق والمحافظة على العدل في تعاملات الأفراد والمؤسسات.

من خلال التعريف في اللغة العربية، يتضح أن العدالة تعتبر مفهومًا مهمًا في المجتمع العربي، حيث تسعى إلى تحقيق العدل والمساواة وتوزيع الحقوق والواجبات بطريقة متوازنة ومنصفة. يعكس مفهوم العدالة تطلعات الناس إلى تحقيق المساواة والعدل في الحياة اليومية وفي تعاملاتهم.

التعريف لغةً واصطلاحاً:

يُعرف مصطلح "انعكاسات فلسفة العدالة" بأنه يشير إلى الآثار والتأثيرات التي تنبثق عن مبادئ وأفكار فلسفة العدالة في الحياة اليومية وفي القضأيا الاجتماعية والسياسية، وتشير إلى كيفية تطبيق تلك الفلسفة على المجتمع وكيف يتم تحقيق العدالة من خلالها.

تتولد الأبحاث التي تتعلق بالعدالة والمساواة وحقوق المجتمع من خلال انعكاس الفلسفي سابقًا في حياة أهل البيت عليهم السلام، سيرتهم شعار إنساني بحت حيث حملوا رسالة العدالة والإنسانية.

وتعتبر حياتهم ومبادئهم الفلسفية نماذج للعدالة والمساواة، وتعكس سيرتهم الذاتية وتعاليمهم النور الذي يهدف إلى تحقيق العدالة والمساواة بين الناس.

نظرية التاريخ الروائية وانعكاسها على عصرنا الحالي في العدالة مع الفقراء:

نظرية التاريخ الروائية: هي نظرية تفسيرية تأخذ في الاعتبار العوامل التاريخية في تطور المجتمع والحوادث والتغييرات التي تأثرت بها العدالة، تؤكد هذه النظرية على أهمية فهم النصوص والأحداث التاريخية من خلال قراءة آمنة في السياق وليس فقط بشكل حرفي.

وفيما يتعلق بالعدالة مع الفقراء، يُعتبر النهج التاريخي الروائي أداة قوية لفهم التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجها الفقراء في عصرنا الحالي، يعكس هذا المفهوم كيفية تداخل الأحداث التاريخية والظروف الاقتصادية والاجتماعية في تفسير وتحقيق العدالة الاجتماعية بطريقة شمولية ومستدامة.

من خلال فهمنا لانعكاسات فلسفة العدالة في الحياة العامة ودور أهل البيت عليهم السلام في توضيح مبادئ العدالة والنظرية التاريخية الروائية وتطبيقها على عصرنا الحالي في العدالة مع الفقراء، نستطيع أن نعزز فهمنا لمفهوم العدالة ونعمل على تحقيقها في مجتمعنا.

ان فلسفة العدالة الاجتماعية من أهم المبادئ التي كان يرتكز عليها حكم الإمام حليف المحراب عليه السلام، وقد قام الإمام بحر العلوم عليه السلام بتنفيذ تلك الفلسفة على أرض الواقع، وعرف برحمته وعدالته تجاه الفقراء والمحتاجين، وهنا نقطة مهمة وجزء من انعكاس هذه الفلسفة في حكم الإمام علي على الفقراء:

نظام العدل الاجتماعي: لقد عمل الإمام عليه السلام بإنشاء نظام عدل اجتماعي يضمن حقوق الفقراء ويقدم لهم الحمأية اللازمة، وكان يشدد على ضرورة تنفيذ العدالة في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ويعود تأثير فلسفة العدالة الاجتماعية في حكم الإمام باب مدينة العلم عليه السلام على الفقراء إلى قيمته ورحمته حيث كان يعمل على توفير فرص متسأوية للجميع وتحقيق العدل والتكافل الاجتماعي. كما يسعى لتمكين الفقراء من التعليم وتوفير الدعم والمساعدة اللازمة لهم.

المبحث الأول

المطلب الأول: تطبيق الإمام علي عليه السلام للعدالة القرآنية:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[2]

وفي عهده عليه السلام للأشتر **(ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى)**[3]

توافق المؤرخون والمترجمون على أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يجمع الأموال إنما كان ينفق كل ما يملك، ولم يكن لديه غأية شخصية أو عنصرية، فيما ينفق بل كان يجتهد في القرب من الله تعالى، وكان يعمل بالقرآن الكريم التي يقول فيها الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[4].

هذه التصرفات تعكس تواضعه وتفانيه في خدمة الآخرين وتوجيه كل عمل يقوم به نحو الله تعالى. إنها دعوة لنا لتبني نهجٍ مماثل في حياتنا، حيث ننفق ممتلكاتنا للخير ولمساعدة الآخرين دون نية للحصول على جزاء أو شكر. نحن بحاجة إلى التعاون والتضحية المستمدة من الروحانية لنخدم المجتمع ونقدم المساعدة لمن هم في حاجة.

إن الحديث عن عدالة مولى الموحدين من خلال القرآن الكريم وتعامله مع قضية الفقر، فإنه يمكننا النظر إلى رؤية الإمام خير البرية ﷺ في هذا الشأن، ويعتبر الإمام ﷺ أنموذجاً مستمراً في نفوس الامة من حيث يمثل أحد الشخصيات التاريخية المهمة لصوت العدالة الإنسانية عبر التاريخ الإسلامي، وتميز بعدالته ومواقفه الرفيعة.

بدأيةً ينص القرآن الكريم على أهمية إزالة الفقر والتضامن الاجتماعي، وفي هذا السياق يذكر القرآن الكريم أن من واجب المسلمين إعطاء الزكاة وصدقاتهم والتصدق بالمال للمحتاجين والفقراء في المجتمع، وقد حث الإمام أبي اليتامى والمساكين ﷺ على تطبيق هذه الأوامر القرآنية وشجع على إزالة الفقر وتوفير الرعاية للمحتاجين.

بصفة عامة إمام الاتقياء ﷺ كان يؤمن بالعدالة الاجتماعية والتعاون المجتمعي في مواجهة الفقر، وكان يشجع على توزيع الثروة بطريقة عادلة ومكافحة الاستغلال الاقتصادي والظلم الاجتماعي. وقد عمل على إقامة نظام يضمن توزيع الموارد بشكل عادل ويوفر الفرص العادلة للجميع.

بالإضافة إلى ذلك، فالإمام أمين الرسول ﷺكان يشجع على التعليم ورفع مستوى الوعي في المجتمع، وعندما يتم تمكين الأفراد من التعليم وتطوير قدراتهم، فإنه يتيح لهم الفرصة لتحقيق الاستقلالية والنمو الشخصي، وبالتالي يمكنهم الخروج من دائرة الفقر.

إنه من المهم أن نستلهم رؤية الإمام خير الأوصياء ﷺ ومبادئه في مواجهة قضية الفقر، يجب علينا التعاون والعمل المشترك لتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير الرعاية للمحتاجين وتطوير المجتمعات بأكملها، وعلى نحو مماثل ويجب أن نلتزم بقيم القرآن الكريم في التضامن والتعاون والعدل في معالجة قضأيا الفقر

وتحقيق التنمية الشاملة كما أراد احياءها للامة إمام الامة عليه السلام.

وهنا بعض النقاط المستوحاة من هذا المطلب ليترجم الى التطبيق:

١. **إعطاء الزكاة:** القرآن الكريم يحث على إعطاء الزكاة والصدقات كواجب ديني للمسلمين. تعتبر الزكاة واحدة من أركان الإسلام، وهي تمثل نسبة محددة من الثروة المالية المعينة للفقراء والمحتاجين. يُعتبر الإمام علي عليه السلام مثالاً حياً في تطبيق وتشجيع هذا الواجب الإسلامي.

٢. **التوزيع العادل للثروة:** يشدد القرآن الكريم على أهمية التوزيع العادل للثروة في المجتمع. وقد تبنى الإمام الصديق الاكبر عليه السلام هذه القيمة وعمل على تحقيق التوازن في توزيع الموارد بين أفراد المجتمع. وقد أعطى الأولوية لتوفير الرعاية والدعم للفقراء والمحتاجين للمساهمة في إزالة الفقر وتحسين ظروفهم المعيشية.

٣. **العدل في القضأيا الاقتصادية:** يدعو القرآن الكريم إلى العدل في جميع جوانب الحياة، بما في ذلك القضأيا الاقتصادية. وكان الإمام حبل الله المتين عليه السلام يؤمن بأهمية تحقيق العدالة في المعاملات التجارية والاقتصادية، ويحث على منع الغش والاحتكار وأي ممارسات غير عادلة تؤدي إلى تفاقم الفقر والظلم الاقتصادي.

٤. **العدالة التعليمية:** يركز الإمام صفوة الله عليه السلام على أهمية التعليم والتثقيف في تحقيق التنمية الشاملة ومواجهة الفقر. إذ يعتبر التعليم وسيلة لتمكين الأفراد وتطوير مهاراتهم وفتح آفاق جديدة لهم. وقد أسس الإمام علي عليه السلام -عن طريق خلص الاصحاب- مدارس ومراكز تعليمية لنشر المعرفة وتعليم الناس في جميع الجوانب.

٥. **الرعاية الاجتماعية والتضامن:** ويعتبر الإمام ساقي الكوثر عليه السلام الرعاية الاجتماعية والتضامن الاجتماعي أحد أهم القيم في منطلق الإسلام، وكان يشجع على تقديم الدعم والمساعدة للمحتاجين والفقراء والأيتام والأرامل،

وقد أسس أنظمة لتوفير الرعاية والدعم لهم وضمان حياة كريمة للجميع.

المطلب الثاني: التعامل الرسالي للإمام عليه السلام في القضاء على افة الفقر:

ان أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطى الناس بسخاء كبير خلال حياته وكان الأكثر إحسانًا وعطفًا على المحتاجين، كان يعتبر قيمة النقود في استعمالها لإطعام الجائع وإكساء العريان.

تقول الروأية (**فشكى الرجل ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فأقبل وحده إلى الرجل فقال : بعني حديقتك هذه بحديقة في الجنة . فقال له الموسر : لا أبيعك عاجلا بآجل فبكى النبي**

صلى الله عليه وآله ورجع نحو المسجد فلقيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

فقال : له : يا رسول الله ما يبكيك ؟ ! لا أبكى الله عينيك فأخبره خبر الرجل الضعيف والحديقة ، فأقبل أمير المؤمنين حتى استخرجه من منزله وقال له: بعني دارك . قال

الموسر : بحائطك الحسى ! فصفق على يده ودار إلى الضعيف فقال له : در إلى دارك فقد ملككها الله رب العالمين وأقبل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل جبرئيل عليه السلام، على النبي صلى الله عليه وآله فقال له : يا محمد اقرأ :

(والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى) إلى آخر السورة . فقام النبي

صلى الله عليه وآله فقبل بين عينيه ثم قال : بأبي أنت قد أنزل الله فيك هذه السورة كاملة)[٥].

ولذلك يقول الرجل الشعبي الذي يعتبر عدوًا للإمام عليه السلام: "**كان علي أسخى الناس، كان يتميز بالخلق الذي يحبه الله وهو السخاء والجود، ولم يقل "لا" لأي مسألة** "[٦].

إن هذه التصرفات تعكس رفاهية الروح والإحسان الموجود في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. السخاء والإحسان هما صفتان مهمتان في التعامل مع الآخرين وإظهار الرحمة والعطف، يمكن أن تكون هذه القيم قدوة لنا جميعاً في علاقتنا مع الآخرين وفي مساعدة المحتاجين حولنا.

إن رؤية الإمام اخي رسول الله عليه السلام وفق رسالة السماء وشريعة الإسلام والاحكام التي جاء بها ابن عمه الرسول الاعظم صلى الله عليه واله تركز على عدالة المجتمع والقضاء على الفقر والتضامن الاجتماعي، يعتبر الإمام عليه السلام قدوة حسنة في تحقيق هذه الغأيات النبيلة، واستند إلى تعاليم الدين الحنيف في توجيه وسلوك الامة الاسلامية.

١. **العدالة الاجتماعية**: ان القرآن الكريم يدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع، وذلك من خلال توزيع الموارد بشكل عادل ومتساوٍ فعلياً، الإمام عليه السلام يؤمن بأن العدالة هي أساس المجتمع ورقيه وأنه يجب توفير الفرص المتسأوية للجميع.

٢. **التضامن الاجتماعي**: ان سنة الاسلام تحث على التضامن الاجتماعي وتقديم المساعدة والدعم للمحتاجين والفقراء، الإمام الحق عليه السلام يشجع على إزالة الفقر وتوفير الرعاية للأيتام والأرامل والمحتاجين، ويعتبر التضامن الاجتماعي واجبًا إنسانيًا ودينيًا.

٣. **الزكاة والصدقات**: والزكاة والصدقات تعتبر إحدى الوسائل المهمة في تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة افة الفقر، الإمام عليه السلام يشجع على إعطاء الزكاة والصدقات ويؤمن بأنها تعزز التضامن وتوفر المساعدة للمحتاجين وتحقق التوازن الاقتصادي في المجتمع.

٤. **التعليم والتوعية**: إمام المتقين عليه السلام يؤكد على أهمية التعليم والتوعية في محاربة

الفقـر وتحقيـق التنميـة الشـاملة، يعتـبر التعليـم والوعـي المبـادئ الأساسـية لتحقيـق التقـدم والتحـرر مـن دائـرة الفقـر والجهـل.

٥. **محاربـة الظلـم والاسـتغلال**: كان سـلام الله عليـه يدعـو إلى محاربـة الظلـم والاسـتغلال في جميـع مظاهرهمـا. ويعتـبر الظلـم والاسـتغلال أسـبابًا رئيسـية للفقـر وعـدم المسـاواة، ويحـث عـلى إقامـة نظـام يحقـق العدالـة ويحمـي حقـوق الفـرد.

٦. **العدالـة في التوزيـع**: يركـز الإمـام ركـن المؤمنـين عليه السلام عـلى أهميـة التوزيـع العـادل للمـوارد في المجتمـع، يعتـبر أن التوزيـع العـادل يضمـن توفـير فـرص متسـأوية للجميـع، بحيـث يكـون لـكل فرد حقه في الحصول على الاحتياجات الأساسية.

٧. **التمكـين الاقتصـادي**: يشـدد الإمـام قائـد البـررة عليه السلام عـلى أهميـة تمكـين الأفـراد اقتصاديًـا مـن خـلال توفـير فـرص العمـل وتعزيـز الاقتصـاد المحـلي، يعتـبر أن تمكـين الأفـراد يسـهم في تخفيـف الفقـر وتحسـين ظروفهـم المعيشـية.

٨. **المسـاواة والعـدل الاجتماعـي**: يؤمـن الإمـام لسـان الصـدق عليه السلام بـأن المسـاواة والعـدل الاجتماعـي هما أسـاس بنـاء المجتمـع العـادل، يدعـو إلى عـدم التفرقـة بـين النـاس بنـاءً عـلى العـرق أو الطبقـة الاجتماعية، ويعتـبر أن الجميع متسـأوون إمـام القانـون ولهـم نفـس الحقـوق والفـرص نفسـها.

٩. **العدالـة في القضـاء**: يحـث الإمـام المرتـضى عليه السلام عـلى تحقيـق العدالـة في القضـاء وتوفـير نظـام قضائـي يعامـل الجميـع بالمسـاواة والعـدل، يؤمـن بأهميـة إقامـة محاكـم عادلـة تضمـن حقـوق الأفـراد وتحكـم بالقانـون دون تحيـز.

١٠. **الأخـوة والتعـاون**: يشـجع الإمـام عليه السلام عـلى تعزيـز روح الأخـوة والتعـاون في المجتمـع، ويعتـبر أن التعـاون المشـترك والتضامـن الاجتماعـي يسـهمان في تحقيـق التقـارب والقضـاء عـلى الفقـر والظلـم.

١١. **مكافحة الفساد:** يدعو الإمام القران الناطق عليه السلام إلى مكافحة الفساد في جميع مظاهره، سواء كان ذلك في القطاع العام أم القطاع الخاص، يؤمن بأهمية إقامة نظام يضمن النزاهة والشفافية ويحارب الفساد المالي والإداري.

وان الإمام معدن الحكمة عليه السلام وفق من إشكالات اجتماعية نتجت عن الحكومات التي ليست في المكان المناسب ولم تفكر في معالجة الخطر الفتاك في المجتمع حيث تولدت معاناة واحباطات لم تحل الى يومنا هذا لذا سيرة الإمام الكرار عليه السلام تركز على تحقيق عدالة المجتمع والقضاء على الفقر من خلال العدالة الاجتماعية التطبيقية، والتضامن الاجتماعي، والزكاة والصدقات، والتعليم والتوعية، ومحاربة الظلم والاستغلال، إن تطبيق هذه المبادئ يساهم في بناء مجتمع عادل ومزدهر يحقق التنمية والسعادة للجميع.

المبحث الثاني:

المطلب الأول: الروأيات الشريفة للإمام عليه السلام تجسد كيفية التعامل مع الطبقة الفقيرة:

هناك العديد من الروأيات الشريفة التي تسلط الضوء على كيفية التعامل مع الطبقة الفقيرة من قبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هذه الروأيات تعكس رؤيته الإنسانية والاجتماعية في التعامل مع المحتاجين والفقراء. ومن أمثلة هذه الروأيات:

قال الإمام علي عليه السلام: **"الناس إما إخوانك في الدين أو نظراؤك في الخلق"**[٧]، مما يشير إلى أن الناس جميعًا إخوة في الإسلام ويجب التعامل معهم بالمساواة والعدل بغض النظر عن وضعهم المادي.

وروأية أخرى **(يروى أن رجلا جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة . فقال : اكتبها في الأرض ، فإني أرى الضر**

فيك بينا . فكتب في الأرض : أنا فقير محتاج . فقال علي عليه السلام : يا قنبر اكسه حلتين . فأنشأ الرجل يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها * * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة * * ولست تبقي بما قد نلته بدلا إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه * * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * * فكل عبد سيجزى بالذي فعلا فقال علي عليه السلام : أعطوه مائة دينار ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لقد أغنيته . فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنزلوا الناس منازلهم . ثم قال علي عليه السلام : إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ، ولا يشترون الأحرار بمعروفهم !)[٨]

وفي روأية أخرى (ونظر علي عليه السلام إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل ، وترك علي صبيانا يتامى ، وليس عندي شي ، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس ، فانصرف وبات ليلته قلقا ، فلما أصبح حمل زنبيلا فيه طعام ، فقال بعضهم : أعطني أحمله عنك ، فقال : من يحمل وزري عني يوم القيامة ؟ فأتى وقرع الباب ، فقالت : من هذا ؟ قال : أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة ، فافتحي فإن معي شيئا للصبيان ، فقالت : رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب ، فدخل وقال : إني أحببت اكتساب الثواب ، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا ، فقالت : أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ، ولكن شأنك والصبيان ، فعللهم حتى أفرغ من الخبز ، قال: فعمدت إلى الدقيق فعجنته ، وعمد علي عليه السلام إلى اللحم فطبخه ، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره ، فكلما نأول الصبيان من ذلك شيئا قال له : يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل

مما أمر في أمرك، فلما اختمر العجين قالت : يا عبد الله أسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول : ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى ، فرأته امرأة تعرفه فقالت : ويحك هذا أمير المؤمنين، قال : فبادرت المرأة وهي تقول : واحيائي منك يا أمير المؤمنين ، فقال : بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك)[٩]

في هذه الروايات المتقدمة، يتجلى الإمام زوج البتول عليها السلام واهتمامه الكبير بالغاية الإنسانية والمساهمة في رفاهية الفقراء، يركز الإمام عليه السلام على أهمية تكريم ومعاملة الأفراد بعدل وعدم التمييز بين الناس بناءً على ثروتهم أو أصلهم الاجتماعي. وهنا بعض النقاط في الغأية الإنسانية في هذه الروايات:

١. **المعاملة الإنسانية:** إمام الأمة عليه السلام يتفهم حاجات الناس ويتعامل معهم بكرم وشهامة، سواء كانوا فقراءً أو محتاجين، يقدم للرجل الفقير المساعدة المالية دون أن يعتبر ذلك تجاوزًا على القيمة الإنسانية والكرامة الشخصية.

٢. **المساواة والتوازن:** يندرج ضمن الغأية الإنسانية في هذه الروأية تعزيز مبدأ المساواة والتوازن بين جميع أفراد المجتمع، يدعو الإمام الآمر بالمعروف عليه السلام إلى أن يحصل الناس على حقوقهم وتُحترم كرامتهم بغض النظر عن أوضاعهم المالية أو الاجتماعية.

٣. **التوسع والجود:** ويعبر عن غضبه من أولئك الذين ينفقون أموالهم على شراء المماليك بينما لا يُظهرون الاهتمام الكافي برعاية الأحرار ومساعدتهم، يؤكد الإمام علي على أهمية التوسع في إعطاء والجود بالمعروف ومساعدة الآخرين بغض النظر عن وضعهم أو يُمكنهم تقديم مساعدة.

الغأية الإنسانية في هذه الروأية هي تكريم الفقراء والمعاملة الإنسانية لهم، وتعزيز المساواة والتوازن في المجتمع، وتوسع العطاء والجود بالمعروف لجميع الأفراد.

هذه بعض الروايات الشريفة التي تعكس روحية إمام الأولياء عليه السلام في التعامل مع الطبقة الفقيرة. تركز هذه الروايات على التواضع، والعدل، والمساعدة، وتقديم الخدمة للفقراء والمحتاجين، يمكن أن تكون هذه الروايات دليلاً قويًا على ضرورة مساعدة الفقراء وتعزيز التضامن الاجتماعي في المجتمعات.

المطلب الثاني: وضع حلول للطبقة الفقيرة من خلال تأسيسات الإمام عليه السلام مع المجتمع:

(كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا ومعه الدرة على عاتقه - وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة - فيقف على أهل كل سوق فينادي: يا معشر التجار، اتقوا الله! فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم، وأرعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بإذانهم، فيقول عليه السلام: قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة، ثم يرجع فيقعد للناس)[١٠]

وتحليل الروأية يمكن أن يتم من خلال التركيز على بعض النقاط المهمة في المحتوى:

١- **ترجمة حكمة الإمام**: تبين في الروأية أن الإمام عليه السلام يستخدم طرقًا بسيطة وفعّالة لتوجيه الناس نحو التقوى والعدل والاحترام المتبادل، يستخدم أسلوب المواعظ السلمية والنصح البسيط لنشر قيم الإسلام وفهم حقوق الناس.

٢- **الدور الاجتماعي للإمام**: تؤكد الروأية ان دور الإمام أبي الأيتام عليه السلام خليفة الرسول والمؤتمن على الامة ان يعمل على توجيه الناس وتوعيتهم بالمبادئ الأخلاقية والدينية التي تعزز العدالة وتحقق المصلحة العامة، يوضح الإمام علي قدوته الحكيمة وسلوكه النبيل.

٣- **القيم والمبادئ المتناقضة:** يستعرض الإمام عليه السلام العديد من القيم والمبادئ المتناقضة للتأكيد على أهمية اتباع القيم الحميدة وتجنب السلوكيات السلبية، يدعو إلى تجنب الربا والظلم والكذب والفساد، وبالمقابل يحث على العدل والتكافل الاجتماعي.

توضح هذه الرؤية الأهمية الكبيرة التي يعطيها الإمام علي للعدل الاجتماعي ورصد حاجات الفقراء والمظلومين. يمكن تفسير الرؤية على أنها تعكس رؤية الإمام للعدالة الاجتماعية، وتلتزم بقيم النصح والتعاون والعدل في المعاملات الاجتماعية.

(كان علي عليه السلام يمر في السوق على الباعة، فيقول لهم: أحسنوا، أرخصوا بيعكم على المسلمين؛ فإنه أعظم للبركة)[١١]

أي السلوك الحسن والتعاطف والتعامل بالرحمة مع الناس تجلب البركة.

ومن خلال استقراء التاريخ والروايات الشريفة نجد ان الإمام روحي له الفداء يعرض الخير على الآخرين ولا يفكر في نفسه ويسعى للعثور على أولئك الذين هم بحاجة إلى مساعدة ويعتبر ذلك الفعل واجباً عليه ولا يذكر أو يسأل أو يريد اطلاع الاخرين عليه بما عمل، بل يعتبرها ديناً في عنقه ولا بد من ادائه ويجب عليه توفيره، وهذا السلوك هو الإرث النبوي والفعل القرآني.

إن هذا السلوك الكريم والخلق العظيم للإمام علي يعكس عقيدته في التواضع والعدالة الاجتماعية، وإن تفانيه في خدمة الآخرين وعطائه من نفسه بتضحية يبرهن عن وجهة نظره في تعاطي البشر وقدوته الحكيمة.

يمكن أن نفسر هذه السمة بأنها تجسد للفكرة الإسلامية للعدل والأخلاق والسماحة، ينبغي على الناس أن يتبعوا هذا النموذج الرفيع من السلوك في حياتهم اليومية، حيث يكونون أيجابيين ومتسامحين ومستعدين للتبرع بأوقاتهم ومواردهم

لخدمة الآخرين إن دعم الناس وتقديم المساعدة لهم يقوي الروابط بين المجتمعات وقد قال عليه السلام: **(ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً)**[١٢].

يُعَتَبَر هذا القول شعارًا ملخصًا لهدف ومسعى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مسيرة حياته الشريفة، وهذا الهدف هو خدمة الأمة وإقامة العدالة والقسط والمساواة بين جميع البشر بغض النظر عن جنسهم أو هويتهم. يسعى الإمام الى تحقيق العدل وإزالة الظلم، كما يتمتع بالرحمة والشفقة تجاه كل إنسان محتاج ومعذّب يطلب المساعدة.

فعن طريق هذا القول، يتلخص فلسفة عدالة الإمام سيد الموحدين عليه السلام، ويرسل رسالة قوية إلى العالم على ضرورة السير على نهج العدل وأيجاد مسارٍ يحقق المساواة والرحمة للجميع. فإن الإمام علياً عليه السلام يعلمنا أننا يجب أن نسعى لمساعدة المظلومين وتخفيف معاناة المحتاجين، وأن نسعى لتحقيق العدالة في جميع جوانب الحياة.

لذا، يجب أن نستوحي من هذه العبارة ونتبع سنة الإمام علي عليه السلام في التفكير والتصرف. فنحن مدعوون للعمل على إقامة العدالة في المجتمع وتعزيز القسط والمساواة بين الناس، وأن نُظهر الرحمة والرأفة للمحتاجين والمتضررين. هذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه لنحقق تطلعات الإمام علي عليه السلام في إقامة مجتمع عادل وإنساني.

وواحدة من مظاهر الجود والعطاء لدى الإمام الأشجع المتين عليه السلام هي استعداده الدائم للتضحية بنفسه وروحه من أجل الدين والشريعة، فمن المعروف أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان يشجع ويحث الناس على المبارزة مع الأعداء، كان الإمام أبي اللواء عليه السلام دائمًا يتقدم لهذه التحديات، كان الجميع يخافونه ويهابينه بسبب قوته وشجاعته التي ليس لها نظير، ولكنه لم يخف من أي أحدٍ، وكان الإمام عليه السلام دائمًا هو المنتصر على أعدائه.

إن هذه القوة والشجاعة التي تميز الإمام خليل الله عليه السلام لا تقتصر فقط على الميدان العسكري، بل تمتد أيضًا إلى الجود والإحسان في حياته اليومية، كان يعتني بالفقراء والمحتاجين، وكان يحث الناس على مساعدة الآخرين بكل ما يستطيعونه.

الإمام الأنزع البطين عليه السلام يُعتبر نموذجًا للعطاء والجود في جميع جوانب حياته، سواء في الميدان العسكري أم٤ في العطاء للفقراء والمحتاجين. كان يظل قويًا وشجاعًا في مواجهة الأعداء وفي تحقيق النصر، وفي الوقت نفسه كان حكيمًا ورحيمًا في مساعدة الضعفاء وتلبية احتياجاتهم.

من خلال مواقف الإمام علي عليه السلام مع الفقراء، يمكن تحديد بعض الحلول لمساعدة وتحسين وضع الطبقة الفقيرة.

بعض الحلول المستمدة من مواقف الإمام علي:

١. **تقديم الدعم المادي**: الإمام إمام خلق الله عليه السلام كان يشجع على تقديم الدعم المالي للفقراء، يمكن تحقيق ذلك من خلال تأسيس صناديق تبرعات أو توزيع الزكاة والصدقات لتوفير الدعم المالي للفقراء وتلبية احتياجاتهم الأساسية نظير مؤسسة العين.

٢. **إقامة مشاريع تنموية**: يمكن للمجتمع أن يستلهم من موقف الإمام علي ويعمل على إقامة مشاريع تنموية تعزز فرص العمل والدخل للفقراء. يمكن تنفيذ مشاريع صغيرة مثل ورش عمل تعليمية أو مشاريع زراعية تعمل على تحسين ظروف المعيشة وتوفير فرص اقتصادية للفقراء.

٣. **توفير التعليم والتدريب**: يمكن أن تكون التعليم والتدريب أدوات قوية للتغلب على الفقر. يجب توفير فرص التعليم والتدريب للفقراء، حيث يمكنهم اكتساب المهارات والمعرفة التي تمكنهم من العمل وتحسين فرصهم في الحصول على فرص عمل أفضل.

٤. **التضامن الاجتماعي**: يعتبر التضامن الاجتماعي أساسيًا في مساعدة الفقراء. يمكن للمجتمع أن ينظم برامج تضامن اجتماعي لدعم الفقراء، مثل إنشاء صناديق تضامنية أو برامج دعم مالي للأسر الفقيرة.

٥. **تمكين الفقراء**: يجب أن يتم تمكين الفقراء من خلال تقديم الفرص والموارد لهم. يمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم برامج تأهيلية وتدريبية تهدف إلى تعزيز مهاراتهم وزيادة فرصهم في الحصول على عمل جيد ومستدام.

٦. **مكافحة الفساد**: يجب أن يتم مكافحة الفساد في جميع مستويات المجتمع لضمان توزيع الثروة بشكل عادل ومنع الاستغلال الاقتصادي والظلم. يمكن تحقيق ذلك من خلال تعزيز النزاهة والشفافية وتطبيق القوانين بكل حزم.

٧. **تشجيع روح العمل التطوعي**: يمكن تعزيز روح العمل التطوعي في المجتمع لدعم الفقراء، يمكن تنظيم حملات تطوعية لتقديم الخدمات والمساعدة للفقراء، سواء كان ذلك من خلال توزيع الطعام أو تقديم الخدمات الطبية أو توفير التعليم المجاني.

٨. **إنشاء برامج تمويل صغيرة**: يمكن تنفيذ برامج تمويل صغيرة للفقراء لمساعدتهم في بدء أعمال صغيرة أو توسيع الأعمال الحالية. يمكن توفير قروض بأسعار ميسرة أو توفير التمويل اللازم لإقامة مشروعات صغيرة تساهم في تحسين دخلهم وتوفير فرص العمل.

٩. **تعزيز التعليم والوعي المالي**: يجب تعزيز التعليم المالي والوعي بالمال للفقراء. يمكن تنظيم دورات تدريبية حول إدارة المال والموارد وتوفير المعرفة المالية الأساسية التي تساعدهم على اتخاذ قرارات مالية صائبة وتحقيق استدامة الدخل.

١٠. **توفير الرعاية الصحية الأساسية**: يجب توفير الرعاية الصحية الأساسية

للفقراء بشكل ميسر ومتاح. يمكن إنشاء عيادات صحية مجانية أو بأسعار ميسرة للفقراء وتوفير الأدوية والخدمات الصحية الأساسية لهم.

١١. **تطوير البنية التحتية الاجتماعية**: يجب تطوير البنية التحتية الاجتماعية في المجتمعات الفقيرة لتحسين ظروف المعيشة. يمكن توفير المياه النظيفة والصرف الصحي والإسكان الملائم والطرق والكهرباء والاتصالات لتحسين جودة حياة الفقراء.

١٢. **تشجيع الابتكار وريادة الأعمال**: يمكن تشجيع الفقراء على الابتكار وريادة الأعمال كوسيلة لتحسين وضعهم المادي، يمكن تقديم الدعم والتدريب للفقراء ورشة أعمال لتطوير فكرة مشروع وتحويلها إلى واقع يعود بالفائدة المالية لهم.

النتائج

١. الإمام علي عليه السلام أسس عدة تأسيسات وأرسى قواعد حقوق الإنسان عالميًا.

٢. أمير المؤمنين عليه السلام عرف للأمة أجمع أن القرآن الكريم ينادي بحقوق كل فرد.

٣. أي حكومة أو قوة عالمية ظالمة غير عادلة لن تستطيع إخفاء حقوق المظلومين على الأرض.

٤. سيرة وحياة الإمام الكرار عليه السلام تشير إلى الاهتمام بالطبقة المحتاجة وتحث كل متسلط على بذل جهوده لصالح الشعب وتفعيل العدالة.

٥. نشر ثقافة وتوعية الأمة حول المواقف الإنسانية للإمام أبي الحسنين عليه السلام.

٦. دور المؤسسات ووسائل الإعلام في التذكير المستمر بروأيات الإمام قائد الغر المحجلين عليه السلام كشواهد قصصية لحكمه الإلهي العادل.

الخاتمة

استنتاج أن فلسفة العدالة الاجتماعية كانت تنعكس بشكل كبير في حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الفقراء، كان الإمام عليه السلام يُعرف ببره وعدله الذي كان يتجلى في تعامله مع الفقراء والمحتاجين. كان يحرص على توزيع الثروة بشكل متوازن وعادل، وضمان تحقيق العدالة الاجتماعية.

من خلال سياساته الاقتصادية والاجتماعية، قام الإمام حيدر عليه السلام بإنشاء نظم توزيع الثروة وتعزيز الفرص المتاحة للفقراء لكسب العيش الكريم. كما شجع على المساهمة الاجتماعية وتعزيز العدالة في الفرص الاقتصادية.

بالإضافة إلى ذلك، الإمام أمير النحل عليه السلام كان يعتني بتقديم الدعم النفسي والعاطفي للفقراء. كان يوجه اهتمامًا كبيرًا لتوفير الرعاية الصحية والتعليم لهم، وتشجيعهم على تطوير مهاراتهم وقدراتهم الشخصية.

وبهذه الطريقة، كان حكم إمام المتقين عليه السلام يُعكس فلسفة العدالة الاجتماعية في تعامله مع الفقراء، حيث كان يعتبرهم أفرادًا ذوي حقوقهم وكرامتهم المستحقة. ومن خلال هذا النموذج القوي، نستطيع التعلم والاستلهام لتحقيق العدالة الاجتماعية في حياتنا اليومية.

إن تأثير حكم إمام البررة عليه السلام ونهجه في توفير العدالة للفقراء يعكس أهمية تحقيق العدالة الاجتماعية في مجتمعاتنا المعاصرة. وباستلهام مفاهيم العدالة والتكافل الاجتماعي والتسامح والرحمة، يمكننا بناء مجتمعات أكثر عدلاً وتعاطفًا وازدهارًا للجميع.

التوصيات

بناءً على النتائج والترتيب المذكورين، هنا بعض التوصيات التي يمكن أن تعكس فلسفة العدالة الاجتماعية للإمام أبي السبطين ﷺ وتؤثر أيجابياً على الفقراء:

١. **تعزيز قواعد حقوق الإنسان على الصعيد العالمي**: يُوصى بالترويج لقيم المساواة والعدالة وحقوق الإنسان في المجتمعات والدول الأخرى، وذلك عن طريق العمل الدبلوماسي والتواصل الفعال مع الهيئات الدولية لتعزيز هذه القيم.

٢. **تعزيز الوعي بحقوق الفرد**: يجب تعزيز التوعية والتعليم حول حقوق الفرد الموجودة في القرآن الكريم، وذلك من خلال النهوض بالتعليم وتوفير الفرص العادلة للجميع للحصول على التعليم والمعرفة.

٣. **دعم المظلومين والفقراء**: يتعين على السلطات والحكومات تبني سياسات عادلة تستهدف تحسين أوضاع الفقراء وتخفيض الفقر، وذلك من خلال توفير فرص العمل والدعم الاجتماعي والمساعدات المالية اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة والتقدم الاجتماعي.

٤. **تعزيز العدالة الاجتماعية في المجتمع**: على القادة والمسؤولين بذل جهود إضافية لتعزيز العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن في التوزيع العادل للثروة والفرص والموارد بين جميع أفراد المجتمع، مع التركيز على تحسين الحياة وتلبية احتياجات الفقراء والمحتاجين.

٥. **تعزيز التوعية والتثقيف العام**: دور المؤسسات ووسائل الإعلام العمل على نشر ثقافة العدالة الاجتماعية والتوعية بمواقف الإمام أزهَد الزّاهِدين ﷺ في التعامل مع الفقراء والمظلومين، من خلال ترويج قصصه وسِيرته العطرة والتركيز على قيم الانسانية والعدالة في رسالته.

٦. **تشجيع البحث والدراسات العلمية**: يتوجب على الباحثين والدراسيين

التركيز على دراسة وتحليل فلسفة العدالة الاجتماعية للإمام أخي الرسول ﷺ ونشر النتائج والتوصيات التي يمكن أن تساهم في تطوير سياسات وبرامج فعالة للحد من الفقر وتعزيز العدالة في المجتمع.

هذه التوصيات تهدف إلى تحقيق قيم العدالة الاجتماعية التي أعلنها الإمام علي عليه السلام وإلى تحقيق المساواة وتحسين أوضاع الفقراء في المجتمع.

الهوامش

١ – هود: ٨٥.

٢ – البلد: ١٤–١٥.

٣ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٨٥، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤ – الانسان:٩.

٥ – فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي: ٥٦٥–٥٦٦، سنة الطبع: ١٤١٠ – ١٩٩٠ م، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – طهران، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة: الأولى.

٦ – السيد محسن الأمين، اعيان الشيعة: ١، ٣٤٨، الناشر: دار التعارف للمطبوعات – بيروت – لبنان، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين.

٧ – ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٣٦، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي – الحوزة العلمية – قم – ايران، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، الطبعة: الأولى.

٨ – الشيخ الصدوق، الأمالي: ٣٤٨، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى.

٩ – العلامة المجلسي، بحار الانوار: ٤١/ ٥٢، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، تحقيق:
محمد الباقر البهبودي ، يحيى العابدي الزنجاني ، السيد كاظم الموسوي الميامومي، الطبعة: الثالثة المصححة.

١٠ – الشيخ المفيد، الامالي: ١٩٧–١٩٨، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، تحقيق
حسين الأستاد ولي ، علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.

١١ – الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٥/ ٩٥، سنة الطبع: ١٤١٢هـ . ق، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت (لبنان)، تحقيق: محقق : مهنا ، عبدالامير، الطبعة: الأولى.

١٢ – الشيخ المفيد، الاختصاص: ١٥٧، سنة الطبع: ١٤١٤ – ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، تحقيق:
علي أكبر الغفاري ، السيد محمود الزرندي، الطبعة: الثانية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.
* ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم – أيران، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، الطبعة: الأولى.
* الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، سنة الطبع: ١٤١٢هـ . ق، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (لبنان)، تحقيق: محقق : مهنا، عبدالأمير، الطبعة: الأولى.
* السيد محسن الأمين، اعيان الشيعة، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت – لبنان، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين.
* الشيخ الصدوق، الأمالي، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى.
* الشيخ المفيد، الاختصاص، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، الطبعة: الثانية.
* الشيخ المفيد، الامالي، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، تحقيق: حسين الأستاد ولي ، علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.
* العلامة المجلسي، بحار الانوار، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، يحيى العابدي الزنجاني ، السيد كاظم الموسوي الميامـوي، الطبعة: الثالثة المصححة.
* فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، سنة الطبع: ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – طهران، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة: الأولى.

السياسة الاقتصادية للامام علي عليه السلام في تحقيق العدالة الاجتماعية ومعالجة الفقر

الباحثة انوار حميد كريم

العتبة العلوية المقدسة

ملخص البحث

يعتبر الإمام علي عليه السلام الرائد في معالجة الفقر بنظرية القرآن وتعاليمه السابقة في ذلك الزمن الذي كان فيه الفقر شائعاً في أواسط القبائل واخذ الاغلبية بالطمع حيث وضع التعاليم للعيش في المجتمع للتخلص من الفقر بذكر مجموعة من الاهداف الاقتصادية والنظريات والحث على العمل وتخفيض الضرائب عمن ليس له ارض للزراعة ووضع المعادلة التي تمنح للفقير للعيش عمن حصة الغني والتي حاربتها البلدان الغربية لحد الآن بوضع نظريات اقتصادية تبقي الفقير ولاتساعده.

Abstract

Imam Ali (peace be upon him) is considered the pioneer in addressing poverty with the theory of the Qur'an and its previous teachings at that time when poverty was widespread among the tribes and greed took over the majority. He laid down the teachings for living in society to get rid of poverty by mentioning a set of economic goals and theories and urging work and reducing taxes from the person who has no land for farming and established the equation that grants the poor to live from the share of the rich, which Western countries have fought so far by developing economic theories that can be helpful to the poor and the needy to live in contentment and dignity.

المقدمة

ان الدين الاسلامي يمتلك نظاماً اقتصادياً متكاملاً وتركز على الجانب الاخلاقي في التعامل لكي يحقق السعادة للانسان ويعالج المشاكل الاقتصادية لان المجتمعات الانسانية لايمكن لها الاستغناء عن القيم الاخلاقية في المجال الاقتصادي في سبيل الحصول على اكبر قدر ممكن من الربح او تقوية البنية الاقتصادية وان الاسلام شريعة متكاملة غنية بنظمها ليست مادية خالصة ولا روحانية محضا بل تستقصي جميع انطباعات المادة وجميع الخصائص الروحية وتقيم موازنة شاملة عادلة بين جميع ما يحتاج اليه الانسان في حياته لهذا فهو ينظم سلوك المجتمع ومنها سلوكه في المجال الاقتصادي بما يملك من قيم سامية واخلاق عالية والتي غابت عن الغرب التي تزعم الأنظمة والنظريات الاقتصادية التي تحقق سعادة الانسان و ظل الظلم والفقر الحرمان ينتشر يوما بعد يوم والحروب مستمرة مما دل على خسارة هذه الانظمة والنظريات الاقتصادية في هذا البحث اشارة إلى فكر الإمام علي عليه السلام لمعالجة الفقر كحد ادنى مع عدم تطور التكنولوجيا هو تشجيع الزراعة اذا وجدت الارض والماء والمعادلة الاخرى هي حصة الفقراء في اموال الاغنياء **حين ذكر ان** ما تمتع غني بماله إلا وعليه حصة للفقير وان تذمر الطبقة السفلى يعني ان هناك طبقات للمجتمع يجب ان تتوازن بالعيش الذي يحفظ كرامة الإنسان و لم يمنع أهل البيت من الحصول على الأموال بل شجع ذوي الاختصاصات العالية من العلم في كافة المجالات شرط مراعاة الفقراء و ضمان العيش لهم فذكر تقسيم العطاء و مراقبة الاغنياء .

المبحث الاول : النظريات الاقتصادية

المطلب الاول : النظرية الاقتصادية الإسلامية

يهدف النظام المالي الإسلامي إلى دعم الرسالة وأهدافها وحماية الاقتصاد الإسلامي وإقرار أسس التكافل و الضمان الاجتماعي وحماية العمل وتوفير الفرص المناسبة للقادرين عليه ودعم الإنتاج وتحديد سبل تنمية وتوزيع الدخل توزيعاً عادلاً وإحلال التوازن الاقتصادي وترشيد الإنفاق العام والخاص وسمات هذا النظام مستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة واجتهادات علماء المسلمين وتطبيقاتهم [1]

ويهدف أيضاً إلى إحلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع فالمال هو لله وقد عد عناوين الاختصاص به ملكية فرد و جماعة ودولة (الإمام) ولكل منها احكامة الخاصة وموارده ومصارفه المعينة وقد خول الإنسان وفق أسس الخلافة الإلهية للجماعة التصرف فيه والاستفادة منه والتنعم به في كل المرافق الاقتصادية وفق الحدود الشرعية وشجع على انفاقه في سبيله وأوجبه أحيانا وذم ادخاره واكتنازه ذلك من اجل ان تتحرك الأموال (التي جعل الله لكم قياماً)[2] دون ان تتجمد بل تستثمر بمسؤولية في تنمية المرافق الاقتصادية المختلفة وبمجرد موت الإنسان تتفتت الثروات وتوزع من جديد وفق حدود الله كذلك منع الله تعالى تراكم الثروات الفردية بما يهدد المجتمع (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) [3] واكد على إحلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي الذي يفرض مبدا التكافل العام بين الناس باعتبارهم إخوة لكفالة الحاجات الضرورية والأساسية ضمن حد الكفاف وكذلك حق الجماعة في مصادر الثروة الطبيعة العامة (لكم ما في الأرض

جميعا) وأيضاً جباية الدولة للصدقات الواجبة من اجل إحلال التوازن الاجتماعي بين الأفراد لذلك اعطى ولي الأمر صلاحيات واسعة في فرض ضرائب إضافية من اجل توفير الحاجات المادية الضرورية للمجتمع وتسيير المرافق العامة فيه أو لتفتيت الثروات الكبرى وامتصاص الفائض من ثروات الطبقات الغنية واعادتها إلى الطبقات الفقيرة أو المرافق الاجتماعية التي تنشا لصالح الفقراء و المجتمع وبها يتم إعادة توزيع الثروة كما تحول دون تضخم الثروات والوقوف بوجه التضخم المالي في المجتمع [٤] لهذا فان الدولة الإسلامية بتنظيم ميزانية الدولة طبقا نفقاتها و مصروفاتها العامة بينما تقوم الدول الحديثة عموما بتظيم نفقاتها و مشاريعا طبقا لرصيدها المالي والتوفر لديها من الأموال [٥].

المطلب الثاني : النظريات الاقتصادية الحديثة ونشوء أزمة الفقر

شكلت السياسة المالية الاقتصادية للفكر الكلاسيكي عدم اعطاء دور للسياسة المالية كأداة مهمة من ادوات السياسة الاقتصادية وبالتالي لا يكون لها الدور المهم في التأثير على المتغيرات الاقتصادية الكلية نظرا لتحييد دور الدولة عن أي تدخل أو مشاركة فعالة في ادارة الحياة الاقتصادية [٦]وان موقف الاشتراكية ان القضاء على الفقر لا يمكن الا بالقضاء على الاغنياء ومصادرة أموالهم وحرمانهم من الثروات ومحاربة الملكية الخاصة نفسها وتحريم التملك على الناس ايا كان مصدره و بخاصة الأرض و المصانع و الآلات ونحوها وما يسمى ثروات الانتاج هؤلاء هم دعاة الشيوعية و الاشتراكية الثورية ويقول البعض ان الاشتراكية هي حرية الفرد واحترامه و انها تمليك وسائل الإنتاج للشعب و السعي لتثبيت دكتاتورية الطبقة

العاملة [٧] وجاءت **الرأسمالية** تحت وطأة الثورات والحروب وتطور الأفكار الاشتراكية ان تعدل موقفها واعترافها للعاجزين و الضعفاء ان تقوم بإعطاء العجزة والمحتاجين إعانات دورية من ميزانيتها العامة بنص قانوني وبتدخل الدولة ما يسمى التامين الاجتماعي أو الضمان الاجتماعي ويختلف ما يعطى للفرد بنسبة ما دفع قلة أو كثرة لهذ يكون محدود الدخل اقل مبلغا من من ذوي الدخل العالي مع انهم اكثر حاجة إليه [٨]

المطلب الثالث : الفرق بين النظريتين الإسلامية والغربية

إن عدم ملاءمة النظريات التنموية التقليدية مع واقع البلدان الفقيرة وتلك النظريات المبنية على اقتصاد السوق واقصاء الطبقات المحرومة من الاستفادة من نتائج النمو الاقتصادي تؤدي إلى مزيد من الافتقار بالنسبة إلى السكان وإلى توترات اجتماعية حادة وخلل في سير اقتصاد بلدان العالم الثالث التي سرعان ما نجد نفسها في طريق مسدود وان سيطرة الدول الغنية على مصادر التموين بالمواد الأولية والمنتجات الأساسية على الصعيد العالمي وكذا التقدم الذي احرزته بوضعها لطرق تنظيم وتسيير فعالة بالإضافة إلى تحكمها في العلم و التقانة التكنولوجيا كل ذلك من اجل تحسين نتائجها الاقتصادية و ضمان الرفاهية الاجتماعية بحصولها على كل الموارد الاستراتيجية ثم تحولها صناعتها لتجعلها في خدمة الأثرياء ليزدادوا ثراءً و تحقق تكديس رأس المال [٩] وبعد الازمات التي طرأت في الثلاثينيات من الكساد أخذت تعالج المشكلة بعدة نظريات والتي تخدم الاثرياء أولا ونجحت الدول الغربية بفرض الضمان الاجتماعي للفرد لحد الكفاف وتظل ميزانيتها الرأسمالية والاشتراكية تسعى للبقاء من اجل المحافظة على

الاغنياء وتفرض سيطرتها على الشعوب وعلى الموارد في دول العالم الاخرى [١٠] أما الدين الإسلامي فكانت ملاءمته للفطرة الإنسانية وتعاليمه منسجمة مع هذه الفطرة وهي حب المال ولم يحاربها بل هذبها احسن تهذيب بما يكفل الخير والنماء للإنسان والمجتمع وأعطى له حق التملك وبأساليب مشروعة محدودة فلا يجوز الربح عن طريق الربا و المتاجرة بالمواد المحرمة ثم جعل على ثروة الفرد ضرائب متنوعة كالزكاة والخمس وان الاقتصاد الإسلامي يشبع غزيرة حب التملك لدى الإنسان وفي الوقت نفسه يحفظ للمجتمع حقه في الثروات الطبيعية العامة فعلاقة المسلم بالمال ليست علاقة عبودية واتباع الشهوات وانما هي علاقة إيجابية خاضعة بطيعة الحال لإرادة الحق تعالى[١١]

المبحث الثاني : الإيرادات والنفقات عند أهل البيت عليهم السلام

المطلب الأول : النظام المالي الإسلامي

لم تشهد الجزيرة العربية قبل الإسلام تنظيمات مالية بسبب غياب الدولة الموحدة فقد كانت الوحدة الاجتماعية والسياسية الكبرى هي القبيلة وحالت الطبيعة الصحرأوية دون تكوين مجتمعات مستقرة و بانتصار الدعوة الإسلامية أخذ رسول الله شؤون الدولة الادارية و المالية ووضع اسس وقواعد ثابتة للدولة الجديدة[١٢] والنظام المالي هو النظام الذي يعنى بتنظيم موارد الدولة المالية وتوزيع هذه الموارد على المرافق العامة للحياة فالنظام يهتم بالمصادر المالية اللازمة من اجل موازنة ومقابلة النفقات والخدمات العامة التي تقدمها الدولة لأفراد الأمة وتنفيذ البرامج والسياسات المقررة وتسيير المرافق العأمة في البلاد وضمان معيشة وحاجة الفقراء والمحتاجين

[١٣] ويهدف النظام المالي الإسلامي إلى دعم الرسالة وأهدافها وحماية الاقتصاد الإسلامي وإقرار أسس التكافل و الضمان الاجتماعي وحماية العمل وتوفير الفرص المناسبة للقادرين عليه ودعم الإنتاج وتحديد سبل تنمية وتوزيع الدخل توزيعاً عادلاً واحلال التوازن الاقتصادي وترشيد الانفاق العام والخاص وسمات هذا النظام مستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة واجتهادات علماء المسلمين وتطبيقاتهم [١٤] فالمال هو لله وقد عد عناوين الاختصاص به ملكية فرد و جماعة ودولة (الإمام) ولكل منها أحكامه الخاصة وموارده ومصارفه المعينة وقد خول الإنسان وفق أسس الخلافة الإلهية للجماعة التصرف فيه والاستفادة منه والتنعم به في كل المرافق الاقتصادية وفق الحدود الشرعية وشجع على انفاقه في سبيله و أوجبه أحيانا وذم ادخاره واكتنازه ذلك من اجل ان تتحرك الأموال ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (النساء ٥) دون ان تتجمد بل تستثمر بمسؤولية في تنمية المرافق الاقتصادية المختلفة وبمجرد موت الإنسان تتفتت الثروات وتوزع من جديد وفق حدود الله كذلك منع الله تعالى تراكم الثروات الفردية بما يهدد المجتمع ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ (الحشر ٧)وأكد على إحلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي الذي يفرض مبدا التكافل العام بين الناس باعتبارهم إخوة لكفالة الحاجات الضرورية والأساسية ضمن حد الكفاف وكذلك و حق الجماعة في مصادر الثروة الطبيعة العأمة ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ (البقرة ٢٩)، ولهذا فان الدولة الإسلامية تنظم ميزانية الدولة طبقا نفقاتها و مصروفاتها العأمة بينما تقوم الدول الحديثة عموما بتنظيم لنفقاتها و مشاريعها طبقا لرصيدها المالي والتوفر لديها من

الأمـوال[١٥] ولهـذا كان النبـي اذا عجـزت الإيـرادات عـن كفايـة المصرفـات يأخـذ الصدقـة مقدمـا أو يقـترض ليسـد الحاجـات الانيـة والمسـتعجلة [١٦] مـن خصائـص الديـن الإسـلامي ملاءمتـه للفطـرة الإنسـانية وتعاليـه منسـجمة مـع هـذه الفطـرة وهـي حـب المـال ولم يحاربهـا بـل هذبهـا احسـن تهذيـب بـما يكفـل الخير والنماء للإنسـان والمجتمـع واعطى لـه حـق التملـك وبأسـاليب مشروعـة محـدودة فـلا يجـوز الربـح عـن طريـق الربـا و المتاجـرة بالمـواد المحرمـة ثـم جعـل عـلى ثـروة الفـرد ضرائـب متنوعـة كالـزكاة والخمـس وان الاقتصـاد الإسـلامي يشـبع غزيـرة حـب التملـك لـدى الإنسـان وفي الوقـت نفسـه يحفـظ للمجتمـع حقـه في الثـروات الطبيعيـة العأمـة فعلاقـة المسـلم بالمـال ليسـت علاقـة عبوديـة واتبـاع الشـهوات وانـما هـي علاقـة ايجابيـة خاضعـة بطبيعـة الحـال لإرادة الحـق تعـالى [١٧] وان مبـادى الاقتصـاد الإسـلامي تقـوم عـلى ثلاثـة اركان ١.مبـدا الملكيةالمزدوجـة ٢.مبـدا الحريـة الاقتصاديـة في نطـاق محـدود مـع الأخـذ بنظـر الاعتبـار مصلحـة الفـرد والمجتمـع [١٨]

المطلب الثاني : النظرية الشمولية الاقتصادية عند الإمام علي عليه السلام

وان الاقتصـاد الهـادف إلى إنتـاج سـلع وخدمـات لاشـباع الحاجـات الإنسـانية بالأسـاليب الفنيـة الفعالـة بتكامـل الـدورة الاقتصاديـة وهندسـتها ومـا يـؤول إليـه التعاقـب الزمنـي ومـن خـلال مـؤشر الارتفـاع و الانخفـاض في حجـم الإنتـاج والعمالـة ومسـتوى الاسـعار وبوجـه عـام في مسـتوى النشـاط الاقتصـادي وبهـذا تتجـة الـدورة الاقتصاديـة بحركتهـا بـين مرحلـة الرخـاء والتـي تتميـز بارتفـاع حجـم الدخـل الوطنـي و دخـل العمالـة ومسـتوى الاسـعار و مـا يعقبهـا مـن ازمـات ثـم مرحلـة الانكـماش والكسـاد والتـي تتميـز بحجـم الدخـل الدخـل

الوطني المنخفض ودخل العمالة و مستوى الاسعار المنخفض حتى تبدا مرحلة الانتعاش مرة اخرى وبصفة عأمة تستغرق الدورة باكملها بين خمس سنوات و إحدى عشرة سنة ويؤثر ذلك على مستويات الدخل و الاستهلاك و الادخار و الاستثمار وعلى مستوى التنمية الاقتصادية والتطوير وذلك بارتفاع في الرخاء والانخفاض في الكساد والانكماش [١٩]

يضع امير المؤمنين أهدافاً للسياسات الاقتصادية للبلاد الإسلامية ولها الأولوية وهي:

١. استصلاح العباد.

٢. عمارة البلاد وهذه العلاقة المتينة بين الاثنين فلا عمارة بدون استصلاح العباد ولا استصلاح للعباد بدون عمارة فهما يشكلان دائرة مغلقة[٢٠] ويتم تحقيق هذين الهدفين من خلال الادوات اللازمة لتحقيق ذلك وهو العطاء عبارة عن مبلغ سنوي معين من المال كانت الدولة الإسلامية تصرفه للمسلمين ليسد حاجات معيشتهم وعبر بعد ذلك عن رواتب المسلمين وفيما بعد استخدم للدلالة على رواتب الجند[٢١].

٣. العطاء : اعتمد الإمام علي على سياسة المساواة في العطاء ففي كلام له لما عوتب على التسوية في العطاء " لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله وقد اقتدى بهذه السياسة برسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال في ذلك للخوارج وقد علمتم ان رسول الله قطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء[٢٢] وعندما اعترض طلحة والزبير قال لهما عليه السلام "وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم انا فيه برايي ولا وليته هوى مني بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله

صلى الله عليه واله وسلم قد فرغ منه "ومارس هذه السياسة لمواجهه التفاوت الكبير الذي احدثه الخليفة عثمان و عمر عندما استحدثا نظأما لتقسيم بيت المال على اساس مكانة الشخص ومنزلته وقد ادى ذلك إلى تجمع الأموال عند البعض وضمورها عند البعض الآخر.

٤. التوزيع اقتصاديا وفق معدلات العائد من عوامل الإنتاج بالريع والفائدة والربح والأجر ومنظور المقابل فالأرض يقابلها الريع وراس المال يقابله الفائدة و تنظيم المخاطر يقابلها الرح و العمل يقابله الأجر لذا يكون الجانب الآخر للتوزيع هو العرض و الطلب والاسعار وتوازنها وفقا لعوامل الإنتاج والمنافسه وما يترتب عليها وما العدالة في قسمة الأموال بين كل أفراد المجتمع الا المنفذ الفاعل لمنافذ التوزيع وان أهمية العدالة عند التوزيع ما فعله الإمام علي عليه السلام والله رايت عقيلا و قد احلق حتى استحماني من بركم صاعا ورايت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كانما سودت وجوهم بالعظلم وما وردني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فأصغيت إليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قيادَهُ مفارقا طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضحيح ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من مسيسها فقلت له ثكلتك الثواكل ياعقيل اتئن من حديدة احماها إنسانها للعبهِ تجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه و والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلت وإن دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها [٢٣]

٥. السياسة الضريبية تم أخذ الضريبة على اساس قاعدة إنسانية مثلى ومنها

استخدام اللين والرفق اثناء جمع الضرائب حيث قال انطلق على تقوى الله وحده لاشريك له ولاتروعن مسلماً ولاتجتازن عليه كارها ولاتأخذن منه اكثر من حق الله في ماله [٢٤] وعدم التجاوز عن الحد المطلوب من الضريبة وعرف التاريخ صوراً عن التجاوزات التي كان يمارسها المتصدون للضرائب فكانوا يأخذون اكثر من المقدار المقرر حيث ان عامل الضريبة يأخذ حصة له من الضريبة مضافا إليها حصة الرئيس أو الملك بينما كان الأخذ يختلف عند الإمام علي ففي كتاب له إلى ابن زياد وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها نهى الإمام عن زيادة الخراج في " استعمل العدل واحذر العسف والحيف فإن العسف يعود بالجلاء اي التفرق والحيف يدعو إلى السيف " [٢٥] واعفى الإمام في كتابه إلى مالك الاشتر وهو يدعوه إلى التخفيف من غلواء الضريبة على شعبه عند الحالات الصعبة " فإن شكو ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو احالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح أمرهم ولايثقلن عليك شي خففت به المؤنة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك. وتشمل القاعدة حتى أهل الكتاب ولا تمسنّ مال أحد من الناس مُصلّ ولا معاهد ".[٢٦]

٦. السياسة النقدية: وهي مجموعة من الأجراءات في ادارة الدولة تتخذها من النقود و الائتمان و تنظيم السيولة العأمة للاقتصاد وتهدف إلى تحقيق عدة أهداف اهمها ثبات الاسعار و استقرار الاسواق الداخلية للاقتصاد و سعر الصرف في التعامل الخارجي و اجاز امير المؤمنين عليه السلام السفتجة وهي أن يدفع التأجر في وطنه لشخص ثان ليكتب في مقابل ماله ورقة

يأخذ بموجبها ماله في مكان ثان عند شخص ثالث وبهذا كانت حركة النقود جيدة من مكان لأخر وفي الوقت نفسه المحافظة على الامن الاقتصادي وأوضح صحة التعامل بالسندات المالية التي لها قيمة المال نفسه وكان ذلك فاتحة خير في علم الاقتصاد الإسلامي. (٢٧)

٧. سياسة التسعيرة في الإسلام تكون الاسعار في النظام الإسلامي على اساس التفاعل الحر لقوى العرض والطلب ولا يوجد اجحاف بالفريقين من البائع والمبتاع ومعيار التسعيرة هو ميزان العدل فهي تبقى مضطربة مسببة تقلبات اقتصادية في سوق المستهلكين و التجار ولا يترك الأمر إلى الاقتصاديين بقوانين السوق تصبح مقبولة في حالتين عندما تكون هذه القوانين على موازين العدل و ان لايكون السعر اجحافاً لأحد الطرفين و هو الضرار ولايتضرر البائع والمشتري (٢٨)

٨. الانفاق : تقوم فلسفة الإمام علي الاجتماعية على الايمان بان الحقوق المفروضة في أموال الاغنياء لصالح الفقراء كافية لرفع الحاجة فقال ان الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء اقوات الفقراء "فما جاع فقير الا بما متع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك" و يقول الإمام في عهده لمالك الاشتر "ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم" فالإسلام خص من الناس موارد محددة كالزكاة مثلا التي توزع على الفقراء والمساكين وفي سبيل عتق الرقاب وفي الآية (انما الصدقات للفقراء) (٢٩) قال عليه السلام "طوبى لمن ذل في نفسه وانفق الفضل من ماله " (٣٠) وسياسة الانفاق أو عن طريق تقنين الانفاق بين التقدير والتبذير كن سمحا ولاتكن مبذرا وكن مقدرا ولاتكن مقترا أو عن طريق انتهاج الأولوية

في الانفاق فقال من آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق و النوائب ابتغاء الثواب "...

أ.طرق الانفاق على الناس

- الزكاة بأنواعها التي يأخذها الإمام سواء كانت الزكاة أموالاً ظاهرة أو باطنة كالذهب والفضة أو من السوائم والزروع والنقود والعروض ومنها عشور تجار المسلمين إذا مروا بتجارتهم على العاشر

-الخمس والمعيار في ثبوت الخمس هو الملك والفائدة والأموال الشخصية بعد استخراج المؤونة فلا يثبت على الأموال العامة ولا في الأموال غير المملوكة من المباحات الاصلية أو المتعينة للجهات العامة وانما تثبت في الأموال المملوكة للأشخاص بأعيانهم سواء كانوا مكلفين ام غير مكلفين وأوجبه الله على المسلمين كما قال الله تعالى في كتابه [٣١] (وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شيء فإن لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) [٣٢]وكما إن الإسلام متكامل يشمل الجوانب الروحية والمادية في آن وأحد فهو يحدد مجموعة من القواعد والقيم التي ترتقي بالدرجة الأولى بالمصلحة العامة للمجتمع وتتوفر على العديد من الأجراءات التي تساعد على تجاوز مشاكل الفقر والتخلف ومع ضمان الرقي الاجتماعي والتقدم الاقتصادي في كنف العدالة ولأن الزكاة تمثل الركن الثالث من اركان الإسلام والتي ترمي إلى تحقيق هذه العدالة الاجتماعية كما تنص على ذلك وورد ذكر الزكاة ٣٢ مرة في القرآن منها ٢٧ مقرونة بالصلاة و إذا أضفنا مصطلحات الانفاق و الصدقات المستعملة في الكتاب نجدها

اكثر من ٨٠ مرة في سور مختلفة قال الله تعالى ﴿ ما أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أهل الْقُرى فَللهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فإنتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴾ (٣٣)

المطلب الثالث : دور الدولة في تغطية النفقات الاجتماعية

الفقر : هو عجز الإنسان أو جماعة من الناس في المجتمع عن وجدان ما يوفر مستوى الكفاية في العيش و هو ما حاربه الإسلام(٣٤) وتعتبر الادبيات الاقتصادية التقليدية ان النمو الاقتصادي والفقر هما شيئان متضادان ولديها استدلال ان تمويل البرامج الاجتماعية وتحويلها إلى الفقراء يتم عن طريق زيادة الضرائب أو تقليص دخل الاغنياء وهم يقولون ان زيادة الضرائب لا تشجع الادخار ولا النمو الاقتصادي و ان تقليص في دخل الاغنياء ينجم عنه انخفاض في استثمارهم و استملاكهم وهم يقولون ان الخدمات الاجتماعية التي تستفيد منها الطبقات المحرومة تحد من فاعلية الاقتصاد و تشكل عبئا على الفقراء وهذه التحويلات تساهم في تقلص النمو و تفاقم البطالة وان تكاثر الثروة والنمو الاقتصادي مبنيان على تحديد الفوارق الاجتماعية (٣٥) ان الإسلام حين جعل الفضيلة مصدر القيمة الاجتماعية أراد أن يحملوا انفسهم على هذا المركب صونا للمجتمع من اخطار التفاوت الطبقي لم يغفل أمر الواقع النفسي والشعوري وحين تحد الفروق الاقتصادية فتتسع وتعمق تغيض منابع الفضيلة من المجتمع وتسوده نوازع الحيوان وان الإسلام أولى الاقتصاد ماله من أهمية في أمر الصيانة والعلاج فشرع احكأما تحول دون تحول تكون الثروات بطريق غير عادل وغير مشروع

و تحول بين أصحاب الثروات بعد ان تتكون لديهم الثروة بطريق مشروع وبين ان يستخدموها في استغلال الآخرين و شرع الضرائب الزكاة والخمس والمواريث يفتت هذه الثروات ويحول بينها التراكم و التعاظم واعطى الحكام وضع اليد على ما تقضي به المصلحة العأمة من أموال الأغنياء إذا اقتضت الحاجة طارئة تعجز عن الوفاء بها المصادر التقليدية لتمويل النفقات العأمة [٣٦] يجب على الدولة ان تخصص نفقات اجتماعية في ميزانيتها إلى الفقراء والأرامل والأيتام والمعوقين و العاجزين وضمان حد أدنى من الدخل للعائلات المستضعفة على اساس عينة من السلع والخدمات والمأكل والملبس والنقل و التكفل عن طريق الضمان الاجتماعي في حالة مرض أو حادث عمل وعليه تتخذ الدولة أجراءات اقتصادية تحفيزية لتحسين الجهاز المنتج للسلع والخدمات وزيادة الاستثمارات المنتجة و قصد ذلك النمو المنتظم والدائم لإجمالي الدخل الوطني [٣٧] أما في الإسلام فتكاملية الطبقات الحتمية أي أنه لا غنى لبغضها عن البعض الآخر وهو ما يحقق نجاح التنمية الشاملة بكل اشكالها واتجاهاتها في ظل المشاركة في وسائل الإنتاج التي تبدا من كونها ملكاً وهبه الله تعالى لمخلوقاته ومنه يتم التوزيع والتنظيم بين الدولة والمجتمع والفرد [٣٨] وهذه الاجواء الإنسانية يكون فيها بعضهم أولياء بعض بلا فوارق طبقية ولا صراعات ولا هدر للطاقات ولا حاجة لذلك فلكل دوره وامكانية تبادل الادوار على اسس المؤهلات والخبرات واقتضاء الأمر لذلك، بما يتحقق من التقييم و التقويم ووضع الإنسان على جاده الصواب من خلال الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وتكون الزكاة كأداة توزيع لتحقيق القدرة الشرائية ومنها اشباع الحاجات

على الاسس السليمة بلا قصور ما يتوجب على اداء الطبقة ذات القدرة المالية العالية ولا التجاوز على كرأمة ذوي الحاجة و القصور المالي وبالأساس هذه حقوقهم الحتمية وكذلك لكون بعضهم أولياء بعض يصلح حال البعض الآخر[٣٩] وليس على اساس الصراع الطبقي والتضحيات وهدر الحقوق و الاخلاقيات .وإذا كان البناء الطبقي واصلاح الطبقات بعضها لبعض وارداً موضوعياً لأنه مبني على أساس إنساني بعلاج مادي و غير مادي ونفسي وليس مقتصرا على أساسٍ مادي فقط وجانب منه ما يحقق قيمة العمل و فائض القيمة أي ان العامل لا يأخذ قيمة كل ما يؤديه من عمل كما ادعى ماركس فلأوجود للتناقض و الازدواجية فيما جاء به الإسلام لأنه مبني على أساس البناء النفسي المتين الذي يحققه جانب ظهور الصراعات الطبقية التي دعا لحتميتها النظام الرأسمالي وفي مقدمة مفكريها ومنظريها آدم سميث وما يقابلها ويناقضها النظام الاشتراكي وفي مقدمة مفكريه ومنظريه ماركس وما يترتب عليه من استغلال لاإنساني ولا اخلاقي المودي لهدر الطاقات والغرائز النافعة الداعمة للاقتصاد و التنمية و ما يتجه هو الحد من رفع مستوى الرفاهية الاقتصادية – الاجتماعية .

المبحث الثالث : أسباب الفقر في النظريات الاقتصادية

المطلب الأول : الفقر وأسبابه الاقتصادية

حلل الفقر أصحاب الرأسمالية ان الموارد الطبيعية محدودة لأن مساحة الاراضي الصالحة للزراعة وحجم الثروات المعدنية والحيوانية محدودة وفيها_ دعا مالتوس إلى تحديد النسل وقال الماركسيون ان الفقر ناشئ عن التناقض بين شكل الإنتاج علاقات التوزيع وحيث متى تم الوفاق بين شكل الإنتاج والعلاقات ساد الاستقرار في المجتمع [٤٠] والسباق في تحليل طمعهم هي نظرية امير المؤمنين "فما جاع فقير الا بما متع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك"[٤١] و أهم أسباب الفقر في اقتصاد البلدان:

١. الاحتكار: ما يسبب تهديد الاقتصاد واستقرار دخل الأفراد والدخل الوطني وتهديد اشباع حاجاتهم وتهديده على مستوى الادخار و الاستثمار ومنه تركيز رؤوس الأموال باي أفراد وشركات فيبقى الفقير بفقره والغني بكسبه الحرام المتصاعد وتعالج الدول الرأسمالية بإصلاحات تشريعها لسد هذه الفجوة وتكدس الأموال بيد الأفراد كان تفرض الضرائب التصاعدية على الأموال [٤٢] بينما أوصى بالتجار والصناعات وذوي الخبرة حسب (ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكره بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف [٤٣]

٢. الربا : سلوك منحنى استثمار مالي غير مشروع وغير إنساني من أساليبه المستخدمة نسب الفوائد المدفوعة بمحددات المدة وأسلوب المكر

والجوانب غير الأخلاقية إذا كان هذا الربا للمحتاجين يمثل مختلف تنمية الأموال وجني العوائد والارباح والفوائد بأصول مناسبة وقد يدخل مجال الاستثمار السلبي مثل غسيل الأموال وهي لا تحقق تنمية شاملة للأموال وغير الأموال ولكونه عبئاً على الدورة الاقتصادية الحقيقية ولكون هذه القروض تراجعاً لدخل الفرد الصافي والمستوى المعاشي ومعوقاً لزيادة الإنتاج و أيضاً تهدد البرامج التنموية على مستوى دولة ومستقبلها وتؤدي بها إلى تبعية سياسية والهيمنة على السيادة الوطنية والتأثير على قرارات الاستراتيجية (٤٤)

٣. العمل : حيث كانت المجتمعات قبل الإسلام تعتبر العمل وظيفة العبيد ومنها الطبقات السلفى كما قال افلاطون ما عدا الأنبياء كان العمل له قيمة كما للنبي دواد يعمل صنع الدروع و النبي محمد يعمل راعي الاغنام (٤٥)

٤. سوء التوزيع : إن سؤء التوزيع سبب في نشوء الفقر لأن عوامل تضخم وتكدس الثروات المشروعة لدى فئة خاصة من الناس على حساب العامة يؤدي إلى التضخم الذي يعدّ بدوره أهم عامل في تكوين الطبقة الواسعة التي بدورها أيضاً من أهم منابع الفقر وان النظام العادل هو الذي يقف حاجزا منيعا دون تضخم الثروات غير المشروعة وأمام تراكمها عند فئة خاصة من الناس بسبب حرمان الآخرين وهذا ان التشريع الإسلامي سد منابع ذلك التضخم المالي وقطع جميع روافد هذا التراكم الثروي(٤٦)

٥. أي ثقل للخراج على الناس يسبب قلة العزم والرغبة و يقل النشاط

و ينقص الإنتاج و تفرز شطر من الثروة العامة فيمنع نموها واستثمارها وكما تؤدي إلى فساد الأخلاق و فتق الحيل عن عاتقه بالوسائل المنكرة كالتزوير والتهريب الكذب والاحتيال وأيضاً ان ثقل الضرائب تساعد على الهجرة و ترحل الثروات إلى البلاد الأجنبية ليخلصوا من التكاليف الباهظة تنقل المعامل إلى البلاد الأجنبية[٤٧].

٦. قرر قاعدة في (توزيع التكاليف يراعي العدل بقدر الإمكان) وتفسيرها لا يستطاع الوصول إلى العدل التام لأن مطرح التكاليف هو مقدرة المكلف وهذه المقدرة خفية على الشارع كما إن درجة استفادة المكلف من خدمات الدولة لاتحدد بالعدل المطلق ويكتفي بالعدل الممكن[٤٨]

المطلب الثاني : معالجة الفقر اجتماعيا واقتصاديا

١. تحديد الضرائب في مستوى أقل من الذي سجل في البلدان المصنعة يساهم في زيادة التوفير و الاستثمار وتدعيم النمو الاقتصادي.

٢. سياسة القروض لو حددت نسبة الفائدة في مستوى أقل كما قال ج. م. كايتس أو كانت مستوى الصفر كما يعلمنا الإسلام لكان الوضع الاقتصادي و الاجتماعي في العالم مغايرا تمأما لما هو عليه اليوم في الدول المصنعة فتساع مجال القروض يحدث نشاط اقتصادياً و تجارياً اكثر كثافة يؤدي الى تحسين الرقي الاجتماعي و على الصعيد العالمي تجد البلدان الفقيرة محرومة ومنهكة بديون شروط الاقتراض.

٣. خلق فرص العمل.

٤. رفع المردودية أي تسيير الشؤون الاقتصادية مطابقة لتعاليم الإسلام يعمل على ارتفاع محسوس لمردودية العمل و راس مال البلدان و محاربة

اختلاس الأموال والرشوة و الغش و التبذير و القضاء على ندرة المواد الاستهلاكية و اشعار الناس بأنَّ القيم الإسلامية المبنية على الكرأمة والعدالة كل ذلك سيسمح بتحرير الطاقات و تخصيص الفائض المنتج و رفع المردودية في قطاعات النشاط كافة (٤٩)

٥. تحقق العدالة الاجتماعية بفرض الضرائب على الاغنياء و المساواة و تكافؤ الفرص و الضمان الاجتماعي(٥٠)

٦. تشجيع الزراعة : عن ابي عبدالله قال ان امير المؤمنين يضرب بالمر وتعني المسحاة و يستخرج الأرضيين وكان رسول الله ﷺ يمص النوى بفيه و يغرسه فيطلع من ساعته وان امير المؤمنين عليه السلام اعتق الف مملوك من ماله وكد يده (٥١)قال أمير المؤمنين "الفقير ضرر الفقر احمد من اشر الغنى "حيث أكد الإمام ان الفقير المؤمن فقط (٥٢)

٧. العمل والإنتاج هو أساس الاقتصاد الإسلامي وحث عليه وجاء بمقاييس خلقية والعمل عبادة يثاب الإنسان عليه ولا يمكن ان يظفر المجتمع باقتصاد متطور بأهمال العمل والإنتاج وان أهماله يودي إلى ضعف الإنتاج حيث قال رسول الله ﷺ العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال(٥٣)عن العلاء قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام أيعجز أحدكم ان يكون مثل النملة تجر إلى حجرها (٥٤)

٨. التجارة حث الإسلام على التجارة وأمر بها لأنها العصب الحساس في اقتصاد المجتمع واعتبرها تزيد العقل و كما ان تركها ينقص منه(٥٥). تسعة اعشار الرزق(٥٦)

٩. العمران والأنشاء لقد اهتم بإحياء الأرض الموات و جعلها ملكا لمن احياها وان ملكية المحيي للأرض من افضل لتنشيط الحركة العمرانية في البلاد كما انها من العوامل المهمة في ازدهار الحركة الاقتصادية ونموها ولو أهمل العمران لأدى إلى انتشار البؤس و شيوع الفقر والحاجة[٥٧] و ما أوصى الإمام علي لمالك الاشتر ان يبذل المزيد من عمارة الأرض قال رسول الله من احيا أرضاً مواتا فهي له [٥٨].

١٠ .شجع الاقتصاد الإسلامي المضاربة وهو مكون من راس مال من شخص والعمل من شخص اخر و يتقاسمان الربح حسب ما متفق في العقد فتحوله من اداة الإنتاج إلى منزلة الشريك ولها شروط البلوغ والعقل و الايجاب والقبول والاختيار وعدم الحجر كون رأس المال عينا لا منفعة ولسد باب النزاع [٥٩].

١١ .وحث على الزراعة والغرس واهتم الإسلام بالفلاح و كرم الزراع ورفع مكانته في الدنيا والآخرة سمعت أبا عبدالله يقول " الزراعون كنوز الأنام يزرعون طيبا اخرجه الله عز وجل وهم يوم القيامة احسن الناس مقاما واقربهم منزلة يدعون المباركين"[٦٠] قال الإمام الصادق ﷺ :الكيمياء الاكبر الزراعة[٦١].

١٢ .الكفاءة الاقتصادية ان المعايير الإسلامية بشكل عام تؤدي إلى رفع الكفاءة الإنتاجية من خلال بث روح الصدق و الاخلاص والأمانة في العلم ومحاربة الغش والغبن والخداع والتدليس الذي يقلل من تكلفة العمل [٦٢] .

١٣ .يجب على الدولة ان تخصص نفقات اجتماعية في ميزانيتها إلى الفقراء و

الأرامل والأيتام والمعوقين و العاجزين وضمان حد أدنى من الدخل للعائلات المستضعفة على أساس عينة من السلع والخدمات المأكل والملبس والنقل و التكفل عن طريق الضمان الاجتماعي في حالة مرض أو حادث عمل وعليه تتخذ الدولة أجراءات اقتصادية تحفيزية لتحسين الجهاز المنتج للسلع والخدمات وزيادة الاستثمارات المنتجة و قصد ذلك النمو المنتظم والدائم لأجمالي الدخل تأثير الفقر اجتماعيا لمعادلة الصحيحة لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتكدس الأموال في ايدي الاغنياء حدوث اثر اقتصادي حيث ان جمع الأموال بدون استثمار من قبل الاغنياء يؤدي إلى حدوث بطالة وعدم تشغيل الايدي العاملة وفرض سعر فوائد على الاقتراض بنسبة معينة يخلق مشكلة اجتماعية. ويحدث اختلال في التوازن الاجتماعي ولحل مسالة الفقر لابد من التكافل الاجتماعي لبناء الروح الواحدة للفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي ككل مع مراعاة الديانات الأخرى المتعايشة معهم. لذا فإن التكافل يأخذ ابعاداً متعددة له مساس باستقرار المجتمع وأمنه من كل ما يحيط من انحرافات وجرائم وللتكافل أبعاد نفسية وبيولوجية مضافا إلى الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية وتأثيره حتى على الأبعاد السياسة للدولة وقوتها واستقرارها للتخفيف عن كاهلها اتجاه المجتمع، والتاريخ العربي الإسلامي زاخر بالصور الإنسانية العميقة للتكافل منذ ظهور الإسلام وإنشائه فاعتبر كيانا إنسانيا أخلاقيا (٦٣))

التوصيات و الاستنتاجات

١. أوصى الدين الإسلامي لمعالجة الفقر وأهمها الاقتصاد وعدم التبذير والدعوة إلى الصدقة وفرض الزكاة وتحريم الربا ووجوب الخمس والعمل في الزراعة و تمليك الأرض لمن احياها والعمل في الصناعة والتجارة والالتزام ما قاله الإمام علي وعالج الإمام علي الواقع في الناس بالتسوية في العطاء فالشريف الوضيع و الكبير والصغير والعربي والاعجمي كلهم في العطاء سواء فلم يجعل العطاء مظهرا للتفاضل بين الأفراد والطبقات.

٢. تطبيق النظرية الإسلامية الاقتصادية والتي توجب حق الفقيرمن الزكاة والعطاء والخمس.

٣. ان الفقر في البلدان الإسلامية هو في أغلب ألاحيان سياسات اقتصادية وضعتها البلدان الصناعية.

٤. حث الإسلام على العمل وزيادة الإنتاج لمنع البطالة.

٥. شجع الإسلام الضمان والتكافل الاجتماعي.

٦. منع الاحتكار و جعل الاسعار تتفاعل على أساس العرض والطلب ولا يوجد اجحاف بالفريقين من البائع والمبتاع وتكون معيار التسعيرة هو ميزان العدل فهي تبقى مضطربة مسببة تقلبات اقتصادية في سوق المستهلكين و التجار ولا يترك الأمر إلى الاقتصاديين بقوانين السوق تصبح مقبولة في حالتين عندما تكون هذه القوانين على موازين العدل و ان لايكون السعر إجحافاً لأحد الطرفين و هو الضرارولايتضرر البائع والمشتري.

الهوامش

١الاعرجي ،علاء فاضل علي ، النظام المالي في المؤسسة الدينية الإسلامية اراء ومقترحات، ص ١٧٩

٢النساء ٥

٣الحشر ٧

٤الاصفي محمد مهدي ، النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ، ص٢٨ – ٣١ ، ١٤٦ – ١٤٨

٥الاصفي ، النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ١٩ – ٢٢

٦حيدر يونس كاظم ، الفكر الحديث في السياسات الاقتصادية ، العتبة الحسينية المقدسة – مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، العراق –كربلاء ، ٢٠١٦ م. ، ص ٢٧

٧القرضاوي، يوسف ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ط٨، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م، ص١٢

٨المصدر السابق ، ص١١

٩براهيمي ،عبدالحميد ، العدالة الاجتماعية و التنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ط١، لبنان – مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧، ص١٢٧.

١٠ج.آ.س، غرنفيل ، الموسوعة التاريخية العسكرية الكبرى لاحداث القرن العشرين ، ط١، الدار العربية للموسوعات ، لبنان بيروت مجلد١، ص ٢٤٩.

١١الجعفري ،عبدالسلام كاظم ، اضواء على الاخلاق الاقتصادية في الإسلام ودور اهل البيت في نشرها ، منشورات دار التفسير ، إيران ، ١٤٢٩، ص٢٧.

١٢الدجيلي، خولة شاكر ، بيت المال نشاته و تطوره من القرن الاول حتى القرن الرابع الهجري ، بغداد ، مطبعة وزارة الاوقاف ، ١٩٧٦ م، ص١٦

١٣الاصفي، محمد مهدي ، النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ، ص ٨

١٤الاعرجي ،علاء فاضل علي ، النظام المالي في المؤسسة الدينية الإسلامية اراء ومقترحات ، ص ١٧٩.

١٥الاصفي ، محمد مهدي ، النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ص ١٩ – ٢٢

١٦العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٣ ، ص٢٣٨

١٧الجعفري ، عبدالسلام كاظم، اضواء على الاخلاق الاقتصادية في الإسلام ودور أهل البيت في نشرها ، منشورات دار التفسير ، ايران ، ١٤٢٩، ص٢٧

١٨ مصدرسابق، ٣٤ ص.

١٩المحنك ، هاشم ، علم الاقتصاد في نهج البلاغة ، ص١٥٦

٢٠الموسوي ، محسن باقر ، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة ، ص٩٨
٢١الدجيلي، خولة شاكر ، بيت المال ، ص١١٥
٢٢الشريف الرضي ، نهج البلاغة ،المطبعة الحيدرية ، قم المقدسة ، خطبة ١٢٧
٢٣ الشريفي ، حسين ، الإدارة والاقتصاد عند الامام علي واثرها في مكافحة الفقر ، ط١، ٢٠١٧م، ص١١٩
٢٤الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، رسائله ٢٥
٢٥المصدر السابق قصار الكلمات ٤٧٦
٢٦المصدر السابق الرسائل ٥١
٢٧باقر محسن الموسوي ، ص ١٠٢
٢٨باقر محسن الموسوي، ١٠٣
٢٩فليح سوادي ، عهدالامام علي ﷺ الى واليه على مصر مالك الاشتر(رض) العتبةالعلوية ، النجف ، ط٣، ٢٠١٤م، ص ٢٠
٣٠الشريف الرضي ، نهج البلاغة الكلمات القصار ١٢٣
٣١الحكيم ، محمد سعيد ، منهاج الصالحين ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤ ، ج١/ ص٤٠٠
٣٢ سورة الانفال ، آية ٤٠
٣٣سورة الحشر ، آيه ٧
٣٤شمس الدين ،محمد مهدي ، دراسات في نهج البلاغة ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ٢٠٠٧م، ٣٥ص.
٣٥ براهيمي ، ١٥٨ العدالة الاجتماعية و التنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ط١، لبنان – مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧ ،ص١٥٨
٣٦شمس الدين ،محمد مهدي ، دراسات في نهج البلاغة ، ٤٧ص.
٣٧براهيمي عبدالحميد ، العدالة الاجتماعية و التنمية في الاقتصاد الإسلامي ،ص١٧٠
٣٨ المحنك ، هاشم ، علم الاقتصاد في نهج البلاغة ، ص ١٨٢
٣٩ المصدر السابق، ط١، دار انباء ، ص١٨٤
٤٠الفضلي ، عبدالهادي ، مشكلة الفقر ، ص٢٠
٤١الشريفي ، حسين ، الإدارة والاقتصاد عند الامام علي واثرها في مكافحة الفقر ، ط١، ٢٠١٧م ، ١٩٥
٤٢ المصدر السابق ، ١٤٥
٤٣ الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ٤٣٨ ص.

٤٤ المحنك ، ص١٣٩
٤٥ الفضلي ، عبد الهادي ، مشكلة الفقر ، منشورات دار الاضواء ، النجف ، ٣٢
٤٦الفضلي ، عبد الهادي ، مشكلة الفقر ، ٦٢ ص.
٤٧الشريفي ،حسين ، الإدارة والاقتصاد عند الامام علي واثرها في مكافحة الفقر ، ط١، ٢٠١٧م، ص١١٩
٤٨حسين الشريفي ، ص١٣٣
٤٩ براهيمي ،عبدالحميد ، ١٤٦ص.
٥٠الموسوي ، محسن باقر ، ٧٦ص
٥١الكليني، محمد بن يعقوب، ، الكافي ، دار الحديث ج٩ ، ص٥٣٠
٥٢غرر الحكم ودرر الكلم ، ص٣٦٥ .
٥٣الجعفري ، عبد السلام كاظم ، اضواء على الاخلاق الاقتصادية ، ص٣٠
٥٤الكليني ، الكافي ج٩، ص٥٤٤
٥٥المصدر السابق، ٥: ١٤٨: ح٢
٥٦المصدر السابق، الفقيه ٣: ١٤٧: ح٦٤٧
٥٧الجعفري ،عبد السلام كاظم ، اضواء على الاخلاق الاقتصادية ، ص٣٣
٥٨ المجلسي ، محمد باقر ، روضة المقتين في شرح ما لايحضره الفقيه ،ج١١، ط١، مؤسسة الكتاب الإسلامي ، ٢٠٠٨، قم ، ٣٩٤
٥٩ الجعفري ، عبد السلام كاظم ، اضواء على الاخلاق الاقتصادية ، ص٣٦
٦٠الكليني ، الكافي ٥: ٢٦١
٦١ المصدر السابق
٦٢الجعفري ، عبد السلام كاظم ، اضواء على الاخلاق الاقتصادية ، ص٦٩
٦٣الشريفي ،حسين ، الإدارة والاقتصاد عند الامام علي واثرها في مكافحة الفقر ، ، ص١١٩

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الاصفي، محمد مهدي ، النظام المالي وتدأول الثروة في الإسلام ،
* الاعرجي ،علاء فاضل علي ، النظام المالي في المؤسسة الدينية الإسلامية اراء ومقترحات ،
* الآمدي عبد الواحدي كحمد، غرر الحكم ودرر الكلم ،
* براهيمي ،عبدالحميد ، العدالة الاجتماعية و التنمية في الاقتصاد الإسلامي ، ط١، لبنان – مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧،
* ج.آ.س، غرنفيل ، الموسوعة التاريخية العسكرية الكبرى لأحداث القرن العشرين ، ط١، الدار العربية للموسوعات ، لبنان بيروت مجلد١،
* الجعفري ،عبدالسلام كاظم ، اضواء على الأخلاق الاقتصادية في الإسلام ودور أهل البيت في نشرها ، منشورات دار التفسير ، ايران ، ١٤٢٩،
* الحكيم ، محمد سعيد ، منهاج الصالحين ، دار الصفوة ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤ ،
* حيدر يونس كاظم ، الفكر الحديث في السياسات الاقتصادية ، العتبة الحسينية المقدسة – مركز كربلاء للدرأسات والبحوث ، العراق –كربلاء ، ٢٠١٦ م. ،
* الدجيلي ،خولة شاكر ، بيت المال نشاته و تطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري ، بغداد ، مطبعة وزارة الأوقاف ، ١٩٧٦ م،
* الشريف الرضي ، نهج البلاغة ،
* الشريفي ،حسين ، الإدارة والاقتصاد عند الإمام علي واثرها في مكافحة الفقر ، ط١، ٢٠١٧م،
* شمس الدين محمد مهدي ، دراسات في نهج البلاغة ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٧م،
* العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٣ ،
* الفضلي ، عبد الهادي ، مشكلة الفقر ، منشورات دار الاضواء ، النجف ،
* الكليني، محمد بن يعقوب، ، الكافي ، دار الحديث ج٩ ،
* المجلسي ، محمد باقر ، روضة المقتين في شرح ما لايحضره الفقية ،ج١١، ط١، مؤسسة الكتاب الإسلامي ، ٢٠٠٨، قم ،
* المحنك ، هاشم حسين ناصر ، علم الاقتصاد في نهج البلاغة ، ط١، دار انباء ،
* الموسوي ، محسن باقر ، الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة ،
* يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ط٨، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م،